تاريخ

أبي يعلى حمزة ابن القلانسي

المعروف

ذيل تاريخ دمشق

يطلب من مكتبة المثنى ببغداد

تاريخ

أبي يعلى حمزة ابن القلانسيّ

المعروف

بذيل تاريخ دمشق

تتلوهُ نُخَب من تَواريخ

ابن الأَزْرق الفارقي

وسِبط ابن الجَوْزي والحافظ الذَّهبيّ



طُبع في بيروت

بمطبعة الآباء اليسوعيين

١٩٠٨

ذكر اخذ القرامطـة دمشق

من المعزّ لدين الله صاحب مصر

وهذا في سنة ستين وثلثمائة

وقال الشيخ ابو المظفَّر يوسف سبط ابن الجوزي في تاريخه مرآة الزمان في ترجمة السنة الحادية والستين بعد الثلثمائة ان من هاهنا نبتدي بشي مما ذكره ابو الحسين هلال بن المحسّن بن ابرهيم الصابي وانه قال: ان في جمادى الآخرة ورد الخبر بان ابا علي الحسن بن ابي منصور احمد القرمطي سار الى مصر ونزل بعين شمس وجرت بينهُ وبين جوهر القائد وقعة وكان الاستظهار فيها لجوهر وانهزم القرمطي · قال ابن الصابي: لما دخل جوهر مصر سنة ٣٥٨ ووطّأ الامور للمعز واقام لهُ الخطبة سيّر القائد جعفر بن فلاح الى الشام فاسر الحسن بن عبيد الله بن طغج وبعث بهِ الى مصر ولمّا نهب الرملة قصده النابلسي الزاهد واستكفّ جعفر عن النهب فكفّ · ثم استخلف ابنه على الرملة وسار الى طبرية وبلغه ان ابن ابي يعلي الشريف (وهو ابو القاسم اسماعيل) قد اقام الدعوة بدمشق للمطيع فسار الى دمشق فعصوا عليه وقاتلوه فظهر عليهم وهرب ابن ابي يعلي الى البرية وجيء بهِ اليه فاحسن اليهِ وبعث بهِ الى مصر مع جماعة من الاحداث الذين قاموا معه · وعرف القرامطة استيلاء المغاربة على الشام واخذهم ابن طغج فانزعجوا من ذلك لما يفوتهم من المال الذي كان قرّره ابن طغج لهم وهو في كل سنة ثلثمائة الف دينار فبعثوا ابا طريف عدي بن محمد بن المعمر صاحبهم الى عزّ الدولة بختيار والوزير يومئذٍ ابو الفرج محمد بن العباس (ابن فسانجس) يطلبون المساعدة على المغاربة بالمال والرجال فاستقرّ ان عزّ الدولة يعطيهم الف الف درهم والف جوشن والف سيف والف رمح والف قوس والف جعبة وقال: اذا وصل ابو علي الجنابي الى الكوفة حمل اليهِ جميع ذلك · ولما وصل الجنابي الى الكوفة وكان في عدد كثير من اصحابهِ ومن الاعراب فبعثوا اليهِ بالمال والسلاح وسار يريد الشام · وبلغ جعفر بن فلاح خبرهم فاستهان بامرهم ثم لم يشعر بهم حتى كبسوه بدمشق

بمكان يقال له الدكة (١ فقتلوه واحتووا على سواده وامواله وكراعه وملك ابو علي دمشق وامن اهلها واحسن السيرة فيها وغلب على الشام واجتمعت اليه العرب وسار الى الرملة وبها سعاد بن حيان فخرج الى يافا وتحصن بحصنها . ودخل ابو علي الرملة وقتل من وجد من المغاربة ثم رحل طالباً مصر وخلّف بالرملة ابا محمد عبد الله بن عبيد الله الحسني ومعهُ دغفل بن الجرّاح الطائي وجماعة من الاخشيديّة والكافوريّة وجآء فنزل عين شمس على باب مصر واقتتلوا اياماً وظهر القرمطي على المغاربة وقتل منهم زُهاء خمسمائة رجل وغنم اموالهم واسلحتهم ودوابّهم . فلما كان يوم الاحد لثلث خلون من ربيع الاول وقف الهجري على الخندق والمغاربة من ورائه ونشبت الحرب واقتتلوا الى العصر فخرجت المغاربة من الخنادق وحملوا على الهجري فاندق عسكره لا يلوى على احد وجعل يردّهم وهم منهزمون فما وقفوا الى الرملة وظنّ جوهر ان هزيمة القرمطي مكيدة فلم يتعرّض لما كان في عسكره الى ثلثة ايّام حتى تحقّق الخبر فاستولى على الجميع . ونادى جوهر في الاخشيديّة فاجتمعوا فعمل لهم طعاماً وحلف لهم على المصافاة ثم قبضهم وقيّدهم وحبسهم وكانوا الفاً وثلثمائة مقاتل . وقال القرمطي في هذه الوقعة:

زعمت رجال العرب اني هِبْتُها فدمي اذًا ما بينهم مطلولُ
يا مصر ان لم اسقِ ارضك من دمٍ يروي ثراكِ فلا سقاني النيلُ

وقال:

زعموا انني قصير لعمري ما تُكالُ الرجالُ بالقفزان
انما المرء باللسان وبالقلـب وهذا قلبي وهذا لساني

ثم عاد الهجري الى بلده وتفرقت الاعراب في البريّة

---

١) وفي حاشية: هي معروفة في زماننا هذا بالدوّاسة وهي من عجائب دمشق

ذكر الحرب بين المعزّ لدين الله صاحب مصر والقرامطة

في سنة ثلث وستين وثلثمائة وهذا اول ما وُجد من تاريخ ابن القلانسي

... (7ʳ) ... وتحصنوا بالسور وعظم الامر على المعزّ وتحيّر في امره ولم ينفعهُ كتابُهُ اليه ولا ترهيبهُ عليهِ ولم يُقدم على الظهور بعسكره اليه . وكان حسَّان بن جرَّاح الطائي بعسكره مع القرمطي وكان قوّتهُ وشدَّتهُ بهِ ونظر المعزّ في امره فاذا ليس لهُ بهِ طاقة فأعمل فكرتهُ ورويتهُ في امره وشاور اهل الراي من خاصّته وجنده في امره فقالوا . ليس فيه حيلة غير فلّ عسكره وليس يُقدَر على فلّه الّا بابن جرّاح . فبذلوا لهُ مائة الف دينار على ان يَفُلَّ لهم عسكره فاجابهم الى ذلك . ثم نظروا في كثرة المال فاستعظموه فضربوا دنانير من صفر وطلوها بالذهب وجعلوها في اكياس وجعلوا في راس كل كيس منها يسيرًا من دنانير الذهب الخلاص وحملوها الى ثقة ابن جرَّاح وقد كانوا توثّقوا منه وعاهدوه على الوفاء وترك الغدر اذا وصل المال اليه . فلما عرف وصول المال اليهِ عمل في فلّ عسكر القرمطي وتقدَّم الى اكثر اصحابهِ ان يتبعوه اذا تواقف العسكران ونشبت الحرب . فلما اشتدَّ القتال ولّى ابن جرَّاح منهزمًا وتبعهُ اصحابهُ فكان في جمع كثيف فلما نظر اليه القرمطي قد انهزم في عسكره بعد الاستظهار والقوَّة تحيَّر في امره ولزمه الثبات والمحاربة بعسكره واجهد نفسهُ في القتال حتى يتخلَّص ولم يكنْ لهُ بهم طاقة وكانوا قد ارهقوه بالحملات من كل جانب وقد قويت نفوس المغاربة بانفلال ابن جرَّاحٍ فخاف القرمطي على نفسهِ فانهزم فاتبعوا اثره وطلبوا معسكره فظفروا بمن فيه واسروا منهُ تقدير الف وخمسماية رجل وانتهبوا سواده وما فيهِ وضربوا اعناق من اسروه وذلك في شهر رمضان سنة ٣٦٣

ثم جرَّدوا في طلب القرمطي القائد ابا محمود بن ابرهيم بن جعفر في عشرة الف رجل فاتبعهُ وتثاقل في سَيْرِهِ خوفًا من رجوعهِ عليهِ وتمَّ القرمطي على حالهِ في انهزامهِ حتى نزل على اذرعات وانفذ ابا المنجّا في طائفة من الجند الى دمشق وكان ابنهُ قبل ذلك واليًا عليها ورحل القرمطي في البرّيَة طالبًا بلده الاحساء ونيتهُ العودُ ورحل ابو محمود مقدَّم عسكر (7ᵛ) المغاربة عند معرفته ذلك ونزل باذرعات في منزلة القرمطي

ذكر ولاية ظالم بن موهوب العقيلي لدمشق

في سنة ٣٦٣ من قبل المعزّ لدين الله

وصل القائد ظالم بن موهوب العقيلي الى دمشق واليًا عليها في يوم السبت لعشر خلون من شهر رمضان سنة ٣٦٣ عقيب نوبة القرمطي فدخلها وتمكّن امره في ولايتها وتأثّلت حاله في إيالتها وتوفّرت عِدّته وعُدّته واشتدّت شوكته لاسيما عند قبضه على ابي المنجّا وولده صاحبي القرمطي مع جماعة وافرة من اصحابهما وحبسهم وأخذ اموالهم واستغراق احوالهم. واتّفق ان ابا محمود مقدّم العسكر المصري المقدّم ذكره وصل الى دمشق في يوم الثلثا لثلث بقين من شهر رمضان من السنة ونزل بالشّماسية فخرج ظالم متلقّيًا له ومستبشرًا به ومبتهجًا بنزوله ومستأنسًا بحلوله لما كان مستشعره من الخوف من عود القرمطي الى دمشق ونزوله عليها ثم ان ظالمًا انزل ابا محمود المقدّم الدكّة المعروفة وحمل اليه ابا المنجّا صاحب القرمطيّ المعتقل والمعروف بالنابُلُسي الذي كان هرب من الرملة متقرّبًا اليه والى المغاربة بذلك فجعل كلّ واحد منهما في قفص من خشب وحملهما الى مصر فلما وصلا الى المعزّ لدين الله امر بحبس ابي المنجّا وولده وقال للنابلسي : انت الذي قلت لو انّ معي عشرة اسهم لرميت تسعةً في المغاربة وواحدًا في الروم. فاعترف بذلك فامر بسلخه فسلخ وحشي جلده تبنًا وصُلب (١ ولما نزل القائد ابو محمود المقدّم على دمشق في عسكره اضطرب الناس وقلقوا وامتدّت ايدي المغاربة في العيث والفساد في نواحي البلد واخذ من يُصادف في الطرقات والمسالك وكان صاحب الشرطة بعد القبض على ابي المنجّا قد اخذ انسانًا وقتله فظهر

---

١) قال الشيخ ابن الجوزي في المنتظم في ترجمة المعزّ انه كان بطّاشًا احضر يومًا ابا بكر النابلسي الزاهد وكان ينزل الاكواخ من ارض دمشق فقال له : بلغنا انك قلت اذا كان مع الرجل المسلم عشرة اسهم وجب ان يرمي في الروم منها واحدًا وفينا تسعة . فقال : ما قلت هكذا . فظن انهُ رجع عن قولهِ فقال : كيف قلت ؟ قال : قلتُ اذا كان معهُ عشرة وجب ان يرميكم تسعة ويرمي العاشر فيكم ايضًا فانكم غيّرتم الملّة وقتلتم الصالحين وادعيتم نور الالهية . فامر حينئذٍ ان يُشهَر فشهر في اليوم الاول وضرب بالسياط في اليوم الثاني فأُخرج في اليوم الثالث فسُلخ سلخه رجل يهودي وكان يقرأ القران ولا يتاوّه قال اليهودي : فدخلني له رحمة قطعتُ بالسكين في فواده حتى مات عاجلًا

الغوغاء وحَمَلَة السلاح وقتلوا اصحاب المسالح وكثر من يطلب الفتن من العوامّ وطمعت المغاربة في نهب القُرى واخذ القوافل ظاهر البلد ولم يتمكّن القائد ابو محمود المقدّم من ضبط اصحابه لانه لم يكن معه مال ينفقه فيهم ولم (8r) يقبلوا امره ولا امتثلوا زجره . وكان ظالم ياخذ مال السلطان الذي يستخرج من البلد وقد عرف ظالم ان الرعية تكره المغاربة في الفساد وقطع الطريق على الصُدّار والوُرّاد وامتنع السفار من المجي والذهاب وعدلوا في ذلك عن نهج الصواب وترح اهل القُرى منها الى البلد وخات من اهلها واستوحش ظاهر البلد وباطنه . فلما كان يوم الخميس النصف من شوال من السنة جاء قوم من العسكرية ينهب القصّارين من ناحية الميدان فكثر الصائح في البلد وخرج الناس بالسلاح وثارت الاحداث وخرج اصحاب ظالم ووقع القتال وظالم يظهر انه يريد الصلاح والدفع عن البلد ولم يكاشف في الامر ووجد الناس حجةً للمقال والشكوى !ا يجري عليهم فلما كان في بعض الأيام خرج قوم من المغاربة يطلبون الطرق فظفروا برفقةٍ قافلةٍ في طريق الحرُجلّة قد اقبلت من حوران فاخذوها وقتلوا منها ثلثة نفرٍ فجاء اهل القتلى وحملوهم وطرحوهم في الجامع فكثر الناس عليهم وبالغوا في المقال والانكار لاجلهم وغُلقت الاسواق ومشى الناس بعضهم الى بعض ونفرت قلوبهم واستوحشوا وخافوا . فلما كان يوم الاثنين السابع عشر من ذي القعدة من السنة سُمع صبيّ يصيح على بعد : النفير النفير الى قينية الى اللُؤلوة . فقال قائل : كان بالامس اخر النهار قوم من المغاربة ومن البادية في جنينةٍ في القنوات فقتلت المغاربة من البادية ابن عم لورد بن زياد وقد وقع بينهم حرب وقد ثارت الفتنة بباب الجابية فخرج رجل من العسكرية يقال له نفاق ابن عمٍ لابي محمود فظهر القوم من غدٍ في طلب الرجل وكان مسكنه في ناحية قينية فاقبلوا يريدون بيته وانتشرت خيلهم ورجالتهم في ارض قينية الى لؤلؤة والقنوات الى باب الجابية وباب الحديد فظفروا بالقصّارين عند باب الحديد فاخذوا ما كان معهم من الثياب فصاح الناس « النفير » ولبسوا السلاح وخرج اصحاب ظالم مع الرعيّة وزحفت المغاربة حتى بلغوا قريباً من سور البلد وليس في مقابلتهم من يذودهم ويدافعهم فنفر اليهم اهل البلد من (8v) كل ناحية ونشب القتال ونكا النشاب في المغاربة اعظم نكايةٍ وقصدوا الباب الصغير وامتدّ الناس خلف المغاربة وصعدوا على طاحون الاشعريين يرمونهم بالحجارة وطرحوا النار فيها فاحترقت وهي اول نار طُرحت في البلد

وزحفت الرعيّة واصحاب ظالم الى المغاربة وضايقوهم مضايقةً ألجؤهم الى الصعود فوق مسجد ابرهيم وكان ذلك منهم جهلًا واغترارًا وكان في الطريق الاعلى نحو البيمارستان العتيق شرذمة قليلةٌ فحملوا على الاحداث واصحاب ظالم فانهزموا من المرج الى خلف المرمى وتبعتهم المغاربة فلما علم ظالم هزيمتهم خرج من دار الامارة حتى وقف عند الجسر المعقود على بَرَدَا وامر بغلق باب الحديد ورتّب قوماً من اصحابه على جسر باناس لئلّا ينهزم الناس فلما شاهد انهزام الناس والمغـاربة في اثرهم ضرب بيده على فخذه ثم استدعى رمحه وعبر الجسر ومعه فرقة من اصحـابه وحمل على اوائل المغاربة فردّهم عن احداث البلد وصاح الناس في الميدان « النفير » فانهزم ظالم واصحـابه وجأت المغاربة نحو الفراديس ودخلوا الدروب وملكوا السطوح وطرحوا النـار في الفراديس وكان هناك من البنيان الرفيع الغاية في الحسن والبهاء ما لم يُرَ مثله وهو أحسن مكان كان بظاهر دمشق وامتدّت النـار مشرقةً حتى بلغت مسجد القاضي فأتت على دور لبني حذيفة واخذت النار كله (١ فاتلفت ما كان بين الفاخورة وحمام قاسم وكنيسة مريوحنا وحين انهزم الناس وتكامل العسكر في المرج والميدان وارتفع صياح المغاربة وانهزم من على السطح من الرُماة والنظـارة وامتدّوا الى القنوات ودخلوا باب الحديد وانتشروا فلمّاً عرفوا انهزام ظالم قصدت خيلهم ناحية الشمّاسية في طلبه فلمّاً حصلوا بها اقبلت الاحداث تجول فيها مع المغاربة فطرحوا النار في لؤلؤة الكبرى والصغرى والقنوات وقينية واقبل الليل وبات الناس على اسوء حال واشدّ خوف عظيم واعظم وجلٍ . وتمكنت النـار في تلك الليلة (٢9) فاحرقت درب الفحّامين ودرب القصّارين ثم اخذت مُغرّبةً الى مسجد مُعوية واحرقت درب السُمّاقي وما حوله الى حمام العصمي ثم اخذت في زقاق المشّاطين والقنوات وقويت النـار في اللؤلؤة الكبرى والصغرى وبلغت الى ناحية المشرق واتت على الرصيف جميعه وكانوا في وقت يمكنهم من باب الحديد قد طرحوا النار في دار عمرو بن مالك ودار ابن طغج ابن جفّ فقويت النار في اخشاب وبطاين سقوفٍ منقوشةٍ وظهر لها في الليل ألسنةٌ عاليـة وشررٌ عظيم وكذلك النار التي أُلقيت في الفراديس كان لها شررٌ مرتفع والقوا النـار ايضاً في باب الحديد والمظلمة بازاء دار الحمامي الى الطريق الآخذ الى حجر

---

١) وفي الاصل : قله

الذهب ووصلوا الى رحبة السمّاكين مقابل دار ابن مقاتل ووجدوا بين ايديهم من الرعيّة من منعهم من دخول الزقاق ودخل قوم من الرعيَة المظلمة وادركوا واطفوْهـا وقويت النار في دار ابن مالك فاحترقت وما يليها من الطاحون الى حدّ حمّام ضحاك ثم اخذت النار نحو القبلة فاتت على ما كان من الدُوَر حول دار ابن طغج وما يليها الى قصر عاتكة وسوق الجعفري والحوانيت والتقت على قصر حجّاج واشرق الصبح وقد خلا المكان واجتمع قوم في تلك الليلة من حجر الذهب والفسقار والنواحي المعروفة بباب الحديد وعملوا على المحاربة عن الدروب والازقّة وابواب الدور فما لاح الصباح بضيائه الّا وقد بنوا حائط باب الحديد وسدّوا الباب واتى الله بالفرج . وقد كانت المغاربة في تلك الليلة في لهوٍ ولعبٍ وزفن وفرح وسرور بأخذ البلد من عدوهم ينظرون الى النار تعمل في جنباته وقد اتت عليهِ فلما اصبحوا انحدر العسكر من الدكّة يريد البلد وكان الناس قد غدوا الى الميدان وصعدوا السطح ينظرون نزول العسكر وقد حارت عقول كثيرٍ من الناس من الخوف فلما نظرت الدبادبة ممن كان على السطح انحدر العسكر وقد علت الاصوات بالنفير فلما سمع الناس النفير بادروا الخروج بالسلاح التامّ وعُدد الحرب وآلاتها وخرج قوم بمثل حربةٍ (9[٧]) وعصاً وفاس وكساء ومقلاعٍ وحمر عليها حجارة واشتدّ الناس في القتال ونزل القائد ابو محمود في عسكره فضرب في الميدان خيمةً واصبح الناس في شدةٍ عظيمة وبلية هائلة وظهروا من البلد وقد تبعهم الخلق الكثير من الاخيار والمستورين يطلبون من الله تعالى الفرج فلما قربوا من عسكر المغاربة صاح نفر منهم فنفرت من الصياح خيل هناك فقيل لهم: اشراف البلد يريدون الوصول الى القائد . فاذن لهم فلما حضروا لديه وسلموا عليه احسن الرد عليهم وبشّ بهم وقال : ما حالكم وما الذي جاء بكم . فشكوا اليه احوالهم والاضرار بهم والمضايقة لهم وخضعوا وذلّوا له ولطفوا به فقال . ما نزلت في هذا المكان لقتالكم وانما نزلتُ لاردّ هولآء الكلاب المفسدين عنكم (يعني اصحابه) وما اوثر قتال رعيَة . فشكروه ودعوا له واثنوا عليه وانصرفوا عنه مستبشرين بما سمعوه منه وجاءوا الى خيمته واختلطوا باصحابه وقد خفّ الخوف والوجل عنهم . ودخلت المغاربة البلد لقضاء حوائجهم وعاد القائد ابو محمود في عسكره الى الدكّة بمنزلهِ . وولّى الشرطة لرجلين يقال لاحدهما حمزة المغربي والاخر يقال له ابن كشمرد من الاخشيديَّة فدخل في جمع كثير من الخيل والرجالة فطافا في البلد بالملاهي والزفن وجلسا في مجلس

الشرطة وطـاف في الليل جماعة من الرجال بالعدد والسلاح ممن يريد الفساد واثارة الفتن ووجد الطائف الدروب قد ضيقت فشكا ذلك الى القائد ابي محمود فشقّ هذا الامر عليه وضاق له صدره. فلماً كان في بعض الليالي اجتاز الطائف في ناحية الحاملين على جسر المصلى يريد باب الصغير في جمع وافر ووصـل الى سوق الغنم فوجد درب سوق الغنم مسدوداً فعظم ذلك عليه وغضب لاجله وعاد الى ورائه منكفئاً حتى دخل من ناحية البطّاطين فشكا الى ابي محمود فقـال : ان القوم على ما هم عليه من العصيان والخلاف. وكثرت الاقوال في مجلسه ولم يكن صاحب رأي سديد ولا تدبير حميد ولا حسن سيـاسةٍ واستدعى مشايخ البلد اليه (10^r) فدخلوا عليه فتواعدهم واغلظ القول لهم وقـال : ان لم يُفتح هذا الباب والّا وانتم مقيمون على الخلاف والعصيان. فقالوا : ايها القـائد لم يُسدّ هذا الباب لعصيان ولا خلاف وانما كان سدّه بحيث لا يدخل منه من لا يعلمه القـائد ولا يوثره من اهل الفساد ومن يوثره اثارة الفتنة والعناد. فقـال : قد امهلتكم ثلثة ايام وان لم يفتح هذا الباب لاركبنّ اليه ولأحرقنه ولأقتلن كل من اصادفه فيه . فقالوا : نحن نطيع امرك ولا نخـالفه اذا استصوبتَ ذلك . وخرجوا من عنده متحيّرين في امرهم ولا يعلمون كيف يسوسون جهلة الناس وامور السلطان . فصـاروا الى باب الصغير واجتمع اليهم اهل الشرّة وغيرهم وفيهم المعروف بالمارود راس شُطّـار الاحداث واحاطوا بهم وسالوهم عن حالهم فاعادوا عليهم ما سمعوه من القائد ابي محمود بسبب سد الباب فقال بعضهم : يفتَح ولا يجري مثل ما جرى اولًا فنخرب البلد. وقال قوم من اصحاب السلاح بالضدّ فقـالت المشايخ : نحن نفتح هذا الباب وان جرى امر مكروه عند دخول المغاربة وغيرهم او ثارت منه فتنة كنتم انتم اصل ذلك وسببه. ثم انّهم فتحوه من وقتهم فلما شاهد المشايخ ذلك حاروا بين الفريقين وقال بعضهم لبعضٍ :ما قال ابو محمود وما قال اهل الشرة وقد فتح الباب بامركم ولسنا نامن امراً يكون من المغاربة فتكونوا انتم السبب فيه . ففكّروا في الخلاص من لائمة الفريقين واعملوا الراي فيما بينهم وقالوا : الصواب ان نامرهم بسده. وكان ذلك منهم راياً سديداً وتدبيراً . وجرى بين رجل من اكابر المغاربة ورجل من اهل الشرّة منـازعة بسبب صبيّ اراد المغربي ان يغلب عليه فرفع البلدي سيفه وضرب به المغربي فقتله في سوق البقل فغلُظ الامر واضطرب البلد وغلقت حوانيت الاسواق وثار العسكر بسبب المقتول فعند ذلك وجدت المشايخ الحجّة

في سد الباب لهذا الحادث وانتهى الخبر الى القائد ابي محمود ففرّق السلاح في اصحابه وثار اهل البلد وتأهبوا للمحاربة واصبح العسكر منحدرًا يريد باب الصغير (10^v) وكان عندهم العلم بتفريق السلاح والاستعداد للحرب فتيقَّظ النــاس فاحترزوا الى حين ارتفع النهار وفتح الناس حوانيتهم وكان المعروف بابن المارود راس الاحداث قد عرف هو واصحــابه ان قصد العسكر باب الصغير لاجلهم وصاح الناس « النفير » وارتفعت الاصوات وتقدّمت الرجالة وانتشروا في سوق الدوابّ وعبروا الجسر وطرحوا النار في الطاحون قبليَّ الجسر وانتشروا في الطريق والمقابر يشاهدون النار في دُوَر عند مسجد الخضر وامتدت الاحداث والرعيّة في المقابر ووقع « النفير » في الاسواق وكانوا في غفلة فصاح فيهم صايح : اما يستيقظ من هو غافلٌ اما ينتبهُ من هو راقدٌ . فغلقت حوانيت الاسواق واضحى الناس من استشعار البلاء على ساق وتزل القايد ابو محمود في محراب المصلَّى كانت رجالته منتشرةً في المقابر فاجتمعت مشايخ البلد الى القــائد ابي محمود من باب الجـابية والمحاربة على باب الصغير وكان فيهم الشريف ابو القاسم احمد بن ابي هشامٍ العقيقي العلويّ فقال له : الله الله ايها القائد في الحرَم والاطفال واتقياء الرجال . ولم يزل يخضع له ويلطف به الى ان امسك بعد سؤالٍ متردّدٍ وعاد منكفئًا بعسكرهِ الى مخيّمِهِ بالدكّة في يوم الاربعــاء لست مضين من ذي الحجة سنة ٣٦٣ وكفّ عن القتال . ودخل صاحب النظر الى البلد وانتشر الفساد في سائر الضياع والجهــات وطرحت النار في الاماكن والحارات وثارت الفتنة واشتدت النار وعظم الخوف وفنِيَ العدد الكثير من الفريقين ولم تزل الحرب متصلةً مدة صفر وربيع الاول وبعض ربيع الاخر وتقرَّرت المصالحة والموادعة الى ان وُلّي جيش بن الصمصامة البلد من قبل خاله القائد ابي محمود المقدّم ذكره في سنة ٣٦٣ . وصُرف القائد ظالم بن موهوب العقيلي عن ولايته

شرح الامر في ذلك

لما استقر الصلح والموادعة بين اهــل دمشق والقائد ابي محمود مُقدَّم العسكر المصري المعزّي على ما تقــدَّم شرحه وخمدت نار الفتنة بعض الخمود وركدت ريحها بعض (11^r) الركود وسكنت نفوس اهل البلد واطمأَنت القلوب بين الفريقين اعتمد القائد ابو محمود على ابن اخته جيش بن الصمصامة في ولاية دمشق وحمايتها ولمَّ ما

تشعّث منها بالفتنة المتصلة لما رجاه عنده من الكفاية والصرامة وقدّره فيه من النهضة والشهامة فدخلها واليًا ونزل بقصر الثقفيّين في الدار المعروفة بالروذباري واقام بها اياماً. فلما كان يوم من الايام عبرت طائفة من عسكر المغاربة بالفراديس فعاثت فيه فثار الناس عليها وقتلوا من لحقوه منهم وصاروا الى قصر الثقفيّين فهرب منهم جيش بن الصمصامة الوالي في اصحابه فانتهبوا ما كان لهم فيه واصبح القائد جيش منحدراً من العسكر في جمع كثير وقصد جهة من البـلد وكبس موضعاً كان قد سلم ووجد فيه اربعةً من اهله فـاخذ رؤوسهم وطرح النار فيه فاحترق وقال القائد ابو محمود: ان اهل الشرّة في موضع يقـال له سقيفة جناح قريب من باب كيسان قبلي البلد. فقصدهم من ناحية الحامس الصغير والمقابر فوقع «النفير» فقاتلتهم الاحداث والرعيّة اشدّ قتالٍ وقد غلظ الامر عليهم في اخذ رؤوس من يظفرون به ونشبت الفتنة والشر بينهم منذ اول جمادى الاولى ونشبت الحرب بينهم بياض ذلك اليوم الى ان اقبل الليل فاضطرب البلد واشتدّ خوف اهله ووجلهم وخربت المنـازل وضعُفت النفوس وانقطعت الموادّ واستدّت بالخوف المسالك والطرقات وبطل البيع والشراء وقطع الماء عن البلد وعدم الناس القني والحمامات ومات ضعفآء الناس على الطرقات وهلك الخلق الكثير من الجوع والبرد في اكثر الجهات وانتهت الحال في ذلك الى ان تجدّدت ولاية القائد ريّان الخادم عقيب هذه الفتنة في بقية سنة ٣٦٣

شرح الحال في ذلك

قد كانت الاخبار تنتهي الى المعزّ لدين الله بما يجري على اهل دمشق من الحروب واحراق المنازل والنهب والقتل والسلب واخافة المسالك وقطع الطرقات وان القائد ابا محمود المقدّم على الجيش المصري لا يتمكّن من كفّ اهل الفساد والمنع (11^٧) لمن يقصد الشر من اهل العيث والعنـاد ولذلك فقد خربت الاعمال واختلّت الجهات وترادفت الانباء بذلك اليه وتواترت الاخبار بجلية الحـال عليه فانكر استمرار مثل ذلك واكبره واستبشعه وكتب الى القائد ريّان الخادم والي طرابلس يامره بالمسير الى دمشق لمشاهدة حـالها وكشف امور اهلها والمطالعة بحقيقة الامر فيها وان يصرف القائد ابا محمود عنها فامتثل القائد ريّان الامر في ذلك وسار من طرابلس ووصل الى دمشق فشاهدها وكشف احوال اهلها وامور الرعيّة بها وتقدّم الى القائد ابي محمود

بالانكفاء عنها فرحل عن دمشق الى الرملة في عدّةٍ خفيفةٍ من عسكره وبقي الاكثر مع القائد ريّان وكان ذلك بقضاء الله وتقديره ونفاذ حكمه . وتمادت الايام في ذلك الى ان تجددت ولاية ابي منصور الفتكين التركي المعزّي البويهي الواصل

ولاية الفتكين المعزّي لدمشق في بقية سنة ٣٦٣

وما بعدها وشرح السبب في ذلك

قد مضى ذكر ما جرى عليها امر القائد ريّان المعزّي الخادم في تولية امر دمشق وما شاهده من امر الفتن الحادثة فيها واتصال الحروب بها وما اعتمده من النظر في تسديد احوالها وتدارك اصلاح اختلالها بعد ذلك وتسكين نفوس من بها . ووافق هذه الحال ما تناصرت به الاخبار من بغداد من اشتداد الفتن والوقائع بين الديلم والاتراك وما كان من عصيان الحاجب سُبُكتكين المعزّي مقدّم الاتراك على عزّ الدولة بختيار بن مولاه معزّ الدولة ابي الحسين بن بويه الديلمي وما حدث من موت الحاجب سُبكتكين المذكور وردّ الامر في التقدم على الاتراك الى الحاجب ابي منصور الفتكين المعزي والرئاسة عليهم لسكونهم الى سداده وجميل فعله في الاعمال واقتصادهم واعتمادهم عليه في اخماد ثائرة الفتنة وسكنت نفوس الاجناد ببغداد

وفي ذي القعدة من سنة ٣٦٣ وردت الاخبار بخلع المطيع لله واستخلاف ولده الطائع لله عند اشتداد الفتنة بين الديلم والاتراك واقام على هذه (12^r) الحال برهةً خفيفةً ثم ثارت الفتنة واتّصلت الحواديث وزاد الامر في ذلك الى حدّ اوجب للحاجب الفتكين (١ الانفصال عن بغداد في فرقةٍ وافرةٍ من الاتراك تُناهز ثلثمائة فارس من طراخين الغلمان ووصل اولًا الى ناحية حمص للاسباب التي اوجبت ذلك ودعت فاقام بها اياماً قلائل وسار منها الى دمشق والاحداث بها على الحال المقدّم شرحهما في تملُّكها والغلبة عليها والتحكُّم فيها فنزل بظاهرها وخرج اليه شيوخها واشرافها وخدموه واظهروا السرور به وسألوه الاقامة عندهم والنظر في احوالهم وكفّ الاحداث الذين بينهم ودفع الاذيّة المتوجهة عليهم منهم فاجابهم الى ذلك بعد ان توثّق منهم وتوثّقوا منه بالأَيمان الموكّدة والمواثيق المشدّدة على الطاعة والمساعدة ودخل

---

١) وفي تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي هو « هفتكين »

البلد واحسن السيرة وقمع اهل الفساد واذلّ عصب ذوي العيث والعناد وقامت له هيبة في الصدور وصلح به ما كان فاسدًا من الامور . وكانت العرب قد استولت على سواد البلد وما يتّصل به فقصدهم واوقع بهم وقتل كثيرًا منهم وظهر لهم من شجاعته وشهامته وقوة نفس من في جهته وجملته ما دعاهم الى الاذعان بطاعته والنزول على حُكمه والعمل باشارته وامر بتقرير امضاء الاقطاعات القديمة وارتجاع ما سوى ذلك واحسن التدبير والسياسة في ترتيب العمّال في الاعمال وانعم النظر في ابواب المال ووجوه الاستغلال فاستقام له الامر وثبتت قَدَمه في الولاية وسكن اهل دمشق الى نظره . وكاتب المعزّ مكاتبةً على سبيل المداجاة والمغالطة والمداجة والتمويه والانقياد له والطاعة لاوامرهِ فاجابه بالاحماد له والارتضاء بمذهبه والاستدعاء له الى حضرته ليشاهده ويصطفيه لنفسه ويعيد الى ولايته بعد ذلك مكرّمًا مولىً مشرّفًا فلم يثق الى ذلك ولا سكنت نفسه اليه وامتنع من الاجابة الى ما بعثه عليه . ووافق ان المعزّ لدين الله اعتلّ العلة التي قضى فيها محتوم نحبه وصار الى رحمة ربّه في سنة ٣٦٥ وكان مولده بالمهدية وعمره خمس واربعون سنة ومولده سنة ٣١٩ (12^v) ومدّة ايامه في الخلافة ثلث وعشرون سنة وستّة اشهر وامّه امّ ولد ونقش خاتمه « بنصر العزيز العليم ينتصر الامام ابو تميم » وكان عالمًا فاضلًا شجاعًا جاريًا على منهاج ابيه في حسن السيرة وانصاف الرعيّة ثم عدل عن ذلك وتظاهر بعلم الباطن وردّ من كان باقيًا من الدُعاة في ايام ابيه واذن لهم في الاعلان مذهبهم ولم يزل عن ذلك غير مُفرّط فيه الى ان خرج من الغرب . وقام في منصبه من بعده ولده نزار ابو منصور العزيز بالله مولوده بالمهدية يوم الخميس الرابع عشر من المحرم سنة ٣٤٤

ولما عرف حال الحاجب الفتكين جهز اليه عسكرًا كثيرًا مع القائد جوهر المعزّي ويجري الامر بينهم على ما هو مشروح في موضعه . واتفق خروج (ابن) الشمشقيق متملّك الروم في هذه السنة الى الثغور فاستولى على اكثرها ودعت ابا بكر ابن الزيّات الضرورة الى مصالحته والدخول في طاعته والمسير في عدة وافرةٍ من اهل طرصوس والثغور في خدمته وفعلت عدّة من بطون العرب مثل ذلك فلما نزل ابن الشمشقيق على حمص وافتتحها وانتقل عنها الى بعلبك وملكها واراد قصد دمشق وكتب ابن الزيّات الى الفتكين واهل دمشق يُعرفهم قوة متملّك الروم وانهم لا يقدرون على مقاومته ولا يتمكنون من محاربته ويشير عليهم بالدخول في طاعته والنزول

على حكم اشارته واصغى الفتكين واهل البلد الى ذلك وعلموا ان فيه المصلحة وقرّروا ما يستكفونه به ليصحبوا في كنف السلامة ويامنوا شرّ العساكر الواصلة اليهم. وكتب اليه بقبول الاشارة وردّ الامر اليه فيما يدبره والعمل فيه بما يراه ويستصوبه. فدخل ابن الزيّات الى متملّك الروم وقال له: قد وردت كتب الفتكين واهل دمشق بالانقيـاد للملك الى ما يرومه منهم ويرسم حملَهُ اليهِ من الخراج عن بلدهم وسالوا امانه وحسن الرأفة بهم والمحاماة عنهم. فقال له: قد قبلت طاعتهم وامرتُ بايمانهم على نفوسهم واموالهم ورضيت منهم بالخراج. وانفذ اليهم صليبًا بالامـان فانفذه ابن الزيّات اليهم مع المعروف بالدمشقي صـاحبه وكان من وجوه (13r) الطرسوسين فتلقّوه بالمسرّة والاكرام والشكر الزائد عن حسن السفارة وجميل الوساطة. واشار ابن الزيّات على الفتكين بالخروج لتلقّي الملك فخرج في ثلثمائة غلامٍ في احسن زي وعُدّةٍ وافضل ترتيب وهيئة واستصحب اشراف البلد وشيوخه ولقيه فاقبـل عليه واكرمه والدمستقيين فيما خاطبهم به من الجميل وعاملهم به من وكيد العناية ومرضيّ الرعاية وتوسّط ابن الزيّات ما بينه وبينهم على تقرير مائة الف درهم. وسار ابن الشمشقيق الى دمشق لمشاهدتها فلما وصل اليها ونزل بظاهرها استحسن ما رأه من سوادهـا وتقدّم الى اصحـابه بكفّ الاذية عن اهلها وترك الاعتراض لشيء من عملها ودخل الفتكين والشيوخ الى البلد لتقسيط القطيعة وجمعها وتحصيل الملاطفـات التي يُخدَم مثله بمثلها وحملوا اليه ما جاز حمله وحصل المال المقرّر له في بدرة. وخرج الفتكين اليه لمعاودة خدمته فوجده راكبًا والطرسوسيون يتطاردون بالرماح بين يديهِ فلما شاهد ابن الشمشقيق موكبَهُ تقدّم الى ابن الزيّات بتلقّيه وقد كانت الحال تاكّدت بين الفتكين وابن الزيا د فتلقّاه ووصاه بالتذلل له والزيات في التعظم له والتقرب اليه واعلمه ان ذلك ينفق عليه ففعل الفتكين ما اشار بهِ وترجل له هو واصحـابه وابن الزيات عند قربهم منه وقبلوا الارض مرارًا فسُرّ الملك بذلك وامرهم بالركوب فركبوا واستـد الى الفتكين وسأله عن حاله فاجابهُ جوابًا استرجحهُ حجةً فيه. وكان الملك فارسًا يُحبّ الفرسان فلعب الفتكين وابن الزيّات بين يديه لعبًا استحسنه منه وشاهد من فروسية الفتكين ما اعجبه فتقدم اليه بالزيادة في اللعب والتفرُّد به ففعل والتفت الملك الى ابن الزيّات فاثنى على الفتكين وقـال: هذا غلامٌ نجيبٌ وقد اعجبني ما شاهدتُهُ منه في حسن افعاله وجميع احواله. فأعلم ابن الزيّات الفتكين فترجّل وقبل الارض وشكره

ودعا له فامره بالركوب فركب وقال لابن الزيّات : عرّفه ان ملكي قد وهب له الخراج وترك طلبه منه. فاعاد الفتكين الترجّل والشكر (13v) والدعاء وعاد الملك الى بلاطه والفتكين معه في اثناء مسيره يلعب ويرى بالزوبين والملك شديد التوفّر عليه حتى اذا نزل احضره وخلع عليه وحمله على شهري واستهداه الملك الفرس الذي كان تحته والسلاح الذي عليه الرمح فعاد واضاف اليه عشرين فرساً بتجافيفها وعدّة رماح وشيئاً كثيراً من اصناف الثياب والطيب والتحف التي يتحف بها مثله فشكره الملك على هذا الفعل وقبل الفرس والته وردّ ما سوى ذلك وكافاه على الهديّة باثواب ديباج كثيرة وصياغات وشهاريّ وبغلات وسار على طريق الساحل فنزل على صيدا. وخرج اليه ابو الفتح بن الشيخ وكان رجلًا جليل القدر ومعه شيوخ البلد ولقوه وقرّروا معه امرهم على مال اعطوه اياه وهديّة حملوها اليه وانصرف عنهم على سلم وموادعة وانتقل الى ثغر بيروت فامتنع اهله عليه فقاتلهم وافتتح الثغر عنوةً ونهبه وسبى السبي الكثير منه وتوجه الى جُبيل فاعتصم اهلها عليه وجرى امرها مجرى بيروت ونزل على طرابلس فاقام عليها تقدير اربعين يوماً يُقاتل اهلها ويقاتلونه فبينما هو على ذلك اذ دسّ اليه خال بسيل وقسطنطين سمّاً فاعتلّ منه ورحل الى انطاكية فطالب اهلها بتسليمهما فلم يجيبوا الى ذلك وقطع ما كان في بساتينها من شجر التين وهو يجري هناك مجرى النخل في البصرة وحفزه المرض الذي لحقه واستخلف البرجي البطريق على منازلتها وتوجه الى القسطنطينية وتوفّي بعد ان افتتح البرجي انطاكية في سنة ٣٦٥ وورد الخبر بوفاة ابي تميم معدٍ المعزّ لدين الله صاحب مصر في يوم الجمعة السابع عشر من شهر ربيع الاخر سنة ٣٦٥ وكان مولده بالمهدية على اربع ساعات واربعة اخماس ساعةٍ من يوم الاثنين الحادي عشر من شهر رمضان سنة ٣١٩ وعمره خمس واربعون سنة وتقلّد الامر بعد ابيه في يوم الجمعة التاسع عشر من شوال سنة ٣٤١ ومدة ايامه بمصر ثلث سنين وانتصب مكانه ولده نزار ابو المنصور العزيز بالله وقد تقدّم ذكر ذلك الّا ان هذه الرواية اجلى من تلك الحكاية. وقيل ان المعزّ كان (14r) مُغرًى بعلم النجوم والنظر فيما يقتضيهُ احوال مولده واحكام طالعه فحكم له بقطعٍ فيه واستشار مُنجّمه فيما يزيله عنه فاشار عليه ان يعمل له سرداباً تحت الارض ويتوارى فيه الى حين زوال الوقت وتقضّيه فعمل على ذلك واحضر قوّاده وكتابه وقال لهم : ان بيني وبين الله تعالى عهداً في وعدٍ وعدنيه وقد قرُب اوانه وجعلت ولدي نزاراً

ولي العهد بعدي ولقّبته العزيز بالله واستخلفته عليكم وعلى تدبير اموركم مدّة غيبتي فالزموا الطاعة له والمناصحة واسلكوا الطريق الواضحة . فقالوا له : الامر امرك ونحن عبيدك وخدمك . ووصّى الى العزيز بما اراد وجعل جوهراً مدبّره والمشار اليه في الامور وتنفيذها بين يديه ونزل الى السرداب الذي اتخذه واقام فيه سنة فكانت المغاربة اذا راوا غماماً سايراً ترجلوا الى الارض واومؤا اليه بالسلام بقدر ذاك . ثم خرج بعد ذلك وجلس للناس فدخلوا اليه على طبقاتهم وخدموه بادعيتهم وما اقام على هذه الحال الاّ مديدةً واعتلّ علّته التي قضى فيها نحبه . وقام العزيز بالله في منصبه وقد كان الفتكين والقرامطة يكاتبونه بانهم قاصدون الشام الى ان وافوا الى دمشق في سنة ٣٦٥ وكان الذي وافى منهم اسحق وكسرى وجعفر فنزلوا على ظاهر دمشق نحو الشماسيّة ووافى معهم كثير من العجم واكرمهم الفتكين وحمل اليهم الميرة وخرج نحوهم واقاموا على دمشق اياماً ورحلوا متوجهين الى الرملة . وكان ابو محمود ابرهيم بن جعفر لما عرف خبرهم تحصّن بيافا فلما نزلوا الرملة شرعوا في القتال ولما امن الفتكين من ناحية مصر والرملة عمل على اخذ ثغور الساحل وسار فيمن اجتمع اليه ونزل صيدا فكان بها ابن الشيخ واليًا ومعه رؤوس من المغاربة ومعهم ظالم بن موهوب العقيلي الذي تقدم ذكره في دمشق فقاتلوه وكانوا في كثرةٍ وطمعوا في الفتكين وامتدّوا خلفه ونزل على نهر وطفت الرعيّة من صيدا وخرج منهم خلقٌ كثير وقال الفتكين لساقة العسكر : اطلبوا طريق بانياس وتبعوهم . فحملت عليهم الاتراك ورمتهم المغاربة بالحرب فلقوهم بالصدور (14ᵛ) واقبلوا بالتوت عليهم وداسوهم بالخيل عليها التجافيف فانهزموا واخذهم السيف وكان ظالم بن موهوب معهم فانهزم الى صور وأُحصي القتلى فكانوا اربعة الف وطمع في اخذ عكا وتوجه نحوها . وقد كان العزيز بالله كاتب الفتكين بمثل ما كاتبه به المعزّ لدين الله من الاستمالة ووعده بالاصطناع واخذت عليه البيعة وظهرت منه الطاعة فاجابه فيه جوابًا فيه بعض الغلظة وقال : هذا بلدٌ اخذتُه بالسيف وما ادينُ فيه لاحدٍ بطاعةٍ ولا اقبل منه امراً . وغاظ العزيز هذا الجواب منه واحفظه واستشار ابا الفرج يعقوب بن يوسف بن كلّس وزيره فيما يدبّر امر الفتكين به فاشار باخراج القايد جوهر اليه مع العساكر فامر بالشروع في ذلك وترتيب الامر فيه . وعرف الفتكين ذلك وما وقع العزم عليه فجمع وجوه اهل دمشق واشرافها وشيوخها وقال لهم : قد علمتم انني لم اتوسّطكم واتولّى تدبيركم الاّ عن رايكم

ومرادكم وقد طلبني من هذا السلطان ما لا طاقة لي به وانا منصرف عنكم وداخل الى بلاد الروم وعامل على طلب موضع اكون فيه واستمدُّ ما احتاج اليه منه لئلا يلحقكم بقصد من يقصدكم ما يثقل به الوطأة عليكم وتصل به المضرّة اليكم. وكان اهل دمشق يابون المغاربة لمخالفتهم لهم في الاعتقاد ولانهم أُمَويون ولقبح سيرة الناظرين الذين كانوا عليهم فقالوا: اما اخبرناك لرئاستنا وسياستنا على ان نمكنك من تركنا ومفارقتنا او نالوك جهداً من نفوسنا ومساعدتنا! ونفوسنا دونك وبين يديك في المدافعة عنك. وجددوا له التوثقة على الطاعة والمناصحة. وفصل جوهر في العسكر الكثيف من مصر بعد ان استصحب امانًا من العزيز بالله لالفتكين وخاتمًا ودستًا من ثيابه وكتابًا اليه بالعفو عنه وعمّا فرط منه فلما حصل بالرملة كاتب الفتكين بالرفق والملاطفة وان يبلغ له ما يريده واعلمه ما قرّره له مع العزيز بالله وأَخذه لامانه الموكد والتشريف الفاخر واشار عليه في اثناء ذلك بترك اثارة الفتنة وان يطلب صلاح الحال من جهته واقرب طُرقهِ. فلما وصل الكتاب اليه ووقف عليه اجابه عنه بالجميل من (15r) الجواب والمرضيّ من الخطاب والشكر على ما بذله لهُ من نفسه وغالطه في المقال واحتجّ عليه باهل دمشق فيما يصرف رايه وتدبيره عليه. وكان كاتب الفتكين المعروف بابن الخمّار وهو يرى غير راي المغاربة ويزري عنده على اعتقادهم ويقرّر في نفسه وجوب قتالهم ووقف جوهر على كتابهِ فعلم انه مُصرّ على الحرب فسار اليه حتى اذا قرب منه ووصل الى دمشق نزل في العسكر بالشماسيَّة وبرز اليه الفتكين في اصحابه ومن حشده من العرب وغيرهم ونشبت الحرب بين الفريقين واتّصلت مدّة شهرين وقُتل فيها عدَد كثير من الطائفتين وظهر من شجاعة الفتكين والغلمان الذين معهُ ما عظُموا به في النفوس وتحصَّلت لهم الهيبة القوية في القلوب. واشار عليه اهل دمشق بمكاتبة ابي محمد الحسن بن احمد القرمطي واستدعائه للاجتماع معه على دفع المغاربة ففعل وسار الحسن متوجهاً اليه في عسكره وعرف جوهر خبره فعلم انه متى حصل بين عدوّين ربما تمّ عليه مكروه منهما فرجع الى طبرية. ووصل الحسن بن احمد الى الفتكين واجتمعا وتحالفا وتعاقدا وسارا في اثر جوهر فاندفع منها الى الرملة واقام بها وانفذ رحله واثقاله الى عسقلان وكتب الى العزيز يعرّفه بصورة الحال ويستأذنه في قصد عسقلان ان دعته الى ذلك ضرورة ووافى الفتكين والحسن بن احمد القرمطي ونزلا على الرملة ونازلا جوهراً وقاتلاه واجتمع اليهما من رجال الشام وعربها تقدير

خمسين الف فارس وراجل وتزلوا بنهر الطواحين على ثلاثة فراسخ من البلد ولا مـاء لأَهله الّا منه فقطعاه عنهم واحتاج جوهر وعسكره والرعية الى الماء المجتمع من المطر في الصهاريج وغناء . . . . قليل ومادّته الى نفادٍ ورأى جوهر انه لا قدرة له على المقام ومقـاومته القوم فرحل الى عسقلان في اول الليل ووصل اليها في اخره وتبعه الفتكين والقرمطي اليها ونزلا عليها وحاصراه فيها وضاقت الميرة به وغلت الاسعار عنده وكان الوقت شتاء لم يمكن حمل الاقوات اليه في البحر واشتدّت الحال حتى اكلت المغـاربة واهل البلد الدوابّ الميتة وابتاعوا الخبز اذا وجدوه (15v) حساب كل خمسة ارطالٍ بالشامي بدينار معزّي . وكان جوهر شجـاعاً مبارزًا وربّما خرج وتقدّم واذا وجد فرصةً من الفتكين دعاه الى الطاعة وبذل له البذول الرغبة فيسترجعه الفتكين ويسترجله ويهم ان يقبل منه ويجيبه ثم يثنيه عنه الحسن بن احمد وابن الخمّار الكاتب ويمنعانه ويخوّفانه ويحذّرانه وزاد الضيق والشدّة على المغاربة وتصوّر جوهر العطب ان لم يُعمل الحيلة في الخلاص فراسل الفتكين سرًّا وساله القرب منه والاجتماع معه ففعـل ذلك الفتكين ووقفا على فرسيهما فقال له جوهر : قد علمت ما يجمعني واياك من حرمة الاسلام وحرمة الدين وهذه فتنة قد طالت وأُريقت فيها الدماء ونحن المأخوذون بها عند الله تعالى وقد دعوتك الى الصلح والموادعة والدخول في السلم والطـاعة وبذلت لك كل اقتراحٍ وارادةٍ واحسانٍ وولايةٍ فابيت الّا القبول ممّن يشبّ نار الفتنة ويستر عنك وجه النصيحة فراقِب الله تعـالى وراجع نفسك وغلِّب رايك على هوى غيرك . فقال له الفتكين : انا والله واثق به وبصحة الراي والمشورة منك لكنني غير متمكن ممـا تدعوني اليه ولا يرضى القرمطي بدخوله فيه معي . فقال له : اذا كان الراي والامر على ذلك فاني اصدقك على امري تعويلًا على الامانة وما اجده من الفتوة عندك فقد ضـاق الامر وامتنع الصبر واريد ان تمن عليَّ بنفسي وبهاولاء المسلمين الذين معي وعندي وتذمّ لي لامضي واعود الى صاحبي شاكرًا وتكون قد جمعت بين حقن الدماء واصطنـاع المعروف وعقدت عليَّ وعلى صاحبي مِنَّةً تحسن الاحدوثة عنك فيها وربّما امليتُ المقابلة لك عنها . فقـال له الفتكين : افعل وامن على ان أُعلّق سيفي ورمح الحسن بن احمد على باب عسقلان وتخرج انت واصحابك من تحتها . فرضي جوهر بذلك وتعاهدا وتصافحا عليه واخذ ختم الفتكين رهنًا على الوفاء به وافترقا وعـاد الفتكين الى عسكره وجوهر الى البلد وأنفذ جوهر الى الفتكين الطافًا كثيرة ومالًا فقبل ذلك منه وكافاه عليه . وانفذ

الفتكين الى القرمطي يعرفهُ ما جرى بينه وبين جوهر (16r) فركب الحسن اليه وقال له: لقد اخطأتَ فيما فعلته وبذلته وجوهر هذا ذو رأي وحزمٍ ودهاء ومكرٍ وقد استقلّك بما عقده معك وسيرجع الى صاحبه ويحمله على قصدنا ثم لا يكون لنا به طـاقة فياخذنا ومن الصواب ان ترجع عن ذلك حتى يهلك هو واصحـابه جوعاً وتاخذهم بالسيف. فقال له الفتكين: قد عاهدتهُ وحلفت له وما استجيز الغدر به. وعلقا السيف والرمح وخرج جوهر واصحابه تحتهما ووصل الى مصر ودخل على العزيز بالله وشرح له الحـال واستِفحال امره ومن معه فقال له: ما الراي. قال: ان كنت تريدهم فاخرج بنفسك اليهم والّا فانهم واردون على اثري. فامر العزيز باخراج الاموال ووضع العطاء في الرجال وبرّز بروزًا كليًّا واستصحب الخزائن والذخائر وتوابيت ابائه على القوم في ذلك وسار جوهر على مقدّمته. ووردت الاخبار على الفتكين والحسن القرمطي بما جرى فعادا الى الرملة وجمعا العرب واتفقا واحتشدا وتأهبـا واستعدًّا وورد العزيز في العساكر ونزل في الموضع المعروف بقصر ابن السرح بظاهر الرملة والفتكين والقرمطي على قرب منه في الموضع المعروف ببركة الخيزران وبات العسكران على اعداد للحرب وباكراها وقد اصطفّ كل منهما ميمنةً وقلباً وميسرةً وجال الفتكين بين الصفّين يكرّ ويحمل ويطعن ويضرب فقال العزيز لجوهرٍ: أرِني الفتكين. فاشار اليه وقيل انّه كان في ذلك اليوم على فرسٍ ادهم بتجافيف من مرايا وعليه كذاغند اصفر وهو يطعن تارةً بالرمح ويضرب اخرى بالسيف والناس يتحامونه ويتّقونه فاعجب العزيز ما راى منه ومن هيئته وفروسيته وعلى راسه المظلّة ووقف وانفذ اليه ركابياً يختصّ بخدمته يُقال له نُميَرَة وقـال له: قل: يا الفتكين انا العزيز وقد ازعجتني عن سرير ملكي واخرجتني لمباشرة الحرب بنفسي وانا مُسامحك بجميع ذلك وصافح لك عنه فاترك ما انت عليه ولُذ بالعفو (16v) مني فلك عهد الله وميثاقه اني اومنك واصطفيك وانوّه باسمك واجعلك اسفهسلّار عسكري واهب لك الشام باسره واتركه في يدك. فمضي نميرة الركابي اليه واعاد الرسالة عليه فخرج بحيث يراه الناس وترجّل وقبّل الارض مرارًا ومرّغ خدّيه عليها معفرًا وقـال له: قل لامير المؤمنين لو تقدّم هذا القول منك لسارعتُ اليه واطعتُ امرك فاماً الان فليس الّا ما ترى. وعـاد نميرة وقال ذلك للعزيز فقال له: ارجع اليه وقل له يقرُبُ مني ويكون بحيث اراه ويراني فان استحققتُ ان يضرب في وجهي بالسيف فليفعل. فمضى نُميرة وقال له ذلك فقال: «ما كنتُ

الذي اشـاهد طلعةَ امير المؤمنين واناَبذُهُ بالحرب وقد خرج الامر عن يدي. ثم حمل على الميسرة فكسرها وهزمها وقتـل كثيرًا ممن كان فيها وشاهد العزيز ما جرى وكان في القلب فراسل الميمنة بالحملة وحمل هو والمظلّة على راسه فـانهزم الفتكين والقرمطي ووضع السيف في عسكريهما فقتل منه نحو عشرين الف رجل ومضى الحسن القرمطي هاربًا على وجهه. وعاد العزيز الى مُعسكره ونزل في مضاربه وجلس الاسرى بحضرتهِ والعرب تجيئه بمن يقع في ايديها من اصحاب الفتكين والخِلَع تخرج اليهم مقابلة عن ذلك وقد بذل لمن يجئه بالفتكين مائة الف دينـار وكان الفتكين يميل الى المفرج بن دغفل بن الجرّاح ويتمرّده لانه كان وضيء الوجه صبيحه وشاع ذلك عنه فيه واتفق ان انهزم فطلب ساحل البحر ومعه ثلثة من غلمانه رفقائه وبه جراح وقد كدّه العطش فلقيته سريّة من الخيل فيها المفرّج فلما راه التمس ماء فاعطاه اياه وقال له: احملني الى هناك. ففعل حتى اذا وصل الى قرية تعرف بلبنا انزله فيها واحضره ماء وفاكهةً ووكّل به جماعةً من اصحابه وبادر الى العزيز فتوثّق منه في المال الذي بذله في الفتكين ثم عرّفه حصوله في يده واخذ جوهرًا ومضى فسلّمه[1] اليه وورد المبشرون الى العزيز بحصوله فتقدّم بضرب نوبةٍ من مضاربه وفرشها واعداد ما يحتـاج الى اعدادهِ من الآلات (17r) للاستعمال فيها واحضـار كل من حصل في الاسر منسوبًا اليه فاحضر وأُومنوا وكسوا ورُتبوا في اشغـالهم المنسوبة اليهم في خدمته ووصل الفتكين وقد خرج العسكر لاستقباله وهو غير شاكٍّ في انه مقتولٌ فامر العزيز ان يعدل به الى النوبة المضروبة وكانت قريبًا من مضاربه وبين يديه مختار الصقلبي صاحب القصر في جماعة من الخدم والصقالبة يمنعون النـاس منه ويحولون بينه وبينهم فلما راى القوّاد والصقالبة والمغاربة باب سُرادق العزيز ترَّجلوا عن دوابّهم وقبلوا الارض ففعل الفتكين مثل ذلك ودخل المضارب المعدّة له فشاهد اصحابه وحاشيته على ما كانوا عليه من الحال والعمل في خدمته وحُمل الى دست قد نُصب له ليجلس عليه فرمى نفسهُ الى الارض ورمى ما على راسه وعفر خديه على التراب وبكى بكاءً شديدًا (١ سمع منه نشيجه وقال: ما استحققتُ الابقاء عليَّ فضلًا عن العفو الكريم والاحسان الجسيم ولكن مولانا ابي الّا مـا يقتضيه اعرافه الشريفة واخلاقهُ المنيفة. وامتنع من الجلوس في

---

١) وقال الذهبي في تاريخ الاسلام : حكي القفطي في تاريخهِ هذا بعينهِ. والقفطي ابو الحسن علي بن يوسف مات في سنة ٦٤٦

الدست وقعد بين يديه واتاه بعد ساعةٍ امين الدولة الحسن بن عمّاد وهو اجلُّ كتّابه وجوهر ومعهما عدة من الخدم على ايديهم الثياب فسلّما عليه واعلماه رضى العزيز عنه وتجــاوزه عن الهفوة الواقعة منه والبسه جوهر دستاً من ملابس العزيز كان في جملة الثيابِ وقال له : اميرِ المؤمنين يُقسم عليك بحقهِ الّا طرحت سوء الاستشعار وعدت الى حــال السكون والانبساط . فجدَّد الدعاء وتقبيل الارض وشكر جوهرًا على ما ظهر منه في امره وعــاد الحسن وجوهر الى العزيز فاخبراه ما كان منه . وواصله العزيز بعد ذلك بالمراعاة والملاطفة في الفواكه والمطاعم وتقدَّم من غدٍ الى البازياريَّة واصحــاب الجوارح بالمصير الى باب مضربه وراسله بالركوب الى الصيد تانيساً له وقاد اليه عدَّة من دوابّ بمراكبها فركب وهو يشاهد القتلى من اصحابه وعاد من متصيّدهِ عشاء فاستقبله الفرّاشون بالشمع والنفاطون بالمشاعل ونزل في (17v) مضاربه فلما كان في الليل ركب العزيز اليه ودخل عليه فبادر الى استقبالهِ وتقبيل الارض وتعفير خديه بالتراب فــاخذ العزيز بيده وامره بالجلوس فامتنع ثلث مرّات ثم جلس فسالهُ عن خبره وخــاطبه بما سكن نفسهُ وقال له : ما نقمت عليك الّا انني دعوتك الى مشاهدتي تقديرًا ان تستحي مني فابيت وقد عفوت الان عن ذلك وعدتُ الى افضل ما تحبّ ان تطيب نفسك به وساصطنع لك اصطناعًا يسير ذكره وافعل معك فعلًا ازيد على املك وامنيّتك فيهِ . فبكى الفتكين بين يديهِ وقال : قد تفضّلتَ يا امير المومنين عليّ تفضُّلًا ما استحققتهُ ولا قدّرتهُ وارجو ان يوفّقني الله بخدمتك ومقابلة نعمتك . وانس الفتكين بعد ذلك وخاطب فيمن بقي من اصحابه حتى اوجب لهم الارزاق الواسعة والتقريرات المتتــابعة ونزلوا على مقاديرهم ورتبهم في مواضعهِ واستحجبهُ العزيز وجعلهُ من اخصّ خــاصّتهِ واقرب صــاحب من خدمة حضرته . وكان العزيز قد انفذ النُّجب بالرسل والكتب تابعةً للحسن بن احمد القرمطي فلحقوه بطبرية واعــادوا عليهِ الرسائل بالصفح عمّا جرى منهُ والدعاء الى وطء البساط ليصطنعهُ ويصطفيهِ والتماس ما يريده ليبلغهُ له ويرجع الى بلاده فــاقام على امره وتردّدت المراسلات اليهِ ومنهُ والوسيط جوهر الى ان تقرّر الامر على ثلاثين الف دينار له ولاصحابهِ تحمل اليهِ في كل سنة ويكونوا على الطاعة والموادعة وحُمل اليهِ مــال سنةٍ واضيف اليهِ ثياب كثيرة وخيل بمراكب وتوجّه اليهِ جوهر وقــاضي الرملة فاستحلفاه للعزيز على الوفاء والمصلحة واخذا له المواثيق المسدودة المؤكدة واعطياه المال والخِلَع والحملان وانصرف الى الاحساء . وعاد العزيز الى مصر

والفتكين حاجبه ولم يزل المال المقرَّر للقرمطي يحمل اليه في كل سنة على يد ابي النجا صاحبه الى ان مات. ووصل العزيز الى مصر والقاهرة فدخلها ونزل في قصره وانزل الفتكين في دارٍ حسنة بعد ان فُرشت بالفروش الكثير وركب وجوه سائر الدولة اليه حتى لم يتاخر احد منهم عنه ووافاه فيمن وافاه ابو الفرج (18ʳ) يعقوب بن يوسف ابن كلّس الوزير بعد ان لاطفه وهاداه وزاد امر الفتكين بين يدي العزيز وتكبّر على ابن كلّس الوزير وامتنع من قصده والركوب اليه وامره العزيز فلم يفعل وتدرَّجت الوحشة بينها حتى قويت واستحكمت واعمل الحيلة الوزير في الراحة منه ودسّ اليه سمًّا فقتله به ولمّا مضى لسبيله حزن العزيز حزنًا شديدًا عليه واتّهم ابن كلّس واعتقله نيفًا واربعين يومًا صحّ له منه خمسمائة الف دينار وواقفت الامور باعتزاله النظر فيها فاعاده العزيز وجدّد اصطناعه واستخدامه

ولاية قسّام التراب لدمشق بعد الحاجب الفتكين المقدّم ذكره

والسبب في غلبتهِ على الامر في سنة ٣٦٨ وما آل امره اليهِ

السبب في غلبة قسّام على ولاية دمشق ان الفتكين المعزّي المذكور كان قد استخدمه وقدّمه واعتمد عليه وسكن في كثير من امره اليه فصار له بذلك صيت يُخشى به ويرجا له. واتفق خلو البلد من اكابر الولاة بعد الفتكين وفراغه من شجعان الرجال وكان فيه المعروف بحميدان قد وليه وامر فيه ونهي واخذ واعطى ففسد الامر بين قسّام وبين حميدان فصار حميدان من تحت حكم قسّام لقهره له بكثرة من معه من الاحداث واستيلائه على البلد فطرده قسّام عن الولاية ونهب اصحابه ما كان في داره وخرج هاربًا فتمكّن قسّام من البلد واستقامت حاله فيه واجتمعت اليه الرجال وكثرما في يده وقويت شوكته وتضاعفت عِدّته وعُدّته وولي القائد ابو محمود البلد بعد حميدان في نفر يسيرٍ وهو ضميمة لقسّام. واتفقت النوبة الحادثة ببغداد بين الديلم والعرب من بني حمدان وهروب ابي تغلب الغضنفر بن حمدان في البرية والجبال الى ان خرج الى حوران فقصد دمشق ونزل عليها فمنع قسّام من دخول احدٍ من رجاله اليها ووصل كتاب العزيز بالمنع له من البلد فسأل ابو تغلب عامل الخراج بدمشق ان يمكّن اصحابه من ابتياع ما يحتاجون اليه من الاسواق فكلّم العامل قسّامًا في ذلك فاذن له فيه ودخل اصحابه (18ᵛ) البلد وقد كان طمع ان يوليه العزيز وكان قسّام

قد خـاف من ذلك وسعى قوم بينهما وكان ابو تغلب نازلاً بالمزّة فاقام بها شهورًا فشقَ قسّام مقامه وظن انه يلي البلد. فلما كان في بعض الايام وقف رجل من العجم من اصحاب ابن تغلب في باب الجابية وكان نشوانًا فجرّد سيفه وقال: الى كم يكون هذا العيّار. فعظُم ذلك على قسّـام وتخوّف ان يكون لابي تغلب سلطنة فيملكه ومن معه ففسد الامر بينهما بهذا السبب وتقدم قسّام الى اصحابه باخذ كل من يدخل من اصحاب ابي تغلب فكمنوا في خراب قينية فاخذوا منهم نحو سبعين رجلًا وقتلوا منهم جماعة وعاد من افلت منهم الى ابي تغلب عراة قد اخذت ثيابهم ودوابّهم فلم يتمكّن ابو تغلب من شيْ يفعله. وكتب الى مصر بذلك فلما وقف ابن كلّس الوزير على الكتاب انهاه الى العزيز فعلم العزيز ان هذا من تدبير الوزير وحيلهِ. وكتب قسّام الى مصر يذكر ان ابا تغلب قد حصر دمشق ومدّ يده في الغوطـة وخرج من مصر غلام لابن كلّس يقـال له الفضل بن ابي الفضل في عسكرٍ كثيفٍ للحيلة على ابي تغلب واهلاكه ونزل الرملة واوصل الى ابن جرّاح سجلًا بولاية الرملة وقال: ان هذا ابا تغلب يريد ان يسير اليها لياخذها بسيفهِ وانا معين لك عليه وكان ابو تغلب قد رحل عن دمشق نحو الفوّار ونزل عليه وسار الفضل ونزل طبرية وراسل ابا تغلب في الاجتماع معه وكان الفضل يهوديًا اولاً وكان ابوه طبيباً فكبرت نفس ابي تغلب ان يجلس معه على سرير من جهة اليهودية فأُعلم ذلك فقال: كلٌّ منا على سرير. فاجتمعـا في طبرية وجلس كل منهما على سريره وجرت بينهما محاورات على ان الرملة ولاية لابي تغلب ويقلع ابن جرّاح منها « وانا معين لك عليه » وقرر ذلك في نفسه وسار الفضل الى دمشق يجبي الخراج ويفضّه في الجند وزاد في العطـاء وزاد في جنده وعسكره وسار عن دمشق واخذ طريق الساحل. وشرع ابو تغلب في امره وتوجّه نحو الرملة وقد اجتمع اليه بنو عقيل مع شبل بن معروفٍ العقيلي فهرب ابن جرّاح (19ʳ) منها وجعل يحشد العرب ويحشد ثقةً بعونة الفضل له وكذلك ابو تغلب مثله ايضاً فلما توجّه الفضل على الساحل ونزل على عسقلان وقصد ابن جرّاح ابا تغلب بعسكره وسـارت بنو عقيل مع شبل ابن معروف واصطلوا القتال للطاس (كذا) وابو تغلب واقف في مصافّه وعاد الفضل واجتمع مع ابن الجرّاح بعسكره وكان معه مغاربة كثيرة فقالوا لابي تغلب: قد اجتمع عسكر الفضـل مع عسكر ابن جرّاح. فقال: على هذا جرت الموافقة بيني وبينه. فلما نظر المغـاربة الذين كانوا مع ابي تغلب الى مغاربة الفضل قد اقبلوا مع عسكر ابن

جرّاح حملوا يريدون الدخول معهم فقالوا لابن تغلب: احمل في اثر هؤلاء من قبل ان يدهمك الامر. فبقي متحيرًا وعلم ان الحيلة قد تمّت عليه فلما حمل المغاربة الذين كانوا معه وساروا مع اصحابهم واقبل العسكران على عسكر ابي تغلب فانهزم جميع من كان معه ثم انهزم هو فلم يدرِ في اي طريقٍ ياخذ وكانت عُدّته في الغاية جميعها وذكر انه لم يتقدّم اليه رجل الّا ضربه. ولم يزل على ذلك حتى تبعه رجل من اصحاب ابن جرّاح يقال له مَنيع فصاح اليه: يا انسان اسمع مني انا الحق بك. وظن ان كلامه حق فقال له: هذه الخيل التي امامك خيلنا فلو وقفتَ عليَّ لنجوت بك. وكان يتكلّم معه وهو يقرب منه وبيده رمحٌ فطوَّل الرمح وهو يكلمه وهو يظن الّا يقدر عليه فلم يمكنه في ابي تغلب شيء فطعن عرقوب فرسه فوقف به الفرس فاخذه وسار به الى ابن جرّاح فأُركب جملًا وأُشهر بالرملة وقتله واحرقه وذلك في صفر سنة ٣٦٩ وخلت الديار لابن جرّاح واتت بنو طيءٍ على الناس وشملهم البلاء منهم. وكان العزيز قد خاف من الملك عضد الدولة فناخسره بن بويه خوفًا شديدًا لانه كان عازمًا على انفاد العساكر الى مصر فعاقه عن ذلك الخلف الجاري بينه وبين اخيه واشتغاله به في سنة ٣٦٩

سنة تسع وستين وثلثمائة

فيها خرج العسكر المصري مع القايد سليمان بن جعفر بن فلاحٍ في اربعة الفٍ من المغاربة ووصل الى دمشق فصادف قسّامًا قد غلب عليها فنزل في بُستان الوزير (19v) بزقاق الرمّان وعسكر حوله في دور هناك. فثقل امره على قسّام وطال مقامه في غير شيء وقلّت نفقته ورام ان يُظهر صرامة فيتمكّن من البلد فقال لقسّام: لا يحملنّ احدٌ سلاحًا. فابوا ذلك فبعث الى الغوطة من يتلوها ويمنع من خفارةٍ تُؤخذ منها وحمل السلاح فيها فأُعلم قسّام ذلك فقال: لا يُحفَل بهذا الامر بل كونوا على ما كنتم عليه. وثار قسّام ومن معه الى الجامع وصاروا الى البستان الذي فيه سليمان فاخرجوهم وخرج سليمان واصحابه الى الدكة ونزل على نهر يزيد وقسّام جالس في الجامع ولم يشهد الحرب مع اصحابه وقد احضر المشايخ وكتب بما جرى الى مصر وعمل محضرًا على نفسه انه «متى جاء للملك عضد الدولة عسكر اغلق الابواب وقاتله ليكون لك معونةً على ما يريده» فلما وقف عليه العزيز وافق غرضه وانفذ رسله وكتابه الى سليمان بن فلاحٍ يأمره بالرحيل عن دمشق فرحل عنها وكان مقامه بها

شهوراً من سنة ٣٦٩ ورجع القائد ابو محمود الى دمشق . ولما تمّ للفضل ما دبّره على ابي تغلب ووافق الاغراض عزموا على اعمال الحيلة على ابن جرّاح لان امره كبر وشرّه ظهر وتوجه الى قسّام ليعمل ايضاً عليه واظهر انه يريد المسير الى حمص وحلب لياخذها وجمع بني عقيل ونزل بظاهر دمشق وعلم ابن جرّاح بمكاتبته لبني عقيل فاخذ حذره وامر اصحابه بالرحيل وركب اصحاب الفضل واخذوا من العرب تقدير خمسمائة فارس وسار ابن جرّاح عن دمشق . وانضمت بنو عقيل الى الفضل مع شبل وظالم في صفر سنة ٣٧٠ وبطل كل ما اراد الفضل عمله من الحيلة على ابن جرّاح وقسّام ورحل عن دمشق في طلب ابن جرّاح وجدّ في طلبه فبعُد عنه وكتب ابن جرّاح الى مصر يتلطّف امره فورد الامر على الفضل بالكفّ عنه وعاد الفضل الى مصر وعاد ابن جرّاح الى فلسطين فاخربها واهلك من فيها . وكان الرجل يدخل الى الرملة يطلب فيها شيئاً ياكله فلا يجده ومات الناس بالجوع وخربت الاعمال

واماً دمشق فكان قد اشتدّ بها غلاء السعر . وكان بكجور قد ولي حمص من قبل سعد (20^r) الدولة ابي المعالي بن سيف الدولة بن حمدان فواصل اليها الغلة مع العرب بحيث اتصلت مع الايام وعمرت الطرقات وجعل فيها من يخفر سالكيها . وكانت العرب قد طمعت في عمل دمشق وافسدت الغوطة وكان بها القائد ابو محمود واليها في ضعفٍ وهو ضميمةٌ لقسّام فملك في دمشق في سنة ٣٧٠ وكان بكجور قد ضمِن اعمال المغاربة قارا ويبرود ومعلولا والتينة وصيدنايا والمعرّة وتلفيتا وغيرها من ضياع جبل سنير فحماها من العرب والحرامية وحسنت حال دمشق بذلك . وكاتب بكجور العزيز في ترغيبه في الاجناد حَمَلَة السلاح فاجتمع اليه حين فعل ذاك الخلق الكثير من سائر البلاد وكانوا حوله اذا ركب من داره فقهر بهم المغاربة واستظهر عليهم في سنة ٣٧٠

وفيها وردت الاخبار بوفاة الملك عضد الدولة فناخسره بن بويه في يوم الاثنين ثامن شوّال منها وكتم امره وكانت مدته بالعراق خمس سنين ونصفاً وانتهى ذلك الى الوزير بن كلّس فدخل على العزيز فاعلمه فسُرّ بذلك وخلع عليه وامنوا بعد وفاته وعملوا على الخروج الى الشام (١

١) واما المراسلة بين عضد الدولة والعزيز فقد قال سبط ابن الجوزي ان في شعبان سنة ٣٦٩ ورد رسول العزيز صاحب مصر الى عضد الدولة ويكنّى بابي الوليد وما زالت كتبه تتواتر حتى

سنة احدى وسبعين وثلث مائة

فيها وقع الاهتمام بتجهيز العساكر المصرية الى ابن جرّاح وقد اشتهر امره بارتكاب العيث والفساد واخراب البلاد فلمّا سار العسكر من مصر مع القائد بلتكين التركي وكان فيها اعجام ومغاربة ومن كل الطوايف فنزل الرملة واجفل ابن جرّاح وكان قد قوي امره وصار معه جند يرمون بالنشّاب وخلق عظيم وسار معه بشارة والي طبرية واجتمع اليه من العرب من قيس وغيرها جمع كثير ونشبت الحرب بين الفريقين وكان بلتكين المقدم قد خرج على ابن جرّاح من ورائه بعد اشتداد الحرب فانهزموا واخذهم بالسيف واسر ابن جرّاح وافلت ونهب عسكره وقصد ارض حمص في البرية وقصد انطاكية واستجار بصاحبها فاجاره وامنه . وصادف خروج بارديس من قسطنطينية في عسكر عظيم يريد ارض الاسلام فخاف ابن جرّاح وكاتب بكجور خوفًا على نفسه . وكان القائد بلتكين (20[٧]) المقدّم قد نزل على دمشق في ذي الحجة سنة ٣٧٠ وكان على العسكر منشا بن القرار اليهودي فتلطّف امر قسّام فلم يتمكّن من ذلك وكان بدمشق مع قسّام القائد جيش بن الصمصامة شبه والٍ وقد كان ولي البلد بعد مهلك خاله القائد ابي محمود في سنة ٣٧٠ (١ ولما نزل القائد بلتكين مقدَّم العسكر المصري على المزّة وجده رجلًا احمق فلم يحفل به ودخل على منشا الكاتب فقال : اني قضيت حق هذا القائد ولم يجئ اليّ ولم يقض حقي وانا الوالي . فهزأ به منشا وقال له : نعم انت الوالي . وظن انما نزول العسكر على دمشق ليصلح البلد وقالوا : تخرج انت ومن معك الى ظاهر البلد . فخرج هو ومن معه فعسكر نحو مسجد ابرهيم عليه السلام وكان عسكر بشارة نازلًا في ذلك المكان وكانت المراسلة بينهم وبين قسّام ان يسلّم البلد ويكون هو امنًا على نفسه ومَن معه فعلم قسّام انهم ان بقوا في البلد اهلكوه ومن معه فقال : لا اسلّم البلد . وضبط اصحابه فلما كان يوم الثلثا التاسع عشر من المحرم سنة ٣٧٣ وقع بين قوم من اصحاب قسّام وقوم من اصحاب القائد بشارة الخادم عند باب الحديد فظهر

اجابه عضد الدولة بصدق الطوية واخلاص النية . وذكر ابن الصابي ما يدلّ على ان عضد الدولة ابتداه بالرسالة فقال : وقفت على هذا الكتاب وفيه : من عبد الله ووليّه نزار ابي منصور الامام العزيز بالله امير المؤمنين الى عضد دولة الامام ونصير ملة الاسلام ابي شجاع بن ابي علي سلام عليك

١) قال الذهبي انهُ عُزل بعد ستين

عليهم اصحاب بشارة واقبل في غدٍ اصحاب جيش بن الصمصامة فخرج اصحابه اليهم فطردوهم ثم نشبت الحرب واحرق ربض باب شرقي واطلقت النار في عدّة مواضع وملكوا الشاغور ودخلت الاتراك على خيلهم في البطّاطين واحرقوا سقيفة وعدّة مواضع ومساجد وعمّها الخراب بعد ما كانت عليه من حسن العمارة واشتدّ بالناس الخوف والمضرّة. فاجتمع الناس وكلّموا قسّاماً بان يخرجوا الى القائد بلتكين فيصلحوا الامر معهُ فلازمهم وذلّ بعد تحيّره وتبلّده وقال: افعلوا ما شيتم. وكان اجتماع الناس لطفاً من الله تعالى فخرجوا اليه وخاطبوه فصرف اصحابه عن القتال وعن الابواب وانصرف اصحاب قسّام اليه فوجدوه خائفاً فاخذ كل لنفسه ورجع المشايخ الى قسّام فقالوا له: قد اجاب القائد الى ما تحب وأمّنك على نفسك واصحابك. فخاطبوه بذلك وهو ساكت حائر وقد بان ذلك في وجهه فلما راوه كذلك خافوا ان يعود عن تسليم البلد على « امانٍ لي ولاصحابي » (21^r) فعاد المشايخ الى بلتكين القائد واعلموه الخطاب والجواب فاجابهم الى ما طلب وقال لهم: نُريد ان ننزل على هذا البلد في هذا اليوم. فقالوا: افعل ما تحبّ وتُوثر. فولّي البلد حاجباً يقال له خطلخ في خيل ورجل فدخل المدينة من يومه. وكان مبدا الحرب في هذه النوبة يوم الخميس لعشر بقين من المحرم سنة ٣٧٣ والدخول الى البلد يوم الخميس لثلاث بقين منه ولم يعرض لقسّام ولا لاحد من اصحابه وتفرّق اصحابه عنه واقام يومين واستتر وقيل هرب فصاروا الى دارهِ واخذوا ما فيها وحولها من دور اصحابه وطُلب فلم يوجد ونودي عليه وبُذل لمن يظهره خمسون الف درهم ولمن يدلّ على مكانه عشرون الفاً فقال لهم قائل: « هو في كنيسة اليهود بين البطّاطين » فجاءوا الى الديّان وقالوا: نريد ان نخرب هذه الكنيسة او نحرقها بالنار فان قسّاماً فيها. فاصعدهم ودار بهم فيها فلم يروا اثراً ولا عرفوا له خبراً فلما اخذت امراته وولده قالت لمن سمع منها: ما تنتظروا يا مشوم. وكان عند رجل في الحائر ولم يفطن به احد فخرج في الليل الى العسكر فوقف على خيمة منشا الكاتب وقال: رجل يريد ان يدخل الى الرئيس. فقالوا: ومن هو. قال: قسام. فدخل عليه على غير امانٍ فبعث الى القائد بلتكين فاعلمه فاخذه اليه وادخله عليه وحملوه الى خيمةٍ وقالوا له: مدّ رجلك. فقال: ما افعل انا جئتكم بامانٍ. فاخرج الحاجب الدبوس فضربه به فمدّ رجله فقُيِّد وحُمل الى مصر فعفي عنه لما جاءهم في الامان. وكان قسّام هذا اصله من قرية بجبل سنير يقال لها تلفيتا من قومٍ يقال لهم الحارثون بطن من العرب

نشأ بدمشق وكان يعمل في التراب ثم انه صحب رجلًا يقـال له ابن الجسطار من مُقدّمي الاحداث وحملة السلاح وطالبي الشرّ فصـار من حزبهِ وتزايد امره الى ما انتهى اليه (١

ولاية بكجور لدمشق

والسبب في ذلك في سنة ٣٧٢

كان من ابتداء امر بكجور ما ذُكر انه كان غلامًا مملوكًا لقرغويه احد غلمان سيف الدولة (21ᵛ) بن حمدان صاحب حلب وكان قرغويه قد غلب على امر حلب بعـد وفاة سيف الدولة ومنع ولده سعد الدولة ابا المعالي منهـا ودفعه عنها فسار ابو المعالي الى حماة ورفنيّة وكان ينزل مهمًّا في عسكره . وكانت الروم قد خربت حمصًا واعمالها ونزل رقتـاش التركي غلام سيف الدولة من حصن برزويه فلقي مولاه ابا المعالي وسار معه ونزل على حمص وشرع في عمارتها ولمّ شعثها لان الروم لما ملكتها افسدت اعمالها في النوبة الاولى عند خروجهم في سنة ٣٥٨ على غفلةٍ من اهلها وغرّة ممن بها واجتهد رقتاش في عمارتها وتحصينها وابو المعالي يقوي امره بها ويشدّ شوكته فيها . وكان قرغويه قد استناب بكجور في حلب فلما قوي امره قبض على مولاه وحبسه في قلعة حلب وملك البلد واقام تقدير ست سنين . وكوتب ابو المعـالي من حلب وأُطمع في تملّك البلد في رجال قرغويه وان يكونوا عونًا له على امره فجمع بني كلاب ومن

١) وذكر عين هذا ياقوت الحموي في معجم البلدان في مادة « تلفيتـا » . وقال الحافظ الذهبي في تاريخ الاسلام في ترجمة قسّام سنة ٣٧٦ : قال القفطي : تغلب على دمشق رجل من العيارين يعرف بقسّام وتحصّن بها وخالف على صاحب مصر فسار لحربه الامير فضل من مصر فحاصر دمشق وضاق باهلها الحال فخرج قسّام متنكرًا فـاخذته الحرس فقال : انا رسول . فاحضروه الى فضل فقـال : انا رسول قسّام اليك لتحلف له وتعوّضه عن دمشق بلدًا يعيش فيه وقد بعثني اليك سرًّا . فحلف الفضل له فلما توثّق منه قام فقبل يده وقال : انا قسّام . فأُعجب به الفضـل وزاد في اكرامه فرُدّ الى البلد وسلّمه اليه وقام له بكلّ ما ضمنه وعوّضه موضعًا عاش فيهِ واحسن العزيز صلته . ذكر القفطي ان ذلك كان في سنة ٦٩ ثمّ قال : وذكر بعضهم ان أَخْذ دمشق من قسّام كان في سنة ٧٢ قلتُ وهو الذي يتحدث الناس عنه انه ملك دمشق وانه قسيم الذيّال . وكان سليمان بن جعفر بن فلاح قد قدم دمشق في جيش فنزل بظاهرها ولم يمكنه وصولها فبعث اليه قسّام بخطهِ : انا مقيمٌ على الطاعة . فورد البريد الى سليمان ان يترحّل عن دمشق وولي دمشق ابو محمود المغربي ولم يكن له ايضًا مع قسّام امر ولا حلّ ولا عقد فهذا ما عندي من خبر قسّام

امكنه ونهض صوب حلب ونزل على معرّة النعمان فملكها واخذ منها غلاماً كان غلب عليها يقال لهُ زهير فقتله وسار عنها فنزل حلب سنة ٣٦٦ فاقام عليها تقدير اربعة اشهر ثمَّ تسهّل له فتحها بحيلةٍ عملها وتحصّن بكجور في القلعة فراسله ابو المعالي فطلب منه الامان فامنه فقال بكجور: اريد يتوسّط بيني وبينك وجوه البلد من بني كلاب. فاجابه الى ذلك فتوسّطوا الامر بينهما واخذوا له العهد والميثاق والامــان على نفسه وولده وماله وانه لا يغدر به ويوليه حمصاً على انه ينحدر من القلعة ويسلّمها ولا ياخذ منهــا شيئاً الّاما لا بدّ منه فاجــابه الى ذلك فولاه حمصاً لمّا نزل من القلعة وسلّمها ووفى له بكل ما عاهده عليه. وسار بكجور الى حمص في السنة المذكورة وصرف همهُ الى عمارتها وكان امره كل يوم فيها الى الزيادة بعد الدخول اليها في الضعف. واتّفق له ان اعمال دمشق من حوران والبَثَنِيَّة قد اختلّت وخربت على ما تقدم ذكره من قلّة القوت بها وغلاء السعر فيها وجلا منها خلق كثير الى حمص فعمر البلد وكثر النــاس عنده. وكان في بكجور خور وكان مجتهداً في العمارة (22^r) وامن السبل والطرق فلما انقطعت الغلات عن دمشق ومات بها كثير من النــاس جوعاً من اهل حوران والبثنية ورغب الناس الجالبون منها في حمل الغَلَّة الى دمشق مكّنهم من ذلك وحمى لهم الطرق في تردُّدهم بادين وعائدين فحسن حال حمص وكثر السفر اليها ومنها. وكانت العرب قد طمعت في اعمال دمشق وكان واليها القــائد ابو محمود بن جعفر في ضعفٍ وقسّام غالب عليه واتفق وفاة ابي محمود ابراهيم بن جعفر المذكور بدمشق في صفر سنة ٣٧٠ وكان بكجور قد ضمن اعمال المغــاربة على ما تقدَّم ذكره وحماها من العرب وحسنت حال دمشق بحمل الغلّات اليها في تلك الشدّة. وكان بكجور يكاتب العزيز بالله بمصر وورد الجواب عليه بان « تصير الى بابنــا لنولّيك دمشق » وكان العزيز قد رغب في الجند الذين يعملون السلاح مثل النــاشب والرامح وجمع الجمع الكثير واخرجهم الى حرب الفتكين وجرى من امره ما ذكر في موضعه. فلما كان في سنَة ٣٧٢ وقعت الوحشة بين سعد الدولة ابي المعـالي بن سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب وبين بكجور وراسله بان يخرج من بلده فكتب بكجور الى العزيز يسأله انجاز الوعد بولاية دمشق ودعت الحاجة الى عود القائد بكجور مقدَّم العسكر المصري بحكم اعتزام المغاربة على الوثوب بالوزير ابن كلّس وقتله وقادت الضرورة العزيز الى ان ولّي بكجور دمشق وكتب الى بلتكين ومنشا كاتب الجيش بان يسلِّم البلد الى بكجور ويرحل عنه.

وقد كان كتب ايضاً كتاباً الى العزيز ان « ان أنفذ اليَّ عسكرًا لآخذ لك حلب » واطمعه في ذلك فانفذ اليه بعض عسكر دمشق فسار بهم ونزل على حلب وحصرها مدة يسيرة. فظهر دمستق الروم بارديس ونزل على انطاكية وعزم على كبس بكجور على حلب فكتب اليه ابن جرّاح يحذّره فرحل عن حلب. وتبعه عسكر الروم في اثره وتمّ بكجور ونزل على حمص وحمل مـا كان له الى بعلبك ونزل في جوسِيَّة في جمع عظيم ونزل ملك الروم ميماس حمص ولم يعرض للبلد ودخل المدينة وشاهد (22^v) الكنيسة ورحل عنهـا متوجّهاً الى البقيعة يريد طرابلس. وانفذ الى اهل حمص رسولاً يقول لهم: نريد مالاً يحمل الينا. فقالوا: هذا بلد خراب ليس فيه مـال. فرجع ونزل عليها وقال لاهلها: مَن خرج مِن البلد فهو آمن. فخرج قوم واقام قوم فدخل عسكره فنهب وسبي واحرق الجامع ومواضع من البلد وتحصّن قوم بالمغاير فاوقد عليهم فاهلكهم الدخان ولم يعرض للعرب ولا لمن هرب اليها وكان دخول الروم الى حمص يوم الثلثاء التاسع عشر من جمادى الاول سنة ٣٧٣ وهي النوبة الثانية للروم وقيل ان ابا المعالي بن سيف الدولة خاف من اخذ بكجور حلب بالمغاربة فانفذ الى ملك الروم يسأله اخراب حمص.

ورجع اكثر من كان مع بكجور من عسكر دمشق اصحاب القائد بلتكين وبقي بكجور واصحابه منتظرًا ان يرحل بلتكين عن دمشق ويسير اليهـا. وكان السبب في تأخر ولاية دمشق ان الوزير ابن كلّس كتب الى بلتكين ان لا يسلِم دمشق الى بكجور وعرف العزيز ذاك وكتب يُذكِّر بامره وانجاز وعده فسأل العزيز عن تأخر الامر في ذلك فقال له الوزير: الصواب ان لا يلي بكجور دمشق ويعصى فيهـا. قال: نحن استدعيناه لذلك ووعدناه به. فقال: قد كان ذاك والحزم ان لا يُوَلَّى. فقال له: لا بدّ من ذاك. فكتب الوزير الى منشا بن القرار كاتب الجيش: واقِف بكجور على ما ياخذ من المال له ولرجاله وسلِم ولاية دمشق اليه. فسلّم بلتكين البلد اليه وعاد متوجّهاً الى مصر في يوم الاحد مستهل رجب سنة ٣٧٢ وكانت ولاية بلتكين دمشق خمسة شهور ودخل بكجور البلد والياً في يوم السبت سابع رجب من السنة وقد عرف ان الذي اخر الولاية الوزير بن كلّس فحقد بكجور عليه. وكان لابن كلّس نائب في عمله وضيـاعه يقال له ابن ابي العُود يهودي وكان يكتب اليه باخبار البلد فقال بكجور: هذا عَينٌ عليَّ. وتقدّم بقتله فقُتِل فلما بلغ ذلـك الوزير عظم عليه واغتمّ له واعلم الوزير العزيز وقال: هذا مبدأ عصيان بكجور وقد تمكّن من البلد وجاء معه ابن جرّاح وهو عدوّ.

فلما كان في سنة ٧٧ عزم الوزير على العمل على قتل بكجور (23^r) فانفذ الى غلام نصراني عطّار يعرف بابن اخي الكويس من اهل دمشق ان « احتل على قتل بكجور » ولم يكن النصراني من اهل ذاك فقال: لا يتمّ هذا الامر الّا برجل من الجند من اصحابه يُعين على هذا الامر. فكتب رقعةً بما يريد الى بعض اصحاب بكجور. فلما وصلت الرقعة اليه ونظر ما فيها فظنّ ان بكجور دسّها اليه ليبلوه بها فاوصل الرقعة الى بكجور فوقف عليها وقال: اريد من جاءك بها. فقال: انما اوصلتُها اليك لابرأ من امرها ولا اكتمها عنك. فلم يقبل قوله ولجّ في طلبه وقال له: ان الذي اوصل الرقعة اجيرًا لابن اخي الكويس العطّار. فوجّه قبض عليه وعلى الأجير ووضع العقوبة على العطّار وقال: اريد الصبيّ. وقبض على قوم كانوا يعاشرون العطّار فكحّلهم ونفاهم وكان فيهم ثلثة من اهل العلم والفضل يقال لاحدهم ابن الخطّابي والاخر الخلّادي والثالث المستولي واخرج ابن الكويس بعد ما ضُفِّي ومعه رجلان من المتّهمين فصُلبوا اقبح صلبٍ وماتوا في غد ذلك اليوم في رمضان سنة ٧٧ وبلغ الخبر الوزير ابن كلّس فعظم عليه وازداد حنقًا واعلم العزيز ذاك واتفق ان يخرج اليه عسكر ومعه جرّاح وشرع بكجور في اذيّة الناس من اصحاب الوزير في ضياعه وجار في البلد جورًا عظيمًا ولم يخلُ من القتل والصلب والفتك. فجرّد اليه في سنة ٧٨ القائد مُنير الخادم في عسكر كثيف واصدرت الكتب الى وُلاة الاعمال بالمسير معه ولمّا عرف بكجور ذلك انفذ الى العرب وجمع وحشد واستقبل العسكر فالتقيا وصدقوا القتال وكثر في بني كلاب الطعن والجراح وبشارةُ ومُنير المقدّمان قائمان في اصحابهما عليهما الحديد فحملوا جميعًا على الكلبيين فهزموهم والجؤهم الى حيطان داريّا فرجعوا ومن معهم من اصحاب بكجور خاسرين مفلولين. فخاف بكجور على نفسه ان يؤخذ فراسلهم بانه يسلّم البلد ويرحل عنه وقد كان كوتب القائد نزال والي طرابلس بالمسير والنزول على دمشق وكان عسكره ستة الف فسار فلما (23^v) عرف بكجور انفصاله قلق وخاف وذلّ وراسل منشا بن الفرار الكاتب « باني عازم على المسير من هذا البلد واريد ان اكون على عهدٍ وامانٍ ولا اتبعُ بمضرة » فأُجيب الى ما التمس وجمع ماله وسلاحه وخاف من الرجعة والحيلة ان يقع عليه من البلد واخفى امره وستر مسيره فلما كان في يوم الثلثاء نصف رجب سنة ٣٨٨ سار خائفًا وجلًا نحو الشرق واخذ مع الجبل وسار معه ابن الجرّاح الى حصن حوّارين فاخذ ما كان له واخفى امره. فلما عرف خبره نهض في

اثره القايد مُنير من غد ونزل على البلد ففرح الناس به وتوجه بكجور الى الرقة وتخلف بدمشق من اصحابه تقدير ثلث مائة رجل فصاحوا « عزيز يا منصور » فأمنوا. ولما نزل مُنير القائد على دمشق اصبح القائد نزال نازلًا معه في يوم الخميس فلامه الناس على ما اعتمده من التثاقل ونفذت المطالعات الى مصر بشرح الحال فانكر الوزير ابن كلّس فعل منشا واهماله بكجور حتى نجا واشخصه الى مصر مع المستأمنة من اصحاب بكجور وقال له: خليت بكجور خوفًا على نفسك اما كان معه عسكر فيه كفاية. فقال: لم يكن غير ما فعلتهُ لان نزالاً تاخر عنّا وتثاقل وكان بكجور في قوةٍ وكثرةٍ من العرب وغيرهم وهم اصحاب دروع وجواشن وخيل سُبَّقٍ. فلم يقبل عُذره وعزله عن تدبير العسكر. وكان ابن كلّس يخاف من بكجور ان تكون له عودة الى ولاية دمشق فيتمكن من دمشق فانفذ رسولاً اليه يقول له: ما اردنا رحيلك عن البلد وانما انفاذنا العسكر لابعاد ابن الجرّاح لفساده وعناده وما كان من ضياعٍ وغلاّتٍ فلك افعل فيها ما احببت فما لنا فيه حاجة. فحمل بكجور ما كان له بدمشق واقام بالرقة منقطعًا ليس له سلطان يستند اليه وكان بالرقة يراسل كُرديًّا يقال له باد قد غلب على ميّافارقين ويراسل ابا المعالي بن سيف الدولة بحلب ان يرُدّه الى العمل الذي كان في يده من حمص. فلما كان في سنة ٣٧٩ خرج عسكر صاحب بغداد (١) الى باد الكردي المقدَّم ذكره لغلبته على الموصل وديار ربيعة فكُسر وانهزم عسكره واصحابه وعرف بكجور ذلك فخاف من عسكر بغداد فراسل سعد الدولة ابا المعالي يسئله تولية حمص فاجابه الى ذلك. وكان ابن كلّس يسأل (24^r) عن اخباره بالرقة خوفًا منه فلما عرف الوزير ذلك قال: يجاورنا بكجور في حمص فطمع في الديار. فارسل الى غلام له يقال له ناصِحُ الطبَّاخِ بان يسير الى حمص فياخذ مَن بها من اصحاب بكجور فسرى في البرية فلم يشعر به حتى اتاهم فكان ابو المعالي صاحب حلب قد علم بالسريّة فانفذ اليهم من حذَّرهم واتفق لهم انهم حملوا وخرجوا من حمص هاربين فلما حصلوا باحمالهم بظاهر البلد ادركتهم السريّة فاخذتهم ورجعت الى دمشق. وفسد امر بكجور مع المغاربة ومع ابي المعالي فراسل صاحب بغداد فلم يَرَ له عنده ما يُحِبُّ وكان الوزير ابن كلّس مُضَرِّب بينهما ويطمع كل واحد منهما في صاحبه. وكان الوزير ابن

---

١) وهو جاء الدولة بن بويه

كلّس يهودياً من اهل بغداد خبيثاً ذا مكرٍ وحيلةٍ ودهاء وذكاء وفطنةٍ وكان في قديم امره خرج الى الشام فنزل بالرملة فجلس وكيلاً للتجار فلما اجتمعت الاموال التي للتجار كسرها وهرب الى مصر في ايام كافور الاخشيدي صاحب مصر فتاجره وحمل اليه متاعاً كثيراً ويُحال بماله على ضياع مصر وكان اذا دخل ضيعةً عرف غلتها وارتفاعها وظاهر امرها وباطنها وكان ماهراً في اشغاله لا يُسئل عن شيءٍ من امورها الا اخبر به عن صحّة فكبرت حاله وخُبّر كافور بخبره وما فيه من الفطنة والسياسة فقال: لو كان هذا مسلماً لصلح ان يكون وزيراً. فبلغه ما قال كافور فطمع في الوزارة فدخل جامع مصر في يوم الجمعة وقال: انا اسلم (على) يد كافور. فبلغ الوزير ابن حنزابة وزير كافور ما هو عليه وما طمع فيه فقصده وخاف منه فهرب الى المغرب وقصد يهوداً كانوا هناك مع ابي تميم المعزّ لدين الله اصحاب أمره فصارت له عندهم حرمة فلم يزل معهم الى ان اخذ المعزّ مصر فسار معه اليها فلما توفي المعزّ واصحابه اليهود وولي العزيز بالله استوزره في سنة ٣٦٥ وكان هذا الوزير ابو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلّس كبير الهمّة قويّ النفس والمنة عظيم الهيبة فاستولى على امر العزيز وقام به واستصحّه فعوّل عليه وفوّض امره اليه وكانت اموره مستقيمةً بتدبيره فلما اعتلّ علّة الوفاة ركب اليه العزيز عائداً فشاهده على حال اليأس فغمّه امره وقال له: وددتُ بانك تُباع فابتاعك بملكي او تفتدى وافديك بولدي (24ᵛ) فهل من حاجةٍ توصي بها يا يعقوب؟ فبكى وقبّل يده وتركها على عينه وقال: اما ما يخصني يا امير المومنين فلا لانك ارعى بحقي من ان استرعيك اياه وأرأف على من اخلفه من ان اوصيك به لكني انصح لك فيما يتعلّق بدولتك. قال: قُل يا يعقوب فقولك مسموع ورأيك مقبول. قال: سالم يا امير المومنين الروم ما سالموك واقنع من الحمدانية بالدعوة والسكة ولا تُبق على المفرّج بن دغفل بن الجرّاح متى عرَضت لك فيه فرصة. وتوفي في ذي الحجة سنة ٣٨٠ فامر العزيز ان يدفن في داره بالقاهرة في قبّة كان بناها لنفسه وحضر جنازته وصلى عليه والحده بيده في قبره وانصرف عنه حزيناً بفقده واغلق الدواوين وعطّل الاعمال اياماً (١ (واستوزر ابا عبد الله الموصلي بعده مُدَيدَة ثم صرفه وقلّد

١) قال الذهبي في تاريخ الاسلام في ترجمة الوزير ان هذه المنة له ما نالها وزير قط من مخدومه. وقيل انه حسن اسلامه فقرأ القران والنحو وكان يجمع عنده العلماء ويقرأ عليه مصنّفاته ليلة الجمعة وله اقبال زايد على العلوم على اختلافها وقد مدحه عدّة شعراء وكان كريماً جواداً

عيسى بن نسطورس وكان نصرانياً مِن اقباط مصر وفيه جلادة وكفاية فضبط الامور وجمع الاموال ووفّر كثيرًا من الخراج ومال الى النصارى فقلّدهم الاعمال والدواوين واطرح الكتّاب المتصرّفين من المسلمين واستناب في الشام رجلًا يهوديًا يعرف بمنشا بن ابرهيم بن الفرار فسلك مسلكهُ في التوفّر على اليهود وعيسى مع النصارى مثله واستولى اهل هاتين الملّتين على الدولة . فكتب رجل من اجلاد المسلمين رقعةً وسلّمها الى امراةٍ وبذل لها بذلًا على اعتراض العزيز ورفع الظُّلامة اليه وتسليمها الى يده وكان مضمون الرقعة : « يا امير المؤمنين يا الذي عزّ النصارى بعيسى بن نسطورس واليهود بمنشا بن الفرار واذلّ المسلمين بك الّا نظرتَ في امري » وكان العزيز على بغلةٍ سريعةٍ في المشي واذا ركبها تدفّقت كالموج ولم تلحق فوقفت له المراة في ضيق فلما قاربها رمتها اليه فسارع الركابي الى اخذ الرقعة على العادة وغاصت المراة في الناس ووقف العزيز عليها وامر بطلب المرأة فلم توجَد وعاد الى قصره مُنعِمَ الفكر في امره فاستدعى قاضي قضاته ابا عبد الله محمد بن النعمان وكان متقدّمًا عنده في خواصه واهل أنسه فاعطاه الرقعة وقال له : قِف عليها . فلما قرأها قال له : ما عندك في هذا الامر . قال : مولانا أعرف بوجه الرأي والتدبير . فقال : صدقت كاتبتها تهيُّبًا على ما كنّا على غلطٍ فيهِ وغفلةٍ (25ᵛ) عنه . وتقدّم في الحال بالقبض على عيسى بن نسطورس وسائر الكتّاب النصارى وانشاء الكتب الى الشام بالقبض على منشا بن الفرار والمتصرّفين من اليهود وان تردّ الاعمال في الدواوين الى الكتّاب المسلمين ويُعوّل في الاشراف عليهم على القضاة في البلاد . ثم ان عيسى طرح نفسه على ستّ الملك بنت العزيز وكان يحبّها حبًا شديدًا ولا يردّ لها قولًا واستشفع بها في الصفح عنه وتجديد الاصطناع لهُ وحمل الى الخزانة ثلثمائة الف دينار وكتب الى العزيز رقعةً يذكر فيها بخدمته وحُرمته ورضي عنه واعاده الى ما كان عليه وشرط عليهِ استخدام المسلمين في دواوينه واعماله

سنة احدى وثمانين وثلثمائة

كان بكجور قد خاف من عيسى بن نسطوروس الوزير المقدّم ذكره ان يعمل عليه لاسباب تقدّمت بينه وبينه اوجبت ذاك فكتب الى العزيز يذكر لهُ جلالة حلب وكثرة

ومن تصانيفه كتاب في الفقه ما سمعه من المعزّ والعزيز وجلس سنة ٦٩ مجلساً في رمضان فقرأ فيه الكتاب بنفسه وسمعه خلائق وجلس جماعة في الجامع العتيق يفتون من هذا الكتاب . قلت : هذا الكتاب يريد يكون على مذهب الرافضة فان القوم رافضة في الظاهر ملحدة في الباطن

ارتفاعها وانها دهليز العراق واذا حصلت لهُ كان ما بعدها في يده وان العسكر الذي بها قد كاتبه وبذل الطاعة لهُ والمساعدة ويستدعي منهُ الانجاز والمعونة فاجابهُ بكل ما اراد وكتب الى نزّال والي طرابلس بالمسير اليهِ متى استدعاه من غير استئذانٍ ولا معاودة استيمارٍ وكان نزّال هذا من وجوه قوّادهِ وصنائع عيسى الوزير وخواصه فكتب اليهِ عيسى سرًّا بان يتقاعد ببكجور وتظهر لهُ المساعدة والمسارعة ويستعمل معهُ التعليل والمدافعة فاذا تورّط مع مولاه وقاربهُ تأخرعنهُ واسلمهُ فلم يشكّ بكجور في مسير نزّال اليهِ وسار عن الرقة وكتب الى نزّال بان يسير من طرابلس ليكون وصولها الى ظاهر حلب في وقت واحد فاجابه نزّال ووعده. ونزل بكجور على بالس وفيها غلمان سعد الدولة ابي المعالي صاحب حلب وعدّة من الديلم فقاتلهم وقاتلوه ورحل بكجور وتباطأ نزّال في مسيره وواصل مكاتبة بكجور في منزلٍ بعد منزلٍ وقرب الامر عليهِ في وصوله اليهِ واقام بكجور على بالس خمسة ايّام فلما لم يجد فيها مغمزًا فارقها وطلب حلب . وكان ابو المعالي كاتب بسيل عظيم الروم واعلمه عصيان بكجور (^{v}25) عليهِ وسألهُ مكاتبة البرجي صاحبه بانطاكية بالمسير اليهِ متى دعته حاجة الى انجاده ومعونته فكاتب عظيم الروم بذلك واكّد القول عليهِ فلمّا وافى بكجور كاتب سعد الدولة البرجيَّ فرحل ونزل مرج دابق وهو على فرسخين من حلبٍ ووصل بكجور الى النقرة ونزل في ناحيةٍ تعرف بالناعورة وامتدّ عسكره الى تلّ اعرُن ومنها الى حلب اربعة فراسخ وبرز سعد الدولة في غلمانه واصحابه فكانوا ستة الاف رجل من الروم والارمن والديلم والاتراك ولم يكن معهُ من عسكر العرب الّا عمرو بن كلاب وعِدّتهم خمسمائة رجل الّا انهم أُولوا باسٍ وقوّةٍ ومن سواهم من بطون العرب بني كلاب مع بكجور بعد ان حصّل حُرمه واولاده في القلعة بحلب. ولمّا برّز وسار عسكره (وكان لؤلؤ الجراحي الكبير يحجبه) اعجبه ما رأى من عِدّته وعُدّته فنزل الى الارض وصلى وعفّر ودعا الله بنصرهِ واداله من بكجور وغدره وفعل اصحابه مثل فعله واجتمعوا اليه وقالوا له : نفوسنا بين يديك والله لنبذُلنّها في طاعتك والمدافعة عنك . فشكرهم وقال لهم : انتم الاولاد والعدّة وهذه الدولة لكم وانا فيها واحد منكم. واستدعى كاتبه المعروف بالمصيصي وامره ان يكتب الى بكجور يستعطفه ويذكره الله ويخوّفه ويبذل له ان يُقطعه من باب حمص الى الرقة ويدعوه الى الكفّ والموادعة ورعاية حقّ الرقّ والعبوديّة ويعلِمه انه متوقّف عن حربه ولقائه الى ان يعود اليه من جوابه ما

يعوّل عليهِ . وسار فنزل بالموضع المعروف بالنيرب على ميل من حلب وعسكر الروم بازائهِ ووافى رسول سعد الدولة الى بكجور فاوصل اليهِ الكتاب فلما وقف عليه قال له : قل له الجواب ما تراه عياناً لا ما ارسل اليك كتاباً . فعـاد الرسول واعاد على سعد الدولة قوله واعلمه انهُ ساير على اثره . فتقدّم سعد الدولة الى الموضع المعروف بدير الزيب وقدم على مقدَّمتهِ شجعان غلمانهِ وانجادهم من عمرو بن كلاب الذين قدّمنـا ذكرهم وقد جعل بكجور على مقدّمتهِ بارخ ورشيقاً (26²) غلاميه في مائة غلامٍ ووقع التطارد وكان الفارس من اصحاب سعد الدولة اذا عاد اليه وطعن وجرح خلع عليه واحسن اليه وكان بكجور بضدّ ذلـك بُخلًا واذا عاد اليهِ رجل على هذه الحال امر بان يكتب اسمه لينظر مستأنفاً في امره . وقد كان سعد الدولة كاتب العرب الذين مع بكجور وامنهم وارغبهم ووعدهم الاقطاعات الكثيرة والعطايا الفاضلة الفائضة والّا يؤاخذهم بالانحياز الى بكجور والحصول معه فلما حصلَتْ اماناتهُ وتوقيعاتهُ في ايديهم عطفوا على سواد بكجور فنهبوه وانصرفوا عنهُ واستـامنوا الى سعد الدولة ونزلوا عليهِ وراى بكجور ما تمّ عليهِ من تقـاعُد نزّال وغدر العرب وتأَخر غلمان سعد الدولة الذين كانوا كاتبوه ووعدوه الانحياز اليهِ اذا عاينوه فاستدعى ابا الحسن كاتبهُ المعروف بابن المغربي وقـال لهُ : غررّتني واوهمتني ان العزيز يجيئني ويعـاونني وان العرب تخلص لي وتناصحني وان العرب توافيني ويستامنوا اليّ وما كان لشيءٍ من ذلك حقيقة فما الراي الآن فان بازائنا عسكرًا عظيماً لا طاقة لنا بهِ . قال : صدقتَ ايها الامير فيما قلتهُ ووالله ما اردتُ غشَّك ولا فارقتُ نصحك والصواب مع هذه الاسباب العارضة ان ترجع الى الرقة وتكاتب العزيز بما عاملك بهِ نزّال وتعاود استنجـاده فانهُ ينجدك ويستظهر في امرك . وكان في عسكر بكجور قائد من قواده يجري مجراه في التقدم يُعرف بابن الخفَّاني فقال لهُ وقد سمع ما جرى بينهُ وبين ابن المغربي فقال : ما عندك فيما قالهُ واشار بهِ ؟ فقـال لهُ : هذا كاتبك يقول اذا جلس في دسته الاقلام تنكّس الأَعلام فاذا حقَّتِ الحقائق اشار علينا بالهرب واذا هربنا فايُّ وجهٍ يبقى لنا عند الملوك وزوجة من يهرب اليوم طالق ليس الَّا السيف فاماً لنا واَمّا علينا . وسمع ابن المغربي ما قالهُ ابن الخفَّاني فخاف بكجور وقد كان واقف بدويًّا من شيوخ بني كلاب يُعرف بسلامة بن بُرَيك على ان يحملهُ الى الرقة متى كانت هزيمةٌ وبذل لهُ الف دينـار على ذلك فلمَّا استشعر من بكجور ملابسة تشعره سامَهُ (26ᵛ) تسييرَهُ قبل الوقت الذي اعدَّهُ لهُ فاوصلهُ الى الرقة .

وعمل بكجور على ما فيه من قوّة النفس وفضل الشجاعة على ان يعمد الى الموضع الذي فيهِ سعد الدولة من مصافّه ويهجم عليهِ بنفسهِ ومن يقتحمُ معهُ من صناديد غلمانه ويوقع بهِ واعتقد انه اذا فعل ذلك وكبس الموضع وانهزم الناس وملك فاختار من غلمانهِ من ارتضاه ووثق به بحسن البلاء منهُ وقال لهم : قد تورّطنا من هذه الحرب ما عرفتموه وحصلنا على شرف الهزيمة وذهاب النفوس وقد عزمتُ على كذا وكذا فان ساعدتموني رجوتُ ان يكون الفتح على ايديكم والاثر لكم . فقالوا : نحن طوعك وما نرغب بنفوسنا عن نفسك . وبادر واحدٌ ممن سمع الكلام منه الى لؤلؤ الجراحي فاستأمن اليه واعلمهُ بالصورة فاسرع لؤلؤ الى سعد الدولة واخذ الراية من يدهِ ووقف في موضعهِ وقال : تهبُ لي يا مولاي هذا المكان اليوم وتنتقل الى مكاني عنهُ فان بكجور أيس من نفسهِ وقد حدّثها بان يقصدك ويقع عليك ويُوقع بك ويجعل ذلك طريقاً الى فلّ عسكرك وقد عرفتُ ذلك من جهةٍ لا اشكّ فيه وسيفعل ولئن افديك بنفسي واكون وقايةً لك ولدولتك اولى من التعريض بك . فانتقل سعد الدولة والعمّاريّة في ظهرهِ والراية في يدهِ وجال بكجور في اربعمائة فارس من الغلمان عليهم الكذاغندات والخُوَذ وبايديهم السيوف واللتوت وعلى خيلهم التجافيف وحمل في عقب جولتهِ حملةً افرجت له بها العساكر ولم يزل يضرب بالسيف حتى وافى الى لؤلؤ فضربهُ على الخوذة في راسه ووقع لؤلؤ الى الارض وحمل العساكر على بكجور وبادر سعد الدولة الى مكانه مُظهراً نفسه لغلمانهِ فلما رأوه قويت نفوسهم وثبتت اقدامهم واشتدّوا في القتال حتى استفرغ بكجور جُهده ووسعه ولم يبق له قدرة ولا حيلة انهزم في سبعة نفر من غلمانه صوب حلب واستولى القتل والاسر على اصحابهِ وتمّ الهزيمة . وقد رمى عن نفسه جوشنه وعن فرسهِ تجافيفه وقد فعل من كان معهُ مثل فعلهِ وكان الفرس الذي تحته من الخيول التي اعدّها لمثل (27^{r}) ما حصل فيه وثمنهُ عليهِ الف دينار واوفى الى رحاً تعرف بالقيرعي على فرسخٍ من حلب مقابلي قنسرين ولها ساقية تحمل اليها سَعتها قدر ذراعين في سمك ذراع فحمل الفرس على ان يعبرها خوضاً ووثباً فلم يكن فيه واجهده ووقف به وناداه غلمانه « ان الخيل قد ادركتنا » ولحقهم عشرة فوارس من العرب فارجلوهم عن دوابّهم وسلبوهم ثيابهم ولم يعرفوا بكجور وعادوا عنهم وبقي بكجور وغلمانه عراةً فلجؤا الى الرحا واستجاروا بصاحبها فادخلهم اليها . وجاءت سريّة اخرى من العرب تطلب النهب فظنّوا انّ مع الغلمان الذين في الرحا

ما يغنمونه منهم فطالبوا صاحبها بتسليمهم فاعلمهم انهم عُراة فقالوا: ان شاهدناهم على ما ذكرتَ تركناهم والّا احرقنا الرحا. ففتح الباب واخرجهم اليهم فلما رأوا حالهم خلوا عنهم. ومضى بكجور وغلمان معه من غلمانه الى براحٍ فيه زرع حنطةٍ فطرح نفسه فيه ومرَّ قوم من العرب فظنّوا ان معهم ما يفوزون به فعدلوا اليهم وكان فيهم رجل من قطن يعرفه بكجور فقال له: اتعرفني ؟ قال: لا. قال: اذمم لي حتى أعرّفك نفسي. فأذمّ له. قال له: انا بكجور فاصطنعني واحملني الى الرقّة فانني اوقرُ بعيرك ذهبًا وأعطيك كل ما تقترحه. قال: افعل. فاردفه وحمله الى بيته وكساه قميصًا وفروًا وعمامةً.

وكان سعد الدولة قد بثّ الخيل في طلب بكجور ونادى « من احضر بكجور فله مطلبه » فلما حصل بكجور في بيت البدويّ ساطنه به وطمع فيما كان سعد الدولة بذله فيه واستشار ابن عمٍ له في امره فقال له: هو رجل بخيلٌ فربّما غدر ولم يَفِ بوعده والصواب ان تقصد سعد الدولة وتاخذ منه عاجلًا ما يُعطيك. فركب البدويّ الى عسكر سعد الدولة وصاح « نصيحة » فأُحضر الى حضرتهِ فقال له: ما نصيحتك ؟ قال: ما جزاء من يسلّم بكجورًا ؟ قال: حكمه. قال: فهو عندي وأريد عنه مائتي فدّان زراعةً ومائة الف درهم ومائة راحلة تحمل حنطةً وخمسين قطعة ثيابًا. قال سعد الدولة: وكل ذلك لك. قال: وثق لي منه. وعرف لؤلؤ الجراحي خبر البدوي فتحامل وهو مثخن بالضربة التي اصابته ومشى متوكيًا على غلمانه حتى حضر بين يدي (27^v) سعد الدولة فقال: يا مولاي ما يقول هذا ؟ قال: يقول ان بكجور عنده وقد طلب ما اجبناه اليه وهو ماضٍ لاحضارهِ. فقبض لؤلؤ على يد البدويّ وقال له: اين اهلك ؟ قال: في المرج على فرسخ. فاستدعى جماعةً من الغلمان وقدّم عليهم اقبالًا الشفيعي وامرهم ان يرتقوا رؤوس الجبال حتى يوافوا الحلّة ويقبضوا على بكجور ويحملوه وهو قابض على يده والبدوي يستغيث بسعد الدولة ثم تقدّم الى سعد الدولة وقال: يا مولانا لا تُنكر عليَّ فعلي فانه كان مني عن استظهار في خدمتك ولو عاد هذا البدوي الى اهلهِ واحسّ بكجور بما فيه لاعطاه الرغائب على تخليصه ولا نامن ان يقبل ذلك منه والذي طلبه هذا البدويّ مبذول له وما ضرّنا الاحتياط في التمسُّك به الى ان يوافينا فنعطيه حينئذٍ ونفي له بما وعدناه. فقال: احسنت يا ابا محمد لله درُّك. ولم يمضِ ساعات حتى عادت النجب مُبشرةً بحصول بكجور ووافى بعدها اقبال الشفيعي وهو معه فوقف به من وراء السرادق واستأذنه في ادخاله اليه وانفذ سعد الدولة الى

لؤلؤ وقال له : ما رايك في بكجور ؟ قال : ضرب عنقه لوقته لو جاءت سناء الزينة ستّ الناس (يعني اخت سعد الدولة) واستوهبتْهُ منك فوهبتهُ لها لكان لنا شغل محدِّد. فامر سعد الدولة فَرَجاً العدلي فكان سيّافه فضرب عنقه وعتق ابن الخفاني وكان قد حصل في الاسر وحملهما الى الموضع المعروف بحصن الناعورة فصلبهما بارجلهمـا . وسار سعد الدولة الى الرقّة فنزل عليها وفيها سلامة الرشيقي وابو الحسن المغربي واولاد بكجور وحرمهُ وامواله وارسل سلامة بتسليم البلد فاجـابه « فاني عبدك وعبد عبدك الّا ان لبكجور عليّ عهودًا فمواثيق لا مخلص لي عند الله منها الا باحد امرين امّا ان تُذمّ لاولاده على نفوسهم واموالهم وتقتصر فيما تاخذه على الآت الحرب والعُدد وتحلف لي ولهم على ذلك وامّا ان أُبلي عُذرًا عند الله عزّ وجلّ فيما عقدتُه لبكجور » فاجابه سعد الدولة الى ما اشترطه وحلف له يمينًا عملها ابو الحسن ابن المغربي . وكان سعد الدولة قد اباح دمه فهرب الى الكوفة واقام بمشهد امير المؤمنين علي عليه السلام . ولما توثّق سلامة (28^r) سلّم حصن الرافقة وخرج القوم ومعهم من المال والرحل الشيء الكثير وسعد الدولة يشاهدهم من وراء سُرادقه وبين (يديه) ابن ابي حُصين القاضي فقال له : ما ظننتُ ان حال بكجور انتهت الى ما اراه من هذه الاموال والاثقال . فقال له : ايّ شيء اعتقد الامير في ذاك ؟ قال له : وهل بقي في هذا الامر موضع اعتقاد ؟ قال له ابن ابي حصين : ان بكجور واولاده مماليك وكل ما ملكوه فهو لك ولا حرج عليك فيما تاخذه منه ولا حنث في الأيمان التي حلفت بها ومهما كان فيها من وزرٍ واثمٍ فعليّ دونك . فلمـا سمع هذا القول منه غدر بهم وتقدّم بردّهم والقبض عليهم وجميع ما معهم . وكتب اولاد بكجور الى العزيز بما تمّ عليهم وعلى والدهم وسألوه مكاتبة سعد الدولة بالكفّ عنهم والابقاء عليهم فكتب اليه كتابًا يتوعّده فيه ويامره بازالة الاعتراض عن المذكورين وتسييرهم الى مصر موفورين ويقول له في اخره : انك متى خالفتنا في ذلك واحتججت فيه كنّا الخصوم لك وجهّزنا العساكر اليك . وانفذه مع فايق الصقلبي احد خواصه وسيّره على نجيب فوصل فايق اليه وقد عاد من الرقة وهو بظاهر حلب واوصل اليه الكتاب فلما وقف عليه جمع وجوه قوّاده وغلمانه وقراه عليهم ثم قـال لهم : ما الراي عندكم فيه ؟ قالوا نحن عبيدك وغلمانك ومهما امرتنا به وندبتنا له كانت عندنا الطاعة والمناصحة فيه . وتقدّم عند ذلك باحضار الرسول فلما مثل بين يديه امر باعطائه الكتاب ولطمه حتى ياكله فقال له : انا رسول وما عُرف من الملوك معاملة

الوسل بمثل ذلك وهذا الفعل ما لا يجوز. فقال له: لا بدّ ان تاكلهُ. فلمّا مضغه قال له: عُد الى صاحبك وقل له: لستُ ممن تخفى اخبارك عنه وتمويهاتك عليه وما بك حاجة الى تجهيز العساكر اليّ فانني ساير اليك ليكون اللقاء قريباً منك وخبري ياتيك من الرملة. وقدم سعد الدولة قطعة من عساكره امامه الى حمص. وعاد فايق الى العزيز فعرّفه ما سمعه وشاهده فازعجه ذلك وبلغ منه واقام سعد الدولة بظاهر حلب اياماً على ان يرتّب اموره ويتلو من تقدمه من عسكرهِ. فاتّفق ان عرض له قولنج اشفى منه وكان له طبيبان (28^v) عارفان احدهما يُعرف بالتفليسي والاخر يوانيس فاشارا عليه بدخول البلد وملازمة الحمّام فامتنع عليهما وقال لهما: انا بازآء وجهٍ اريد قصده واذا عدتُ وقع الارجاف بي وكان في العود طيرة عليّ. ثم زاد ما يجده فدخل فعالجاه فابلّ واستقلّ وكتب الى اصحابه يذكر عافيته فاوصل الناس اليه حتى شاهدوا حاله وهنوه بالسلامة. وكان المستولي على امره والمقدّم عنده في رايه لؤلؤ الكبير الذي تقدّم ذكره فلما كان في اليوم الثالث من اكله الفرّوج زُين له البلد ليركب فيه من غدٍ ويعود الى العسكر فاتّفق ان حضرت عند فراشه ليلة اليوم الذي عمل على الركوب فيه جارية تُسمى انفراد وكان يتحظّاها ويقدّمها على سواها من سرّياتهِ وهُنّ اربعمائة جاريةٍ فتتبّعتها نفسه وواقعها فلما فرغ سقط عنها وقد جفّ نصفه وبادرت الجارية الى اخته فاعلمتها صورته فدخلت اليه وهو يجود نفسه واستدعت طبيبيه فحضرا وشاهداه وتعرّفا المسبّب فيا لحقهُ فعُرّفاه واشارا بشجر الند والعنبر حوله الى ان ينيف قليلًا وتثوب قوّته فلما كان ذلك عاد اليه وقال له التفليسي: اعطني ايها الامير يدك لاخذ مجسّك. فاعطاه اليسرى فقال: يا مولانا اليمين. فقال: يا تفليسي ما تركت لي اليمينُ يميناً. ومضت عليه ثلث ليالٍ قضى بعد ان قلّد عهده ابا الفضائل ولده ووصى الى لؤلؤ الكبير به وبابي الهيجاء ولده الاخر وستّ الناس اخته وحُمل تابوته الى الرقّة ودُفن في المشهد ظاهرها. ونصب لؤلؤ ولده ابا الفضائل في الامر واخذ له البيعة على الجند بعد ابيهِ في شهر رمضان سنة ٣٨١. وتراجعت العساكر عند ذلك الى حلب واستأمن منها الى العزيز بالله رُقي الصقلبي في ثلثمائة غلام وبشارة الاخشيدي في اربعمائة غلامٍ وقوم اخرون فقبلهم واحسن اليهم وولي بشارة طبرّية ورُقي عكّا ورباحا قيسارية. وقد كان ابو الحسن بن المغربي بعد حصوله في المشهد في الكوفة كاتب العزيز وصار بعد المكاتبة الى حضرته فلما حدث لسعد الدولة حادث الوفاة عظم امر حلب عنده وكبر في نفسه احوالها وهوّن عليه حصولها

(29r) ولاية القائد مُنير الخادم ومنجوتكين دمشق

والسبب في ذلك وما آلت اليه احوالها في سنة ٣٧٨ وما بعدها

قد تقدم من شرح السبب في ولاية القائد منير دمشق ما فيه كفاية عن اعادة القول فيه ومن دخوله في يوم الخميس السابع عشر من رجب سنة ٣٧٨ . ولما توفى الوزير ابو الفرج يعقوب بن كلس كان قد بقي له من اصحابه على ماله ومال السلطان رجل يُعرف بابن ابي العُود الصغير وكان شديد المعاندة للقائد مُنير الوالي يرفع عليهِ الى مصر بانه عاصٍ يكاتب سلطان بغداد وصاحب حلب فلما كثرت سعايته الى العزيز اصطنع بعض غلمانه الاتراك رجلًا يقال له منجوتكين فقدّمه واعطاه مالًا وابنةً وسلاحًا ورجالًا وولّاهُ الشام فلما صحّ عند منير الخادم ذاك من ابن ابي العود انفذ اليه مَن قتله وكاشف بالعصيان والخلاف للضرورة القائدة له الى ذلك وكان لابن ابي العود عند العزيز رتبة متمكِنة ومنزلة متمهِّدة فلما خرج العسكر مع منجوتكين من مصر ووصل الى الرملة ووصل اليه بشارة والي طبريّة في عسكره ووصل الى دمشق وكان منير قد جمع رجالةً من احداث البلد من حُمَّال السلاح وطُلاب الشر والفساد واستعدّ للحرب وتأهّب للقاء . وبلغ منجوتكين وهو بالرملة ان اهل دمشق يريدون القتال مع مُنير الوالي فجمع النفّاطين بالرملة على ان يسيروا معه الى دمشق لحرقها . فلما وصل نزّال الى دمشق من طرابلس اخذ في الجبال عرضًا فخرج من مرج عذراء وارسل الى منير « اني لم اصِل الّا لاصلاح امرك » فعلم منير انه يريد الحيلة عليه والمكر به ليصل العسكر من الرملة ويُحيط به وقد كان نفذ كتاب ابن ابي هشام من دمشق الى منشا بن القرار كاتب الجيش يقول « جدّوا في السير لاخذ البلد » وكان مراده بذاك المداراة من خوف الشرّ فلما وصل الكتاب الى منشا انفذه الى العزيز منجوتكين وواقف عليه فوجد فيه خلاف ما ذكر عن اهل دمشق فنها عن احراقها . وسار منجوتكين من الرملة وقرب من طبريّة وجمع مُنير (29v) عسكره وخرج يريد نزّالًا فالتقوا بمرج عذراء فانهزم مُنير واتت المغاربة على الرجالة الذين كانوا معه وذلك في يوم الاثنين التاسع عشر من شهر رمضان سنة ٨١ فلما انهزم مُنير اخذ في الجبال حتى اخرج الى ارض جوسية يريد قصد حلب فخرج عليه عرب من الاحلاف فاخذوه ووصلوا به الى دمشق فوجدوا منجوتكين قد نزل عليها فسلّموه اليه لطلب الجائزة فشهره على جمل

وقرن به قردًا ومعه من اصحابه نحو من مائة رجل على الجمال وعليهم الطراطير لانهم انقطعوا فاخذهم والي بعلبك يقال له جلنار فارسلهم الى منجوتكين. واقام منجوتكين بدمشق بقية سنة ٨١ فقوي بها وصار عسكره ثلاثة عشر الفًا فعمّ الناس البلاء في جميع الاحوال وصارت افعالهم وسيرتهم اباحة الاموال والانفس وسوء الاعمال. ثم انهم طمعوا في ملكة حلب بحكم موت ابي المعالي بن سيف الدولة صاحبها وقد كان العزيز لما انتدب منجوتكين اكرمه وعظمه وامر القواد وطبقات الناس بالترجّل له وتوفيقه من الحقّ ما يوفّى عظماء الامراء والاسفهسلاريّة واستكتب له احمد بن محمد القشوري وولي الشام وضمّ اليه ابا الحسن علي بن الحسين بن المغربي ليقوم بالامر والتدبير. ولما وصل الى حلب وكان نزوله عليها في ثلثين الفًا من اصناف الرجال وتحصّن ابو الفضايل ابن سعد الدولة ولؤلؤ بالبلد واغلقا ابوابه واستظهروا بكل ما امكنهما الاستظهار به. وقد كان لؤلؤ عند معرفته بتجهيز العساكر المصرية الى حلب كاتب بسيل عظيم الروم ومتّ اليه بما كان بينه وبين سعد الدولة من المساعدة والمعاقدة وبذل له عن ولده السمع والطاعة والجري على تلك العادة وحمل اليه هدايا والطافًا كثيرةً وساله المعونة والنصرة وانفذ بالكتاب والهدايا ملكويا السيرافي ووصل اليه وهو بازاء ملك البلغر وعلى قتاله فقبل ما ورد فيه وكتب الى البرجي صاحب انطاكية من قبله بان يجمع عساكر الروم ويقصد حلب ويدفع المغاربة عنها فسار البرجي اليه في خمسة الف رجل ونزل بالموضع المعروف بجسر الحديد بين انطاكية وحلب. فعرف منجوتكين (30r) وابن المغربي ذلك فجمعا القواد والمعرفين خبرَ الروم واستشارهم فيما يكون العمل به والاعتماد عليه فاشار ذو الراي والحصافة منهم بالانصراف عن حلب وقصد الروم والابتداء بهم ومناجزتهم ليلا يحصلوا بين عدوين. ووقع العمل على ذلك وساروا مع عدّةٍ اخرى كثيرةٍ انضافت اليهم من اهل الشام وبني كلاب ونزلوا تحت حصن اعزاز وقاربوا الروم وبينهم النهر المعروف بالمقلوب وهو نهر يجري مجرى الفرات في قرب من عرضه فلما بصر المسلمون بالروم رموهم بالنشاب وناوشوهم القتال وحصل الناس والروم على ارضٍ واحدة ومنجوتكين يردّهم ولا يرتدّون (١ وانزل الله النصر وولّت

١) وفيه قال سبط ابن الجوزي ان بينهم النهر ولم يكن لاحد الفريقين سبيل الى العبور لكثرة الماء وكان منجوتكين قد حفظ المواضع التي يقلّ الماء فيها واقام جماعة يمنعون اصحابه من العبور الى وقت يختاره المنجّم فخرج من الديلم الذين كانوا صحبة منجوتكين شيخ كبير بيده ترس

الروم واعطوا ظهورهم وركبهم المسلمون ونكوا فيهم النكاية الوافية قتلًا واسرًا وفلاً وقهرًا وافات البرجي في نفرٍ قليلٍ وملك عسكرهم وسوادهم وغُنمت منهم الغنائم الوافرة من اموالهم وكراعهم وسوادهم وقد كان معهم الفراجل من رجالة حاب جرّدهم لؤلؤ مع عِدّه وافرة من الغلمان فقُتل منهم تقدير ثلثمائة غلام وعاد فلّهم الى حاب وجمع من رؤوس قتلى الروم نحو عشرة الف راس أُنفذت الى مصر وشهرت بها وتبع منجوتكين الروم الى انطاكية واحرق ضياعها ونهب رُستاقاتها وانكفأ راجعاً الى حلب . وكان وقت استغلال الغلّات فانفذ لؤلؤ من احرق ما قرُب من البلد منها المضرّة العسكر المصري وقطع مادّة الميرة عنهم والتضييق في الاقوات عليهم وراى لؤلؤ ان قد بطل عليه ما كان يرجوه من معونة الروم وقد اظلّه من عسكر مصر ما لا طاقة له به فكاتب ابا الحسن بن المغربي والقشوري وارغبهما بالمال وبذل لهما منه ما وسّع لهما فيه وسألهما المشورة على منجوتكين بالانصراف الى دمشق والمعاودة الى حلب في العام المقبل وتصيّر السبب في هذا الراي ما عليه الامر من عدم الميرة وتعذُّر الاقوات والعلوفات فطاوعاه ووعداه وخاطبا منجوتكين في ذلك. فصادف قولهما منه تشوُّقًا الى دمشق الى خفض العيش فيها وضجرًا من طول السفر ومباشرةِ الحرب فكتب وكتبت الجماعة الى العزيز بالله ينهون اليه الحال في تعذُّر الاقوات وانه لا قدرة للعسكر (30٧) على المقام مع هذه الصورة ويستأذنونه في الانكفاء الى دمشق فقبل ان يصل الكتاب ويعود الجواب رحل منجوتكين عائدًا . وعرف العزيز ما كان منه فغاظه ذلك ووجد اعداء ابن المغربي طريقًا الى الطعن عليه والوقيعة فيه فصرفه وقلّد صالح بن علي الروذباري موضعه وانفذه واقسم العزيز انه يمدّ العسكر بالميرة من غلات مصر فحمل مائة الف تليس والتليس قفيزان بالمبدل في البحر الى طرابلس ومنها على الظهر الى افامية. وعاد منجوتكين في العسكر في السنة ٢ الى حلب ونزل عليها وصالح بن علي المقدم معهم وكان يوقّع الغلمان بجراياتهم وقضيم دوابّهم الى افامية ويمضون خمسة وعشرين فرسخًا ويعودون بها واقاموا ثلثة عشر شهرًا وبنوا الحمّامات والاسواق والخانات وابو الفضائل ولولؤ قد تحصّنا بالبلد وقد اشتدّ الامر بها وفقدت الاقوات عندهما وكان لؤلؤ

وثلث زوبينات فوقف على جانب النهر وبازائهِ قوم من الروم فرموه بالنشاب وهو يسبح حتى قطع النهر وصار على الارض من ذلك الجانب والماء في النهر الى صدره فرى المسلمون بانفسهم في الماء فرسانًا ورجالة ومنجوتكين يحثهم ولا يمتنعون فصاروا مع الروم في ارض واحدة وانزل الله الخ

يبتاع القفيز من الحنطة ثلثة دنانير ويبيعه على الناس بدينار واحدٍ رفقًا لهم ويفتح الباب ويخرج من النـاس من اراد من الفقراء من الجوع وطول المقام . وقد كان أشير على منجوتكين بتتبع من يخرج وقتله ليمتنع الناس من الخروج ويزيد ضيق الامر عليهم فلم يفعل . وعند ذلك اعـاد لؤلؤ ملكو يا الذي كان ارسله اولًا الى بسيل ملك الروم اليه مجدّدًا له السؤال بالانجاد على ما دَهِمه من عسكر مصر والاسعاد واعلمه انه لم يبق فيه رمق ان لم يبادر بمعونته ونصرته وانه متى أُخذت حلب ومُلكت فانطـاكية لاحقة بها . وكان بسيل متوسّطاً بلد البلغر فقصـد ملكو يا اليه واوصل اليه الكتاب واعاد عليه ما يحمله من الرسائل اليه وقـال له : متى قصدتَ ايها الملك هذا الخطب بنفسك لم يقف احد من عساكر المغـاربة بين يديك واستخلصتَ حلب وخففتَ انطاكية وسائر اعمالها وان تأخرت مُلك جميع ذلك . فلمـا سمع ملك الروم ما قاله الرسول المذكور سار من وقته طالبًا حلب وبينه وبينها مسيرة ثلثمائة فرسخ فقطعهـا في ستة عشر يومًا في ثلثة الف فارس وراجل من الروم الروسية والبلغر والخزر وكان الزمان ربيعًا وقد سرّح العسكر المصري كراعه في المروج لترتبع فيها فهجمت الروم على العسكر على غفلةٍ وغرّة . فارسل (31^r) لؤلؤ الى منجوتكين يقول له : ان عصمة الاسلام الجامعة بيني وبينك وبين عسـاكرك تبعثني على انذاركم وهذا عسكر الروم قد اظلّكم في الجمع الكثير فخذوا لانفسكم وتيقّظوا لامركم ولا تهملوا حذركم . ووردت جواسيس منجوتكين وعيونه من الجهـات والطلائع عليه بمثل ذلك فاخرق الخزائن والاسواق ورحل في الحال منهزمًا . واشار العرب عليه بان ينزل ارض قنسرين ويملك الماء ويستدعي كراعه من مروج افامية ويثبت للقاء العدوّ ويحرّضه على بذل الجهد واستفراغ الوُسع في الجهـاد فلم يفعل وامتدّت به الهزيمة الى دمشق . ووافى ملك الروم فنزل على باب حلب وشاهد من موضع منزل المغـاربة ما هاله وعظم في عينه وخرج اليه ابو الفضائل ولؤلؤ وخدماه ورحل في اليوم الثالث الى الشـام ونزل على شيزر وفيه منصور بن كراديس احد قوّاد المغاربة فقاتله في الحصن يومًا واحدًا ولم يستطع الثبـات له لخلو الحصن من العُدَد وآلات الحرب واقوات المقام على الحصـار فراسله بسيل وبذل له الامان على نفسه ومن معه في الحصن وان يُعطيه مالًا وثيابًا على تسليمه فسكن الى ذلك وسلّمه ووفى له بسيل بجميع ما بذله من المال والامان والعطاء . فرتّب في الحصن نوّابه وثقاته وسار قاصدًا الى طرابلس الشام وافتتح في طريقه حمصًا وسبى منها ومن

رفنية واعمالها ما يزيد على ثغر طرابلس وهو برّي بحري متين القوة والحصانة شديد الامتناع على مُنازله واقام عليه نيفاً واربعين يوماً يحاول افتتاحه او وجود فرصة في تملكه فلم يتمّ له فيه امر ولا مُراد فرحل عنه قافلاً الى بلاد الروم . وانتهت الاخبار بذلك الى العزيز بالله فعظم ذلك عليه وامر بالاستنفار الى الجهاد والنداء في الغزاة وساير الاجناد فنفر الناس وخرج مستصحباً لجميع عساكره وما يحتاج اليه من عُدده وامواله وذخائره ومعه توابيت ابائه واجداده على العادة في مثل هذه الحال وقيل ان كراعه كان يزيد على عشرين الف راس خيلًا وبغالًا وجمالًا وحميرًا وسار مسافة عشرة فراسخ في مدّة سنة حتى نزل بلبيس واقام بظاهرها . وعارضته عِلل مختلفة من نقرس وقولنج وحصىً في المثانة واشتدّ به الامر وكان (31ᵛ) الاطباء اذا عالجوا مرضاً من هذه الامراض بدوائها زاد في قوة الاخرى واستحكامها وكان محتاجاً الى الحمّام لاجل القولنج ولم يكن في منزله الّا حمّام لرجل من اهلها فاشتدّ به فيه وبات للضرورة فيه واصبح والقوة تضعف والالم يشتدّ ويتضايق الى ان قضى نحبه في الحمّام في اليوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ٣٨٦ وعمره اثنتان واربعون سنة ونقش خاتمه « بنصر العليم الغفور ينتصر الامام ابو المنصور » ومولده في القيروان سنة ٣٤١ ومدّة ايامه احدى وعشرون سنة وستة اشهر واربعة وعشرون يوماً وكان حسن السيرة مشتغلًا بلذّاته محبّاً للصيد متغافلًا عن النظر في كثير مما كان اسلافه ينظرون فيه من اظهار علم الباطن وحمل الناس عليه وتوفّي رحمه الله وهو مستمرّ على ذلك

ثم ولي الامر بعده ولده ابو علي المنصور الحاكم بالله وكان معه فعهد اليه في الامر وردّ تدبير امره الى برجوان الخادم مُربيه وحاضنه وكان عهد اليهِ امر الحرم والقصور لثقة العزيز به وسكونه اليه ووصّى اليه بما اعتمد فيه عليه . وحدّثت ستّ الملك ابنة العزيز نفسها بالوثوب على الامر واجلاس ابن عمّها عبد الله وكانت مشتهاةً عليه فاحسن برجوان بذلك فقبض عليها وحملها مع الف فارس الى قصرها بالقاهرة . ودعا الناس الى بيعة الحاكم واحلفهم على الطاعة واطلق الارزاق وذلك في شهر رمضان سنة ٣٨٦ وانكفأ الحاكم من المخيم الى قصره بالقاهرة وعمره عشر سنين وستة اشهر . وتقدّم ابو محمد الحسن بن عمّار وكان شيخ كُتامة وسيدها ولقب بامير الدولة وهو اول من لقب في دولة مصر واستولى على الامر وبسط يده في الاطلاق والعطاء والصِلات بالاموال والثياب والحِباء تفرقة الكراع وكان في القصر عشرة الف جارية وخادم فبيع منهم

من اختار البيع وأعتق من سأل العتق ووهب من الجوار لمن احبّ واثر وانبسطت كتامة وتسلّطوا على العامّة ومدّوا ايديهم الى حُرَمهم واولادهم وغلب الحسن بن عمّار على الملك وكتامة على الامور وهمّ الحسن بقتل الحاكم (32ʳ) وحمله على ذلك شيوخ اصحابه وقالوا : لا حاجة لنا الى امام نقيمه ونتعبّد له . فحمله صغر سنّه والاستهانة بامره على اقلال الفكر فيه وان قال لمن اشار عليه بقتله : وما قدرُ هذه الوزغة حتى يكون منها ما نخاف (١ . وبرجوان في اثنا ذلك يحرس الحاكم ويلازمه ويمنعه من الركوب ولا يفسح له في مفارقة الدور والقصور . وقد كان شكر العضدي اتّفق مع برجوان وعاضده في الرأي والفعل وصارا على كلمةٍ سواء في كل ما ساء وسرّ ونفع وضرّ وتظاهرا على حفظ الحاكم في وصاة والده العزيز به الى ان تمت السلامة لهما فيه . واما منجوتكين وما كان منه بعد نوبة الروم فانه اقام بدمشق على حاله في ولايتها . وزاد امر الحسن بن عمّار وكتامة وقلّت مُبالاتهم بالسلطان فكتب برجوان الى منجوتكين يعرّفه استيلاء المذكورَين على الامور وغلبتهم على الاموال وتعدّيهم الى الحُرم والفروج وقبيح الاعمال ورفعهم المراقبة للخالق والحشمة من المخلوقين وابطالهم رسوم السياسة واضاعة حقوق الخدمة وانهم قد حصروا الحاكم في قصره وحالوا بينه وبين تدبير امره ويدعوه الى مقابلة نعمة مولاه العزيز عنده بحفظ ولده والوصول الى مصر وقمع هذه الطائفة الباغية وقال : « ان الديلم والاتراك والعبيد الذين على الباب يُساعدونه على ما يُحاول فيهم ويكونون معه اعوانًا عليهم » فامتثل منجوتكين ما في الكتاب عند وقوفه عليه وسارع اليه وركب الى المسجد الجامع في السواد وجمع القوّاد والاجناد ومشايخ البلد واشرافه وفيهم موسى العلوي وله التقدّم والميزة واذكرهم بحقوق العزيز وما كان منه من الاحسان الى الخاصّ والعامّ وحسن السيرة في الرعيّة واعتقاد الخير للكافّة وخرج من ذلك الى ذكر ما له عليه من حقوق الاصطناع والتقدّم والاصطفاء والتعديد للتمويه باسمه وما يلزمه في خدمته حيًا وميتًا ومناصحته معدومًا ومفقودًا وموجودًا وقال : واذ قبضه الله اليه ونقله الى ما اختاره له وارتضاه وحكم به وافضاه فان حقوقه قد انتقلت الى نجله وسليله الحاكم بامر الله امير المؤمنين وهو اليوم والي النعمة وكالقائم مقام العزيز بالله رحمه الله في استحقاق الطاعة والمناصحة (32ᵛ)

---

١) وفي الخطط للمقريزي في حارة برجوان : قال ابن عبد الظاهر : ويسمّى (يعني برجوان) « الوزغ » سمّاه به الحاكم

والخدمة وقد تغلّب على الملك الحسن بن عمّار وكتامة وصار اخوانُنا المشارقة بينهم كالذمّة بين المسلمين وما يسعنا الصبر على هذه الصورة وتسليم الدولة الى هذه العصابة المتسلّطة. وخرّق ثيابه السود وبكى البكاء الشديد فاقتدى الناس به في تخريق الثياب والبكاء. ثم قالوا : ما فينا الّا سامع لك مطيع لامرك ومؤثر ما تؤثر وباذلٌ مهجته في طاعة الحاكم وخدمته وخدمتك ومهما رسمت لنا من خدمةٍ وبذل نفسٍ ومكنةٍ كنّا اليه مسارعين ولامرك فيه طائعين الى ان تُبلَغ مناك وتُدرك مُبتغاك في نصرة مولانا. فشكرهم على هذا المقال وقوّى عزائمهم وآراءهم على المتابعة له والعمل بما يوافقه وعاد الى داره ووضع العطاء في الرجال وبرّز الى ظاهر دمشق. وقد اشتملت جريدة الاثبات على ستة الف من الاجناد السائرين معه خيلًا ورجلًا وكتب الى الحسن بن عمّار على اجنحة الطيور ومع اصحاب البريد بشرح ذلك الحال. فلما وقف على الخبر عظُم عليه وقلق وجمع وجوه كتامة واعاذ عليهم ما ورد من خبر منجوتكين وما هو مُجمعٌ عليه في بابهم وقال : ما الراي عندكم ؟ قالوا : نحن اهل طاعتك والمسارعون الى العمل باشارتك. واظهر ان منجوتكين قد عصى على الحاكم وجرى مجرى الافتكين المعزّي البويهي وندب الناس لقتاله وتقدّم الى الخزّان في خزائن اموال العزيز باطلاق الاموال والى العرّاض بتجريد الرجال والانفاق فيهم. واحضر البرجوان وشكر العَضُدي وقال لهما : انا رجل شيخ وقد كثر الكلام عليّ والقول فيّ وما لي عرض الّا حفظ الامر للحاكم ومقابلة اصطناع العزيز واحسانه اليّ وأُريد مساعدتكما ومعاضدتكما وان تحلفا لي على صفاء النيّة وخلوص العقيدة والطويّة. فدعتهما الضرورة الى الانقياد له والاجابة الى ما سأله منهما واستأنف معهما المفاوضة والمشاورة والاطلاع لهما على مجاري الامور ووجوه التدبير في الجمهور واستمالة المشارقة. وندب ابا تميم سليمن بن جعفر بن فلاح وقدّمه وجعله اسفهسلّار الجيش وامره بالمسير الى الشام واطلق له كل ما التمس من المال والعدَد والرجال والسلاح والكراع واسرف في ذلك الى حدّ لم يقف عنده وجرّد (33r) معه ستة عشر الف رجل من الخيل والرجال وبرّز الى عين شمس. وكان عيسى بن نسطورس الوزير على حاله في الوزارة فبلغ ابن عمّار عنه ما انكره فقبض عليه ونكبه وقتله وسار سليمان بن فلاح من مصر ورحل منجوتكين الى الرملة فملكها واخذ اموالها فتقوّى بها وكان معه المفرج بن دغفل بن الجرّاح وسنان بن عُليان ونزل سليمان عسقلان وسار منجوتكين حتى نزل بظاهرها وتقاتل الجيشان. فلما كان بعد

ثلثة ايامٍ من تقاربهما وتقاتلهما ضرب كل واحد منهما مصاف عسكره وعمل على مناجزة صاحبه واستأمنت العرب من اصحاب ابن جرّاح وابن عليان الى سليمان فاستظهر وقتل من اصحاب منجوتكين اربعة قوّادٍ في وقتٍ واحدٍ وانهزم منجوتكين وقتل من الديلم عدّة كثيرة لانهم لجأوا عند الهزيمة الى شجر الجمّيز واختفوا به فكان المغاربة ينزلونهم منها ويقتلونهم تحتها وأُحصيت القتلى فكانوا من اصحاب منجوتكين الفي رجل. وسار سليمان الى الرملة وقد امتلأت ايدي اصحابه من الغنائم والاموال والكراع وبذل لمن يحضر منجوتكين عشرة الف دينار ومائة ثوب فانبثّت العرب في طلبه وادركه عليّ بن جرّاح فاسره وحمله الى سليمان فاخذه منه واعطاه ما بذل له وحمله مع روؤس القتلى من اصحابه الى مصر فشهرت الروؤس وابقي على منجوتكين الحسن بن عمّار واصطنعه واستمال المشارقة به ونزل سليمان طبريّة . وكان اهل دمشق قد اثاروا الفتنة ونهبوا دار منجوتكين وخزائنه وما فيها من مال السلطان وعُدده فانفذ اخاه عليًّا اليها في خمسة الف رجلٍ فلما وصلها ناوش اهلها وناوشوه واعتصموا بالبلد ومنعوا الدخول اليه وكتب الى سليمان اخيه يُعلمه مخالفتهم وعصيانه ويستأذنه في منازلتهم وقتالهم فاذن له في ذلك واعلمه مسيره اليه وكتب الى موسى العلوي والأشراف والشيوخ بالانكار عليهم بتسلُّط العامّة فيما ارتكبوا من النهب والافساد وتقاعدهم عن الاخذ على ايديهم والردع لهم والتوعُّد بالمسير اليهم والمقابلة لهم بما يقتضيه الراي فلما وقفوا على ما ذكره خافوا وخرجوا الى اخيه علي ولقوه واعلموه انهم على الطاعة والانكار لما اجرى اليه (33ᵛ) الجهالة فركب علي وحارب اهل دمشق وزحف الى باب الحديد والنفّاطون معه فانهزموا منه وملك البلد وطرح النار في الموضع المعروف بحجر الذهب وهو أجلُّ موضع في البلد وقتل خلقًا كثيرًا من رجاله وعاد بعد ذلك الى معسكره. ووافى من غدٍ اخاه سليمان في عسكره فانكر عليه احراق ما احرق وبلوغه في الافساد ما بلغ وتلقّاه الاشراف والشيوخ والناس وشكوا اليه ما لحقهم وتلف من دُورهم واملاكهم واموالهم فامنهم وكفّ المغاربة عنهم واظهر اعتقاده الجميل فيهم وكتب المناشير بالصفح عن الجناة وايمان الكبير والصغير منهم ورفع الكلف والمؤن عنهم وإفاضة العدل والانصاف فيهم وكوتبت في المسجد الجامع على روؤس الاشهاد فسكنت الى ذلك النفوس واطمأنت به القلوب ورجعوا الى ما كانوا عليه . واختلط المغاربة بهم وركب القائد سليمان الى الجامع في يوم الجمعة بالطيلسان على البغل

السندي وخرق في البلد بالسكينة والوقار وبين يديه القراء وقوم يفرّقون قراطيس دراهم الصدقات على اهل المسكنة والحاجة . وكان لهذا القائد سليمان نفس واسعة وصَدْر رحب وقدَم في الخير متقدّمةٌ ورغبة في الفعل الجميل مشهورةٌ ومقاصدُ في الصلاح مشكورة بعد الحسن بن عمّار ولما صلى عاد الى القصر الذي بُني بظاهر البلد ونزل فيه وقد استمال قلوب الرعية والعامّة بما فعلهُ واظهره من حسن النظر في الظلامات المرفوعة اليه واطلاق جماعةٍ كانت في الحبوس من ارباب الجرائم المتقدِّمة والجنايات السالفة واستقام له الامر واستقرّت على الصلاح الحال وصلحت احوال البلد واهله بما نشر فيهِ من العدل وحكم بهِ من الانصاف واحسنه من النظر في امور السواحل بصرف مَن صرفه مِن ولاتها الجابرين واستبدل بهم من شيوخ كتامة وقوّادها وردّ الى عليّ اخيهِ ولايةَ طرابلس الشام وصرف عنها جيش بن الصمصامة فمضى جيش المذكور الى مصر من غيرِ ان يقصد القائد سليمان ويجتمع معهُ . وكان جيش هذا من شيوخ كُتامة ايضاً الّا ان سليمان كان سيِّئ الراي فيهِ لعداوةٍ بينه وبينه فلما حصل جيش بمصر (34^{r}) قصد برجوان سرّاً وطرح نفسه عليهِ واعلمهُ بُغض اهل الشام للمغاربة واستيحاشهم منهم فاولاه برجوان الجميل قولًا ووعدًا وبذل له المعونة على امره وتأمّل برجوان ما يلي بهِ في الاحوال من الحسن بن عمّار وكتامة وما خافه على نفسهِ منهم وان مصر والقاهرة قد خلتا الّا من العدد الاقلّ منهم وامكنته الفُرصة فيما يريده منهم فراسل الاتراك والمشارقة وقال لهم: قد عرفتم صورتكم وصورة الحاكم مع هولآء القوم وانهم قد غلبوا على المال وغلبوكم ومتى لم تنتهز الفرصة في قلّة عددهم وضعف شوكتهم سبقوكم الى ما لا يمكنكم تلافيهِ بعد التفريط فيه واستدراك الغاية منهُ . واوثقهم على الطاعة والمساعدة فبذلوها له ووثقوا لهُ في كل ما يريده . واحسّ الحسن بن عمّار بما يريد برجوان وشرع فيه وفي الفتك بهِ وسبقهُ الى ما يحاوله فيهِ ورتّب لهُ جماعةً في دهليزه وواقفهم على الايقاع به وبشكرٍ اذا دخلا داره وكان لبرجوان عيون كثيرة على الحسن بن عمّار فصاروا اليه واعلموه ما قد عمل عليهِ واجتمع برجوان وشكر وتفاوضا الراي بينهما في التحرُّز مما بلغهما وقرّرا ان يركبا ويركب على اثرهما من الغلمان جماعة « فان احسّوا واحسّنا على باب الحسن ما يريبنا رجعنا وفي ظهورنا من يمنع منّا » فرتّبا هذا الامر وركبا الى دار الحسن وكانت في القاهرة مما يلي الجبل فلما قربا من الباب بانت لهما شواهد ما أُخبرا بهِ فحذرا وعادا مسرعين وجرّد الغلمان الذين كانوا معهما سيوفهم

ودخلا الى قصر الحاكم يبكيان لديه ويستصرخان بهِ وثارت الفتنـة واجتمع الاتراك والديلم والمشارقة وعبيد الشرا بالسلاح على باب القصر وبرجوان يبكي ويقول لهم : يا عبيد مولانا احفظوا العزيز في ولده وارعوا فيه ما تقدّم من حقّهِ . وهم يبكون لبكايه وركب الحسن بن عمّار في كُتامة ومن انضاف اليهم من القبـايل وغيرهم وخرج الى الصحراء وتبعوه وتبعه وجوه البلد فصـار في عَدَدٍ كثيرٍ وفتح برجوان خزائن السلاح وفرّقهُ على الغلمان والرجال واحدقوا ومن معهم بالقصر من المشـارقة والعامّة (34ᵛ) بقصر الحاكم وعلى اعلاه الخدم والجواري يصرخون وبرز منجوتكين ومارحكس وينال الطويل وخمسمائة فـارس من الغلمان ووقعت الحرب بينهم وبين الحسن الى وقت الظُهر وحمل الغلمان عليهِ فانهزم وزحفت العامّة الى داره فانتهبوها وفتحوا خزائنه وتفرّقوا ما فيها والتجأ الحسن الى بعض العامَّة فاستتر عنده وتفرّق جميع من كان معه وفتح برجوان باب القصر واجلس الحاكم واوصل اليه الناس واخذ له بيعةً مُجدَّدَةً على الجند فما اختلف عليه احدٌ وكتب الامانات لوجوه كتامة وقوّاد الدولة وراسلهم بما تطيبُ بهِ نفوسهم من اقامة عُذرهم فيما كان منهم فحضرت الجماعة واعطت أَيمانها على السمع والطاعة . فاستقام الامر لبرجوان وكتب الكتب الى اشراف دمشق ووجوه اهلهـا ويأْمرهم بتطييب نفوسهم ويبعثهم على القيـام على القائد ابي تميم سليمان بن جعفر بن فلاح والايقاع بهِ وكتب الى مشارقة الاجناد بالاجتماع معهم على المذكور والاعانة لهم عليه

شرح اسباب ولاية القائد سليمان بن فلاح

المقدَّم ذكره لدمشق وما آلت اليه حاله وحال اخيه في ذلك في سنة ٣٨٧

قد تقدّم من شرح ولاية القائد المذكور لدمشق والسبب لذلك وما آلت الحال اليهِ ما في معرفتهِ الغنـاء والكفاية . ولما وردت المكاتبات من مصر عقيب انجلاء فتنة القائد ابي محمد الحسن بن عمَّار شيخ كتامة بتجديد البيعة للحـاكم بامر الله بما يطيّب قلوب اهل البلد ويبعثهم على الوثوب على سليمان وكان هذا القـائد المذكور مشهوراً بالكفاية والغناء وتوقّد اليقظة في احواله والمضـاء لكنه كان مستهترًا بشرب الراح واستماع الغناء والتوفّر على اللذة ولما وردت المطالعات المصريَّة بما اشتملت عليهِ في حقّهِ وهو مُنهمكٌ في لهوه لم يشعر الا بزحف العامَّة والمشارقة الى قصره وهجومهم عليهِ فخرج هاربًا على ظهر فرسه فنُهبت خزائنه وامواله وعُدَده واوقعوا من كان في البلد معهُ من

كُتـامة وقتلوا منهم عِدَّةً وافرةً وعادت الفتنة ثائرةً واقتسم الرؤساء الاحداث حال البلد . وكان يكتب لبرجوان فهد بن ابرهيم النصراني فلمّا صار الامر (35r) اليهِ استوزره وكان ابناء القبط بريف مصر واستكتب ابا الفتح احمد بن افلح على ديوان الرسايل. ولم يزل برجوان يتلطّف للحسن بن عمّار الى ان اخرجه من استتارهِ واعاده الى داره واجراه على رسمهِ في راتبه واقطاعاتهِ بعد ان شرط عليهِ اغلاق بابهِ والّا يداخل نفسه فيما كان يداخلها فيه ولا يشرع في فساد على الحاكم ولا على برجوان واخذ العهد عليه بذلك واستحلفه باوكد الأيمان وبالغ في التوثّق منه . وكان اهل صور في هذه السنة التي هي سنة ٨٧ قد عصوا وأمّروا عليهم رجلًا ملّاحًا من البحرية يعرف بالعــلّاقة وقتلوا اصحاب السلطان واتّفق ان المفرج بن دغفل قد نزل على الرملة ونهب ما كان في السواد واطلق يد العيث في البلاد وانضاف الى هاتين الحــادثتين خروج الدُوقس عظيم الروم في عسكر كثير الى الشام ونزوله على حصن افامية فاصطنع برجوان القائد جيش بن الصمصامة وقدّمهُ وجهّز معه الف رجل وسيّره الى دمشق واعمالها وبسط يده في الاموال وردّ اليه تدبير الاعمال فسار جيش ونزل على الرملة والوالي عليهــا وُحَيد الهلالي ومعهُ خمسة الف رجل ووافاه ولاة البلد وخدموه وصــادف القائد ابا تميم سليمان بن فلاح في الرملة فقبض عليهِ قبضًا جميلًا وندب ابا عبد الله الحسين بن ناصر الدولة وياقوت الخادم ومن معه من عبيد الشرا لقصد صور ومنازلتها وفتحها وكان قد وليَ جماعةً من الخدم السواحل وأُنفذوا اليها وانفــذ في البحر تقدير عشرين مركبًا من الحربيّة المشحونة بالرجــال الى ثغر صور وكتب الى علي بن حيدرة والي طرابلس بالمسير اليهِ في اصطولهِ والى ابن شيخ والي صيدا بمثل ذلك والى جماعةٍ من الجهات بحيث اجتمع الخلق الكثير على باب صور ووقعت الحرب بينها وبين اهلها واستجــار العلّاقة بملك الروم وكاتب يستنصرهُ ويستنجده وانفذ اليه عِدّة مراكب في البحر مشحونةً بالرجال المقاتلة والتقت هذه المراكب مراكب المسلمين فاقتتلوا في البحر قتالًا شديدًا فظفر المسلمون بالروم وملكوا مركبًا من مراكبهم وقتلوا من فيه وكانت عِدّتهم (35v) مــائة وخمسين رجلًا وانهزمت بقية المراكب فضعُفت نفوس اهل صور ولم يكن لهم طاقة بمن اجتمع عليهم من العساكر برًّا وبحرًا ونادى المغــاربة « من اراد الامان من اهل الستر والسلامة فليلزم منزله » فلزموا ذلك وفُتح البلد وأُسر العلّاقة وجماعة من اصحــابهِ ووقع النهب وأُخِذ من الاموال والرجال الشيء الكثير وكان هذا الفتح اوّل

فتح على يد برجوان الحاكمي وحُمل العلّاقة واصحابهُ الى مصر فسُلخَ حيًّا وصُلب بظاهر المنظر بعد ان حُشي جلده تبنًا وقُتل اصحابه . ووُلي ابو عبد الله الحسين بن ناصر الدولة ابن حمدان صور واقام بها وسار جيش بن الصمصامة على مقدّمتهِ بدر بن ربيعة لقصد المفرّج بن دغفل بن الجرّاح وطلبهُ فهرب بين يديه حتى لحق بجبلي طيء وتبعه حتى كاد ياخذه ثم رماه ابن جرّاح بنفسه وعجائز نسائه وعاذ منه بالصفح وطلب الامان فامنهُ وشرط عليه ما التزمهُ وعفا عنهُ جيش وكفَّ عنهُ واستحلفهُ على ما قرّره معه وعاد الى الرملة ورتّب فيها واليًا من قبلهِ وانكفأ الى دمشق طالبًا لعسكر الروم النازل على افامية . فلما وصل الى دمشق استقبلهُ اشرافها ورؤساء احداثها مُذعنين له بالطاعة فاقبل على رؤساء الاحداث واظهر لهم الجميل ونادى في البلد برفع الكُلَف واعتماد العدل والانصاف واباحة دم كل مغربي يتعرّض لفسادٍ فاجتمع اليه الرعيّة يشكرونهُ ويدعون له وسألوهُ دخول البلد والنزول فيهِ بينهم فاعلمهم انهُ قاصد الجهاد في الروم واقام ثلثة ايام وخلع على رؤساء الاحداث وحملهم ووصلهم ونزل حمص . ووصل اليه ابو الحسن عبد الواحد بن حيدرة في جند طرابلس والمتطوّعة من عامّتهـا وتوجّه الى الدوقس عظيم الروم النازل على حصن افامية فصارت اهله قد اشتدَّ بهم الحصار وبلغ منهم عدم الاقوات وانتهى امرهم الى اكل الجيف والكلاب وابتاع واحدٌ واحدًا بخمسة عشرين درهمًا . فنزل بازاء الروم وبينه وبينهم النهر المعروف بالمقلوب والتقى الفريقان وتنازعا الحرب والمسلمون في عشرة الف رجل ومعهم الف فارس من (36r) بني كلاب فحمل الروم على القلب وفيهِ بدر العطّار والديلم والسواد فكسروه ووضعوا السيف في من كان فيه وانهزمت الميسرة وفيها ميسور الصقلبي والي طرابلس ولحقتها الميمنة وفيها جيش بن محمد بن الصمصامة المقدَّم ووحيد الهلالي وركب الروم المسلمين وقتلوا منهم الفي رجلٍ واستولوا على سوادهم وسلاحهم وكراعهم ومال بنو كلابٍ على اكثر من ذلك فانتهبوه وثبت بشارة الاخشيدي في خمسمائة غلامٍ وشاهد اهل افامية من المسلمين ما نزل بالناس فايقنوا بالهلاك والعطب وابتهلوا الى الله الكريم اللطيف بعباده وسألوا الرحمة والنصر . وكان ملك الروم قد وقف على رابيه بين يديه ولدان له وعشرة نفرٍ من غلمانهِ ليشاهد ظفر عسكره واخذه ما ياخذه من الغنائم فقصده كردي يعرف بابي الحجر احمد بن الضحاك السليل على فرسٍ جوادٍ وعليهِ كذاغند وخوذة وبيدهِ اليمنى خشتٌ وباليسرى العنان وخشت اخر فظنهُ الدوقس مُستأمنًا له ومستجيرًا

به فلم يحفل بهِ ولا تحرّز منهُ فلمــا دنا منه حمل عليهِ والدوقس مُتحصّن بلأمتهِ فرفع يده ليتقي ما يرميه به فرماه بالزوبين الذي في يمناه رميةً اصابت خللًا في الدرع فوصل الى جسده وتمكّن منه في اضلاعهِ فسقط الى الارض ميتاً وصاح الناس « ان عدوّ الله قد قُتل » فانهزمت الروم وتراجع المسلمون وعــادت العرب ونزل من كان في الحصن فاعانوهم واستولى المسلمون على الروم فقتلوهم واسروهم وكانت الوقعة في مرج افيح يُطيفُ به جبل يُعرف بالمضيق لا يسلكه الّا رجل في اثر رجل ومن جانبه بحيرة افامية ونهر المقلوب فلم يكن للروم مهرب في الهزيمة وتصرّم النهار وقد احتُزّ من رووس القتلى عشرة الف راس وبات المسلمون مبيت المنصورين الغانمين المسرورين بمــا منحهم الله ايّاهم من الكفــاية ووهب لهم من الظفر . ووافى العرب من غدٍ بما نهبوه من دوابّ المسلمين عند الهزيمة ومنهم من ردّ ومنهم من باع بالثمن البخس لان جيش بن الصمصامة المقدّم نادى في معسكره بالّا يبتاع احد من العرب الّا ما عرفهٔ وكان ماخوذاً منه فلم (36 ˅) يجد الّا ما اخذه اصحابه . وحصل ولدا الدُوقس في اسر بعض المسلمين فابتاعهما جيش بن الصمصامة المقدَّم منه بستة الف دينار واخذهما اليه واقام على حصن افامية اسبوعاً وحمــل الى مصر عشرة الف راس والفي رجل من الاسرى الى باب انطاكية ونهب الرساتيق واحرق القرى وانصرف منكفياً الى دمشق . وقد عظمت هيبته فاستقبلهُ اشرافها ورؤساوهــا ولحداثها مُهنّئين وداعين له فتلقّاهم بالشماسية وزادهم من الكرامة وخلع عليهم (وعلى) وجوه الاحداث وحملهم على الخيل والبغال ووهب لهم الجواري والغلمان وعسكر بظاهر البلد وخاطبوه في الدخول والجواز في الاسواق وقد كانوا زينوهــا اظهاراً للسرور به والتقرّب اليه فلم يفعل وقال : «معي عسكرٌ وان دخلتُ دخلوا معي ولم امن ان يمدّوا ايديهم الى ما يثقل به الوطأة منهم . والتمس ان يخلوا له قريةً على باب دمشق تعرف ببيت لهيا ليكون نزوله بها فاجابوه الى ذلك

ولاية بشارة الاخشيدي القائد لدمشق

في سنة ٣٨٨ والسبب الداعي الى ذلك

وما آلت اليه الحال

لما تقرّر الحال بمصر مع برجوان الحاكمي على تجهيز جيش بن الصمصامة الى الشام لتلافي ما حدث فيه وتدبير الاعمــال وتسديد الاحوال والرفع لشرّ الروم الواصلين الى

اعماله اقتضت الحـال والسياسة ردّ ولاية دمشق بعد اخراج القائد ابي تميم سليمان بن جعفر بن فلاح منها على ما تقدّم الذكر له الى القائد بشارة الاخشيدي فسـار ووصل اليها ودخلها ونزل في قصر الوُلاة بها وشرع في البناء فيه على عادة الوُلاة في ذلك في يوم الاثنين النصف من شوّال سنة ٣٨٨ . وتوجه القائد بشارة الوالي المذكور مع جيش ابن الصمصامة الى الجهاد في الروم فلما اظفر الله بهم ونصر عليهم وانكفأ المسلمون منصورين ظافرين مسرورين وعاد بشارة الوالي في الجملة صادف الامر قد ورد من مصر بصرف القائد بشارة عن ولاية دمشق واقرارها على القائد جيش بن محمد (37[r]) ابن الصمصامة

شرح السبب في ذلك وما انتهت اليه حاله وكان ماله

قد تقدّم شرح السبب في اخراج القائد جيش في العسكر من مصر الى الشـام ما كفى واغنى وما كان منه في التدبير في افتتاح ثغر صور وكسر عسكر الروم والعود الى دمشق وصرف بشارة عن ولايتها . واتفق ذاك وقد قوّض الصيف خيامهُ وطوى بعد النشر اعلامهُ والشتاء قد اقبل بصرّه وهريرهِ وقرّة زمهريره فالتمس من اهل دمشق على ما تقدّم ذكره اخلاء بيت لهيا فأُجيب الى ما طلب فنزل فيها وشرع في التوفُّر على استعمال العدل ورفع الكُلَف واحسـان السيرة والمنع من الظُلم واشخص روّساء الاحداث وقدّمهم واستحجب جماعةً منهم وجعل يعمل لهم السُمَط في كل يوم يحضرهم للاكل عنده ويبالغ في تأنيسهم واستمالتهم بكل حالٍ . فلما مضت على ذلك بُرهة من الزمان احضر قوّاده ووجوه اصحـابه وتقدّم اليهم بالكون على اهبةٍ واستعدادٍ لما يُريد استخدامهم وتوقُّع لما يوصـل اليهم من رقاعه المختومة بخاتمه والعمل به . وقسم البلد وكتب الى كل قائد يذكر الموضع الذي يدخل فيه ويضع السيف في مُفسديه ثم رتب في حمام داره مائتي راجل من المغـاربة بالسيوف وتقدّم الى المعروف بالناهري العلوي وكان من خواصّه وثقاته بان يُراعي حضور روّساء الاحداث الطعـام فاذا اكلوا وقاموا الى المجلس الذي جرت عـادتهم بغسل ايديهم فيهِ اغلق عليهم بابه وامر من رتّب في الحمام بوضع السيف في اصحـابهم . وكان كل رجل منهم يدخل ومعه جماعة من الاحداث معهم السلاح وحضر القوم على رسمهم فبـادر جيش بالرقاع الى قوّاده وجلس معهم للاكل فلمـا فرغوا نهض فدخل في حجرته ونهضوا الى المجلس واغلق الفرّاشون بابه وكانت عِدّتهم اثني عشر رجـلًا يقدمهم المعروف بالدُهيقين وخرج من

بالحمام فوضعوا السيف في اصحابهم فقتلوهم باسرهم وكانوا تقدير مائتي رجل ؛ وركب القوّاد ودخلوا البلد وقتلوا فيه (37ᵛ) قتلًا ذريعاً وثلموا السور من كل جانب وفتحوا ابوابه ورموها وأنزل المغـاربة دور الدمشقيين وجرّد الى الغوطة والمرج قائدًا يعرف بنصرون وامره بوضع السيف في من بها من الاحداث فيقال انه قتل الف رجل منهم لانهم كانوا كثيرين . ودخل دمشق فطافها فاستغاث الناس وسالوا العفو والابقاء فكفّ عنهم ورتب اصحاب المصـالح في الحالّ والمواضع وعاد الى القصر في وقته فاستدعى الاشراف استدعاءً حسُن معه ظنّهم فيه فلمـا حضروا اخرج رؤساء الاحداث فضرب رقابهم بين ايديهم وامر بصلب كل واحد منهم في محلّته حتى اذا فرغ من ذلك قبض عليهم وحملهم الى مصر واخـذ اموالهم ونعمهم ووظّف على اهل البلد خمسمائة الف دينار . وجاءهُ امر الله تعـالى الذي لا يُدفع نازله ولا يُردّ واصله فهلك وكان سبب هلاكهِ ناسور خرج في سفلهِ ولم يزل يستغيث من الألم ويتمنى الموت ويطلب ان يقتل نفسه فلا يتمكّن ولا يُمكّن ويسئل في قتله فلا يُقتَل الى ان هلك على هذه الحال وكانت مدة هذه الولاية والفتنة تسعة شهورٍ وقيل ان عدّة من قتل من الاحداث ثلثة الف رجلٍ (١ وانتهى الخبر الى مصر بهلاكه فقُلّد ولده محمد بن جيش مكانه . وقد استقامت الامور بمصر والشـام واستمال برجوان المشارقة واستدعاهم من البلاد فاجتمع عنده منهم تقدير ثلثة الف رجل وكان يواصل النظر في قصر الحـاكم نهاره اجمع الى ان ينتصف الليلُ ويجاوز الإنتصاف ويوفي السياسة حقّها وبين يديه ابن ابي العلاء فهد بن ابرهيم مَن يمشّي الامور ويحسن تنفيذها . وراسل برجوان بسيل ملك الروم على لسان ابن ابي العلاء ودعاه الى المهادنة والموادعة وحمل اليهِ هدايا سلك فيها سبيل التألُّف والملاطفة فقابل بسيل ذلك منه باحسن قبولٍ وتقرّرت الموادعة عشر

---

١) وقال الذهبي في تاريخ الاسلام : قال ابن عساكر : حدثني الامام ابو الحسن بن المسلم عن بعض شيوخه ان ابا بكر بن الحربي الزاهد صادف احمالًا من الخمر لجيش فـأراقها عند بيت لهيا فأحضر بين يدي جيش فسأله عن اشياء من القران والحديث والفقه فوجده عالمًا بما ساله فنظر الى شاربه واظفاره فوجدها مقصوصة وامر من ينظر الى عانته فوجدها محلوقة فقال : اذهب فقد نجوت مني لم اجد ما احتجّ بهِ عليك . فلما بلغ جيش في مرضهِ ما بلغ من الجذام والقى مـا في بطنه حتّى كان يقول لاصحابه : اقتلوني اريحوني من الحياة . لشدّة ما كان يناله من الالم قال لاصحابه : رايتُ كانّ اهل دمشق كلهم رموني بالسهـام فاخطأوني غير رجل اصابني سهمه ولو سمّيته لعبده اهل دمشق . فكانوا يرون انه ابن الحربي اصابتهُ دعوتهُ . وعاش ابن الحربي بعده ستًّا واربعين سنة

سنين وانفذ بسيل في مقابلة الهدية ما جرت به عادة مثله . وصلحت الحال مع العرب واحسن الى بني قرّة والزمهم شرائط الطاعة وسيَّر عسكرًا الى برقة وطرابلس الغرب فاخذها وعوَّل في ولايتها على يانس الصقلبي . وكان لفرط اشفاقه على الحاكم يمنعهُ من الركوب في غير وقت ركوبه والعطاء لغير (38^r) مستحقّه وفعل وذلك يفعلهُ من باب السياسة والحفظ لنفسهِ وهيبته وماله وهو يُسرّ ذلك في نفسه انهُ من الاساءة اليه والتضييق عليه . وكان مع الحاكم خادم يُعرف بزيدان (١ الصقلبي وقد خصَّ بهِ وانس اليه في شكوى ما يشكوه من برجوان اليه واطّلاعه على ما يسرّه في نفسه له وزاد زيدان في الحمل عليه والاغراء به وقال له فيما قال : ان برجوان يريد ان يجري نفسه مجرى كافور الاخشيدي ويجريك مجرى ولد الاخشيدي في الحجر عليك والاخذ على يدك والصواب ان تقتله وتُدبّر امرك منفردًا بهِ . فقال له الحاكم : اذا كان هذا رأيك والصواب عندك فاريد منك المساعدة عليه . فبذلها له فلما كان في بعض ايّام شهور سنة ٣٨٩ اشار زيدان على الحاكم بان ينفذ الى برجوان في وقت الظهر بعد انصرافه الى داره وتفرُّق الناس عنه للركوب الى الصيد وان يقف له في البستان الذي داخل القصر فاذا حضر امر بقتله فارسل اليه بالركوب وقال : اريد ان تُرتب الخدم في جانبي البستان فاني اقف على بابه وانت بين يدي فاذا حضر برجوان دخلت البستان وتبعني وكنتُ في اثره فاذا نظرتُ اليك فاضربه بالسكين في ظهره وواقف الخدم ان يضعوا عليه . فبينما هما في الحديث اذ دخل برجوان فقال للحاكم : يا امير المؤمنين الحرّ شديد والبزاة في مثلهِ لا تصيد . فقال : صدقت ولكنا ندخل البستان ونطوف فيه ساعةً ونخرج . وانفذ برجوان الى شكر وكان قد ركب بان يسير مع الموكب الى المقس والمقس ظاهر القاهرة ويقف عند القنطرة « فان مولانا يخرج من البستان ويتبعك » ففعل ودخل الحاكم البستان وبرجوان خلفه وزيدان بعده وكان برجوان خادماً ابيض اللون تامّ الخلقة فبدره زيدان فضربه بين اكتافهِ بسكين اطلعها من صدره فقال : يا مولانا غدرتَ . فصاح الحاكم : يا عبيد خذوا راسه . وتكاثر الخدم عليه فقتلوه وخرج الخدم الكبار مسرعين

---

١) وفي تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي في ترجمة برجوان سنة ٣٩٠ هو ريدان ويقال ان الحاكم قتلهُ في سنة ٣٩٣ وفي حاشية « كتب المصنّف « زيدان » بالزاي المنقوطة ولا شك انهُ بالراء المهملة واليهِ تنسب الريدانيّة . وفي الخطط للمقريزي ان الريدانية هي بُستان لريدان الصقلبي الذي قتله الحاكم في السنة المذكورة وان صحراء الاهليلج هي من جملة بُستان ريدان

على ظهور الخيل الى الجانب وبغال الموكب والجوارح فردّوا جميعها فقال لهم شكر : ما السبب في ذلك ! فلم يجيبوه فجاء الناس من هذا الحادث ما لم يكن في الحساب وعاد شكر بالموكب وشهر (38v) الجند سيوفهم وهم لا يعلمون ما الخبر غير انهم خائفون على الحاكم من حيلة تتمّ عليه من الحسن بن عمّار ورجع اكثرهم الى دورهم فلبسوا سلاحهم ووافوا الى باب القصر وتميّز المغاربة والمشارقة واحدق شكر ومن معه من الاتراك والمشارقة القصر وعلا على شرف القصر الخدم في ايديهم السيوف والتراس وعظُم الامر واجتمع القوّاد وشيوخ الدولة وابو العلاء الوزير على باب القصر الزمرّد. فلما راى الحاكم زيادة الاختلاط ظهر من منظرةٍ على الباب وسلّم على الناس فترجّلوا عن دوابّهم الى الارض وقبلوها بين يديه وضُربت البوقات والطبول وفتح باب القصر واستدعى اصحاب الرسايل وسلّمت اليهم رقعة قد كتبها الحاكم بيدهِ الى شكر واكابر القوّاد يقول فيها : انني انكرتُ على برجوان امورًا اوجبت قتله فقتلته فالزموا الطاعة وحافظوا على ما فيها في رقابكم من البيعة المـاخوذة. فلما قُرئت عليهم قبّلوا الارض وقالوا : الامر لمولانا . واستدعى الحسين بن جوهر وكان من شيوخ الدولة فامره بصرف الناس فصرفهم وعاد الحاكم الى قصره وكلّ من القوّاد الى دارهِ والنفوس خائفـة من فتنةٍ تحدث بين المشارقة والمغاربة وشاع قتل برجوان وركب مسعود الحاكمي الى داره فقبض على جميع ما فيهـا من امواله . وجلس الحاكم وقت العشـاء الاخير واستدعى الحسين بن جوهر وابا العلاء بن فهد بن ابرهيم الوزير وتقدّم اليه باحضـار سائر كُتّاب الدواوين والاعمال ففعل وحضروا واوصلهم اليه وقال لهم : ان هذا فهـدًا كان امسِ كاتب برجوان عبدي وهو اليوم وزيري فاسمعوا لهُ واطيعوا ووفوه شروطهُ في التقدّم عليكم وتوفّروا على مراعاة الاعمال وحراسة الاموال. وقبّل فهد الارض وقبلوها وقالوا : السمع والطاعة لمولانا . وقال لفهد : انا حامدٌ لك وراضٍ عنك وهولاء الكتاب خدمي فاعرف حقوقهم واجمل معاملتهم واحفظ حُرمتهم وزِد في واجب من يستحقّ الزيادة بكفايته وامـانته . وتقدّم بان يكتب الى سائر وُلاة البلاد والاعمال بالسبب الواجب لقتل برجوان. فكتب بما نسخته بعد التصدير وما جرت العادة (39r) بمثله في الخطاب : اما بعد فـان برجوان ارضى امير المؤمنين حينًا فاستعمله ثم اسخطه فقتله واعلمك امير المؤمنين ذلك لتعلمه وتجري على سنَنك الحميد في خدمتهِ ومذهبك الرشيد في طاعته ومُناصحته وتسديد ما قبلك من الامور وطالعهُ بما يتجدّد لديك من احوال الجمهور

ان شاء الله . ونُفذت الكتُب بذاك واستقــامت الاحوال على سنن الصواب وزال ما خيف من الاختلال والاضراب

ولاية القايد تميم بن اسمعيل المغربي

الملقَّب بفحل لدمشق سنه ٣٩٠

لما هلك جيش بن محمد بن الصمصامة على ما تقدّم الشرح فيه عقيب اغراقه في الظلم وايغاله في سفك الدماء والجور وكان هلاكه في يوم الاحد لتسع خلون من شهر ربيع الاخر سنة ٣٩٠ وكانت مدَّة ولايته التي هلك فيهــا على ما صحّ في هذه الرواية دون ما تقدَّم ذكره ستة عشر شهرًا وستَّة عشر يوماً وانتهى الخبر الى مصر بذاك وقع الارتياد لمن يختار لولايتها بعد المذكور فوقع الاختيــار على القائد تميم بن اسمعيل المغربي الملقَّب بفحل فوصل اليها واقام بها وامر ونهى وبقي شهورًا من سنة ٣٩٠ وعرضت له علّة هلك بها ومضى لحال سبيله فلمــا انتهى خبر وفاته الى مصر وقع الاعتماد في ولايته على القائد علي بن جعفر بن فلاح وقد كان وليها دفعةً اولةً

شرح ذالك

وصل القائد علي ابن جعفر بن فلاح الى دمشق والياً عليها دفعةً ثانية فنزل عليهــا في يوم السبت لليلتين بقيتا من شوّال سنة ٣٩٠ واقام مدَّةً يتولَّى امرها ويدبّر احوالها على عادة الوُلاة الّا انهُ لم يبسط يده في مالٍ ولا تعرّض لشيءٍ من استغلالٍ ثم اقتضت الآراء بمصر ان يُصرف عنها ويُبدل بغيره في ولايتها

ولاية القائد ختكين الداعي

المعروف بالضيف في سنة ٣٩٢

وصل القائد ختكين الداعي المعروف بالضيف الى دمشق والياً عليهــا من قبل الحاكم بامر الله في شهر رمضان من السنة فدبَّر امورها ونظر في احوال اجنادهــا . واقتضى رايه ان ينقّص واجبات الاجناد ويدافع باعطياتهم ويغالطهم ويظهر امرًا من التوفير فلم يتمكَّن (39v) من بلوغ مرامٍ ولا نيل املٍ واتّفق ان يكون القائد علي بن فلاح المقدَّم ذكره مقيماً في عسكره في الشماسيَّة بظاهر دمشق فلما طلبت الاجنــاد ارزاقها منه قال لهم: ليس اليَّ من امر ارزاقكم شيءٌ . فكان على تدبير المال واطلاق

الارزاق رجل من الكُتّاب نصراني يقال له ابن عبدون فشغب الجند في العسكر فثاروا يريدون ابن عبدون فلحقوا ختكين الوالي في الطريق فنهاهم من ابن عبدون وشتمهم وكان رجلًا جاهلًا احمق فرجع اليه قوم من الجند فسألوه فلم يجب الى ما يوافق اغراضهم ويسكن شغبهم فثارت الفرسان والرجالة الى دور الكُتّاب فانتهبوا ما كان فيها ونهبوا ما كان في الكنائس واجتمع بعد ذلك جماعة من المشارقة والمغاربة فتحالفوا على ان يكونوا يدًا واحدةً في طلب الارزاق والمنع ممّن عساه يطالبهم بما فعلوه وحلف لهم القائد علي بن فلاح على كونه منهم وشده معهم وانتهى الامر في ذلك الى الحاكم فقال: هذا قد عصى وخرج عن مشكور السياسة . وامر بصرفه عن الولاية والاستبدال به وكتب اليه بذلك فرحل عنها بنفرٍ يسيرٍ من اصحابه في شوّال من السنة المذكورة وبقي العسكر في دمشق. فاقتضى الراي الحاكمي ردَّ ولاية دمشق الى رجل اسود بربري يقال له القائد طِزِملت بن بكّار

ولاية القائد طِزملة (١ بن بكّار البربري لدمشق

في بقية سنة ٣٩٦

وصل القائد طزملت المذكور الى دمشق واليًا عليها من قبل الحاكم بامر الله في يوم الاحد لست بقين من ذي القعدة من السنة وكان هذا طزملت عبدًا لابن وفوي والي القيروان فولاه طرابلس الغرب فجار على اهلها وظلمهم واخذ اموالهم فحصل لهُ منهم مـالٌ عظيمٌ فلمّا انتهى خبر ظلمـه الى مولاه طلبه والتمس إشخاصه الى القيروان تكشف الامر فخافه وانهزم اشفاقًا على نفسه وماله ووصل الى مصر وحمل بعض ما كان معه الى الحـاكم فتمكّنت حاله عنده وتأثلت منزلته منه وولّاه دمشق فاقام واليًا عليها الى المحرّم سنة ٣٩٤ فصُرف عنها بخادم من خدم الحضرة يقال له القائد مفلح اللحياني وسنشرح حـاله في غير هذا المكان. كان في سنة ٣٩٣ قد اجتمع في مصر ابو ظاهر محمود بن محمد النحوي (40ᵛ) وكان من اهل بغداد وطرا الى مصر (واليـه ديوان

---

١) قال الذهبي في تاريخ الاسلام ان في ربيع الاخر من سنة ٣٩٣ امر نائب دمشق تمصولت الاسود الحاكمي بمغربيٍ فطيف به على حمار ونودي عليهِ: هذا جزاء من يحبُّ ابا بكر وعمر. ثم امر بهِ فأُخرج الى الرملة فضُرب عنقهُ هناك رضي الله عنهُ ولا رضي من قاتلهِ

الحجاز) (و) المعروف بابن العدّاس المصري (واليه ديوان الخراج) على الرفع على ابي العلاء فهد بن ابرهيم الوزير والسعاية به الى الحاكم وعملا عملًا بمـا اقتطعه وارتفق به واشتمل ذلك على جملةٍ كبيرةٍ من المال ولقيا الحاكم بالعمـل ووقفاه عليه وبذلا لهُ القيام بالامر وتوفير ستة الف دينار في كل سنة فكان فهد ياخذها لنفسه فقال لهما: انا اقبض عليه واقلّدكما النظر فيما كان ينظر فيه . فقالا : لا يتمّ امر ولا يمشي لنـا عمـل وفهد حيّ مامول الخروج من محبسه والعود الى امرهِ سيما وكل من بمصر والشام من الوُلاة والعمّال صنـائع برجوان وقد جرى اصطناعه اياهم على يده . فامتنع عليهما من قبله وكره قتله وقال لهما : ما له اليَّ ذنب فاقتله به ! وراجعاه القول والحّا عليه فيه فقال : اذا فعلتُ ما ارتقاه فمـا التوثقة فيما بذلتماه ؟ قالا : ان نكتب خطّنا لك باننا نكفيك امورك ونقوم بتمشيتهـا على مُرادك ونقيم لك وجه المال الذي ضمنّاً استخراجه لك وتوفيره من الاعمال . قال : فأيكما يخرج الى الشام ؟ قالا : عبدك ابن النحوي ويقيم ابن العدّاس بحضرتك . فقرّر ذلك معهما واخذ به خطّهما . وكان من عادة الحاكم ان يطوف ليلًا بمصر والقاهرة وقد منع التجار وارباب الدكاكين ان يغلقوا دكاكينهم او ينصرفوا عنها الى منـازلهم حتى صار الليل نهارًا في معاملاتهم (و) من اشعال السرج والشمع واضاءة المحالّ والاسواق تقرّبًا اليه ويطلق لهم المعونة الكثيرة على ذلك ويقف على دكاكينهم ويجتـاز بينهم ولا يقدر احد ان يقوم له او يقبّل الارض بين يديه فلما عاد في تلك الليلة سحرًا من طوفهِ امر مسعودًا السيفي بان يمضي الى فهد بن ابرهيم الوزير يستدعيه فـاذا دخل بحجره ضرب عنقه واحضر راسه وان يقبض على ابي غالب اخيه وكان شريرًا مُبغضاً واليه ديوان النفقات فمضى ووجد فهدًا في الحمّام فانتظره حتى خرج ثم استركبه واشعره انه يراد بخير واتزعج اولاده واهله وساءت ظنونهم فيه ووصل مسعود الى باب الزهومة وهو باب من ابواب القصر فعدل به الى محجبّة العطب فلما راى فهدٌ ذلك احسّ (40v) بالهلاك فصاح واستغاث وبكى ولاذ بالعفو وبكى الناس لما شاهدوه من حاله وعرفوه من الامر الذي يُراد به وادخله مسعود الى الحجرة فاقسم عليه فهد ان يُراجع الحاكم في بابه وبذل له الف دينار وتوفير مثلها فقال لهُ مسعود : لا سبيل الى المراجعة بعد ما أُمرتُ به . وضرب عنقهُ واخذ راسه وحملهُ الى حضرة الحاكم فلما شاهده امره ان يُخرج راس كل من يقتلهُ من وجوه الدولة الى قائد القوّاد فلمـا رآه اسقط مغشيًا عليه وعاد مسعود

ليقبض على ابي غالب اخيه فوجده قد هرب فأُعلم الحاكم ذلك فامر بطلبه حتى ظفر به بعد شهر وغيّر حليتهُ وحلق لحيته فالحقه باخيه . واحضر اولاد فهد فخلع عليهم وكتب لهم سجلاً بصياناتهم وحماية دورهم وازالة الاعتراض عنهم وعن اسبابهم . ونظر ابن العدّاس في الاعمال وشرع في تهذيب الامور وتوفير الاموال وتوجّه ابن النحوي الى الشام على القاعدة المقرّرة مع الحاكم وكان قد عدَّ ما يحتاج اليه من آلة السفر والتجمّل واستكثر من ذلك وتناهى فيه وهابه الناس وتجنّبوه ووصل اوّلًا الى الرملة فقبض على العمّال والمتصرّفين فيها وعسفهم والزمهم بمائتي الف دينار ووضع السوط والعصا في المطالبة وبثّ اصحابهُ ونوّابهُ الى دمشق وطبريّة والسواحل بعد ان واقفهم على اخذ العمّال والمتصرّفين في الاعمال ومُصادرتهم وخبط الشام وعسف من فيه بطلب المال . وكان في جُملة العمّال رجل نصراني يتعلّق بخدمة ست الملك اخت الحاكم ولهُ منها رعاية موءكّدة فكتب اليها يستصرخ بها ويشكو ما نزل بالناس من البلاء اليها وما شمل الشام واهله من ابن النحوي وما بسط فيه من الظلم والعسف والجور ممّا لم يجر بمثلهِ عادة في قديم الازمان ولا حديثها فلما وصل الكتاب اليها ووقفت عليه دخلت على الحاكم وكان يُشاورها في الامور ويعمل برايها ولا يخالف مشورةً لها فعرضت عليه ما تضمّنه الكتاب من الشكوى وقالت : يا امير المؤمنين قد ظهر كذب ابن النحوي وابن العدّاس واعمالهما الحيلة على فهدٍ وقتلهِ مساعدةً للحسين بن جوهرٍ وقد افسد البلاد عليك واوحش الناس منك فان كنتَ يا امير المؤمنين (41r) تُريد اخذ اموال عبيدك فكل يبذلها لك طوعًا ويحملها الى خزائنك تبرُّعًا بعد ان يكونوا تحت ظلّ الصيانة وفي كنف الحياطة هذا ولم تجر عادات ابائك اطلاق المصادرات . فانكر الحاكم انه لم يسمح لاحدٍ منهما في ذلك وكتب الى وحيد والي الرملة سرًّا وكان الحاكم يكتم السرّ شديدًا : بسم الله الرحمن الرحيم يا وُحيد سلمك الله ساعةَ وقوفك على هذا الكتاب اقبض على محمود بن محمد.لا حمد الله امره وسيّره مع من يُوصله من ثقاتك الى الباب العزيز ان شاء الله . فلما وقفت اخته على التوقيع قالت : يا امير المؤمنين ومَن هذا الكلب حتى ترفع من شانهَ بحمله الى حضرتك وبطن الارض اولى به . فاخذ الكتاب وزاد فيه : بل تضرب عنقه وتنفذ راسه . وختم الكتاب ثلثة ختوم واحضر سعيد بن غياثٍ صاحب البريد ودفعه اليه فبادر به من وقته ومسافة ما بين القاهرة والرملة مائة فرسخٍ وكانت النوبة تُوافيها في الساعة الثالثة من اليوم الثالث ووصل الكتاب الى وُحيد وكان عادته الى

ابن النحوي دائماً وربّما اوصله او حجبه فلما وقف على الكتاب قال لدُرّي غلامه الناظر في المعونة وكان ارمنيًا فظًا غليظاً : اركب الى محمود (وكان مخيّماً بظاهر الرملة) واستأذن عليه فاذا اوصلك فابلغه سلامي واسئله الركوب اليّ لاقرئه على ما ورد من حضرة السلطان فان قال لك « لم تجرِ بذلك عادته » فقل : كذا أُمِرتُ فيما ورد. فمضى دُرّي اليه وبين يديه جماعة كثيرة من الرجال حتى وافى عسكر محمودٍ واستأذن عليه ودخل اليه وقال له ما قاله وُحيد الوالي فقال له : لم تجر بذلك العادة فيما تسومُنيه وفي غدٍ نجتمع . فاجابه بما قال لهُ وحيد فلما سمعه ضعفت نفسه وسآء ظنّه ولم يمكنه مخالفته فركب في موكبه وتوجّه الى دار وُحيد وصار الى وُحيد من اعلمه ركوبه فتقدّم الى بعض حجّابه وصاحب الخبر برملة بان يتلقّياه فاذا لقياه انزلاه عن دابّته وضربا عنقه واخذا راسه ففعلا ما امرهما وحين وصل سوق البزّ صادفاه وانزلاه بعد تمنّعه فاوقعا به وقطعا راسه وحملاه الى وُحيد فاحضر القاضي والشهود وكتب محضرًا بان الراس راسُ محمودٍ وصيرّه وانفذه مع المحضر الى صاحب البريد فاسرع (41[٧]) به الى مصر وقبض على اصحابه واسبابه وامواله وكراعه . وسرّ الناس بهلاكه وتباشروا بما كُفوه من شرّه ووصل الراس الى الحاكم فاحضر ست الملك فاراها اياه فدعت له وشكرته على ما كان منه وامر مسعود بان ياخذ ابن العدّاس من بين يدي قائد القوّاد الحسين بن جوهر فتُضرب عنقه بحضرته وياخذ راسه ويضيفه الى الراس ففعل فلما اجتمع الراسان بين يديه امره ان يخرجهما الى قائد القوّاد فاخرجهما اليه فلما شاهدهما جزع جزعاً شديدًا ثم استدعاه الحاكم وسكن منه وامرهُ ان يستنيب ابا الفتح احمد بن محمد بن افلح على النظر في الامور فاقام في النظر سنة ونصفاً ثم قُتل وأُقيم مقامه يحيى بن الحسين بن سلامة النصراني . وكثر الكلام على قائد القوّاد والوقائع فيه فشكر الحاكم عليه وتغيّر له وهمّ بالايقاع به وصرفه عن الوزارة وعوّل فيما كان اليه على علي بن صالح بن علي الروذباري ولقبه بثقة الثقات وردّ اليه السيف والقلم فنظر في الامور ودبّر الاعمال وحفظ وجوه المال والاستغلال تقدير سنتين ثم تغيرّ له وتأوّل عليه وقتله وقلّد مكانه المعروف بمنصور بن عبدون . وكان رجلًا نصرانيًا خبيثاً جلدًا وبينه وبين ابي القاسم الحسين ابن علي بن المغربي ووالده ابي الحسين عليّ عداوة قديمة ومساعاة ووقائع متّصلة لأن ابا القاسم صُرف به عن ديوان السواد فواصل ابو القاسم الوقيعة فيه والكلام عليه وعلى الكتّاب النصارى الى ان قبض على جماعتهم فلما حصلوا في القبض امر الحاكم بان يضرب

كل واحد منهم خمسمائة سوطٍ فان مات رمي به الى الكلاب وان عاش أُعيد ضربه الى ان يموت فبذل منهم جماعة مــالًا عظيمًا على ان يستبقوا فلم يقبل منهم واستمرت الشحناء بينهم

ولاية القائد ابي صالحٍ مفلح اللحياني المقدَّم ذكره

وشرح الحال في ذلك لدمشق سنة ٣٩٤

وصل القائد ابو صالح مفلح الخادم المعروف باللحياني الى دمشق واليًا عليها في المحرم سنة ٣٩٤ فتولى امرها وامر ونهى في اهلها وكان القائد طزملت المصروف عنها قد برز الى داريًّا فلم يلبث الّا قليلًا واعتلَّ فيها علَّةً قضى نحبه فيها في يوم الاثنين الثاني من صفر من السنة واقام القائد ابو صالح واليًا عليها وسائسًا لامورِ اهلها (42r) والاحوال مستقيمةٌ على نهج الصواب والسداد وقضيّة المراد الى ان صُرف بالقائد حامد بن ملهم وسياتي شرح ذلك في موضعه. وقيل ان منصور بن عبدون الناظر في الدواوين بمصر لم يزل بنو المغربي المقدَّم ذكرهم مستمرين على الوقيعة فيه والتضريب بالسعاية عليه وافساد راي الحاكم فيه وهو يعتمد فيهم مثل ذلك ويغريهِ بهم ويحمله على قتلهم حتى تقدَّم الى جعفر الصقلبي وكان قد قام مقام مسعودٍ السيفي في القتل ان يحضر عليًا ومحمَّدًا ابني المغربي ويدخلهما الحجرة ويضرب اعناقهما ففعل ذلك ثم امره ان يحضر ابا القاسم الحسين بن علي المغربي واخويه ويقتلهم فامّا الاخوان فانهما أُخذا بعد ثلثة ايام وقُتلا وامّا اخوهما ابو القاسم الحسين بن علي فاستتر واعمل الحيلة في النجاة وهرب مع بعض العرب وحصل بحِلّة حسَّان بن المفرج بن دغفل بن الجرّاح فاستجار فاجاره وانشده عند دخوله عليه واعانه ممَّن يطلبه منه ما يستنهض عزيمته فيه من الاجارة له والذبّ عنهُ والمراماة دونه:

امَّا وَقَد خَيَّمتُ وَسْطَ الغَابِ ... فليَقسُونَّ عَلَىَ الزَّمانِ عِتَابِي
يتَرَنَّم الفُولَاذُ دُونَ مُخَيَّمِي ... وترَعزَعَ الخِرصَانُ دُونَ قِبَابِي
وَاذَا بنيتُ عَلَىَ الثنيّةِ خيمةً ... شُدَّت الى كِسَرِ القَنَا اطنَابِي
وَتقُومُ دُونِي فِتيَةٌ مِن طيِّئٍ ... لَم تَلتَبِس اثوَابُهم بالعَابِ
يتنَاثَرُونَ على الصَّرِيخ كَأَنَّهُم ... يُدعونَ نَحو غَنَائِمٍ وَنِهَابِ
مِن كلِ اهرَتَ يرتَمِي حملَاقه ... بالجمرِ يومَ تَسَايفٍ وضِرَابِ

يَهديهم حسّانُ يحمل بَزَّهُ ... جرداء تُعليه جناح عُقابِ
يجري الحياء على اسِرّةِ وجهه ... جَزيَ الفرندِ بصارِمٍ قضّابِ
كرمٌ يشقُّ على التِلادِ وعزمةٌ ... يغتال بادِرَها الهزبر الضّابي
ولقد نظرتُ اليك يابن مُفرّج ... في منظرٍ مِلْ الزمان عُجابِ
والموتُ مُلتفُّ الذوائب بالقنا ... والحربُ سافِرةٌ بغير نِقابِ
فرايتُ وجهك مثلَ سيفك ضاحكاً ... والذعرُ يلبس اوجُهاً بتُرابِ
(42ᵛ) ورايتُ بيتك للضيوف مُمهّدا ... فسح الظِلالِ مُرفّعَ الابوابِ
يا طيّ الخيراتِ بين خلالكم ... امن الشريدِ وهمّة الطلّابِ
سمكت خيامُكم باسنِمةِ الرُبا ... مرفوعةً للطّارق المتنابِ
وتدلُّ ضيفكم عليكم انورٌ ... شُبّتْ باجذالٍ قُهِرنَ صِعابِ
متبرّجاتٌ باليفاعِ وبعضُهم ... بالجزعِ يكفُرُ ضوءهُ بحجابِ
كلأتكمُ ممن يُعادي هيبةٌ ... اغنتكمُ عن رقبةٍ وجنابِ
فيسيرُ جيشكم بغير طليعةٍ ... ويبيتُ حيّكمُ بغير كلابِ
تتهيّبونَ وليس فيكم هائبٌ ... وتوثّبونَ على الرّدي الوثّابِ
ولكم اذا اختصم الوشيجُ لباقةٌ ... بالطعن فوق لباقة الكتّابِ
فالرمحُ ما لم ترسلوهُ اخطلٌ ... والسيفُ ما لم تعملوه نابِ
يا معنُ قد اقررتم عينَ العلي ... بي مُذ وصاتُ بحبلكم اسبابي
جاورتكم فلاُتمّ عيني الكرى ... وجوانحي بغرائب الاطرابِ
من بعدِ ذُعرٍ كان احفزَ اضلعي ... حتى لضاقَ بهِ عليَّ اهابي
ووجدتُ جارَ ابي الندى متحكماً ... حُكم العزيز على الذليل الكابي
فليهنهِ مِنَن على مُتنزّهٍ ... لسوى مواهب ذي المعارج آبِ
قد كانَ من حكم الصنائع شامساً ... فاقتاده بصنيعةٍ من عابِ
فلأنظمنَّ له عقودَ محامدي ... تبقى جواهرها على الاحقابِ
لا جادَ غيركم الربيعُ ولا مرَت ... غُزرُ اللقاحِ لغيركم بحلابِ
انا ذاكرُ الرجلِ المندد ذِكرهُ ... كالطودِ حُلّي جيدُه بشهابِ
ولقد رجوتُ ولليالي دولةٌ ... اني اجازيكم بخير ثوابِ

فلمّا سمع حسّان بن الجرّاح هذه الابيات هشّ لها وجدّد القول له بما سكن

جاشه وازال استيحاشه . وهـذا ابو القاسم الحسين بن علي المغربي كان ذا علم وافرٍ وادبٍ ظاهرٍ وبلاغةٍ وذكاء وصناعةٍ مشهورةٍ في الكتابة ومضاء فاقام عنده ما اقام محترمًا (43r) مكرّمًا وجرى له مـا يذكر في موضعه ثم رحل الى ناحية العراق وتقدّم هناك في الايام القادريّة ووزر للامير قرواش امير بني عقيل ووزر لابن مروان صاحب ديار بكرٍ وكان مستقلًا بصناعتي الكتابة والانشائيّة والحسابية وحين مرض واشفي وصى بحمل تابوته الى الكوفة ودفنه في المشهد بها وفُعل به ذلك (١ . ثم تغيّر الحاكم لمنصور بن عبدون فنكبه وقتله وقلّد مكانه زُرعة بن نسطورس الوزير ولقبه بالشـافي وذلك في سنة ٣٩٧ ووردت الاخبار بالوقعة الكائنة بين الفضل صاحب الحاكم وبين ابي ركوة الخارج عليه وظفر الفضـل به واخذه وحمله الى القاهرة وشهره بها وقتله فيها . وقيل ان ابا ركوة لقب عليه بركوةٍ كانت معه في اسفاره على مذهب الصوفيّة واسمه الوليد أُمويّ من اولاد هشام بن عبد الملك بن مروان ولنوبته في ذلك شرح يطول الّا ان ابا ركوة هذا لما انهزم في الوقعة قصد صاحب النوبة وتردّد من الحاكم اليه بسبب مراسلات الى

---

١) قـال الذهبي في تاريخ الاسلام : في هذه الحدود (يعني سنة ٤٠٢) هرب من الديار المصرية ناظر ديوان الزمان بها وهو الوزير ابو القاسم الحسين بن علي المغربي حين قتل الحاكم اباه وعمهُ وبقي إلبًا على الحاكم يسعى في زوال دولتهِ بما استطاع فحصل عند المفرّج بن جرّاح الطائي امير عرب الشام وحسّن لهُ الخروج على الحاكم وقتل صاحب جيشهِ فقتلهُ كما ذكرنا سنة ٤٠١ ثم قال ابو قاسم لحسّان ولد المفرّج بن جرّاح : ان الحسن بن جعفر العلويّ صـاحب مكة لا مطعن في نسبهِ والصواب ان تنصبهُ امامًا . فاجابهُ ومضى ابو القاسم الى مكة واجتمع باميرها واطمعهُ في الامامة وسهل عليهِ الامور وبايعهُ وجوّز اخذ مال الكعبة وضربهُ دراهم واخذ اموالًا من رجل يُعرف بالمطوعي عنده ودائع كثيرة للناس واتفق موت المطوعي فاستولى على الاموال وتلقب بالراشد بالله واستخلف نائبًا على مكة وسار الى الشام فتلقّاه المفرج وابنهُ وامراء العرب وسلموا عليهِ بـامرة المؤمنين وكان متقلّدًا سيفًا زعم انهُ ذو الفقار وكان في يده قضيب ذكر انهُ قضيب النبي صلعم وحولهُ جماعة العلويين وفي خدمتهِ الف عبد فنزل الرملة واقام العدل واستفحل امره فراسل الحاكم ابنَ الجرّاح وبعث اليه اموالًا استمالهُ بها واحسّ الراشد بالله بذلك فقـال لابن المغربي : غررتني واوقعتني في ايدي العرب وانا راضٍ من الغنيمة بالاياب والامان . وركب الى المفرّج بن جرّاح وقال : قد فارقت نعمتي وكشفت القناع في عداوة الحاكم سكونًا الى ذمامك وثقةً بقولك واعتمادًا على عهودك وارى ولدك حسّانًا قد اصلح امره مع الحاكم واريد العود الى مأمني . فسيّره المفرّج الى وادي القرى وسيّر ابا القاسم بن المغربي الى العراق فقصد ابو القـاسم فخر الملك ابا علي (ابا غالب) فتوهّموا فيه انه يفسد الدولة العباسيّة فتسحّب الى الموصل ونفق على قرواش ثم عاد الى بغداد

ان انفذه اليهِ مع اصحابه وانفذ معه صاحباً لهُ بهـدايا الى الحاكم وتسلّم ابا ركوة اخو الفضل وحمله الى اخيهِ الفضل فسار وكان الفضل يقبّل يد ابي ركوة ويعظّمه تأنيساً لئلا يقتل نفسه قبل ايصاله وانزلهُ في مضاربه واخدمه نفسـه واصحابه وكتب الحاكم بخبر حصوله ووصوله. وكان الفضل يدخل عليهِ في غداة كل يوم الى خركاة قد ضُربت لهُ في خيمه ويصبحه ويقبّل يده ويقول لهُ: كيف مولاي؟ فيقول: بخـير يا فضل احسن الله جزاك. ويحضره شراباً فيشرب بين يديهِ ثم يُناولهُ اياه ويفعل مثل ذلك في طعامه الى ان وصل الى الجيزة. فلما حصل بها راسلهُ الحاكم بان يعبر هو والعسكر الذي معهُ وينزل على راس الجسر ويصل هو الى القاهرة ففعل ذلك وكان لا يمشي خطوات الّا وقد تلقتهُ الخدم بالتشريف والحملان وهو ينزل عن فرسه ويقبّل الارض ويعود الى ركوبه ولم يزل على هذه الحال الى ان وصـل الى القصر ودخل الى القصر على الحاكم فخدمه ودعا لهُ وشرح حاله الى ان ظفر بالعدوّ وخرج بعد ذلك الى داره. وتقدّم وجوه القوّاد وشيوخ الدولة بالمصير الى ابي ركوة ومشاهدته وقـال (43[٧]) ان الحاكم قد مضى من غد ذلك اليوم وقد رسم ان يُشهر ويطاف بهِ في مصر. واتّفق دخول القـائد ختكين الداعي وكان قديماً صاحب دواة الملك عضد الدولة فسلّم عليـهِ وقال لهُ: ألك حاجة الى امير المؤمنين؟ فقـال لهُ: من انت؟ قال: فلان. قال: عرفتُ حالك وسدادك وأُريد ان توصل لي رقعة الى امير المؤمنين. فقال: اكتبْها وهاتهـا. فاستدعى ابو ركوة دواةً من اصحاب الفضل ودرجاً وكتب فيهِ: يا امير المؤمنين ان الذنوب عظيمة والدماء حرامٌ ما لم يحلّها سخطُك وقد احسنتَ واسأتُ وما ظلمتُ الا نفسي وسوء عملي أوبقني وانا اقول

فررت ولم يُغنِ الفرار ومن يكن ... مع الله لا يعجزه في الارض هاربُ
ووالله ما كان الفرار لحاجةٍ ... سوى جزع الموت الذي انا شاربُ
وقد قادني جُرمي اليـك برُمّتي ... كما اخرّ ميتاً في رَحا الموت سالبُ
واجمعَ كُلُّ الناس انك قاتلي ... ويا ربَّ ظنّ ربُّهُ فيـهِ كاذبُ
وما هوَ الا الانتقـام تُريدُهُ ... فاخذُك منـهُ واجباً لك واجبُ

فمضى ختكين الى الحسين بن جوهر فعرّفهُ ما جرى واعطاه الرقعة فوقف عليهـا الحاكم. ثم رُكّبَ جملًا وعليهِ طرطور وخلفه قردٌ معلّمٌ يصفعـه بالدرّة وكان الحاكم قد جلس في منظرةٍ على باب من ابواب القصر يُعرف بباب الذهب فلما وُقف بهِ استغاث وصاح بطلب العفو فتقدّم الى مسعود السيفي بان يخرجه الى ظاهر القاهرة ويضرب عنقه

على تلّ بازاء مسجد زيدان فلما حُمل هناك وأُنزل وُجد ميتاً فقطع رأسه وحمله الى الحاكم حتى شاهده وامر بصلب جثته . وكان الفضل قد قطع رؤوس من قُتل في الوقعة فقيل انها كانت ثلثين الف راس فلما شُهرت عُبّيت في السلال وسُيّرت مع خدم شهروها في الشام حتى انتهوا بها الى الرحبة ثم رُميت في الفرات . وقدّم الحاكم الفضلَ واقطعهُ وبالغ في اكرامه الى ان عاده في علّةٍ عرضت لهُ دفعتين فاستعظم الناس فعله معه فلما عُوفي عَمِلَ عليهِ وقتلهُ

ولاية القائد حامد بن ملهم

المذكور اولًا في سنة ٣٩٩

(44r) وصل القائد حامد بن ملهم الى دمشق والياً عليها لستّ بقين من رجب من السنة وقد كان القائد علي بن جعفر بن فلاح مستولياً على الجند نافذ الامر في البلد فورد كتاب عزله في يوم الجمعة النصف من شهر رمضان من السنة وكانت مدّة مقامهِ في الولاية الى انصرافه ومسيره سنة واحدة واربعة اشهر ونصف شهر . ثم تولّى الامر بعده القائد ابو عبد الله ابن نزال فدخل الى دمشق وقُرئ سجلّه على منبر المسجد الجامع واقام المدّة اليسيرة ثم وافاه كتاب العزل في يوم الاحد رابع عشر شهر رمضان سنة ٤٠٠ فعُزل وولّي غلام القائد منير فاقام المدّة اليسيرة ثم اتاه كتاب العزل فعُزل وولّي القائد مظفر في يوم الاثنين اوّل شهر ربيع الاول سنة ٤٠١ فاقام في الولاية ستة اشهر وتسعة ايام ثم عُزل وولّي مكانه القائد بدر العطّار فاقام في الولاية شهرين وعشرة ايام وعُزل وولّي القائد لؤلؤ ولُقّب منتجب الدولة وتولّى الامر في يوم الاحد لسبع خلون من جمادى الاخرة سنة ٤٠١ ونزل في بيت لهيا وانتقل منها الى الدكّة ثم الى مرج الاشعريين فاقام فيهِ اياماً ودخل القصر في الليل فلما اصبح دخل البلد وقُرئ سجلّ ولايته على منبر الجامع ووافى كتاب عزله فعُزل وانصرف . وقيل في اخبار الحاكم بامر الله انهُ امر في سنة ٣٩٨ بهدم بيعة القُمامة في بيت المقدس وهي بيعة عند النصارى جليلة في نفوسهم يعظمونها والسبب في ذلك ما اتّصل بهِ من هدم الكنائس والبيع بمصر والشام والزم اهل الذمّة الغيار ما قيل ان العادة جارية جاريةً بخروج النصارى بمصر في كل سنة في الغيارات الى بيت المقدس بحضور فِصحهم في بيعة قمامة فخرجوا في سنة ٣٩٨ على رسمهم في ذلك متظاهرين بالتجمّل الكبير على مثل حال الحاجّ في خروجهم فسأل

الحاكم ختكين العضدي الداعي وهو بين يديه عن امر النصارى في قصدهم هذه البيعة وما يعتقدونهُ فيها واستوصفهُ صفتها وما يدَّعونهُ لها وكان ختكين يعرف امرها بكثرة ترددِه الى الشام وتكرّره في الرسائل عن الحاكم الى (44ᵛ) ولاتها فقال: هذه بيعة تقرب من المسجد الاقصى تُعظّمها النصارى افضل تعظيم وتحجّ اليها عند فصحهم من كل البلاد وربما صار اليها ملوك الروم وكبراء البطارقة متنكّرين ويحملون اليها الاموال الجمّة والثياب والستور والفروش ويصوغون لها القناديل والصلبان والاواني من الذهب والفضّة وقد اجتمع فيها من ذالك على قديم الزمان وحديثه الشيْ العظيم قدر ما لمختلفة اصنافه فاذا حضروا يوم الفصح فيها واظهروا مطرانهم ونصبوا صلبانهم واقاموا صلواتهم ونواميسهم فهذا الذي يدخل في عقولهم ويوقع الشبهة في قلوبهم ويعلّقون القناديل في بيت المذبح ويحتالون في ايصال النار اليها بدهن البلسان والته ومن طبيعته حدوث النار فيهِ مع دهن الزنبق ولهُ ضياء ساطع وإزهار لامع يحتالون بحيلة يعملونها بين كل قنديل وما يليه حديدًا ممدودًا كهيئة الخيط مُتّصلًا من واحد الى الاخر ويطلونهُ بدهن البلسان طليًا يخفونهُ من الابصار حتى يسري الخيط الى جميع القناديل فاذا صلّوا وحان وقت النزول فُتح باب المذبح وعندهم ان مهد عيسى عليهِ السلام فيهِ وانهُ عُرِج بهِ الى السماء منهُ ودخلوا واشعلوا الشموع الكثيرة واجتمع في البيت من انفاس الخلق الكثير ما يحمي منهُ الموضع ويتوصّل بعض القوّام الى ان يُقرب النار من الخيط فيعلق بهِ وينتقل بين القناديل من واحد الى واحد ويشعل الكل ويقدّره من يشاهد ذلك ان النار قد نزلت من السماء فاشتعلت تلك القناديل. فلما سمع الحاكم هذا الشرح استدعى بشر بن سور كاتب الانشاء وامره بان يكتب كتابًا الى والي الرملة والى احمد ابن يعقوب الداعي بقصد بيت المقدس واستصحاب الاشراف والقضاة والشهود ووجوه البلد وينزلا على بيت المقدس وقصد بيعة قمامة وفتحها ونهبها واخذ كل ما فيها ونقضها وتعفية اثرها فاذا نجز الامر في ذلك يعملانه محضرًا وفيهِ الخطوط وينفذانه الى حضرته.

ووصل الكتاب اليهما فتوجّها للعمل بما مثل اليهما وقد كانت النصارى بمصر عرفوا ما تقدّم في هذا الباب فبادروا الى بطرك البيعة واعلموه الحال وانذروه وحذّروه فاستظهر باخراج ما كان فيها من الفضة والذهب والجواهر والثياب ووصل بعد ذلك اصحاب الحاكم (45ʳ) فاحاطوا بها وامروا بنهبها واخذوا من الباقي الموجود ما عظم قدره وهُدمت ابنيتها وقُلعت حجرًا حجرًا وكُتب بذلك المحضر وكُتبت الخطوط فيهِ كما

رُسم وأُنفذ الى الحاكم (١ وشاع هذا الخبر بمصر فسُرّ المسلمون بهِ ودعوا للحاكم دعاء كبيرًا على ما فعله ورفع اصحاب الاخبار اليهِ ما الناس من هــذه الحال عليهِ ففرح بذلك وتقدَّم بهدم ما يكون في الاعمال من البيــع والكنائس. ثم حدث من الامور والانكار لمثل هذه الاعمال والاشفاق على الجوامع والمساجد والمشاهد في سائر الجهات والاعمال من هدمها والقصد بمثل العمل لها فوقف الامر في هذا العزم

(١ وقال سبط ابن الجوزي: سكنتُ في البيت المقدس عشر سنين وكنتُ ادخل الى القيامة في يوم فصحهم وغيره وبحثتُ عن اشعال القناديل في يوم الاحد عيد النور وفي وسط القمام قُبَّة فيها قبر يعتقد النصارى ان المسيح عليه السلام لمَّا صُلب دفن فيه ثم ارتفع الى السماء فاذا كان ليلة السبت في السحر دخلوا الى هذه القبة فغسلوا قناديلهــا ولهم فيها طاقات مدفونة في الرُخام وفي الطاقات قناديل قد اوقدوها من السحر وللقبَّــة شبابيك فاذا كان وقت الظهر اجتمع اهل دين النصرانيَّة وجاء الاقسَّاء فدخلوا القبَّة وطاف النصارى من وقت الظهر حولها يتوقَّعون نزول النور فاذا قارب غروب الشمس تقول الاقسَّاء «ان المسيح ساخط عليكم» فيضجّون ويبكون ويرمون على القبر الذهب والفضَّة والثياب فتحصــل جملة كثيرة ويردّد القسيس هذا القول وهم يبكون ويضجّون ويرمون ما معهم فاذا غربت الشمس اظلم المكان فيغافلها بعض الاقسَّاء ويفتح طاقة من زاوية القبَّة بحيث لا يراه احد ويوقد شمعة من بعض القناديل ويصيح: قد نزل النور ورضي المسيح. وتخرج الشمعة من بعض الشبابيك فيضجّون ضجَّة عظيمة ويوقدون الفوانيس ويحملون هذه النار الى عكا وصور وجميع بلد الافرنج حتَّى رومية والجزائر وقسطنطينية وغيرها تعظيمًا لها. وحدَّثني جماعة من المجاورين بالقدس قالوا: لمَّا فتح صلاح الدين رحمهُ الله القدس وجاء يوم الفصح جاء بنفسه فدخل القبَّة وقال: اريد اشاهد نزول النور. فقال لهُ البطرك: تريد ان يضيع عليــك وعلينا اموالًا عظيمة بقعودك عندنا فان اردت المال فقُم ودعنــا. فقام فما بلغ باب القبَّة حتَّى صاحوا: نزل النور. فقال بعض الحاضرين: لقــد زعم القسيس انَّ إلهه ينزل نورًا بكرة اليوم او غد فان كان نورًا فهو نور ورحمة وان كان نارًا احرقت كل معبدي يقربها القسيس من شعر ذقنهِ فان لم يحرقها والَّا اقطعوا يدي. وحدَّثني جماعة من اصحاب صلاح الدين رحمه الله انهُ عزم لما اخذ الفرنج عكاء على ان يخرب قمامة ويعفي اثارها وقال: يحضر البطرك والاقسَّاء والنصــارى ويحفر مكان القبر حتى يطلع الماء ويُرمى التراب في البحر ويقول «هذا تراب قبر الحكم» لتنقطع اطماعهم عن زيارته ويستريح منهم. فقال لهُ اعيان دولته: ان أطماعهم لا تنقطع جدًا وليس مرادهم مكان القبر انما هم يعتقــدون في نفس القدس وقمامة عندهم افضل من غيرها وربما اخربوا الجامع الذي بالقسطنطينية والمساجد التي في بلادهم وقتلوا من عندهم من المسلمين ثم انهم انما يصانعونك على القدس لاجل قمامة فاذا فعلت هذا زال ما يصالحونك لاجله ثم تبطل عليــك اموال عظيمة فتنضرّ وهم لا ينضرُّون. فسكت عن خرابها

ولاية الامير وجيه الدولة ابي المطاع

من حمدان لدمشق بالامر الحاكمي

وصل الامير وجيه الدولة ابو المطاع بن حمدان المعروف بذي القرنين الى دمشق واليًا عليها في يوم الجمعة عيد النحر من سنة ٤٠١ فصلّى بالناس القائد لؤلؤ الوالي العيد وصلّى بهم الجمعة الامير وجيه الدولة وانصرف القائد لؤلؤ عن الولاية فكانت مدّة اقامته فيها ستّة اشهر وثلثة ايام وقُرئ سجلّ الولاية على المنبر واقام المدّة التي اقامها ووصل القائد بدر العطّار الى دمشق واليًا على الغوطتين والشرطة وجبل سنير وعُزل عنها وجيه الدولة بن حمدان في يوم الجمعة لسبع خلون من جمادى الاولى من السنة فاقام فيها مُدَيدةً ووصل القائد ابو عبد الله بن نزال عقيب وصوله الى دمشق واليًا عليها ونزل في المزّة ودخل القصر في يوم الاحد لاحدى عشرة ليلةً خلت من جمادى الاولى من السنة فدامت ولايته الى ان ورد كتاب عزله عنها وسار منها في يوم الثلثاء سلخ ذي الحجة سنة ٤٠٦ فكانت مدّة ولايته ثلث سنين وثمانية اشهر وعشرين يومًا.

ووصل الامير شهم الدولة شاتكين الى دمشق واليًا عليها في يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة ٤٠٧ واقام ما اقام في الولاية ووصل القائد يوسف بن ياروخ وهو ابن زوجة الامير شاتكين الوالي الى دمشق واليًا عليها وقُرئ (45v) سجلّه بالولاية في ذي القعدة من السنة وسار شَهْمُ الدولة شاتكين الوالي الى مصر لثمان خلون من جمادى الاخرة سنة ٤٠٨ ووصل الامير سديد الدولة ابو منصور والي دمشق واليًا عليها في يوم الاحد لخمس بقين من ذي القعدة سنة ٤٠٨ فنزل المزّة ودخل القصر في غد ذلك اليوم فما شعر الّا وكتاب العزل قد وافاه يوم الاحد لخمس خلون من ربيع الاخر من سنة ٤٠٩ فبرز من يومهِ الى المزّة وسار من غدهِ ووصل كتاب ولي عهد المسلمين عبد الرحمن بن الياس اخي الحاكم الى القائد بدر العطّار في يوم السبت لليلة خلت من جمادى الاولى سنة ٤١٠ يأمره بضبط البلد ووصل بعد ذلك ابو القاسم عبد الرحمن وقيل عبد الرحيم ولي عهد المسلمين ابن الياس بن احمد بن العزيز بالله الى دمشق في يوم الثلثاء لخمس بقين من جمادى الاولى سنة ٤١٠ فنزل في المزّة فاحسن تلقّيهِ وبولغ في اكرامه والاعظام له والسرور بمقدمه وكان ذلك له يومًا مشهودًا موصوفًا ودخل القصر في يوم الاثنين مستهل رجب فاقام فيهِ الى يوم الاحد لثمان بقين من شهر ربيع الاول سنة ٤١١

فلم يشعر الّا وقوم قد جُرّدوا اليهِ من مصر فهجموا عليهِ وقتلوا جماعةً من اصحابه وساروا بهِ في يوم الجمعة لثلث بقين من شهر ربيع الاول وعاد بعد ذلك الى دمشق في رجب سنة ٤١٢ ونزل في القصر. واكثر الناس في التعجّب من اختلاف الاراء في تدبير هذه الولايات وتنقّل الاغراض والاهواء فيها ولم يشعروا وهم يتعجبون من هذه الاحوال واستمرار الاختلال الّا وقد وصل من مصر المعروف بابن داود المغربي على نجيب مسرع ومعه جماعة من الخدم في يوم الاحد في يوم عَرَفة بسجلّ الى ولي عهد المسلمين المذكور ودخلوا عليهِ القصر وجرى بينهُ وبينهم كلامٌ طويلٌ الّا انّهم اخرجوه من القصر وضُرب وجهه واصبح الناس في يوم العيد لم يصلّوا صلاة العيد في المصلّى ولا في الجامع ولا خطب خطيبٌ وساروا بولي العهد في اليوم المذكور الى مصر (١ فزاد عجب الناس وحاروا فيما هم فيهِ وتشاكوا ما ينزل بهم من الاحوال المضطربة (46r) والاعمال المختلفة. فوصل الامير وجيه الدولة ابو المطاع بن حمدان الى دمشق والياً عليها دفعةً ثانيةً بعد اولى وكان اديباً فاضلًا شاعرًا سامياً مُدبّرًا في يوم السبت لستّ خلون من جمادى الاخرة سنة ٤١٢ فاقام في الولاية مُدَّة. ووصل الامير شهاب الدولة شحتكين الى دمشق والياً عليها في يوم الثلثاء لسبع خلون من رجب من ذي القعدة سنة ٤١٤ فكانت

---

١) قال الذهبي في ترجمته: انهُ رخّص الناس فيما كان الحاكم نهاهم عنه واظهر المنكر والاغاني والخمور فاحبّه احداث البلد ولكن ابغضهُ الاخيار لبخله وكاتبوا فيه الى الحاكم وحذّروا من خروجه ووقع الشرُّ بين الجند والاحداث بسببه وازداد البلاء ووقع الحرب بدمشق والنهب والحريق الى ان طُلب من مصر فسار على راس عشرة اشهر من ولايته. ثم رجع اليها بعد اربعة اشهر وقد غلب على دمشق محمد بن ابي طالب الجزّار والتفّ عليه الاحداث وحاربوا الجند فقهروهم فراسله ولي العهد ولاطفه فلم يطعه فتوثّب الجند ليلةً على محمد بن ابي طالب وقبضوا عليه وصلبوه ودخل ولي العهد وتمكّن فاخذ في مصادرة الرعيّة وبالغ فابغضوه. فجاءهم موت الحاكم فقام ابنه الظاهر ثم جاء كتاب الظاهر الى الامراء بالقبض على ولي العهد فقيّدوه وسُجن الى ان مات فقيل انه قتل نفسه بسكّين في الحبس. وقد جرت فتنة يوم القبض عليه وكان يوم عيد النحر فلم يصلّ صلاة العيد ولا خطب لاحد البتّة. وقال ايضاً: قد عمل شاعرٌ في مصادرته لاهل دمشق هذه القصيدة:

تقضّى اوان الحرب والطعن والضربِ وجاء اوان الوزن والصفع والضربِ
اضحت دمشق في مصابٍ واهلها لهم خبرٌ قد سار في الشرق والغربِ
حريق وجوع دائمٌ ومذلّةٌ وخوفٌ فقد حُقّ البكاء مع الندبِ
واضحت تلالًا قد تمحّت رسومها كبعض ديار الكفر بالخسف والقلبِ

ولايته سنتين واربعة اشهر ويومين . ووصــل الامير وجيه الدولة ابو المطاع بن حمدان الى دمشق والياً عليها دفعةً ثالثةً في يوم الاربعاء لسبع خلون من شهر ربيع الاول سنة ٤١٥ فاقام في الولاية ما اقام مع اختــلاف الاحوال الى ان تقرّرت الولاية لامير الجيوش التزبري في سنة ٤١٩

ولاية امير الجيوش التزبري الجيلي

لدمشق في سنة ٤١٩ وشرح حاله

وابتداء امره والسبب في توليته وذكر شيء من اخباره الى انتهــاء مدّته بحكم عنّزه عن الولاة المذكورين بالشجاعة والشهامة وحسن السياسة واجمال السير والنَّصَفة في العسكرية والرعية وحماية الاعمال بهيبته المشهورة وفطنته المشكورة وتشتيت شمــل اولي الفساد من الاعراب واستقامة الامور بايالتــه على قضيَّة الايثار والمراد . هو الامير المظفَّر امير الجيوش عُدّة الامام سيف الخلافة عضد الدولة شرف المعــالي ابو منصور انوشتكين مولده ما وراء النهر في بلد الترك في البلد المعروف بختل وسُبي منهُ وحُمل الى كاشغر وهرب الى بخارا ومُلك بها وحُمل الى بغداد ثم الى دمشق وكان شتيم الوجه بيّن التركيَّة وكان وصوله سنة ٤٠٠ فاشتراه القائد تزبر بن اونيم الديلمي وكان ندبه لحماية املاكه وصونها من الاذى فكفاه ذلك بشهامته وصرامته فاشتهر بذلك امره وشــاع ذكره وسُئل مولاه ان يهديه للامام الحاكم بامر الله وقيل بل وصله الامر بحمله فحمل في جملة غلمان في سنة ٤٠٣ (46ᵛ) فاستُطرف من بينهم وجُعل في الحُجرة فقهر من بها من الغلمان وطال عليهم باليقظــة والذكاء وجعل يلقّب كل غلام بما يليق به فشكوه الى المتولّي فضربه وتزايد امره فأُخرج منها في سنة ٤٠٥ ولزم الخدمة وجعل يتقرّب الى الخاصّ والعامّ بكل ما يجد السبيل اليه من التودُّد والاكرام لما يريد الله تعالى من اسعاد جدّه واظهار سعده فارتضى الحاكم مذهبه في الخــدمة وزاد في واجبه وقوّده وسيّره مع سديد الدولة ذي الكفايتين الضيف في العسكر الى الشام في سنــة ٤٠٦ ودخل الى البلد دمشق ولقي مولاه القائد دزبر فترجّل له وقبّل يده وصــار يتودّد الى الكبير والصغير ونزل في دار حَيُّوس بحضرة زقاق عطّــاف ثم عاد الى مصر وجُرّد الى الريف في السيَّارة ثم عاد الى مصر ولزم الخدمة بالحضرة ولزم بعلبك والياً عليهــا وحسُنت حاله فيها وانتشر ذكره بها وصادق ولاة الاطراف وكاتب عزيز الدولة فاتّكا

والي حلب وهاداه ولُقِّب منتجب الدولة وورد الامر عليهِ بالمسير الى الحضرة فلما بلغ العريش وصله النجاب بالسجلّ بولاية قيسارية والامر بالعود اليها فشقّ ذلك عليهِ وقال : انقل من ولاية بعلبك الى ولاية قيسارية . وكان من حسن سياسته فيها وجميل عشرته لاهليها وحمايته لها ما ذاع بهِ ذكره وحسن بهِ صيته وكثر شكره . وورد الخبر بقتل فاتك والي حلب سنة ٤١٢ قتله غلام لهُ هنديٌّ قد ربّاه واصطفاه وتوثّق بهِ واجتباه (كذا) وهو نائم عقيب سكره بسيفه وعمل فيه شاعِرُهُ المعروف بفضل بن سعد قصيدةً رثاه بها وذكر فيها من بعض اباتها

لحامهِ المقضيّ ربّي عبدهُ ولنحرهِ المفري حُدَّ حسامهُ (١

وكتب الى مجتنب الدولة بالمسير الى الحضرة فوصلها ووُلّي فلسطين ووصل اليها في يوم الثلثاء من المحرم سنة ٤١٤ وبلغ حسّان بن مفرج بن الجرّاح خبره فقلق لهُ وتخوّفه ثم علا ذكره وظهر امره وكثرت عِدّته وعُدّته وقويت شوكته وجرت لهُ وقائع مع العرب يستظهر فيها عليهم ويثخن فيهم فكبر بذلك شأنه ثم حُسد وسُعي فيه الى الحضرة وكوتب الوزير حسن بن صالح في بابه بامرٍ قرّره حسّان (47ʳ) بن مفرج بن

١) وقال هلال ابن الصابي : وكان على حلب عند هلاك الحاكم عزيز الدولة فاتك الوحيدي وقد استفحل امره وعظم شأنه وحدّث نفسه بالعصيان فلاطفته ستّ الملك وراسلته وآنسته وبعث اليهِ بالخلع والخيل بمراكب الذهب وغيرها ولم تزل تعمل الحيلة حتّى افسدت غلامًا لهُ يقال لهُ بدر وكان مالك امره وغلمانه تحت يده وبذلت لهُ العطايا الجزيلة على الفتك بهِ ووعدته ان تولّيه مكانه . وكان لفاتك غلام هندي جواه فاستغواه بدر وقال : قد عرفتُ من مولاك مللًا لك وتغيّرَ نيّة فيك وعزم على قتلك ودافعتُه دفعات وانا اخاف عليك . ثم تركه اياماً ووهب لهُ دنانير ثم اظهر لهُ المحبة وقال : ان علم بنا الامير قتلنا . فقال الهندي : فما افعل . فاستحلفه وتوثّق منهُ وقال : ان قبلت ما اقول اعطيتُك مالًا واعطيتُك وعشنا جميعًا في طيب عيش . قال : فما تريد . قال : تقتلهُ وتستريح منهُ . فاجابه فقال : الليلة يشرب وانا اسقيه واميل عليه فاذا سكر فاقتلهُ . وجلس فاتك على الشرب فلما قام الى مرقده حمل الهندي سيفه وكان ماضياً فلما دخل في اللحاف (وبدر على باب المجلس واقفٌ) فاما ثقل في نومهِ غمز بدر الهنديَّ فضربه بالسيف فقطع رأسه . فصاح بدر واستدعى الغلمان واقرّهم بقتل الهندي فقتلوه واستولى بدر على القلعة وما فيها . وكتب الى اخت الحاكم فاظهرت الوجد على فاتك وشكرت بدرًا على ما كان منهُ في حفظ الخزائن وبعث لهُ بالخلع ووهبت لهُ جميع ما خلف مولاه وقلّدته موضعه . ونظرت في الامور بعد قتل الحاكم اربع سنين اعادت الملك فيها الى غضارته وعمرت الخزائن بالاموال واصطنعت الرجال ثم اعتلّت علّة لحقها فيها ذرب فتوفّيت

وقال الذهبي : ماتت ست الملك اخت الحاكم التي قتلت الحاكم سنه ٤١٥

الجرّاح ونُسب اليه كل قبيح ومُحال فاستؤذن في القبض عليه فأُذن في ذلك فقُبض عليه بعسقلان بحيلةٍ دُبرت لهُ في سنة ٤١٧ وسأل فيه سعد السعداء فأُجيب سؤاله لجلالة مكانه وأُطلق من الاعتقال ووصل الى الحضرة وحسنت حاله وظهرت هيبته وظهرت هيئة اقطاعه وغلمانه ودوابّه وهو مع ذلك ينفذ رُسله الى الشام وسائر الاعمال وتأتيه بالاخبار ويُطالع بها فكثر تعجب الوزير من يقظته ومضاء همته وعزيمته . وكانت العرب بعده قد استولت على الاعمال وافسدت الشام وملك حسّان املاك المُلاَّك واتّفق الخلف الجاري بين ارباب الدولة عقيب وفاة الحاكم وترافع القوّاد والولاة الى ان تقرّرت الحال على صرف الوزير وتقليد الوزارة لنجيب الدولة علي بن احمد الجرجرائي (١ فنظر في الاعمال وهذّب ما كان مستوليًا عليها من الاضاعة والاهمال. واقتضت الاراء وصواب التدبير تجريد العساكر المصرية الى الشام ووقع الاختيار في ذلك على الامير منتجب الدولة فاستدعاه الوزير علي بن احمد الجرجرائي وقال لهُ: ما تحتاج اليه لخروجك الى الشام ودمشق. فقال: فرسي البرذعيّة وخيمة استظلّ بها. فعجب الوزير من مقاله واستعاد فرسه المذكورة من سعيد السعداء وردّها اليه واطلق له خمسة الاف دينار واصحبه صدقة بن يوسف الفلاحي ناظرًا في الاموال ونفقة الرجال وجُرّدت العساكر معه ولُقِّب بالامير مظفر منتجب الدولة وخُلع عليه وخرج الى مُخيَّمه وحَمَلَهُ من جُرّد معه سبعة الف فارس وراجل سوى العرب وسار في ذي القعدة .... وودّعه الامام الظاهر لاعزاز دين الله وعيّد بالرملة عيد النحر وسار الى بيت المقدس وجمع العساكر وقصد صالح بن مرداس وحسّان بن مفرج وجموع العرب عند معرفته بتجميعهم ووقع اللقاء في الأُقحوانة والتقى الفريقان فهزمت جموع العرب واخذتهم السيوف وتحكمت فيهم . وكان صالح ابن مرداس على فرسه المشهور فوقف بهِ من كدّ الهزيمة ولم ينهض به فلحقه رجل من العرب يُعرف بطريف من فزارة فضربه بالسيف في راسه وكان مكشوفًا (47v) فصاح ووقع ولم يعرفه وتمّ في طلب فرسه فمرّ به رجلٌ من البادية فعرفه فقطع راسه وعاد يرقص به فلقيه الامير عزّ الدولة رافع فاخذه منه وجاء به الى الامير المظفر فلمّا رآه نزل عن فرسه وسجد لله شكرًا على ما اولاه من الظفر وركب واخذه بيده وجعله على ركبته واطلق للزبيدي الذي جاء به الف دينار ولعز الدولة رافع خمسة الاف دينار واطلق لطريف الذي ضربه بالسيف فرسه وجوشنه والف دينار واخذ الغلمان الاتراك الذين

١) قال الذهبي انهُ وُلي الوزارة سنة ٤١٥

لصالح لنفسه واحسن اليهم وتقدَّم بجمع الرؤوس وانفذ جثة صالح الى صيدا لتُصلب على بابها واوصل راسه الى الحضرة وخلع على الواصلين به واعيدوا ومعهم الخلع وزيادة الالقاب للامير المنتجب وقُرئ سجلّه عليه وصار يكاتب ويخاطب بالامير المظفَّر سيف الامام وعدّة الخلافة مصطفى الملك منتجب الدولة. وقال فيه الامير ابو القينان محمد ابن سلطان بن محمد بن حيُّوش من قصيدة امتدحه بها :

فكم ليلةٍ نامَ عني الرقيب ونبّهني القمرُ المرتقبْ
جمعت بها بين ماء الغمام وماء الرضاب وماء العنبْ
لجود المظفَّر سيف الامام وعُدتهِ المصطفى المنتجبْ

ولما توجَّه عقيب ذلك الى حلب ونزل عليها ظفر بشبل الدولة نصر بن صالح وكان قد انهزم ولحقه رجلٌ فرماه بخشت في كتفه فانفذه ووقع عن فرسه ومرّ به احد الاتراك فقطع راسه وسلَّمه الى رافع وانفذ من يسلّم جثّته الى حماة فصُلبت على الحصن وامر امير الجيوش بعد ذلك بانفاذ ثياب وطيب وتكفين الجثة في تابوت ودفنها في المسجد وبقيت فيه الى سنة ٤٣٩ ونقلها مقلّد بن كامل لمّا ملك حماة الى قلعة حلب. وانفذ الراس والتركي والبدوي مع الشريف الزيدي الى الحضرة في نصف شعبان سنة ٤٢٩ (١ وعاد امير الجيوش الى دمشق ونزل في القصر واقام فيها ما اقام وسار منها

١) وقال هلال بن الصابي : في هذه السنة يعني العشرين بعد الاربعمائة جهَّز صاحب مصر جيشاً مع القائد انوشتكين الدزبري التركي امير الجيوش لقتال صالح (وهو صالح بن مرداس اسد الدولة ويعرف بابن الزوقلية) وحسان بن المفرج بن الجرَّاح وكانا قد جمعا واستوليا على الاعمال وانتهيا الى غزّة فلما بلغهما خبر الدزبري انصرفا من بين يديه وتبعهما الى الاقحوانة اسفل عقبة فيق واقتتلوا فانهزم حسان بن المفرّج وقُتل صالح وابنه الاصغر وبعث الدزبري برأس صالح الى مصر وافلت نصر بن صالح الاكبر الى حلب . واستولى الدزبري على الشام ونزل دمشق وكتب الى صاحب مصر كتاباً مضمونه : الى سيدنا ومولانا ويوضح للعلوم الشريفة انهُ كان قد عُرف اصطناع الدولة لآل الجراح ومقابلتهم احسانها بسوء الاجتراح وكان اخلقهم بالشكر لما اوليه حسان واحقهم بالكف عن الاساءة اذ لم يكن منهُ في الطاعة احسان ولكن أبى الّا طبعه اللئيم ومعتقده الذميم وكم لهُ من غدرة في الدين واضحة ورثة في اموال المستضعفين قارحة واما صالح بن مرداس زعيم بني كلاب فانه اتّفق مع حسان مُدلاً بجده وحديده محلّنا على الدولة بعد احسانها اليه بعدّه وعديده فتوامرا على الفساد وتوازرا على العناد ونهب البلاد وكان صالح اشدّهما كفرًا واعظمهما امرًا ومكرًا ووافى الملعونان الاقحوانة الصغرى عند شاطئ نهر الاردن ووقعت الحرب واشتدت

الى حلب ونزل على السعدي وفُتحت لهُ ابواب البـلد ودخله واحسن الى اهله وردّ ما كان صالح اغتصبه مَن الاملاك الى اربابها وامر بقتال القلعة فقوتلت وهو قائم.ٌ وراساه مُقلّد بن كامل المقيم بها وسلّمها اليه واقطعه (48r) عدّة مواضع وسكن في دار عزيز الدولة وتزوّج بنت الامير منصور بن زُغيب ووصله السجلّ من الحضرة باقطـاعه حلب وعاد الى دمشق وشرع في عمارة الدار بالقصر . ثم بلغه عن الوزير علي بن احمد الجرجرائي وعن الظاهر ما اوجب الاستيحاش منه والنفور عنه فعزم على العود الى حلب فظهر له من اجناده ما انكره فهمّوا بالقيام عليه فسار من القصر بعد ان امر

بالطعن والضرب فانهزم حسان مفلولًا والعافية للمتقين وَمَن أَصدَقُ مِنَ الله قيلًا (١ واما الخائن صالح فلم يزل يواصل الحملات حتى أتعس الله جدّه واخذ سيف الله منه حدّه فخرّ صريعاً قد ارهق الله نفسه واخذت مفرسه وغنم المجاهدون سيفه وفرسه وقد نُفذ الى الحضرة راسه وقُتـل عامة اصحابه ممّن كفر النعمة وفجر ولم يُقتل من الاولياء التامين عليه غير ثلاثة نفر. والدزبري انوشتكين لقبه منتجب الدولة وقيل مصطفى الدولة مظفّر الدين. . . . . ولما انهزم شبل الدولة نصر بن صالح الى حلب طمع صاحب انطاكية في حلب فجمع الروم وسار اليها واحاط بها فكبسه نصر واهل البلد فقتلوا معظم اصحابه وانهزم هو الى انطاكيـة في نفر يسير وغنم اموالهم وعسكرهم وقيل كبسه علي اعزاز فغنم منه اموالًا عظيمة

وقال ايضاً موٴرّخ آخروهو محمد بن موٴيد الملك : كان ابو صالح شبل الدولة صاحب حلب قد انفذ الى مصر رجلًا يقال لهُ الايسر بعد ما هزم الروم على اعزازو بعث من غنائمهم شيئاً كثيراً من الصياغات والآلات والاواني والخيل والبغال فاعجب ذلك الجرجرائي الوزير واكرم رسوله وخلع عليه وبعث معه الخلع الجليلة لشبل الدولة . وكان انوشتكين الدزبري صاحب الشام مقيماً بدمشق فلم يزل رجل يقال لهُ ابن كليد يُغري بين الدزبري وشبل الدولة حتى اوقع بينهما وكان ابن كليد بحمص فبعث الدزبري رافع بن ابي الليل امير الكلبيين الى قتال نصر بن صالح الى حلب فخرج شبل الدولة نصر بن صالح لقتالهم فاقتتلوا فقُتل نصر في المعركة وذلك في شعبان . وسار الدزبري فنزل على جبل جوشن ظاهر حلب واغلق اهـل حلب ابوابها وقاتلوه فاستمالهم وامّنهم ففتحوا لهُ الابواب فدخلها . وكان في القلعة المقلّد ابن كامل بن عم شبـل الدولة فتراسلا واستقر الامر على ان المقلّد يأخذ من القلعة ثمانين الف دينار وثياباً واواني ذهب وفضة ويسلّمها الى الدزبري وكانت خديعة فاجاب الدزبري فاخذ جميع ما كان في القلعـة من الاواني والذخائر والجواهر وما ترك الّا ما ثقل حمله ونزل ومضى الى حلّته وحصل جمهور ما كان في القلعة المقلد . وأخذ عز الدولة ثمال بن صالح اخو نصر وكان قد انهزم الى القلعـة يوم الوقعة واراد ان يعصي فلم يتوفّق فاخذ خمسين الف دينار وانصرف . وبلغ الوزير بمصر فعزّ عليه قتل نصر وما جرى في اموال القلعة من التفريط وكان ذلك مُضاف الى سوء راي الدزبري. فكانت ولاية شبل الدولة نصر على حلب تسع سنين

1) Qur .IV. 121

الغلمان بنهب ما في القصر ووصل الى حلب ودخلها في يوم الاثنين لاربع خلون من شهر ربيع الاخر ونزل في دار سعد الدولة واجتمع بزوجته وابنته الواصلين من مصر ولازم الشراب وصحّ عليه جسمه. وبلغه وصول سجلّ من مصر الى دمشق عن الحضرة قرئ على المنبر يقال فيه: اما بعد فانه قد عَلِم الحاضر والبادي والموالف والمعادي حال انوشتكين الدزبري الخائن وانه كان مملوكًا لدزبر بن اونيم الحاكمي واهداه الى امير المؤمنين الحاكم بامر الله فنقله الى المراتب الى إن انتهى امره الى ما انتهى اليه فلما تغيّرت نيّته سلبه الله تعالى نعمته لقوله تعالى ان الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بانفسهم(١ فشق هذا الامر عليه وضاق صدره لاسقاط نُعوته وقلق لذلك وايس من العود الى دمشق وقد كان عازمًا على العود. ثم وصله السجلّ عن الحضرة صحبة بعض العرب نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله ووليه الامام معدّ ابي تميم المستنصر بالله امير المؤمنين الى انوشتكين مولى دزبر بن اونيم الديلمي. امّا بعد فان الله بقضيّته العادلة ومشيئته البالغة لم يكُ مغيرًا ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا اراد الله بقومٍ سُوءا فلا مردّ له وما لهم من دونه من والٍ(١ مع ما انك اجرمت على نفسك في يومك وامسك واستوجبت بذلك مقام الحلول من نحسك فلا تعجل بعذاب الله عندما اسرفت وويل عقابه عندما خالفت فان الله تعالى يقول مخاطبًا لذوي العقول فمهّل الكافرين أمهلهم رُوَيدًا (٢ وتالله لقد جددت عسيرك الى حلب لبُعد املك وانقطاع اجلك وانما بقي لك الايام قلائل ويكثر لك الندم وتحل بك النقم ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلًا ما بعوضةً فما فوقها وان مثلك مثل شاةٍ عطشانة ولهانة ضائعة جائعة نزلت في مرج أفيح غزير ماؤه كثير عشبه (48ᵛ) ومرعاه فشربت ماء واكلت عشبًا فرويت بعد ظمائها وشبعت بعد جوعها واستحسنت بعد قبحها فلما تكامل حسنها ذُبحت ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون وان امير المؤمنين يضرب لك مثلًا عن جدّه المصطفى (صلعم) لما انزل عليه « والضحى والليل اذا سجا ما ودّعك ربّك وما قالَ » الى قوله عزّ وجلّ: « ألم يجدك يتيمًا فآوَى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلًا فأغنى » (٣ فبدلت النعمة كفرًا ووضعت موضع الخير شرًّا وقد انتهى الى حضرة امير المؤمنين افتخارك بجميع الاموال واكتنازك لها لامرٍ يدهمك او ليوم ينفعك أفما قرأت القرآن العظيم اما تدبرت قول

١) Qur XIII, 12 ٢) Qur: LXXXVI, 17 ٣) Qur XCIII, 1..8

الملك الرحيم في قصة قارون لمّا بغى واعتدى وازداد في الطغيان حيث يقول جلّ وعلا: « فخسفنا به وبداره الارض » فما كان له من فئةٍ ينصرونهُ من دون الله وما كان من المنتصرين (١ اما رأيت الامم الماضية الذين عادوا الدولة ونصبوا لها العداوة الشديدة انظر الى ديارهم كيف قلّ فيها الساكنون وكثر عليها الباكون قال الله تعالى: « فتلك بيوتهم خاويةً بما ظلموا » إنَّ في ذلك لآيةً لقومٍ يعلمون (٢ فاشتغلْ عن اصلاح العين وعن خطركَ في حساب الفرقدين وافتكر في ربّ المشرقين وربّ المغربين حيث يقول جلّ جلاله: « ألم نجعل لهُ عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين» (٣ وقد عرف امير المؤمنين بكتاب الله الاعلى الذي نزل على خاتم الانبياء حيث يقول: « وسيعلم الذين ظلموا ايَّ منقلب ينقلبون » (٤ فلما سمع ما اشتمل عليه هذا السجل من الانكار والوعظ بالايات والتخويف عظم الامر عليه وضاق صدره لتغيّر النيّة فيه ورأى من الصواب اعادة الجواب بالتلطّف والتنصّل مما ظنّ به والاعتذار والترفّق في القال والاعتراف بما شمله قديمًا وحديثًا من الاحسان والافضال فكتب بعد البسملة: كتب عبد الدولة العلوية والامامية الفاطمية والخلافة المهديّة عن سلامةٍ تحت ظلها ونعمة منوطةٍ بكفلها وهو متبرّئ اليها من ذنوبه الموبقة واساءته المرهقة لا بُد بعفو امير المؤمنين متنصّل ان يكون في جملة المجرمين المذنبين عن غير اساءة اقترفها ولا جنايةٍ احتقبها عائذٌ بكرمها صابرٌ لحكمها لقوله تعالى « وبشر الصابرين » (٥ وهو تحت خوفٍ ورجاء وتضرّع ودعاء قد ذلّت نفسه (49r) بعد عزّها وخافت بعد امنها ورسخت بعد رفعتها وَمَنْ يُضلل الله فما لهُ من هادٍ (٦ واي قُربٍ لمن أبعدَتهُ واي رفعةٍ لمن حطَطَتهُ والعبد يفخرها شمخ ويحدرها طال وبذخ فزلّت نصبته وطابت أرُومَتهُ وسمت فروعه وكان كقوله تعالى « وَضَرَبَ الله مثلاً كلمةً طيّبة كشجرةٍ طيّبةٍ أصلها ثابتٌ وفرعها في السماء تُؤتي أُكُلها كل حينٍ باذن ربّها (٧ . فلما انكرت الدولة حاله وقبحت افعاله وادرت عليه خذله الانصار وقلّ بعد الاكثار فصار كقول الملك الجبّار مثل كلمةٍ خبيثةٍ كشجرةٍ خبيثةٍ اجتُثّت من فوق الارض ما لها من قرار غير ان العبد يتوسّل بوكيد

---

١) Qur. XXVIII, 81. ٢) Qur. XXVII, 53. ٣) Qur. XC., 8.
٤) Qur XXVI, 228. ٥) Qur II., 150 ٦) Qur. XIII, 33.
٧) Qur XIV, 29-30

خدمته وقديم نصيحته ومجاهدته لاعداء الدولة مذكرًا قول الله تعالى «والذين قتلوا في سبيل الله فَلَنْ يُضِلَّ أعمالهم سيهديهم ويصلح بالَهم» (١ وهو مع ذلك مُعترفٌ بذنوبِ ما جناها واساء ما اتاها ذاكرًا ما نزَّل الله في كتابه المبين على سيد المرسلين «واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملًا صالحا واخر سيئًا عسى الله ان يتوب عليهم إنَّ الله غفورٌ رحيمٌ» (٢ عفا الله عن امير المؤمنين اهل بيت العفو والكرامة لجميع الامم وفيهم نزلت الآيات والحكم قال الله تعالى «وليعفوا وليصفحوا ألا تحبُّون أنْ يغفِر الله لكم» (٣ وليس مسير العبد الى حلب ينجيه من سطوات مواليه لقوله تعالى قل «لو كنتم في بروج مشيَّدةٍ» (٤ والذين كُتب عليهم القتل الى مضاجعتهم لكنه بعد توصُّله واعترافه بجرائره وذنوبه وتنصُّله يرجو قبول توبته وتمهيد عذره في انابته ولله الامر من قبل ومن بعد ولامير المؤمنين في كل قول وحد فقد وعد الله المسرفين على انفسهم فقال تعالى «قُل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسكم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعًا انَّهُ هوَ الغفور الرحيم» (٥ واما ما رُقي الى الحضرة المطهَّرة عن العبد في كثرة الاموال وجمعها فذلك طباع ولد آدم في حب اللجين والعسجد وما عليه في الدنيا يعتمد نعوذ بالله ان يكون ذلك لمضادة او مقاومة او مكاثرة او مقابلة لكنها معدَّة للجهاد في اعداء امير المؤمنين ومبذولة في نصرة (49v) اوليائه المخلصين اذ يقول تعالى وله المثل الاعلى «وأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوَّة ومن رباط الخيل تُرهبون بهِ عدوَّ الله وعدوَّكم» (٦ ولقد قُرِئ على العبد القرآن العظيم فوجده منوطًا بطاعة امام الزمان وهو ولي العفو والغفران عن اهل الاساءة والعدوان مكررًا لقول الملك الديَّان «والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحبُّ المحسنين» (٧ . وانفذ هو الجواب صحبة الرسول الواصل بعد اكرامه وطلع عقيب ذلك الى قلعة حلب في يوم الاربعاء لعشر خلون من جمادى الاولى وبات ليلة الجمعة واقشعرَّ جسمه وقت صلاة الظهر واشتدَّت به الحمَّى فاحضر طبيبًا من حلب وشرح لهُ حاله فوصف لهُ مُسهلًا فلمَّا حضر لم تطب نفسه لشربه ولحقه فالج في يده اليمنى ورجله اليمنى وزاد قلقه وقضى نحبه في الثلث الاخير من ليلة الاحد لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ٤٣٦ . ولهُ اخبار

١) Qur. XLVII, 5-6 ٢ Qur. IX, 103 ٣) Qur. XXIV, 22
٤ Qur. IV, 80 ٥) Qur. XXXIX, 54 ٦) Qur. VIII, 62
٧) Qur. III, 128

محمودة في حسن السيرة والعدل والنصفة والذكاء والمعرفة وذكر المال الذي خلفه بقلعة حلب بعد وفاته ستمائة الف دينار سوى الآلات والعروض وقيمة الغلّات مائة الف دينار وأخذ لهُ من دمشق وفلسطين مائتا الف دينار وكان لهُ مع التجار خمسون الف دينــار ونُهب لهُ من القصر بدمشق مائتا الف دينــار. وخلف من الاولاد هبة الله من بنت وهب بن حسَّان ماتت امه وعمره اربعون يوماً وابوه ولهُ شهران وسنــة واربع بنات احداهنّ من بنت الامير حُسام الدولة البجناكي وابنــة من بنت عزيز الدولة رافع بن ابي الليل وابنتان من جاريتين وهبهما في القصر فامّا هبة الله فانه حُمــل الى الحضرة واكرم بها وكفله رضيُّ الدولة غلامه وعاش ستّ سنين وسقط عن فرسه فمات والبنت من بنت حسام الدولة تزوَّجها الامير صارم الدولة ذو الفضيلتين والبنت من بنت رافع نقلت الى حلّة اخوالها من بني كلاب. ثم رأت الحضرة في سنة ٤٤٨ نقل امير الجيوش من تربته بحلب الى تربته ببيت المقدس فامرت بنقله في تابوت على طريق الساحل وكان يُحطّ بخيمةٍ وما يمرّ ببلدٍ الّا كان وصوله يوماً مشهوداً واخرجت الحضرة ثيــاباً حسنةً وطيباً كثيرا وامرت الشريف (50r) اثير الدولة ابن الكوفي ان يتولّى تكفينه ودفنــه وان يأمر من بالرملة من غلمانه بالتحفّي والمشي خلف جنــازته وان ينادي بالقابه فنودي بها ودُفن في التربة التي لهُ في بيت المقدس مع اولاده فسبحان من لا يزول ملكه ولا يخيب من عمل بطاعته المجازى عن احسان السيرة بالاحســان وعن السيئات في العقبي والمآل ذو الجلال والكمال الغفور الرحيم

ولما زاد امر الحاكم بامر الله في عسف الناس وما ارتكبه من سفك الدماء وافاظة النفوس واخذ الاموال والفتك بالكبار والعمّال والفتــك بالمقدّمين من الوزراء والقوّاد واكابر الاجناد وعدل عن حسن السياسة والسداد وزاد خوف خدمه وخواصه منــه واستوحشوا من فعله وشكا المقدّمون والوجوه الى اخته ستّ الملك بنت العزيز بالله هذه الاحوال فانكرت ما انكروه واكبرت ما اكبروه واعترفت بصحة ما شكوه وحقيقة ما كرهوه ووعدتهم احسان التدبير في كفّ شرّه واجمال النظر في اموره وامره ولم تجد فيه حيلةً يُحسم بها داؤه الّا العمل على اهلاكه وكفّ اذاه بعــدمه واعملت الرأي في ذلك واسرّته في النفس الى ان وجدت الفرصة متسهّلةً فابتدرتها والغرّة باديةً فاهتبلتها ورتّبت له من اغتاله في بعض مقاصده واخفى مظانّه فاتى عليــه واخفى امره الى ان ظهر في عيد النحر من سنة ٤١١. وقال المغالون في المذهب انهُ غائبٌ في سرّه ولا بد

ان يؤوب ومستترٌ في غيبه ولا بُدّ ان يرجع الى منصبه ويثوب وكان مولده بالقاهرة ليلة الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ٣٧٥ ووُلّي الامر وعمره عشر سنين وستة اشهر وستة ايام وفُقد في العشر الاول من شوال سنة ٤١١ وعمره ستّ وثلثون سنة ومدّة ايامه خمس وعشرون سنة وشهران وايام ونقشُ خاتمِهِ « بنصر الاله العلي ينتصر الامام ابو علي » وكان غليظ الطبع قاسي القلب سفّاكاً للدماء قبيح السيرة مذموم السياسة شديد التجعرف والاقدام على القتل غير محافظ على حرمة خادمٍ ناصح ولا صاحبٍ مناصح. وقام في الامر بعده ولده ابو الحسن علي الظاهر لاعزاز الله وأُخذت لهُ البيعة (50[v]) بعد ابيه في يوم عيد النحر من سنة ٤١١ واستقامت الامور بعد ميلها وأمنت النفوس بعد وجلها وحسنت السيرة بعد قُبحها وارتُضيت السياسة بعد النفور عنها وردّ تدبير الاعمال والنظر فيها وتسديد الاحوال ولمّ ما تشعّث منها الى الوزير صفي امير المؤمنين وخالصته ابي القاسم علي بن احمد الجرجرائي وكتب لهُ السجلّ بالتقليد من انشاء ولي الدولة ابي علي بن خيران متولّي الانشاء وقُرئ بالحضرة على القوّاد والمقدّمين في ذي الحجة سنة ٤١٨ ونسخته بعد البسملة : اما بعد فالحمد لله مُطلق الالسن بذكره ومجزل النعم بشكره ومصرف الامور على حكم ارادته وامره الذي استحمد بالطَّول والنعماء وتمجّد بالحكمة والسناء وملك ملكوت الارض والسماء واستغنى عن الظهراء والوزراء واكرم عباده بان جعل تذكرته لهم في صحفٍ مكرمةٍ مرفوعةٍ مطهرةٍ بايدي سفرةٍ كرامٍ بَرَرَةٍ فسبحان من نظر لخلقه فاحسن وانعم وعلم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم يحمده امير المؤمنين حَمْدَ مخلصٍ في الحمد والشكر متخصّصٍ بشرف الامانة ونفاذ النهي والامر ويرغب الله تعالى في الصلاة على نبيه محمد الذي نزل عليهِ الفرقان ليكون للعالمين نذيرًا وعزّ به الايمان وجعل لهُ من لديه سلطانًا نصيرًا وانتخب ابانا عليًّا امير المؤمنين اخًا ووزيرًا وصيّره على امر الدين والدنيا منجدًا لهُ وظهيرًا صلّى الله عليهما وسلم على العترة الزاكية من سلالتهما سلامًا دائمًا كثيرًا. وان احقّ من عوّل عليه في الوزارة واسند اليه امر السفارة ونصب لحفظ الاموال وتمييزها وسياسة الاعمال وتدبيرها وايالة طوائف الرجال كبيرها وصغيرها من كان حفيظًا لما يستحفظ من الامور قوومًا بمصالح الجمهور عليمًا بمجاري السياسة والتدبير ولذلك قال يوسف الصدّيق عليه السلام « اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليهم » (١

1) Qur. XX, 26-34

ولو استغنى احد من رُعاة العباد عن وزير وظهير يكاتبه على امره ويظاهره لكان كليم الله موسى صلى الله عليه وهو القوي الامين عنه مُستغنياً ولم يكن له من الله جل جلاله طالباً مُستدعياً وقد قال «ربِّ اشرحْ لي صدري ويسّرْ لي أمري واحللْ عقدةً من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرًا من أهلي (51r) هرون اخي اشدُدْ بهِ أزري ولشركهُ في امري كي نُسبّحك كثيرًا ونذكرك كثيرًا» (1 ولما كنت بالامانة والكفاية علماً وعند اهل المعرفة والدراية مقدماً وكان الكتاب على اختلاف طبقاتهم وتفاوُت درجاتهم يسلمون اليك في الكتابة ويقتدون بك في الاصابة ويشهدون لك بالتقدُّم في الغناء ويهتدون بجلمك اهتداء السَّفر بالنجم في الليلة الظلماء ولا يتناكرون الانحطاط عن درجتك في الفضل لتفاوتها في الارتفاع ولا يَرُدّ ذلك رادٌّ من الناس اجمعين الّا خصمه وقوع الاجماع هذا مع المعروف من استقلالك بالسياسة واستكمالك لادوات الرئاسة وتدبيرك امور المملكة وما أُلِفَ برُشد وساطتك من سمو اليمن والبركة راي امير المؤمنين وبالله توفيقه ان يستكفيك امر وزارته وينزلك اعلى منازل الاصطفاء بخاص اثرته ويرفعك على جميع الاكفاء بتامّ تكرمته وينوّه باسمك تنويهاً لم يكن لاحد قبلك من الظُهراء في دولته فسمّاك بالوزير لموازرتك له على حمل الاعباء ووكّد هذا الاسم بالاجل لانك اجل الوزراء وعزّز ذلك بصفي امير المؤمنين وخالصتهِ اذ كنتَ اعزّ الخلصاء والاصفياء وشرّفك بالتكنية تسميقاً بك في العلياء ودعا لك بان يمتّعهِ الله بك ويُؤيّدك ويعضدك دعاءً يجيبه فيك رب السماء فانت الوزير الاجلّ صفي امير المؤمنين وخالصتهُ المحبو بالمنّ الجسيم ذلك فضل الله يؤتيهِ من يشاء والله ذو الفضل العظيم وامر امير المؤمنين بان تُدعى بهذه الاسماء وتُخاطَب وتكتب بها عن نفسك وتكاتَب ورسم ذكر ذلك فيما يجري من المحاورات واثباته في ضروب المكاتبات ليثبت ثبوت الاستقرار ويبقى وسمه على مرّ الليالي والنهار فاحمد الله تبارك وتعالى على تميز امير المؤمنين لك بتشريفه واختصاصه واجلاله اياك اعلى محالّ خواصه واجْرِ على سنتك الحميد في خدمته ومذهبك الرشيد في مناصحته اذ كان قد فوّض اليك امر وزارته وجعلك الوسيط بينه وبين اوليائه وانصار دعوته وولاة اعمال مملكته وكتّاب دواوينه وسائر عبيده ورعيّته شرقاً وغرباً وقرباً وبعدًا (2 وامضى توقيع من تنصبه للتوقيع عن امير المؤمنين في الاخراج والانفاق والايجاب والاطلاق وناط بك ازمّة الحلّ والعقد والابرام (51v)

1) Qur. XX, 26–34 (2 وفي الاصل: قُرباً وقُرباً

والنقض والقبض والبسط والاثبات والحط والتصريف والصرف تفويضاً الى امانتك التي لا يقدح فيها معاب وسكوناً الى ثقتك التي لا يلمّ بها ارتياب وعلماً بانك تورد وتصدر عن علمٍ وحزمٍ تفوق فيهما كل مقاوم ولا تأخذك في المناصحة لامير المؤمنين والاحتياط لهُ لومة لائم وجميع ما يوصّي بهِ غيرك ليكون لهُ تذكرةً وعليهِ حجة فهو مستغنًى عنهُ معك لانك تغني بفرط معرفتك عن التعريف ولا تحتاج مع وقوفك على الصواب وعلمك بهِ الى توقيف غير انَّ امير المؤمنين يؤكد عليك الامر بحسن النظر لرجال دولته دانيهم وقاصيهم بارك الله فيهم وان يتوفَّر على ما يعود بصلاح احوالهم وانفساح امالهم وانشراح صدورهم وانتظام امورهم اذ كانوا كتائب الاسلام ومعاقل الانام وانصار امير المؤمنين المحفوفين بالاحسان والانعام حتى تحسن احوالهم بجميل نظرك ويزول سوء الاثر فيهم بحسن اثرك وكذلك الرعايا بالحضرة واعمال الدولة فامرهم من المَعْنيِّ بهِ والمسؤول عنهُ وامير المؤمنين يأمرك بان تستشفّ خبرة الولاية فيهم فمن الفيته من الرعية مظلوماً اوعَزتَ بنصَفَتهِ ومن صادفتهُ من الولاة ظلوماً تقدَّمت بصرفه وحسم مضرّته ومعرّته . فاماً الناظرون في الاموال من ولاة الدواوين والعمال فقد اقام امير المؤمنين عليهم منك المنتقي الزكاء طبًّا بالادواء لا يصانع ولا تطبيه المطامع ولا ينفق عليه المنافق ولا يعتصم منهُ الخؤون السارق كما انهُ لا يخاف لديه الثقة الناصح ولا يخشى عادِيَته الامين في خدمته المجتهد الكادح والذي يدعو المتصرّف الى ان يحمل نفسه على الخطة النكراء في الاحتجار والارتشاء احد امرين امَّا حاجة تضطرهُ الى ذلك او جهالة توردهُ المهالك فان كان محتاجاً سدَّ رزقُ الخدمة فاقتَهُ وربما الراجون بُرءهُ من مرض الاسفاف وافاقتهُ وان كان جاهلًا فالجاهل لا يبالي على ما اقدم عليهِ ولا يفكر في عاقبة ما يصير امره اليهِ ومن جمع هذين القسمين كانت نفسه ابدًا تسفُّ ولا تعفُّ ويده تَكِفُ ولا تكفّ ووطأته تثقل ولا تخفّ فلا تَربَ من تنزّه وعفّ ولا اثرى من رضي لنفسه بدنيْ المكسب واسفّ . وما (52r) يستزيدك امير المؤمنين على ما عندك من حسن التأنّي والاجتهاد في اصلاح الفاسد واستصلاح المعاند واستفاءة الشارد بالمعصية الى طاعته واعطاء رجال الدولة ما توجب لها حقوق الخدمة من فضل نعمته . وامير المؤمنين يقول بعد ذلك قولًا يؤثر عنده في المشرق والمغرب ويصل الى الابعد والاقرب ان اكثر من وقع عليه اسم الوزارة قبلك انما تهيَّأ لهُ ذلك بالحظّ والاتفاق ولم يوقع اسمها عليك ويعذق بك امرها الّا باستيجاب واستحقاق لانها احتاجت اليك

حاجة الرمح الى عامله والصبّ الى حامله والمكفول الى كافله . وكم افرجتْ عن الطريق اليها لسواك واجتهدتْ ان يعدوك مقامها اكبارًا له فما عداك والله يكتب بجميل راي امير المؤمنين حسَدتك وعداك ويتولّاك بالمعونة على ما قلّدك وولّاك ويمتعه ببقائك كما امتعهُ بكفايتك وغنائك ويخير له في استيزارك كما خار لهُ من قبل في اصطناعك وايثارك بمنّه وكرمه والسلام عليك ورحمة الله وكُتب يوم الجمعـة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ٤١٨

ولاية القائد ناصر الدولة

ابي محمد الحسن بن الحسين بن حمدان لدمشق في سنــة ٤٣٣

بعد امير الجيوش انوشتكين الدزبري وصل الامير المظفَّر ناصر الدولة وسيفها ذو المجدين ابو محمد الحسن بن الحسين بن حمدان الى دمشق واليًا عليها في جمادى الاخرة سنة ٤٣٣ في يوم الاربعاء السادس عشر منه وقرئ سجلّه بالولاية بالقابه والدعاء له فيه « سلّمه الله وحفظه » ووصل معه الشريف فخر الدولة نقيب الطالبيّين ابو يعلي حمزة بن الحسين بن العباس بن الحسن بن الحسين بن ابي الجنّ بن علي بن محمــد بن علي بن اسمعيل بن جعفر الصادق عليه السلام فاقام في الولاية امرًا ناهيًا الى ان وصل من مصر من قبض عليه بدمشق وسيّره معه الى مصر في يوم الجمعة مستهلّ رجب سنة ٤٤٠.

(52ᵛ) وفي سنة ٣٦ وردت الاخبار من ناحية العراق بظهور راية السلطان ركن الدنيا والدين طغرلبك محمد بن ميكائيل بن سلجق وقوة شوكة الاتراك وابتــداء دولتهم واستيلائهم على الاعمال وضعف اركان الدولة البويهية واضطراب احوال مقدّميها وامرائها. وفي سنة ٤٢٧ وردت الاخبار من ناحية مصر بوفاة الامام الظاهر لاعزاز دين الله ابي الحسن علي بن الحاكم بامر الله بالاستسقاء في ليلة الاحد النصف من شعبان سنة ٤٢٧ وعمره اثنتان وثلثون سنة ومولده بالقاهرة في شهر رمضان سنة ٣٩٥ ومدّة ايامه خمس عشرة سنة وثمانية اشهر وخمسة ايام ونقش خاتمه « بنصر ذي الجود والمنّ ينتصر الامام ابو الحسن » وكان جميل السيرة حسن السياسة مُنصفًا للرعيــة الّا انهُ متشاغلٌ باللذة محبٌّ للدعة والراحة معتمد في اصلاح الاعمال وتدبير العمّال وحفظ الاموال وسيــاسة الاجناد وعمارة البلاد على الوزير ابي القاسم علي بن احمد الجرجرائي لسكونه الى كفايته وثقته بغنائه ونهضته . ثم تولّى الامر بعده ولده ابو تميم معد المستنصر بالله امير المؤمنين

وعمره سبع سنين وشهران واخذت البيعة له بعد ابيه في شعبان سنة ٤٢٧ . وفي ايامه ثارت الفتن من بني حمدان واكابر القوّاد ووجوه العسكرية والاجناد وغليت الاسعار وقلّت الاقوات واضطربت الاحوال واختلّت الاعمال وحُصر في قصره وطُمع في خلعه لضعف امره ولم يزل الامر على هذه الحال الى ان استدعى امير الجيوش بدر الجمالي من عكاء الى مصر في سنة ٤٦٥ فاستولى على الوزارة والتدبير بمصر وقتل من قتل من المقدّمين والاجناد وطالبي الفساد وتمهّدت الامور وسكنت الدهماء والزم المستنصر بالله القصر ولم يبق له نهيٌ ولا امر الّا الركوب في العيدين ولم يزل كذلك الى ان توفّي امير الجيوش وانتصب مكانه ولده الافضل ابو القسم شاهنشاه

ولاية القائد طارق الصقلبي المستنصري لدمشق

في سنة ٤٤٠

(53r) وصل الامير بهاء الدولة وصارمها طارق المستنصري الى دمشق واليًا عليها في يوم الجمعة مستهلّ رجب سنة ٤٤٠ وقُرئ سجلّ ولايته والدعاء له « سلّمهُ الله وحفظه » وعند دخوله وقع القبض على الامير ناصر الدولة بن حمدان الوالي المقدّم ذكره وسُيّر الى مصر وتسلّم الامير طارق الولاية يأمر فيها . ووردت الاخبار من ناحية مصر في سنة ٤٣٦ بوفاة الوزير ابي القاسم علي بن احمد الجرجرائي وزير المستنصر بالله في داره اخر نهار الاربعاء السادس من شهر رمضان بعلّة الاستسقاء وصلّى عليه المستنصر بالله في القصر ودُفن في دار الوزارة وقُلّد مكانه الوزير ابو نصر صدقة بن يوسف الفلاحي وخلع عليه في يوم الثلثاء الحادي عشر من شهر رمضان من السنة وقبض على ابي علي ابن الانباري صاحب الوزير ابي القسم علي بن احمد وحمله الى خزانة البنود وسعى في قتله فيها ودفنه وما مضى الّا القليل وقُبض على الوزير ابي نصر صدقة بن يوسف الفلاحي وحُمل الى خزانة البنود في يوم الاثنين الخامس من المحرّم سنة ٤٤٠ وقُتل سُحرة يوم الاثنين في المكان الذي قتل فيه ابن الانباري وقيل انهُ دُفن معه في قبره ونظر في الوزارة ابو البركات ابن اخي الوزير علي بن احمد الجرجرائي وقُبض عليه بعد ذلك في ليلة يوم الاثنين النصف من شوال سنة ٤٤١ وقترت الامور الى ان استقرّت الوزارة لقاضي القضاة ابي محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازوري . ووردت الاخبار من مصر بان المستنصر بالله خلع على وزيره قاضي القضاة ابي محمد اليازوري في الرابع من

ذي القعدة سنة ٤٤٣ خلعاً فاخرةً كانت غِلالة قصباً وطاقاً وقميصاً ديبقياً وطيلساناً وعمامةً قصباً وحمَّله على فرس رائع بمركب من ذهب وزنه الف مثقال وقاد بين يديه خمسة وعشرين فرساً وبغلاً بمراكب ذهب وفضة وحُمل معه خمسون سفطاً ثياباً اصنافاً وزاد في نعوته والقابه وخلع على اولاده خلعاً تليق بهم وكُتب له سجلّ التقليد بانشاء ولي الدولة ابي علي بن خيران وبالغ في احسان وصفه وتقريضـه واطرائه واحماد رأيه وما اقتضاه الرأي من (58ᵛ) اصطفائه للوزارة واجتبـائه وقرئ بحضرة المستنصر بالله بين قوّاده وخدمه ووجوه اجناده وقيل ان هذا الاكرام مُقابلة على ما كان منهُ في التدبير على العرب المفسدين من بني قُرَّة في فلّهم والنكاية فيهم وحسم اسباب شرّهم وتشتيت شملهم ونسخة هذا السجلّ المذكور بعد البسملة: . . . .

ولاية رفق المستنصري لدمشق

في سنة ٤٤١

وصل الامير عدة الدولة امير الامراء رفق المستنصري الى دمشق واليا عليها في يوم الخميس الثاني عشر من المحرَّم سنة ٤٤١ في عدَّة وافرة من الرجال وثروةٍ وافرة من العدد والمال وقُرئ سجلّهُ بالولاية واقام بها مدَّة يأمر فيها وينهي ويحلّ ويعقد ويصدر في الامور ويورد ثم وصلهُ الامر من مصر بمسيره الى حلب لامر اقتضـتهُ الاراء المستنصرية من صرفه عنها وتوليتها للامير المؤَيد فسار منها وتوجه الى حلب في يوم الخميس الســادس من صفر من السنة

ولاية الامير المؤّيد عدَّة الامام

في سنة ٤٤١ بعد الامير رفق

وصل الامير المؤّيد عدّة الامام مصطفى الملك معين الدولة ذو الرئاستين حيدرة بن الامير عضب الدولة بن حُسين بن مفلح الى دمشق والياً عليها في مستهل رجب سنة ٤٤١ فحمـل معه سديد الدولة ذو الكفايتين ابو محمد الحسين بن حسن الماشكي ناظرًا في الشام جميعه حربه وخراجه وقُرئ منشور الولاية والدعاء له «سلّمــه الله وحفظه» فتسلّم الولاية في سنة ٤٤٢ يأمر فيها وينهي على عادة الولاة واستقامت

له امور الولاية على ما يؤثره ويهواه واحسن السيرة في العسكرية والرعية فحمدت طريقته وارتضيت اياله واستمرت عليه الايام في الولاية الى سنة ٤٤٨ التي بُني هذا المذيل عليها وعادت سياقة الحوادث منها وايراد ما فيها وتجدد بعدها

سنة ثمان واربعين واربعمائة

(54ª) فيها وردت الاخبار من ناحية العراق بانعقاد امر الوصلة بين الامام القائم بامر الله وبين بنت الملك داود اخي السلطان ركن الدنيا والدين طغرلبك وكان العقد اولًا لولده ذخيرة الدين فلما قضى الله عليه بالوفاة نقل العقد الى الخليفة القائم بامر الله في يوم الاربعاء لسبع بقين من المحرّم من السنة ووصلت البنت المذكورة من مدينة الرّي الى بغداد في الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول من السنة. وفي هذه السنة وُلد الامام المقتدي بالله عبد الله بن ذخيرة الدين ابن القائم بامر الله في ليلة الاربعاء الثاني من جمادى الاولى من السنة. وفيها وردت الاخبار من مصر بقلّة الاقوات وغلاء الاسعار واشتداد الامر في ذلك الى اوان زيادة النيل فظهر من القوت ووجوده ما طابت به النفوس وصلحت معه الاحوال

سنة تسع واربعين واربعمائة

في هذه السنة وردت الاخبار بتسلّم الامير مكين الدولة قلعة حلب من معزّ الدولة وحصل فيها في الخميس لثلث بقين من ذي القعدة منها واقام بها مدّة اربع سنين يخطب فيها للمستنصر بالله صاحب مصر. وفيها توفّي القاضي ابو الحسين عبد الوهاب بن احمد ابن هرون

سنة خمسين واربعمائة

فيها وصل الامير ناصر الدولة وسيفها ذو المجدين ابو محمد الحسين بن الحسن ابن حمدان الى دمشق واليًا عليها دفعةً ثانيةً بعد اولى في يوم الاثنين النصف من رجب منها واقام يسوس احوالها ويستخرج اموالها الى ان ورد عليه الامر من الحضرة بمصر بالمسير في العسكر الى حلب فتوجّه اليها في العسكر في السادس عشر من شهر ربيع الاول سنة ٤٥٢ واتفقت الوقعة المشهورة المعروفة بوقعة الفُنَيدق بظاهر حلب في يوم الاثنين مستهلّ شعبان من السنة بين ناصر الدولة المذكور وعسكره وبين جميع العرب الكلابيين ومن انضمّ اليهم فكسرت العرب عسكر (١ ناصر الدولة واستولوا عليهم

١) وفي الاصل: عسكرة

ونكوا فيهم وافلت ناصر الدولة منهزماً مجروحاً مفلولاً وعاد الى مصر. ولم تزل الاخبار متواترة من ناحيـة العراق بظهور (54ᵛ) المظفر ابي الحرث ارسلان الفساسيري وقوة شوكته وكثرة عدته وغلبة امره على الامام القـائم بامر الله امير المؤمنين وقهر نوابه وامتهان خاصته واصحابه وخوفهم من شره حتى امضى امره الى ان يأخذ الجاني من حرم الخلافة ويفعل ما يشاء. ولا يمانع له ولا يدافع عنه. وقد شرح الخطيب ابو بكر احمد ابن علي بن ثابت البغدادي رحمه الله في اخبار اهل بغداد ما قال فيه: ولم يزل امر القائم بامر الله امير المؤمنين مستقيماً الى ان قبض عليه ارسلان الفساسيري في سنة ٤٥٠ وهو واحد من الغلمان الاتراك عظم امرهُ واستفحل شأنهُ لعـدم نظرائه من الغلمان الاتراك والمقدّمين والاسفهسلارية الّا انه استولى على العباد والاعمال ومدّ يده في جباية الاموال وشاع بالهيبة امره وانتشر بالقهر ذكره وتهيّبتـهُ العرب والعجم ودُعي لهُ على كثير من منابر الاعمال العراقية وبالاهواز ونواحيها ولم يكن القائم بامر الله يقطع امرًا دونهُ ولا يمضي رأيًا الّا بعد اذنه ورأيه ثم صحّ عنده سوء عقيدته وخبث نيّته وانتهى ذلك اليـه . من ثقاتٍ من الاتراك لا يشكّ في قولهم ولا يرتاب. وانتهى اليه انهُ بواسط قد عزم على نهب دار الخلافة والقبض على الخليفة فكاتب السلطان طغرلبك محمـد بن ميكال (كذا) وهو بنواحي الريّ يعرّفه صورة حال الفساسيري ويبعثـه على العود الى العراق ويُدارك امر هذا الخارجي قبل تزايد طمعه وإعضال خطبه. وعاد الفساسيري من واسط وقصد دار الخلافة في بغداد وهي بالجانب الغربي في الموضع المعروف بدار اسحق فهجمها ونهبها واحرقها ونقض ابنيتها واستولى على كل ما فيها. ووصل السلطان طغرلبـك الى بغداد في شهر رمضان سنة ٤٤٧ وتوجّه الفساسيري الى الرحبـة حين عرف وصول طغرلبك على الفرات وكاتب المستنصر بامر الله صاحب مصر يذكر لهُ كونهُ في طاعته والخلاصهُ في موالاته وعزمهُ على اقامة الدعوة لهُ في العراق وانهُ قادرٌ على ذلك وغـير عاجزٌ عنه فانجـده وساعده بالاموال وكتب لهُ بولاية الرحبة. واقام السلطان طغرلبك ببغداد سنةً كاملةً وسار منها الى ناحية الموصل واوقع باهـل سنجار وعاد منها (55ʳ) الى بغداد فاقام برهةً ثم عاد الى الموصل وخرج منها متوجهًا الى نصيبين ومعه اخوه ابرهيم ينال وذلك في سنة ٤٥٠ . وحدث بين السلطان طغرلبك واخيه ابرهيم خُلف اوجب انفصالهُ عنه بجيش عظيم وقصد ناحية الري وقد كان الفساسيري كاتب ابرهيم ينال اخا السلطان طغرلبك يبعثه على العصيان لاخيه ويُطمعه في الملك والتفرد به ويعـده

المعاضدة عليه والموازرة والرافدة والشدّ منـــهُ وسار طغرلبك في اثر اخيه مُجدًّا وترك عساكره من ورائه فتفرّقت غير ان وزيره عميد الملك الكندري وربيبه انوشروان وزوجته خاتون وصلوا بغـداد في من بقي معهم من العسكر في شوال سنة ٤٥٠ . واتصلت الاخبار بلقاء طغرلبك واخيه ابرهيم بناحية همذان وورد الخبر بذاك على خاتون وولدها والوزير وان ابرهيم استظهر عليه وحصره في همذان فعنـد ذلك عزموا على المسير الى همذان لانجاد السلطان فحين شاع الخبر بذاك اضطرب امر بغـداد اضطراباً شديداً وخاف مَن بها وكثرت الاراجيف باقتراب ارسلان الفساسيري . وتوقّف الكندري الوزير عن المسير فانكرت خاتون ذلك عليه وهمّت بالايقـاع بهِ وتوقّف ابنها لتوقّفهما عن المسير والانجاد للسلطان طغرلبك فنهضـا للجانب الغربي من بغداد وقطعا الجسور من ورائهما وأُنتهب دورهما واستولى من كان مع الخاتون من الغُزّ على ما فيها من الاموال والامتعة والاثاث والسلاح وتوجّهت خاتون في العسكر الى ناحية همذان وتوجّه الوزير الكندري على طريق الاهواز . فلما كان يوم الجمعة السادس من ذي القعدة ورد الخبر بان ارسلان الفساسيري بالانبار وسعى الناس الى صلاة الجمعة بجامع المنصور فلم يحضر الامام واذن المؤذّن في المنارة ونزل منها واعلم الناس انهُ رأى العسكر عسكر الفساسيري بازاء شارع دار الرقيق فبادروا الى ابواب الجامع وشاهدت قوماً من اصحاب الفساسيري يسكتون الناس بحيث صلّوا في هذا المكان اليوم في جامع المنصور الظهر اربعاً من غير خطبة وفي يوم السبت تاليه وصل نفر من عسكر الفساسيري وفي غدوة يوم الاحد (٧55) دخل الفساسيري بغداد ومعه الرايات السود فضرب مضاربه على شاطئ دجلة واجتمع اهل الكرخ والعوام من اهل الجانب الغربي على مظافرة الفساسيري وكان قد جمع العيّار واهل الفساد واطمعهم في نهب دار الخلافة والناس اذ ذاك في ضُرٍ وجهدٍ قد توالى عليهم الجدب وغلا السعر وعزّ الاقوات واقام الفساسيري بمكانه والقتـال في كل يوم متّصل بين الفريقين في السفن بدجلة . فلما كان يوم الجمعـة الثاني دُعي المستنصر بالله صاحب مصر على المنبر بجامع المنصور وزيد في الاذان « حي على خير العمل » . وشرع في بناء الجسر بعقد باب الطاق وكُفّ الناس عن المحاربة ايّاماً وحضر يوم الجمعة الثاني من الخطبة فدُعي لصاحب مصر في جامع الرصافة . وخندق الخليفة القائم بامر الله حول داره ورمّ ما تشعّث منها ومن اسوار المدينة فلمّا كان يوم الاحد لليلتين بقيتـا من ذي القعدة حشـد الفساسيري اهل الجانب الغربي والكرخ ونهض بهم الى محاربة الخليفة

ونشبت الحرب بين الفريقين يومين وقتل منهما الخلق الكثير. واهلّ هلال ذي الحجة فزحف الفساسيري الى ناحية دار القائم الخليفة فاضرم النار في الاسواق بنهر مُعلّى وما يليه وعبر الناس لانتهاب دار الخليفة فنُهب منها ما لا يُحصى كثرةً وعظماً. ونفذ الخليفة الى مونس بن بدر الصقلبي وكان قد ظاهر الفساسيري فاذمّ للخليفة في نفسه ولقيه قريش امير بني عقيل فقبل الارض دفعات وخرج الخليفة من الدار راكباً وبين يديه راية سوداء وعليه قباء اسود وسيف ومنطقة وعلى رأسه عمامة تحتها قلنسوة الاتراك عِراضه وبين يديه . . . . . وضرب له قريش خيمةً في الجانب الغربي فدخلها واحدق بِهِ خدمُهُ وماشى الوزير رئيس الروساء ابا القسم بن مسلمة الفساسيري ويدهُ قابضةٌ على يدهِ وكمّهِ وقبض على قاضي القضاة الدامغاني وجماعة معه وحملوا الى الحريم الطاهري وقيّد الوزير والقاضي. فلما كان يوم الجمعة الرابع عشر من ذي الحجة لم يُخطَب بجامع الخليفة وخُطب في سائر الجوامع للمستنصر صاحب مصر وفي هذا اليوم انقطعت الدعوة لبني العباس في بغداد

ولما كان (56r) اليوم التاسع من ذي الحجة وهو يوم عرفة أُخرج الخليفة القائم بامر الله من الموضع الذي كان فيه وحُمل الى الانبار ومنها الى الحديثة في الفرات فجلس هناك وكان صاحب الحديثة الامير مُهارِش هو المتولّي لخدمة الخليفة فيها بنفسه وكان حسن الطريقة. ولمّا كان يوم الاثنين من ذي الحجة شُهِر الوزير رئيس الروساء وزير الخليفة على جمل وطيف بِهِ في محالّ الجانب الغربي ثم صُلب بباب الطاق وخراسان وجُعل على فكّيه كُلّابان من حديد على جذع فمات رحمه الله بعد صلاة العصر وأُطلق القاضي الدامغاني بمالٍ قُرّر عليه. قال ابو بكر الخطيب رحمه الله : ثم خرجت يوم النصف من صفر سنة ٤٥١ من بغداد ولم يزل الخليفة في محبسه بالحديثة الى ان عاد السلطان طغرلبك من ناحية الريّ الى بغداد بعد ان ظفر باخيه ابرهيم ينال وكسره وقتله ثم كاتب الامير قريشاً باطلاق الخليفة الى دارهْ الى ناحية العراق وجعل السفير بينهُ وبين طغرلبك في ذلك ابا منصور عبد الملك بن محمد بن يوسف وشرط ان يضمن الخليفة للفساسيري صرف طغرلبك عن وجهته. وكاتب طغرلبك مُهارشاً في امر الخليفة وإخراجه من محبسه فاخرجه وعبر بِهِ الفرات وقصد بِهِ تكريت في نفرٍ من بني عمه وقد بلغه ان طغرلبك بشهرزور فلما قطع الطريق عرف ان طغرلبك قد حصل ببغداد فعاد راجعاً حتى وصل النهروان فاقام الخليفة هناك ووجّه طغرلبك مضارب في الحال

وفروشًا برسم الخليفة ثم خرج لتلقّيه بنفسه وحصل الخليفة في داره ونهض طغرلبك في عسكرٍ نحو الفساسيري وهو بسقي الفرات فحاربه الى ان اظفره الله بهِ وقتله وحمل رأسه الى بغداد وطيف بهِ فيها وعُلّق بازاء دار الخلافة

سنة احدى وخمسين واربعمائة

في هذه السنة كان هلاك ارسلان الفساسيري وعود الخليفة القائم بامر الله امير المؤمنين الى داره على ما تقدَّم شرحه من امره · وفيها ايضًا كان ظفر السلطان طغرلبك اخيه ابرهيم ينال على باب همذان

سنة اثنتين وخمسين واربعمائة

(56ᵛ) فيها وصل الامير المقدَّم تمام الدولة قوام الملك ذو الرئاستين سُبكتكين المستنصري الى دمشق وبقي فيها غير والٍ عليها الى ان وصل القائد موفّق الدولة جوهر الصقلبي من مصر في يوم الاربعاء الثاني من ذي الحجة سنة ٤٥٢ ومعه الخلع وسجل الولاية لدمشق بالقابه والدعاء له « سلمه الله ووفّقه » والناظر في الاعمال وحفظ الاموال سديد الدولة ابو عبد الله محمد بن حسن الماشكي على ما كان عليهِ سبكتكين والياً على دمشق الى ان توفّى بها في ليلة الاثنين الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ٤٥٣ فكانت ولايته ثلثة شهور وسبعة عشر يوماً

وفي هذه السنة نزل الامير محمود بن شبل الدولة بن صالح بن مرداس على حلب محاصرًا لها ومضيقًا عليها وطامعًا في تملّكها ومعه منيع بن سيف الدولة فاقام عليها مدّة فلم يتسهّل له فيها اربٌ ولا تيسّر طلبٌ فرحل عنها ثم حشد بعد مدّةٍ وجمع وعاد منازلًا لها ومضايقًا لاهلها ومراسلًا لهم وتكرّرت المراسلات منهم الى ان تسهّل امرها وتيسّر خطبها فتسلّمها في يوم الاثنين من جمادى الاخرة وضايق القلعة الى ان عرف وصول الامير ناصر الدولة بن حمدان في العساكر المصرية لانجادها فخرج منها في رجب سنة ٢ ونهب حلب بعسكر ناصر الدولة واتّفقت وقعة الفُنَيدق المشهورة وانفلال ناصر الدولة وعوده الى مصر منهزمًا مخذولًا فعاد محمود بجمعهِ الى حلب وحصل بها وقتل عمّه معزّ الدولة واستقام امره فيها · وفي هذه السنة قصد الامير عطية فيمن جمعه وحشده مدينة الرحبة ولم يزل نازلًا عليها ومضايقًا لاهلها ومراسلًا لهم الى ان تسهّل الامر فيها وسلّمت اليهِ وحصل بها في صفر من السنة

سنة ثلث وخمسين واربعمائة

في هذه السنة وصل الامير حسام الدولة ابن البجناكي الى دمشق واليًا عليها في يوم الجمعة الثاني والعشرين من جمادى الاولى منها ونزل في المزّة واقام مدّة وورد الكتاب بعزله فانصرف عن الولاية وتوجّه نحو حلب في شهر رمضان من السنة ثم وصل بعد ذلك عُدّة الدين والدولة ابن ناصر الدولة (57^{r}) بن حمدان الى دمشق واليًا عليها في يوم الجمعة الثامن عشر من رمضان من السنة وحصل بها وقُرئ سجلّ ولايته وامر فيها ونهى. وفي هذه السنة استقرّ الصلح والموادعة بين معزّ الدولة صاحب حلب وابن اخيه محمود بن شبل الدولة. وفيها نُدب ابو محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الشاعر للمسير من حلب الى القسطنطينيّة رسولًا في المحرّم منها. وفيها توفّى الامير معز الدولة ثمال في يوم الجمعة لسبع بقين من ذي القعدة ودُفن في المسجد بالقلعة وملكها اخوه عطية. وفي هذه السنة وصل الامير المؤيد معتز الدولة حيدرة بن عضب الدولة الى دمشق واليًا عليها دفعةً ثانيةً بعد اولى في يوم الاثنين الثامن عشر من ذي القعدة منها ونزل في ارض المزّة وفي هذا اليوم سار عدة الدولة بن حمدان عن الولاية منصرفًا الى مصر واقام المؤيد بها في الولاية ما اقام وانصرف عنها معزولًا في شهر ربيع الاخر سنة ٤٥٥

سنة اربع وخمسين واربعمائة

في المحرّم منها قُلّد الامير مكين الدولة طبريّة وثغر عكاء من قبل امام المستنصر بالله وامر على جماعة بني سُلَيم وبني فزارة. وفيها توفّي القاضي الشريف مستخصّ الدولة ابو الحسين ابرهيم بن العباس بن الحسن (١ الحسيني بدمشق يوم السبت التاسع والعشرين من شعبان رحمه الله. وفيها وردت الاخبار من ناحية العراق بوفاة السلطان طغرلبك وقيام ولده (كذا) البارسلان في المملكة بعده في مدينة الري

سنة خمس وخمسين واربعمائة

وفيها ولاية امير الجيوش بدر لدمشق

وصل الامير تاج الامراء المظفّر مقدّم الجيوش شرف الملك عدة الامام ثقة الدولة بدر

---

١) ابن)العباس بن الحسن بن ابي الجن: كذا في تاريخ الاسلام وانهُ قاضي دمشق وخطيبها نيابةً عن)قاضي القضاة بمصر ابي محمد القاسم بن النعمان

الى دمشق واليًا عليها في يوم الاربعاء الثالث والعشرين من شهر ربيع الاخر من السنة ونزل بارض المزّة ومعه الشريف القاضي ثقة الدولة ذو الجلالين ابو الحسن يحيى بن زيد الحسيني الزيدي ناظرًا في الاعمال ونفقات الاموال واقام بها مدّة مدبّرًا لها وآمرًا وناهيًا فيها ثم حدث من امره بها والخلف الجاري بينه وبين عسكريتها ورعيّتها ووقعت بينهما محاربات عرف معها عجزه عن المقام بينهم والثبات معهم (57^٢) وخاف على نفسه منهم فسار عنها كالهارب منها في ليلة الثلثاء لاربع عشرة ليلة خلت من رجب سنة ٥٦ . وفي هذه السنة نزل الامير محمود بن شبل الدولة بن صالح على حلب وحصر عمّه عطية فيها في النصف من شعبان وقتل منيع .بن كامل بحجر المنجنيق ولم يتمكّن من عرضه فيها ولا تسهّل له ارب منها فرحل عنها

سنة ست وخمسين واربعمائة

وفيها ولاية الامير حيدرة بن منزو

لمّا انصرف امير الجيوش بدر عن ولاية دمشق هاربًا ندب لولايتهــا الامير حصن الدولة حيدرة بن منزو بن النعمان واليًا عليها ووصل اليهـــا في شهر رمضان من السنة واقام بها وامر ونهى على عادة امثاله من الولاة لها . ثم اقتضى الرأي المستنصري صرفهُ عنها لشهاب الدولة دُرِي المستنصري ووصل اليها وتولّى الولاية فيهـا . وفي هذه السنة عاد محمود بن شبل الدولة بن صالح الى حلب مُضـايقًا لها ولعطية (١ عمّهِ فاستصرخ بالامير ابن خان التركي فانجده عليه فلمّا احسّ بوصوله رحل عنها منهزمًا ثم خاف عطيّة من الامير ابن خان فامر احداث حلب بنهب عسكره فنهبوه . ورحل ابن خان منهزمًا وانفذ الى الامير محمود يعتذر اليه من المساعدة عليه وتوجّه معه الى طرابلس وعاد معه الى حلب لحصرها في هذه السنة . وفيها وصل الامير شهاب الدولة دُري المستنصري الى دمشق واليًا في العشر الاخير من ذي القعدة من السنة ثم تجــدّد الرأي في صرفه فانصرف وتوجه الى الرملة لان سجلّ ولايته لها ورد عليـــه واقام بها آمرًا وناهيًا الى ان قُتل بها في شهر ربيع الاخر سنة ٤٦٠ واقامت دمشق خاليـــة من الولاة الى ان وصل اليها امير الجيوش بدر واليًا عليها دفعةً ثانيةً في سنة ٤٦٨

---

١) وفي الاصل : لابن عطية

سنة سبع وخمسين واربع مائة

في هذه السنة نزل الامير محمود بن شبل الدولة بن صالح على حلب ثالث دفعة ومعه الامير ابن خان التركي واقام عليها الى انتصاف شهر رمضان ولم يزل مضايقًا (58r) لها الى ان تسهّل امرها وملكها فلما حصل بها فارقه ابن خان بعسكره نحو العراق ولم يدخلها اشفاقًا من احداث حلب لما فعلوه في تلك النوبة من القيام عليه والنهب لاصحابه

سنة ثمان وخمسين واربعمائة

وفيها ولاية امير الجيوش بدر الثانية

وصل امير الجيوش سيف الاسلام بدر الى دمشق واليًا عليها ثانيةً وعلى الشام بامره في يوم الاحد السادس من شعبان منها ونزل في مرج باب الحديد اياماً وبلغه قتل ولده بعسقلان فدخل القصر واقام فيه الى ان تحرّك الفتنة الثائرة بينه وبين عسكرية دمشق واهلها واستيحاش كل منهم من صاحبه فخرج من القصر ونشبت الحرب بينهم في يوم الجمعة التاسع والعشرين من جمادى الاولى سنة ٤٦٠ وقد كان القصر أُخرب بعضه في تلك النوبة الحادثة الاولى ونُهب ما كان فيه فلما عاد بعد ذلك في هذه النوبة ومعه العساكر الجمّة من العرب وسائر الطوائف ونزل على مسجد القدم في رمضان سنة ٦٠ واتّفق رحيله عنها فخرج من في البلد من العسكرية والاحداث الى القصر فاحرقوا ما كان سالمًا منه ونقضوا اخشابه بحيث شمله الخراب من كل جهاته . وفي هذه السنة فادى الامير محمود بن شبل الدولة بن صالح نساء بني حمّاد والنميريين من اسر الروم ولم يزل مبالغًا في ذلك ومجتهدًا فيه الى ان حصلوا في حلب

سنة تسع وخمسين واربعمائة

فيها وردت الاخبار من ناحية مصر باجتماع العبيد في الصعيد وكبسهم عسكر الامير ناصر الدولة ابي علي الحسن بن حمدان وانفلال العرب المجتمعة معه واستظهار العبيد على جانبٍ من عسكره نهبوه واستولوا عليه ثم عادوا عليهم واستعادوا ما اخذ لهم وزيادة عليه وقتل جماعةً منهم . وفيها سأل الامير ناصر الدولة المستنصر بالله في حُميد ابن محمود بن جرّاح وحازم بن علي بن جرّاح فاطلقهما من خزانة البنود وخلّى سبيلهما

(58^٢) سنة ستين واربعمائة

وفيها ولاية الامير بارزطغان لدمشق

وصل الامير قطب الدولة بارزطغان الى دمشق واليًا عليها في شعبان منها ووصل معه الشريف السيد ابو طاهر حيدرة بن مستخصّ الدولة ابي الحسين ونزل قطب الدولة في دار العقيقي واقام مُدَّة ثم خرج منها ومعه الشريف المذكور في شهر ربيع الاول سنة ٤٦١ . وورد الخبر بان امير الجيوش بدر ظفر بالشريف السيد المذكور وكان بينهما إحَنٌ بعثته على الاجتهاد في طلبه والارصاد له الى ان اقتنصه فلما حصل في يده قتله سلخًا فعظم ذلك على كافة الناس واكثروا هذا الفعل واستبشعوه في حقّ مثله (١ . وفي يوم الثلثاء العاشر من جمادى الاولى من السنة جاءت زلزلة عظيمة بفلسطين هدمت اكثر دور الرملة وسورها وتضعضع جامعها ومات اكثر اهلها تحت الردم . وحُكي ان معلمًا كان في مكتبه بهِ تقدير مائتي صبي وقع المكتب عليهم فما سأل احدٌ عنهم لهلاك اهليهم وان الماء طلع من افواه الابار لعظم الزلزلة وهلك في بانياس تحت الردم نحو من مائة نفس وكذلك في بيت المقدس . وسُمع في أيار من هذه السنة رعدة هائلة ما سُمع باعظم منها ولا باهول من صوتها فغشي على جماعةٍ من الرجال والنسوان والصبيان وطلع في اثرها سحاب هائل ووقع منه برد شديد الوقع اهلك كثيرًا من الشجر وجاء معهُ سيل عظيم في بلد الشام قلع ما مرّ بهِ من الشجر والصخر . حُكي ان ارتفاعه بوادي بني عُلَيم

---

١) قال سبط ابن الجوزي في ترجمة الشريف انهُ لمَّا دخل عسكر بدر الجمالي الى دمشق هرب منها الى عمان البلقاء فغدر بهِ بدر بن حازم وكان الشريف قد اطلق اباه حازم من خزانة البنود . وقال محمد بن هلال الصابي : لما خرج الشريف وبارزطغان من دمشق يريدان مصر اشار عليه بارزطغان بان لا يظهر بعمان البلقاء لان جا بدر بن حازم وان يسير في الليل فلم يقبل وسار بارزطغان الى حلّة بدر بن حازم وقال : جئناك لتذمّ لنا ولمن معنا . فقال : ومن معك . قالوا: الشريف بن ابي الجن . فقال : قد ذمّ الله لكم الّا الشريف فانهُ لا بدّ من حمله الى امير الجيوش . وسار اليهِ وقبض عليهِ ومضى بهِ الى عكاء وباعه بذهب وخِلَع واقطاع . فاركبه امير الجيوش جملًا وقتله اقبح قتلة ثم سلخ جلده وقيل سلخه حيًّا وصلبه . ولعن اهل الشام بدرَ بن حازم والعرب وقالوا : اما هذه عادتهم . ولقد كان الشريف من اهل الديانة والصيانة والعفّة والامانة محبًّا لاهل العلم واصطناع المعروف

نحو من ثلثين ذراعاً وانه سحب صخرةً عظيمة لا يقلّها خمسون رجلًا ذَهَبَ بهـا فلم يُعرَف مستقرّها . وفيها ورد الخبر بقيام ناصر الدولة ابي علي الحسن بن حمدان في جماعة من قوّاد الاتراك وامراء مصر على المستنصر بالله بمصر وأخذهم شيئاً كثيرًا من المال اقتسموه وكان امير الجيوش بدر في مبدأ امره مقيماً بالشام مُظهرًا الطاعة المستنصر بالله والموالاة له والميل اليه الّا انه لا يتمكّن من نُصرته ولا يجد سبيلًا الى موازرته ومعاضدته وزحف المذكورون الى دار وزيره المعروف بابن كدَينة فطالبوه بالمال فقال لهم : وايّ مالٍ بقي بعد نهبكم (59r) الاموال واقتسامكم الاعمال ؟ فالحّوا عليه وقالوا : لا بدّ من انفاذك الى المستنصر بالله وبعثك له على اخراج المال وتعريفه في ذلك صورة الحال . فكتب اليه رقعةً بشرح القصة وخرج الجواب عنها بخطّه يقول فيه

اصبحتُ لا ارجو ولا اتّقي الّا الهي ولهُ الفضـلُ
جدّي نبيّ وامامي ابي وقوليَ التوحيـد والعدلُ

المال مال الله والعبيد عبيد الله والاعطاء خير من المنع وَسيَعلمُ الذينَ ظلموا أيَّ مُنقلبٍ ينقلبونَ (١ . وفي هذه السنة خرج متملّك الروم مّن القسطنطينية الى الثغور

سنة احدى وستين واربعمائة

وفيها كانت ولاية معلى بن حيدرة بن منزو لدمشق

الامير حصن الدولة مُعَلى بن حيدرة بن منزو الكتامي ولى دمشق قهرًا وغلبةً وقسرًا من غير تقليد في يوم الخميس الثامن من شوّال سنة ٤٦١ بحِيَلٍ نمّقها ومحالاتٍ اختلقها ولفّقها وذُكِر ان التقليد بعد ذلك وافاه فبالغ في المصادرات حينئذٍ وارتكب من الظلم ومصادرة المستورين الاخيـار ما هو مشهور من العيث والجور ما هو شائعٌ بين الانام مذكورٌ ولم يلقَ اهـل البلد من التعجرف والظلم والعسف بعد جيش بن الصمصامة في ولايته ما لقوه من ظلمه وسوء فعله وقاسوه من اعتـدائه ولؤم اصله ولم تزل هذه افعاله الى ان خربت اعمالها وخلا عنها اهلها وهان عليهم مفارقة املاكهم وسُلُوّهم عن اوطانهم بما عانوه من ظلمه ولابسوه من تعدّيه وعسّمه وخلت الاماكن من قاطنيها والغوطة من فلّاحيها وما برح لقاء الله على هذه القضية المنكرة والطريقـة

1) Qur. XXVI, 228.

المكروهة الى ان اجاب الله ولهُ الحمد والشكر دُعاء المظلومين ولقّاهُ عاقبة الظالمين وحقّق الامل فيه بالراحة منه واوقع بينـه وبين العسكرية بدمشق الشحناء والبغضاء فخاف على نفسه الهلاك والبوار فاستشعر الوبال والدمار فلم يكن لهُ الّا الهرب منهم والنجاة من فتكهم لانهم عزموا على الايقاع بهِ والنكاية فيه وقصد ناحية بانياس (59v) فحصل فيها في يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة ٤٦٧ فاقام بها وعمّر ما عمّره من الحمّام وغيره فيها ثم خرج منها في اوائل سنة ٤٧٢ خوفاً من العسكر المصري ان يدركه فيها فيأخذه منها وحصل بثغر صور عند ابن ابي عقيل القاضي المستولي عليها ثم صار من صور الى طرابلس واقام بها عند زوج اخته جلال الملك ابن عمّار مدّة وأُطلع الى مصر فهلك في الاعتقـال قتلًا بالنعال في سنة ٤٨١ وذلك جزاء الظالمين وما الله بغافل عمّا يعملون

وفي هذه السنة وقع الخُلف بدمشق بين العسكرية وبين اهلهـا وطُرحت النار في جانبٍ منها فاحترقت واتّصلت النار منه بالمسجد الجامع من غربيّه فاحترق في ليـلة يوم الاثنين انتصاف شعبان من السنة فقلق الناس لهذا الحادث واُلمّم المؤلم الكارث وأسف القاصي والداني لاحتراق مثل هذا الجامع الجامع للمحاسن والغرائب المعـدود من احدى العجائب حُسنًا وبهاء ورونقًا وسنـاء وكيف اصابت مثله العيون الصوائب وعدت عليه عادية النوائب (١

(١) ومن اخبار الشام ما قال سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان ان بدر الجمالي كان قد ورد دمشق واليًا على الشام سنة ٥٨ ووصل عسقـلان وغزا بني سبيش ونكا فيهم وعاد الى الاقحوانة وجاءه اميران اخوان من قيس فقتلهما لاجل غارات كانت لهم بالشام قبـل وصوله اليه ثم سار يشقّ حلل العرب كلب وطي وغيرها شقًّا وفعل فعلًا لم يسبقه احدٌ اليه حتى وصـل الى دمشق فنزل قصر السلطنة بظاهرها واقام بسنة وكسر فامن الناس لهيبته . ثم قبض على ابن ابي الرضا خليفة الشريف القاضي الملكي ابي الفضل اسماعيل بن ابي الجن العلوي وعلى جماعة واخذ منهم عشرة آلاف دينار ووهبها لحازم بن جراح المفرّج . . . . عنهُ من مصر وكان قد هرب اليه فاعطاه المال استكفافًا لهُ عن معاونة الشريف ابي طاهر بن ابي الجن المنفـذ معه حازم لافساد امر بدر بالشام واثارة اهل دمشق عليه . ولمّا فعل بدر بالمذكورين ما فعل ثار اهل دمشق عليه واغلقوا ابوابها وحاربوه وساعدهم حصن الدولة (حيدرة) بن منزو وراسلهم مسمار بن سنان الكلبي وراسـلوه وحالفوه وجاء عرب مسمار فاغارت على قصر السلطنة بدمشق بظاهرها وعاد بدر الجمالي وراوحوه فانفذ ثقله واهله الى صيدا ومضى خلفهم اليها . وجمع ابن منزو عسكره وعسكر دمشق لقصد بدر فلمّا عرف ذلك رحل الى صور وحاصرها ومتولّيها القاضي الناصح ثقة الثقات عين الدولة ابو

وفيها وردت الاخبار من مصر بغلاء الاسعار فيها وقلّة الاقوات في اعمالها واشتداد

الحسن محمد بن عبد الله بن ابي عقيل فحاصرها اياماً وقرب منهُ ابن مترو فسار الى عكاء واقام اياماً دخل فيها بزوجته بنت رقطاش التركي ومضى الى عسقلان . وجاء الشريف ابن ابي الجن من مصر الى دمشق وكان اهلها هدموا قصر السلطنة ودرسوه وكان عظيماً يسع الوفاً من الناس واقام على دمشق سبعة وعشرين يوماً ومعه حازم وحميد ابنا جرّاح اللذان اتّفقا مع الشريف على الفتك ببدر وكان حميد قد طمع من بدر في مثل ما فعلهُ من حازم ولما عجز بدر عن دمشق عاد الى عكا لان الشريف والعساكر دفعوا عنها . ولما رحل عن دمشق اختلف العسكر واحداث البلد فنهب العسكر بعض البلد ونادوا بشعار بدر الجمالي واستدعوا منهُ صاحباً يكون عندهم فانفذ اليهم رجلاً يُعرف بالقطيان في جماعة من اصحابه فدخل دمشق وهرب الشريف ابن ابي الجن وولدا ابن مترو وكان ابوهما قد مات على صور في هذه السنة فنزل ابنا مترو على الكلبيين وسار الشريف طالباً مصر فاجتاز بعمان البلقاء وبها بدر بن حازم صاحبها فقبض على الشريف وباعه من بدر الجمالي باثني عشر الف دينار فقتله امير الجيوش بعكا خنقاً . وبعث بدر الجمالي الى دمشق علوياً يعرف بابن ابي شوية من اهل قيسارية وامر بمصادرة الشريف ابي الفضل بن ابي الجن اخي المقتول وجماعة من متقدّمي دمشق وعلم اهل دمشق فثاروا على ابن ابي شوية واخرجوه ولعنوا امير الجيوش ووافقهم العسكر وبعثوا الى مسمار بن سنان وحازم بن نبهان بن القرمطي امير بني كلب وبذلوا اليهما تسليم البلد فبعث اليهم مسمار يقول : لا يمكنني الدخول الى البلد وتمليكه والعسكر جميعه فيه والمغاربة والمشارقة ويجب ان يخالفوا بينهم ويُخرجوا المشارقة . ففعلوا وصاروا احزاباً وكان القتال في غربي الجامع ورمي المشارقة واهل البلد بالنشّاب من دار قريبة من الجامع فضربت الدار بالنار فاحترقت وثارت النار منها الى الجامع فاحرقتهُ ليلة نصف شعبان هذه السنة . ولما رأى العوامّ ذلك تركوا القتال وقصدوا الجامع طمعاً في تلافيه ليداركوا ما حدث فيه ففات الامر فرموا سلاحهم ولطموا واستغاثوا الى الله تعالى وتضرعوا وقالوا : كم نحلف ونكذب ونغدر ونخيث (و) نعاهد وننكث . والنار تعمل الى الصباح فاصبح الجامع ولم يبق منه الّا حيطانه الاربعة وصاروا ايام الجماعات يصلون فيه على التلال وهم يبكون وانهزموا بعد ذلك ونُهبت دورهم واموالهم . وانفذ مسمار والياً على دمشق من قبله يُعرف بفيتان وراسل مسمار اهل البلد ثانياً بانَ ينهبوا ويثبّوا على المغاربة فيخرجوهم ويتفق هو واهل البلد فثاروا عليهم وتأخر مسمار عنهم واقتتلوا فظهر عليهم المغاربة واحرقوا قطعة من البلد ونهبوا اكثره ونادوا بشعار بدر الجمالي . ووصل مسمار بعد ذلك الى باب البلد . وقد فات الامر الذي ورد لهُ فراسله المغاربة على ان يمكّنهم من المقام في البلد ويعطونه مائة الف دينار فرضي واقام اياماً في المكان وطالبهم بالمال فلم يعطوه شيئاً ولم يكن لهُ قدرة عليهم فسار الى السواد وكان ما نهب المغاربة من دمشق يساوي خمسمائة الف دينار . وتتبّعوا احداث دمشق فقتلوا منهم سبعين حدثاً . ومضى سنان الدولة ولد ابن مترو الى امير الجيوش وصالحه وصاهره على اخته وعاد الى دمشق والياً عليها من قِبَل امير الجيوش واطاعته المغاربة وسلّموها اليه فدخلها

وقال ايضاً ان فيها يعني سنة ٤٦٢ استولى القفيّ مختص بن ابي الجنّ اخو حيدرة المقتول على دمشق وطرد نوّاب امير الجيوش واستولى على صور ابن ابي عقيل وعلى طرابلس قاضيها ابن عمّار

الحال في ذلك واضطرارهم الى آكل الميتة وآكل الناس بعضهم بعضاً من شدّة الجوع وقتل من يُظفر بهِ واخذ ماله واستغراق حاله ومن سلِم هلك واحتاج الامير والوزير والكبير الى المسئلة. وفيها نزل الروم على حصن اسفونا وملكوه

سنة اثنتين وستين واربعمائة

فيها نزل امير الجيوش سيف الاسلام بدر المستنصري في العسكر المصري على ثغر صور محاصراً لعين الدولة بن ابي عقيل القاضي الغالب عليه فلما اقام على المضايقة له والاضرار بهِ كاتب القاضي ابن ابي عقيل الامير قُرلو مقدّم الاتراك المقيمين بالشام مستصرخاً له ومستنجداً بهِ فاجابه الى طلبه واسعفه بأربهِ وسار بعسكره مُنجداً له ومساعداً ووصل الى ثغر صيدا ونزل عليه في ستة الف فارس فحصره وضيّق عليه وعلى من فيه وكان في جملة ولاية امير الجيوش المذكور فحين عرف امير الجيوش صورة الحال ووصول الاتراك لانجاد من بصور واسعادهِ قادتهُ (60ᵀ) الضرورة الى الرحيل عن صور بعد ان استفسد كثيراً من اهلها والعسكرية بها بحيث قويت بهم شوكته وزادت بهم عدته وتلوّم عنها قليلاً ثم عاود النزول عليها والمضايقة لها واقام عليها في البر والبحر مدّة سنة احتاج اهلها مع ذلك الى آكل الخبز الرطل بنصف دينار ولم يتمّ له امر فيها لاختلاف الاتراك في الشام فرحل عنها. وفي هذه السنة مرض الامير محمود بن صالح في حلب مرضاً شديداً وخطب للامام القائم لامر الله على منبر حلب وقطع الدعوة المستنصريّة في تاسع عشر شوال. وفيها فتح ملك الروم ثغر منبج (١ واحرقه وعاد يقدم بعمارته ورحل عنه الى ناحية منازجرْد فعاث في اطرافها الى اطراف خراسان وبقيت منبج في ملكة هذا الملك واسمه على ما ذُكر اليزدوخانس سبع سنين ودام في الملك على ماحكي ثلثين سنة (٢

ثلث وستين واربعمائة

فيها جمع اتسز بن اوق مقدّم الاتراك الغزّ بالشام (٣ واحتشد وقصد ارض فلسطين

(ابو طالب) وعلى الرملة والساحل ابن حمدان ولم يبق لامير الجيوش غير عكا وصيدا

١) قال سبط ابن الجوزي وكان اكثر اهلها قد هربوا منها وبلغ كرى الراحلة منها الى حلب ثمانين ديناراً

٢) وقال ايضاً ان في الاثنين سابع صفر سنة ٤٦٨ فتحت قلعة منبج وارتجعت من يد الروم بعد حصار طويل سلّمها الحافظ لها بامان الى نصر بن محمود صاحب حلب واعطاه اقطاعاً ومالا وان كانت مدّة بقائها في يد الروم سبع سنين وشهراً فانها أُخذت في المحرم سنة ٤٦١

٣) هو ابن ابق في تاريخ الاسلام وفي مرآة الزمان انهُ مقدّم الناوكية

فافتتح الرملة وبيت المقدس وضايق دمشق وواصل الغارات عليهـا وعلى اعمالها وقطع الميرة عنها ورعى زرعها عدّة سنين في كل ربيع لمضايقتهـا والطمع في ملكتها ولم يزل متردّدًا الى ان اضطرب امرها وخربت المنازل بها وزاد غلاء الاسعار فيها وعُدم تواصل الاقوات اليها وجلا اكثر اهلها عنها واستحكم الخلف بين العسكرية والمصـامدة والاحداث من اهلها وكون الوالي مُعلّى بن منزو لعنه الله قد هرب عنها ولم يبق فيها من المقدّمين على الاجناد غير الامير زين الدولة زمام المصـامدة بها . وفي هذه السنة نزل السلطان العادل البارسلان بن داود اخي السلطان طغرلبك بن سلجوق رحمه الله على حلب محاصرًا لها وبها محمود بن صالح في يوم الثلثاء سابع عشر جمـادى الاخرة وضايقها الى ان ملكها بالامان فخرج محمود اليه فأمّنه وانعم عليه وولّاه البلد . ورحل عنـه ثالث وعشرين رجب قاصدًا الى بلاد الروم طالبًا ملكهم وقد توجّه الى منازجرد فلحقه واوقع بِهِ وهزمه وكان عسكره على ما حكي تقدير ستمائة الف من الروم وما انضاف اليهم من سائر الطوائف وعسكر (60v) الاسلام على ما ذكر تقـدير اربع مائة الف من الاتراك وجميع الطوائف وقُتل من عسكر الروم الخلق الكثير بحيث امتلأ وادٍ هناك عند التقاء الصفّين وحصل الملك في ايدي المسلمين اسيرًا وامتلأت الايدي من سوادهم واموالهم وآلاتهم وكراعهم ولم تزل المراسلات متردّدةً بين السلطان البـارسلان وبين ملك الروم المأسور الى ان تقرر اطلاقه والمنّ عليه بنفسه بعد اخذ العهود عليه والمواثيق بترك التعرُّض لشيء من اعمال الاسلام واطلاق الاسارى وأُطلق وسيّر الى بلده واهل مملكته فيقال انهم اغتالوه وسلّموه واقاموا غيره في مكانه لاشياء انكروها عليـه ونسبوها اليه (١

---

١) وقال الفارقي وهو احمد بن يوسف بن علي بن الازرق في تاريخه يعني تاريخ ميافارقين وآمد : ثم ان السلطان سمع ان ملك الروم عاد فنزل الى الموصـل فنزل خلفه جماعة كثيرة من اهل اخلاط ومنازجرد يعلمونهُ ان ملك الروم قد عاد الى البلاد فرجع السلطان وصعد الى ارزن و بدليس وكان معهم قاضي منازجرد فوصل اخلاط وملكها واقام بهـا اياماً . ثم وصل ملك الروم الى ولاية منازجرد فخرج السلطان وسار ونزل على باب منازجرد وحصلت المراسلات تمضي بينهما وكان ملك الروم في خلق لا يحصى . ومضى ابن المحلبان من عند السلطان الى ملك الروم فسألهُ عن البلاد وحالها وقال : اخبرني ايّما أطيب اصفهان او همذان . فقال : اصفهان . فقال لهُ : قد بلغنا ان همذان شديدة البرد . فقال : هو كذلك . فقال الملك : نشتّي نحن في اصفهان والكراع في همذان . وقال لهُ ابن المحلبان : اما الكراع صحيح يشتّي في همذان واما انت فلا اعلم . ثم انتقل عنهُ والتقوا

سنة اربع وستين واربعمائة

في المحرَّم منها قُتل الامير جعبر صاحب قلعة دوسر فيها بمكيدة نُصبت لهُ وحيلة

للقتال فعبَّت الروم صفافها في ثلثمائة الف فارس والسلطـان في نفر يسير فضيق الوقت للقتال وكان يوم الجمعة الى وقت ما علم السلطان ان الخطيب على المنبر وحان وقت نزوله فقال للناس: احملوا. فحملوا كلهم وكبّروا وقال السلطان: هذا وقت الدعاء على جميع المنـابر لجيوش المسلمين و باقي الناس يؤمنون على دعائهم فلعلّ الله يستجيب من واحد منهم. ثم حملوا وكبّروا فاعطاهم الله النصر فانهزم ملك الروم وقتل من اصحابه خلقاً عظيماً وغنموا اموالهم بحيث تقـاسموا الذهب والفضـة بالارطال. وغنم اهل اخلاط ومنازجرد من اموالهم ما استغنوا بهِ الى الان فانهم خرجوا واقاموا مع الجيش وقاتلوا ونهبوا اكثر النهب ومن تلك السنة استغنى اهل اخلاط وحصلوا ارباب مال. وعاد السلطان الى اذربيجان وولّى في اخلاط ومنازجرد والياً وخرجت عن حكم بني مروان والى الان (يعني سنة ٥٧٢) هي بحكم السلطان يقطعهما

واماَّ هذه الوقعة العظيمة فروى عنها سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان ان البارسلان قد سار من همذان في ذي القعدة سنة ٦٢ فلما قارب ارجيش ومنازجرد من بلد اخلاط فتحهما وقتل وسبى و بعث بين يديه الافشين في سريَّة وكان اريسيغي زوج اخت السلطان معه جماعة من الناوكية وكان السلطان يطلبهم فساروا من حـازين الى بلاد الروم خائفين من السلطان ورحل السلطان الى بلد ميافارقين فخرج الى خدمته نصر بن مروان وهو خائف منهُ وكان الوزير نظام الملك قد مضى اليهِ وخرج بهِ الى السلطان فقرّبه وخلع عليـهِ وقسَّط عليهِ مائة الف دينار للجند واخرج للسلطان من الاقامات شيئاً كثيراً اخذه من الرعيَّة فردّه عليه وقال: ما لنا الى اموال الفلّاحين حاجة. فحمل الاقامات من خاصّيهِ. وفتح حصن السويدا وحصوناً كثيرة وكان الغزّ يبقرون بطون النساء و يقتلون من الاسارى مَن يضعف عن المشي معهم وتسرَّع جماعة من الغلمان الى حران ونواحيها فنهبوها وهرب الناس الى حصن الرافقة. ونزل السلطان الرُّها وقاتلهُ اهلها وطمّ الخندق بالاشجار وغيرها وكانوا قد بذلوا اول ما نزل خمسين الف دينـار و ينصرف عنهم فرضي وفتر القتال عنهم فقالوا: لا نعطيك المال حتى تهدم آلات الحرب ونحرقها. فامر بكسرها وحريقهـا فلما فعل ذلك رجعوا. وكان عنده رسول من الملك وهو الواسطة بينهم فاغتاظ السـلطان وتقدَّم بمسك الرسول وقتله فقال نظام الملك: هذا لم يجر بهِ عادة ولا احبُّ ان تسنّ سنّة لا يعرف باطنها ويقبح ظاهرها. ولطف بهِ حتى افرج عن الرسول واعطاه جواب كتبـه وصرفه. ورحل في الحادي عشر من ربيع الاخر طالباً للفرات لحالين احدها تأخُّر خبر الافشين والثاني تقاعُد من بقي معـهُ من العراقيين عسكر طغرلبك عن القتال وخبث نفوسهم لتأخُّر ارزاقهم ولما انصرف عن الرُّها استخرج اهلها القتلى وقطعوا رؤوسهم ليحملوها الى ملك الروم واحرقوا جثثهم وصالح اهل حران على مال. ونزل السلطان على الفرات رابع عشر ربيع الاخر ولم يخرج اليه محمود صاحب حلب فغاظهُ ذلك وعبر الفرات واخربت العساكر بلد حلب ونهبوه ووصلوا الى القُريتين من اعمال حمص ونهبوا بني كلاب وعادوا بغنائم عظيمة وهربت العرب الى البرية. وراسـل محمود وطلب منهُ الحضور فامتنع وحمل اليهِ الاموال التي قسَّطها على بلاده فقال: ما اعرف لامتناعك من قصـد خدمتي مع

تمّت عليه وغفلةٍ استمرت بهِ . وفيها ملكت الرقة واستولى عليها . وفيها نهض محمود بن

اقامتك الخطبة لي واتّصال مكاتبتك وجهاً وقد علمتَ احساني الى كل من حضر عنـدي من ملوك الاطراف . فارسل محمود والدته وولده بخدمة قليلة فزاد غيظ السلطان . واتّفق ان الخليفـة بعث لمحمود الخلع التي طلبها لما خطب للقائم مع نقيب النقباء منها الفرجيَّة والعمامة وفرس بمركب ثقيل ولواء ولوالدته فرسين وثياباً ولبني عمه خيلًا وثيـاباً وخرج محمود والتقى النقيب فسلّم عليهِ عن الخليفة فنزل وقبّل الارض ولبس الخلع وركب الفرس ودخل الى حلب واقام النقيب يومين لم يرَ من محمود فيهما ما ظن فركب اليهِ (و) قال محمود : انا اطيعكم وهذا السلطان على بعـد وطلبت حراستي وحراسة بلادي فاماً البلاد فقد شاهدت خرابها ونهبها وانا مُطالب بالخروج اليهِ والاموال التي تفقدني ومهد بالحصار والبوار وهذا كتاب السلطان عندي بالاعفاء من دوس البساط . فقـال النقيب : هات الكتاب لامضي اليهِ . فاعطاه اياه فخرج اليهِ وكان نازلًا على الفندق فلما وصل بعث السلطان اليهِ بفرس النوبة واكرمه واستدعاه وبلّغه عن الخليفة ما حمله اليهِ فقـام وقبّل الارض وشكر ودعا وقال لهُ : ما الذي اخرجك ؟ فقال : جئت لاخرج محمود الى خدمتك فاخرج اليَّ هذا الكتاب . فقال : صحيح انا كتبتهُ تطبيباً لقلبه مع بعدي عنهُ فاماً اذا قربتُ منهُ فما اقنع بهذا وايّ عذر لنا اذا كان متحمياً الينا وقد عصى علينا ونصب المجانيق ليستعدّ للحصار واي حرمة تبقى لنا عند الملوك ؟ ويجب ان ترجع اليهِ وتضمن لهُ عني كلما يريد . قال النقيب : فقلتُ : سمعاً وطاعةً . وثقل عليهِ ما بعث لهُ الخليفة فقال بعض الحجّاب : ما فعل هذا الّا بامرك فسكن . واجتمعتُ بنظام الملك وقلتُ : محمود يخدم بعشرين الف دينار للسلطان وخمسة الاف دينار لك ويدفع باللقاء الى حين عود السلطان من دمشق . وعدتُ الى حلب واخبرتُ محموداً فقال : اماً المال فما عندي حبّة واما الخروج فلا سبيل اليهِ . ونزل السلطان على حلب يوم الاحد لليلة بقيت من جمادى الاخرة فقاتلهم فذلّوا فارسل محمود يطلب الموادعة وخرج اليهِ في الليل ومعـه والدته فاخذت بيده ودفعتهُ الى السلطان وقالت : هذا ولدي قد سلّمتهُ اليك فاحكم فيهِ بما تراهُ فتلقّاه بما احبّ واكرمه . وقال : عُد الى قلعتك وترجع الينا في غد ليظهر من اكرامنا ما تستحقهُ . فرجع الى القلعة وعاد من الغـد وتلقاه نظام الملك والحجّاب والخواصّ ولم يتخلّف غير السلطان ودخل على السلطان فخلع عليهِ الخلع الجليلة واعطاه الخيل بمراكب الذهب والفضّة والكوسات والاعلام وعتبه فقال محمود : والله ما كنتُ الا على نية تلقيك حتّى خُيّفت منك . فعلم السلطان من فعل ذلك فكاسر . . . . .

وبينما هم على ذلك وردت رسل ملك الروم بردّ منبج وارجيش ومنازجرد اليهِ وتحمّل اليه الهدنة وجاءه خبر الافشين وعوده سالماً وضجر السلطان من المقام بحلب فكر راجعاً فقطع الفرات وهلك اكثر الدواب والجمال وكان عبوره شبـه الهارب ولم يذهب من يلتفت الى ما ذهب من الارواح والدواب وعاد رسول الروم مستبشرًا الى صاحبه فقوي ذلك عزم ملك الروم على اتباعه وحربه . واما حديث الافشين فان ابن اربسيغي هرب من السلطان ومعهُ طائفة من الناوكية يريد القسطنطينية وجاء الى در بند وعليه قلعة فيها امرأة يقال لها مريم فسألها ان تمكّنـهُ من العبور فلم تفعل ذلك وكان الملك لما بلغـهُ خبر اربسيغي بعث ميخائيل لقتاله ظنّاً منهُ انهُ عدوّ فلما قرب منهُ ميخائيل ارسل اليهِ : ما جئتُ لاحاربكم وانما جئتُ ملتجئاً اليكم من السلطان . فقـال : كذبتَ . فقال : لو كان هـذا صحيحاً لمَا اخربتَ بلادنا ونهبت وقتلت . فحلف لهُ فلم

صالح من حلب فيمن حشد من العرب وقصد ناحية عزاز في يوم السبت الثاني والعشرين

يصدقهُ واقتتلوا فنصر اريسيغي على الروم فقتل منهم خلقاً عظيماً واسر ميخائيل وقطع عليهِ سبعين قنطارًا ذهباً . وقرب الافشين منهم فقال اريسيغي لميخائيل : القصّة كذا وكذا وانا اطلقك ولا آخذ شيئاً وتجيروني من الافشين . وعلم سرّه فآمنهُ وسارا جميعاً الى القسطنطينية وجاء الافشين الى خليجها فقام بهِ اياماً وراسل الملك وقال : بيننا وبينك هدنة ولما دخلتُ بلادك ما تعرّضتُ لاحد وهؤلاء الناوكية اعداء السلطان وقد نهبوا بلادك واخربوها ويجب ان تسلّمهم الينا والّا اخربتُ بلادك ولا هدنة بيننا . فقال الملك : كلما ذكرتهُ صحيح ولكن عادتنا من لجأ الينا ان لا نسلّمهُ . فرجع الافشين فدرس الروم فلم يسلم منهُ الا حصن منيع وبلد كبير ووصل الى درب مريم ووقع الثلج فاقام حتى ارتفع وسار الى اخلاط ومعهُ من الغنائم ما لم يغنمهُ احد وكتب الى السلطان بذلك. وسار السلطان الى الوزير فجاءه خبر ملك الروم انهُ قد تجهّز في العساكر الكثيرة وانهُ قاصد بلاد الاسلام وكان السلطان في قليل من العسكر لانهم عادوا جافلين من الشام وتلك الجفلة استهلكت اموالهم ودوابهم فطلبوا مراكزهم وبقي السلطان في اربعة الاف غلام ولم يرَ الرجوع لجمع العساكر فتكون هزيمة . فانفذ بخاتون السفرية مع نظام الملك والاثقال الى همذان وامره بجمع العساكر وانفاذها اليهِ وقال لوجوه عسكره الذين بقوا معهُ : انا صابر صبر المحتسبين وصائر في هذه الغزاة مصير المخاطرين فان نصرني الله فذاك ظني في الله تعالى وان تكن الاخرى فانا اعهدُ اليكم ان تسمعوا لولدي ملك شاه وتطيعوه وتقيموه مقامي . فقالوا : سمعاً وطاعةً . وبقي جريدة مع العسكر الذين ذكرنا ومع كل غلام فرس يركبه واخر يجنبه وصار قاصدًا ملك الروم وارسل احد الحجّاب الذين كانوا معهُ في جماعة من الغلمان مقدّمة لهُ فصادف عند اخلاط صليباً يحيئهُ مقدّم الروم في عشرة الاف فحاربهم فنصر عليهم واسر المقدّم وكان من الروس واخذ الصليب

وبعث الى السلطان بذلك فاستبشر وقال : هذه امارة النصر . وارسل بالصليب الى همذان وجدع انف المقدّم ثم امر بان يُحمل الى الخليفة . ووصل ملك الروم الى منازجرد فاخذها بالامان وقصد ناحية السلطان في موضع يعرف بالرهو بين اخلاط ومنازجرد لخمس بقين من ذي القعدة فبعث اليهِ السلطان بان يرجع الى بلاده ويتمّم الصلح الذي توسّطهُ الخليفة فقال : لا ارجع حتّى افعل ببلاد الاسلام مثل ما فعل ببلاد الروم وقد انفقتُ الاموال العظيمة وكيف ارجع ؟ وكان يوم الاربعاء واقام السلطان الى نهار الجمعة وجمع وقت الصلاة اصحابه وقال : الى متى نحن في نقص وهم في زيادة اريد ان اطرح نفسي عليهم في هذه الساعة التي جميع المسلمين يدعون لنا على المنابر فان نصرنا عليهم والّا مضينا شهداء الى الجنّة فمن احبَّ ان ينصرف فلينصرف مصاحباً فما ههنا اليوم سلطان وانما انا واحد منكم وقد فتحنا على المسلمين ما كانوا عنهُ في غناء . فقالوا : ايها السلطان نحن عبيدك ومهما فعلت تبعناك . وكان قد اجتمع اليهِ عشرة الاف من الاكراد وانما اعتماده بعد الله تعالى على الاربعة الاف الذين كانوا معهُ وملك الروم في مائة الف مقاتل ومائة الف نقاب ومائة الف جُرجي ومائة الف صانع واربعمائة عجلة تجرّها ثمانمائة جاموس عليها نعال ومسامير والفا عجلة عليها السلاح والمجانيق وآلة الزحف وكان في عسكره خمسة الاف بطريق ومعهُ منجنيق يمدّه الف رجل ومائتا رجل ووزنُ حجرهِ عشرة قناطير وكل حلقة منهُ مائتا

من رجب للقاء الروم فاندفعت الروم بين ايدي العرب والعرب في عدَّةٍ قليلة تُناهز الف رطل بالشامي وكان في خزانته الف الف دينـار ومائة الف ثوب ابريسم ومن السروج الذهب والمناطق والمصاغات بمثل ذلك . وكان قد اقطع البطارقة البـلاد مصر والشام وخراسان والريّ والعراق واستثنى بغداد وقال : لا تتعرَّضوا لذلك الشيخ الصالح فانهُ صديقنا (يعني الخليفة) . وكان عزمهُ يشتّي بالعراق ويصيّف بالعجم واستناب في القسطنطينية من يقوم مقامهُ وعزم على خراب بلاد الاسلام . فلماً كان يوم الجمعة وقت الصلاة قد شاور السلطـان اصحابه قام قائمًا ورمى القوس والنشّاب من يده وشدّ ذنب فرسه بيده واخذ الدبوس وفعل اصحابه كذلك وبغتوا الروم وصاحوا صيحة واحدة ارتجَّت لها الجبال وكبَّروا وصاروا في وسط الروم فقاتلوهم وما لحق الملك يركب فرسه وما ظنّ انهم يقدمون عليهِ فنصر الله المسلمين عليهم فانهزموا وتبعهم السلطان بقية نهار الجمعة وليلة السبت يقتل ويأسر فلم ينجُ منهم الَّا القليـل وغنموا جميع ما كان معهم ورجع السلطان الى مكانه . فدخل عليهِ الكوهراين فقال : ان احد غلماني قد اسر ملك الروم وكان هذا غلامي قد عُرض على نظام الملك فاحتقره واسقطهُ فكلَّمهُ فيهِ فقال مستهزئًا بهِ : لعلَّهُ يجيئنا بملك الروم اسيرًا . فأجرى الله تعالى اسر ملك الروم على يده . واستبعد السلطان لذلك وارسل خادمًا يقال لهُ شاذي كان قد ارسلهُ بهِ فلما رآهُ عرفهُ فرجع واخبر السلطـان فامر بانزاله في خيمة ووكل بهِ واستدعى الغلمان وسألهُ : كيف اسرتهُ . فقال : رأيتُ فارسًا وعلى رأسه صلبـان وحوله جماعة من الخدم الصقالبة فحملتُ عليهِ لاطعنهُ فقال لي واحد منهم : لا تفعل فهذا الملك . فاحسن السلطان اليهِ وخلع عليهِ وجعلهُ من خواصّه فقال : اريد بشارة غزنة . فاعطاهُ اياها . ثم ان السلطان احضر الملك واسمهُ ارمانوس وضربهُ ثلاث مقارع ورفسهُ برجلهِ ووبَّخهُ وقال : ألم ارسل اليك رسل الخليفة اطال الله بقاءه في امضاء الهدنة فابيتَ ألم ارسل اليك مع الافشين «اطلب اعدائي» فتمتَ ألم تمذَّرتَ وقد حلفت لي . ألم ابعث اليك بالامس اسألك الرجوع فقلت « قد انفقت الاموال وجمعت العساكر الكثيرة حتى وصلت الى هاهُنا وظفرت بما طلبت فكيف ارجع ألا ان افعل ببلاد المسلمين مثل ما فُعل ببلادي » وكيف رأيت اثر البغي ؟ وكان قد جعل في رجليهِ قيدين وفي عنقه غلًّا فقـال : ايها السلطان قد جمعت العساكر من سائر الاجنـاس وانفقت الاموال لاخذ بلادك ولم يكُ النصر وبلادي ووقوفي على هذه الحال بين يديك بعد هذا فدَعْني من التوبيخ والتعنيف وافعـل ما تريد . فقال لهُ السلطان : فلو كان الظفر لك ما كنت تفعل معي ؟ . قال : القبيح . فقال : آه صدق والله لو قال غير هذا لكذب هذا رجل عاقل جلد لا يجوز قتله . ثم قال لهُ . ما تظن الَّا ان افعل بك ؟ قال : احد ثلثة اقسام اما الاولى فقتلي والثاني اشهاري في بلادك التي تحدَّثتُ بقصدها واماَّ الثالث فلا فائدة في ذكره لانك لا تفعلهُ . قال : وما هو ؟ قال : العفو عني وقبول الاموال والهدنة واصطناعي وردّي الى ملكي مملوكًا لك وبعض اسفهسلاريّتك ونائبك في الروم فان قتلك لي لا يفيدك وهم يقيمون غيري . فقال السلطان : ما نويت الَّا العفو عنك فاشترِ نفسك . فقال : يقول السلطـان ما يشاء . فقال : عشرة الاف الف دينار . فقال : والله انك تستحق ملك الروم اذ وهبت لي نفسي ولكن قد انفقتُ اموال الروم واستملكتُها منذ وليتُ عليهم في تجريد العساكر والحروب وافقرت القوم . ولم يزل الخطاب يتردَّد الى ان استقرَّ الامر على الف الف وخمسمائة الف دينار وفي الهدنة على ثلثمـائة الف دينار وستين الف دينار في كلّ سنة وان ينفذ من عساكر الروم ما تدعو الحاجة اليهِ . وذكر اشياء

فارس وقصدوا انطاكية واجتمعوا بها وعادت العرب الى حلب. وفيها ورد الخبر من

فقال: اذا منت علي عجل سراحي قبل ان تنصب الروم ملكاً غيري فيفوت المقصود ولا اقدرُ على الوصول اليهم فلا يحصل شيء مما شرطتَهُ عليَّ؟ فقال السلطان: اريد ان تُعيد انطاكية والرها ومنبج ومنازجرد فانها أُخذت من المسلمين عن قرب وتفرج عن اسارى المسلمين. فقال: اما البلاد فان وصلتُ سالماً الى بلادي انفذتُ اليها العساكر وحاصرتُها واخذتُها منهم وسلّمتُها اليك واما القوم فلا يسمعون مني واما اسارى المسلمين فالسمع والطاعة اذا وصلتُ سرّحتُهم وفعلتُ معهم الجميل. فامر السلطان بفكّ قيوده وغلّه ثم قال: اعطوهُ قدحاً ليسقينيه. فظنّهُ لهُ فاراد ان يشربهُ فمُنع وأُمر بان يخدم السلطان ويناولهُ القدح فاومأ الى تقبيل الارض وناول السلطان القدح فشربهُ وجزّ شعره وجعل وجهه على الارض وقال: اذا خدمت الملوك فافعل كذا. وانما فعل السلطان ذلك لسبب اقتضاه وهو ان السلطان لمّا كان بالري وعزم على غزو الروم قال لفرامرز ابن كاكويه: هوذا امضي الى قتال ملك الروم واخذه اسيراً واوقفهُ على رأسي ساقياً. فحقّق الله قوله. واشترى جماعة من البطارقة واستوهب اخرين فلما كان من الغد احضره السلطان وقد نصب لهُ سريره ودسته الذي أُخذ منهُ فاجلسهُ عليهِ وخلع عليهِ قباءه وقلنسوية والبسهُ اياها بيده وقال: قد اصطنعتك وقنعتُ بامانتك وانا اسيّرك الى بلادك واردّك الى ملكك. فقبّل الارض. وكان لما بعث الخليفة ابن المحلبان اليه امر بكشف رأسه وشدّ وسطه وان يقبل الارض بين يديهِ فقال لهُ السلطان: أَلست الفاعل بابن المحلبان رسول الخليفة كذا وكذا فقُم الان واكشف رأسك وشدّ وسطك. واومىء الى ناحية الخليفة وقبّل الارض. ففعل فقال السلطان: اذا كنتُ انا وانا اقلّ الملوك الذين في طاعته فعلتُ بك ما فعلتُ وانا في شرذمة من جندي وقد حشدت دين النصرانية فكيف لو كتب الخليفة الى ملوك الارض يأمرهم فيك بامر؟ وعقد لهُ السلطان راية فيها مكتوب «لا اله الا الله محمد رسول الله» وانفذ معهُ حاجبين ومائة غلام فوصلوا بهِ الى القسطنطينية وركب معهُ وشيعهُ قدر فرسخ فاراد ان يترجّل فمنعهُ السلطان وخفّ عليهِ وضمّهُ اليهِ وتعانقا وعاد السلطان عنهُ. حكى ملك الروم قال: العادة جارية ان الملك الخارج من القسطنطينية اذا اراد الخروج الى حرب دخل البيعة الكبرى واستشفع بصليب ذهب بها مرصّع باليواقيت (قال) فدخلتُ البيعة لمّا عزمت على هذه السفرة واستشفعتُ اليهِ واذا بالصليب قد زال عن موضعه الى القبلة الاسلامية فعجبتُ من ذلك وسويتُهُ الى المشرق واتيتُهُ من الغد واذا بهِ قد مال الى القبلة فامرتُ بشدّه بالسلاسل ثم دخلت اليهِ في اليوم الثالث واذا بهِ قد مال الى القبلة فتطيّرت وعلمتُ اني مغلوبٌ ثم غلبني الهوى والطمع فسرت الى بلاد الاسلام فكان مني ما كان

وقال ابو يعلى بن القلانسي ان عسكر صاحب الروم كان ستمائة الف من الروم وسائر الطوائف والذي ذكر من انهُ كان مع السلطان اربعة الاف مملوك هو الاصحّ لما ذكرنا من ان العساكر تفرّقت عنهُ

ثم كتب السلطان الى الخليفة بشرح ما جرى وبعث بعمامة ملك الروم والصليب وما اخذ من الروم وذلك في ثالث عشر من ذي الحجة فقُرئت الكتب في بيت النوبة وسرّ الخليفة والمسلمون وزُينت بغداد تزييناً لم تُزيّن مثلهُ وعملت القباب وكان فتحاً عظيماً لم يكن في الاسلام مثله. وعاد السلطان الى الريّ وهمذان

بغداد في شهر ربيع الاول منها بان الامام الحافظ ابا بكر احمـد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب رحمهُ الله توفّي يوم الاثنين السابع من ذي الحجة منهـا وحُمل الى الجانب الغربي من بغداد وصُلّي عليهِ ودُفن بالقرب من قبة احمد بن حنبل رحمه الله (١

واما ملك الروم ارمانوس فقال عنهُ السبط ايضاً: انهُ لما جرى عليهِ ما جرى سبق خبره الى القسطنطينية فوثب ميخائيل على المملكة وقبض على والدته زوجة ارمانوس ولها ابن و بنت فحلق رأسها والبسها الصوف وادخلها الدير . ووصل ارمانوس الى دوقية وحصل في قلعتهـا وعرف الخبر فلبس الصوف واظهر الزهد في الملك وراسل ميخائيـل يقول: قد فعلت في جمع العساكر وانفاق الاموال واعزاز دين النصرانية ما فعلت ولم آلُ جهدًا ولا غُلبت من قلّة ولا من ضعف الرأي وقد كان من قضاء الله تعالى وقدره في نصر الاسلام واهله ما لا قدرة لاحد فيهِ ولا في ردّه ودفعـه ولمّا حصلت في هذا الرجل تكرّم الكرم الذي لم اظنّهُ وقرّر عليّ مال الهـدنة ومَنَّ عليّ واطلقني وصعدت الى الحصن زاهدًا في الملك ولبست الصوف وحمدت الله اذ حصلت في المكان الذي انت احقّ بهِ من غيرك ويجب عليّ ان اعرّفك حال هذا السلطان وما فيهِ من الفضل والاحسان فان قبلت قولي كنتُ الواسطة بينكما في حفظ دين النصرانيـة وان خالفت فانت أعلم وتؤدي المال الذي قرّر عليّ وتخلص رقبتي من امانة فيها . فاجابه باستصواب رأيه واعتذر بان الحروب انفذت الاموال وهو يحمل ما قرّر عليهِ مال فكاكه مع مال الهدنة اولًا اولًا الى ان يوفيه . فانفذ ارمانوس الى السلطان بذلك وانفذ اموالًا كانت في حصن دوقيّـة نحو مائتي الف دينار من جملتها طشت وابريق وطبق من ذهب مرصّع بالجواهر تبلغ قيمتهُ سبعين الف دينار وحلف بالانجيل انهُ ما امكنهُ حمل اكثر من هذا ولا امتدّت الى غيره واعطى الحاجبين الذين سارا في خدمته والغلمان ما جازاهم بهِ واعتذر اليهِ ووصل ذلك الى السلطان واجابهُ بما سأل ورضي بتأخير المال مع مال الهـدنة . ثم بعث ميخائيل بعد انفصال الغلمان عن ارمانوس بقولهِ: ان كنت قد تزهّدت حقيقةً فيجب ان تنتقل الى بعض البيع وتخلّي عن الحصن لارتّب فيهِ من يحفظـهُ . فتنكّر ارمانوس وقال: كانّهُ ما قنع لي بترول الملك وحصولي في الحصن حتى ينـافسني فيهِ . فرمي بالصوف واقترض اموالًا من التجار الذين كانوا في الحصن وجمع اليهِ عسكرًا من الارمن وقصـد سنخاريب ملك الارمن فبعث اليهِ يقول: ان كنت جئتني ضيفًا خدمتُك اما محاربة ميخائيل فلا قدرة لي عليها . فقال: ما جئتك الّا ضيفاً . فخرج اليهِ وتلقّاهُ وقبض عليهِ واخذ امواله وكان ثمانين قنطـارًا وتقدّم بسملـه وحبسه . وكان مع ارمانوس الوفٌ من الروم والارمن فاستخدمهم سنخاريب وسار الى قونية والبلاد فملكها واستولى على معظم الروم وسار الى ملطية وصادر اهلها واخذ اموالهم وراسل السلطان فوعده ان ينجده بنفسه

١) قال سبط ابن الجوزي في ترجمة الخطيب في السنة ٤٦٣ . قال محمد بن طاهر المقدسي: لمّا هرب الخطيب من بغداد عند دخول البساسيري اليهـا قدم دمشق فصحبه حدثٌ صبيح الوجه فكان يختلف اليهِ فتكلّم الناس فيهِ واكثروا وبلغ والي المدينة وكان من قبل المصريين شيعياً فامر صاحب الشرط بالقبض على الخطيب وقتلهِ وكان صاحب الشرطة سنيًّا فهجم عليهِ فرأى الصبي عنده وهما في خلوة فقال للخطيب: قد امر الوالي بقتلك وقد رحمتُـك وما لي فيك حيلة الّا اني اذا

سنة خمس وستين واربعمائة

فيها هرب الامير ابو الجيوش علي بن المقلد بن منقذ من حلب خوفاً من صاحبها الامير محمود بن صالح حين عرف عزمه على القبض عليهِ وقصد المعرّة ثم قصد كفرطاب. وفيها ورد نعي الامير عطية عمّ الامير محمود بن صالح من القسطنطينية في ذي الحجة. وفيها ورد سارُ الامير محمود بن صالح من حلب فيمن جمعه وحشده من عسكره الى الرحبة. وفي هذه السنة ورد الاخبار باستشهاد السلطان العادل البارسلان ابن داود (١ اخي السلطان طغرلبك ملك الترك على نهر جيحون عند حصن هناك بيد من اغتال من الباطنية المتزيين بطريقة الزهّاد المتصوّفة على القضية المشهورة (61^r) والسجيّة المذكورة

سنة ست وستين واربعمائة

فيها فتح الامير محمود بن صالح قلعة السنّ في يوم الخميس تاسع شهر ربيع الآخر. وفيها وردت الاخبار من بغداد بزيادة مَدّ دجلة حتى غرق بها عدّة اماكن وهُدم عدّة مساكن. وفيها وردت الاخبار من ناحية العراق بانتصاب السلطان العادل ملك شاه ابي الفتح محمد بن السلطان البارسلان في المملكة بعد ابيه وجلوسه على سرير الملك بعد اخذ البيعة لهُ على امراء الاجناد وكافة ولاة الاعمال والبلاد فاستقامت له الامور وانتظمت بهِ الاحوال على المراد والمأثور واستمر التدبير على نهج الصلاح وسنن النجاح وسلك في العدل والانصاف مسلك ابيه العادل عن طريقة الجور والاعتساف ورتّب النواب في الاعمال والثقات في حفظ الاموال. وفيها توفي ابو علي الحسين بن سعيد بن محمد بن سعيد العطّار بدمشق. في يوم الجمعة من صفر وكان من اعيان شهودها وحدّث عن جماعة

خرجتُ بك امرُّ على دار الشريف ابن ابي الجن العلوي فأدخل داره فاني لا اقدر على الدخول خلفك. وخرج بهِ فمرّ على دار الشريف فوثب الخطيب فصار في الدهليز وعلم الوالي فارسل الى الشريف يطلبهُ منهُ فقال الشريف: قد علمت اعتقادي فيهِ وفي امثاله وليس هو من اهل مذهبي وقد استجارني وما قَتْله مصلحة فان لهُ بالعراق صيتاً وذكرًا فان قتلتهُ قتلوا من اصحابنا عدّة واخربوا مشاهدنا. (قال) فخرج من البلد فاخرجوهُ فمضى الى صور

١) وفي الاصل: عبد د

سنة سبع وستين واربعمائة

فيها وردت الاخبار من ناحية العراق بوفاة القائم بامر الله ابي جعفر عبد الله بن الامام القادر بالله في يوم الخميس الثالث عشر من شعبان وامه ام ولدٍ تسمّى قطر الندى روميّة وادركت خلافته وماتت في رجب سنة ٤٥٢ وكان مولده في الساعة الثالثة من نهار يوم الخميس وقيل الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة سنة ٣٩١ وتولّى الامر بعد ابيه وعمره احدى وثلثون سنة في يوم الاثنين الحادي عشر من ذي الحجة سنة ٤٢٢ (ومات) وعمره ست وسبعون سنة وكانت ايامه اربعًا واربعين سنة وتسعة اشهر واياماً وكان جميلًا مليح الوجه ابيض اللون مُشربًا حمرةً حسن الجسم ابيض الرأس واللحية ورعًا متديّنًا زاهدًا عالمًا وكان رحمه الله قد يلي من ارسلان الفساسيري بما يلي الى ان اهلكه الله واراحه بالعزائم السلطانية حسب ما تقدّم بهِ شرح الحال. وروي عنه انهُ لمّا اعتقل في الحديثة كتب رُقعةً وانفذها الى مكة حرسها الله تعالى مستعديًا (61^٧) الى الله تعالى على الفساسيري وعلقت على الكعبة ولم تُحطّ عنها الى ان ورد الخبر بخروجه من الاعتقال من الحديثة وعوده الى داره وهلاك عدوه الفساسيري وعنونها « الى الله العظيم من المسكين عبده ». ونسخة الاستغاثة:

« بسم الله الرحمن الرحيم اللهمّ انك العالم بالسرائر والمطّلع على مكنون الضمائر اللهم انك غني بعلمك واطلاعك على خلائك عن اعلامي هذا عبد من عبيدك قد كفر نعمتك وما شكرها والغي العواقب وما ذكرها اطغاهُ حكمك وتجبّر باناتك حتى تعدّى علينا بغيًا واساء الينا عُتوًّا وعدوًّا اللهمّ قِلّ الناصر واعتزّ الظالم فانت المطّلع العالم والمنصفُ الحاكم بك نعتزّ عليهِ واليك نهرب من يديهِ فقد تعزّز علينا بالمخلوقين ونحن نعتزّ بك يارب العالمين اللهمّ انّا حاكمناهُ اليك وتوكلنا في انصافنا منهُ عليك ورفعنا ظلامتنا هذه الى حرمك ووثقنا في كشفها بكرمك فاحكم بيننا بالحق وانت خير الحاكمين واظهر اللهمّ قدرتك فيهِ وارنا ما نرتجيه فقد اخذته العزّة بالاثم اللهمّ فاسلبه عزّه وملّكنا بقدرتك ناصيتهُ يا ارحم الراحمين وصلّ يارب على محمد وسلم وكرم »

وتولّى بعده الامر ولد ولدهِ الامام ابو القاسم عبد الله بن ذخيرة الدين (بن) القائم بامر الله امير المؤمنين وكان ذخيرة الدين ولي العهد فتوفّي في حياة ابيهِ القائم بامر الله فعقد الامر لابنه ابي القاسم عبد الله ولقبه المقتدي بالله وأُخذت لهُ البيعة في شعبان سنة ٤٧٧ وعمره تسع عشرة سنة وثلثة اشهر وايام. وفي هذه السنة وردت

الاخبار من ناحية حلب بوفاة صاحبها الامير محمود بن شبل الدولة بن صالح بحلب في جمادى الاولى وقام في منصبه ولده الامير نصر بن محمود وهنأه بعد التعزية الامير ابو الفتيان ابن حيوس بالقصيدة الالفية المشهورة التي يقول فيها؟

وقد جادَ محمودٌ بالفٍ تصرَّمت   واني سارجو ان سيُخلفها نصرُ

فاطلق له الف دينار وقال له: لو كنت قلتَ «سيضعفها نصرُ» لَفعلتُ

سنة ثمان وستين واربعمائة وفيها:

وفيها ولاية الامير زين الدولة لدمشق

(62r) لمّا هرب مُعلّي بن حيدرة بن منزو(١ لعنه الله من ولاية دمشق على القضية ذكرُتها اجتمعت المصامدة الى الامير زين الدولة انتصار بن يحيي زمامهم والمقدّم واتّفق رأيهم على تقديمه في ولاية دمشق وتقوية نفسه على الاستيلاء عليها ودفع من ينازعه فيها ووقع ذلك من اكثر الناس اجمل موقع واحسن موضع وارتضوا بهِ ومالوا اليه لسداد طريقته وحميد سيرته وكونه احسن فعلاً ممّن تقدّمه واجمل قصداً ممن كان قبله فاستقر الامر على هذه القضية والسجية المرضية في يوم الاحد مستهلّ المحرّم من السنة. وفي هذه السنة اشتدّ غلاء الاسعار في دمشق وعُدمت الاقوات ونفدت الغلّات منها واضطر الناس الى أكل الميتان وأكل بعضهم بعضاً ووقع الخلف بين المصامدة واحداث البلد وعرف الملك اتسز بن اوق مقدّم الاتراك وما آلت اليه الحال وكان متوقّعاً لمثل ذلك فنزل عليها وبالغ في المضايقة لها الى ان اقتضت الصورة وقادت الضرورة الى تسليمها اليهِ بالامان وتوثّق منه بوكيد الايمان. فلما دخلها في ذي القعدة سنة ٤٦٨ وحصل بها نزل باهلها منه قوارع البلاء بعد ما عانوه من ابن منزو لعنه الله ولاشتداد البلاء من انزال دورهم واخراجهم منها واغتصاب املاكهم والقبض لها واستعمال سوء السيرة وخبث النية والسريرة وتواصلت الدعوات عليهِ من سائر الناس وعلى اصحابه واتباعه في جميع الاوقات واعقاب الصلوات والرغبة الى الله تعالى ذكره باهلاكه وتعفية اثاره(٢ . وفي هذه السنة وردت الاخبار من حلب بان

---

١) قال الذهبي في تاريخ الاسلام: انهُ كان ظلوماً غشوماً للجند والرعيّة فثاروا عليهِ فهرب الى بانياس فأُخذ الى مصر وحُبس الى ان مات

٢) قال الفارقي في تاريخه: ان عادت الدعوة في دمشق لبني العباس واخا خرجت من حكم

الامير نصر بن محمود بن صالح صاحبها قُتل بها في يوم الاحد عيد الفطر قتله قوم من اتراك الحاضر وذلك انهُ قبض على مقدَّمهم المعروف بالامير احمد شاه وخرج اليهم لينهبهم فرماه احدهم بسهم فقتله وقام في منصبه من بعده اخوه سابق بن محمود بن صالح. وفي هذه السنة خُطب للامام المقتدي بالله ابي القسم عبد الله بن الذخيرة بن القائم بامر الله على منبر دمشق وقطعت الخطبــة المستنصرية (62ᵛ) ونظر الملك اتسز بن اوق في امور دمشق واحوالها بما يعود بصلاح اعمالها ووفور استغلالها (١ واطلق لفلَّاحي المرج والغوطة الغلَّات للزراعات والزمهم الاشتغــال بالعمارات والفلاحات فصلحت الاحوال وتواصلت من سائر الجهات الغلَّات ورخصت الاسعار وتضاعف الجذل بذلك والاستبشار وطابت نفوس الرعية وايقنوا بزوال البوس والبليــة. وبرز اتسز في عسكره الى نواحي الساحل عازماً على قصد مصر وطامعاً في تملّكها

سنة تسع وستين واربعمائة

فيها جمع الملك اتسز واحتشد وبرز من دمشق ونهض في جمع عظيم الى ناحيــة الساحل ثم منها الى ناحية مصر طامعاً في ملكتها ومجتهداً في الاستيلاء عليها والدعاء عليهِ من اهل دمشق متواصل واللعن لهُ متتابع متَّصــل فلمَّا قرب من مصر واظلَّت خيله عليها برز اليهِ امير الجيوش بدر في من حشده من العساكر ومن انضاف اليها من الطائف والعرب (وكان قد وصل اليها واستولى على الوزارة (٢) وعرف ما عزم عليــهِ

مصر الى الان (يعني سنة ٥٧٢) وقال الذهبي : عُوّض انتصار بيــانياس ويافا. وان اتسز ابطل الاذان بحيّ على خير العمل

١) قال سبط ابن الجوزي انهُ نظر في عمارة البلد لا في عمارة دمشق

٢) قال سبط ابن الجوزي انهُ في سنة ٤٦٧ سار من عكا الى مصر باستدعاء المستنصر بعــد قتل ابن حمدان وتغلّب الدكز التركي ودخل مصر بعد ان اتّفق مع الدكز ثم قبض عليــهِ وقتلهُ وانفرد بالامر. واماً اتسز فقال السبط عنهُ ايضاً ان في رجب سنة٤٦٩ عاد اتسز الخوارزمي الى دمشق منهزماً من القاهرة في خمسة عشر فارس وقد نُهبت امواله وقُتلت رجاله وكان لما تسلَّم دمشق تصوَّر في عزمه قصد مصر فجمع من التركمان والاكراد والعرب عشرين الفاً ووصل الى الريف واقام نيفاً وخمسين يوماً يجمع الاموال ويسبي الحرم ويذبح الاطفال وهو يراسل بدر الجمالي ويطلب المال وقد انزعج الناس. وكان عسكر مصر بالصعيد يحارب العبيد فضمن لهُ مائة وخمسين الف دينــار واستدعى من كان بالصعيــد من العساكر والسودان. وكان مع اتسز بدر بن حازم الكلبي في الفي فارس فاستمالهُ بدر فانتقل الى القاهرة وورد القاهرة ثلثة الاف رجل في المراكب لنية الحج فقال

لهم بدر: دفع هذا العدوّ افضل من الحج . واعطاهم المال والسلاح وقالوا لوالد شكلي التركاني الهارب من اتسز: كاتب التركان . فكاتبهم فافسد منهم نحو من سبعمائة غلام وكانوا كارهين لاتسز من شحه وعسفه واتّفقوا ان الحرب متى قامت استأمنوا الى بدر . وصار اتسز الى القاهرة في اواخر جمادى الاخرة فارسل بدر الفي فارس يصدمونهُ حتى يستأْمن من افسدهم ابو شكلي فلم يستأْمن احد فكسرهم اتسز فرجعوا مفلولين الى القاهرة . وكان التجأَ اليها اهل الضياع والصقاع ومصر والتجار فوقفوا على باب القصر باكين صارخين فخرج من المستنصر خادم فقال: يقول لكم امير المؤمنين انما انا واحد منكم وعوض ما تتضرَّعون على بابي وتبكون فارجعوا الى الله تعالى وتضرَّعوا لهُ ولازموا المساجد والجوامع وصوموا وصلّوا وازيلوا الخمور والمنكرات فلعل الله يرحمني واياكم ويكشف عنّا ما قد نزل بنا . فعاد الناس الى المساجد والجوامع وخرج النساء كاشفات الوجوه منتشرات الشعور يبكين و يستغثنَ والرجال يقرأُون القرآن . وكان بدر الجمالي قد هيَّأَ المراكب والسفن ان رأى غلبة نزل الى الاسكندرية وكذا صاحب مصر فضجّ الناس وقصدوا باب القصر وقالوا: تمضي انت وبدر في السفن وخلك نحن . فخرج الجواب: اني معكم مقيمٌ فان مضى امير الجيوش الى حيث يطلب السلامة فهاهنا من السفن يمعكم مع انني واثقٌ من الله بالنصر وعندنا في الكتب السالفة ان هذه الارض لا تؤتى من الشرق ومَن قصدها هلك . فلمّا كان وقت السحر خرج بدر الى ظاهر القاهرة والعسكر معهُ واقبل اتسز في جحافله والدبادب والبوقات بين يديهِ فرأَى بدر ما لم يظن لهُ بهِ طاقة . وكان بدر قد اقام بدر بن حازم من وراء اتسز كميناً في ألفي فارس فخرج من ورائهم فاخذ البغال المحملة وضربت النار في الخيم والخركاوات واستأمن الى والد شكلي السبعمائة غلام كانوا في الميسرة وحمل بدر على الميمنة فهزمها وحمل السودان على القلب وفيهِ اتسز فانهزم وقُتل من كان حوله وتبعهم السودان والعرب اسرًا وقتلًا الى الرمل وغنموا منهم غنائم لم يغنمها احد قبل ذلك وكان فيما اخذ ثلاثة الاف حصان وعشرة الاف صبي وجارية واماً من الاموال والثياب فما لا يحصى واقاموا مدَّة شهر رجب يحوزون الاموال والخيل والامتعة والاسارى . وجاء العسكر واهل البلاد الى باب القصر فضجّوا بالادعية فخرج اليهم جواب المستنصر: قد علمتم ما اشرف عليكم من الامر العظيم والخطب الجسيم الذي لم يخطر في نفوسنا القدرة عليهِ وردّهُ حتى كشفهُ الله تعالى وما يجب ان يكون في مقابلته الّا الشكر لله تعالى على نعمتهِ ومتى وُجد انسان على فاحشة كان دمه وماله في مقابلة ذلك . ثم وجد بعد ذلك ستة سكارى فأُخذوا وخنقوا وزال ما كان بمصر من الفساد ولازموا الصلوات وقراءة القرآن . ومضى اتسز في نفر يسير فلمّا وصل غزَّة ثار اهلها بهِ وقتلوا جماعة ممَّن كان معهُ فهرب الى الرملة فخرج اليهِ اهلها فقاتلوهُ وقتلوا بعض من كان معهُ فهرب الى دمشق في بضع عشرة نفساً فخرج اليهِ ولده ومسمار احد امراء الكلابيين وكان قد استخلفهما بدمشق في مائتي فارس من العرب وكان وصوله في عاشر رجب فنزل بظاهرها في مضارب ضربها لهُ مسمار وخرج اليهِ اهل البلد فخدموه وهنَّأُوه بالسلامة وشكوهُ وشكرهم واطلق لهم خراج تلك السنة واحسن اليهم ووعدهم بالجميل فقام واحد منهم من الاعيان فقال: ايها الملك العادل (وبهِ كان يخاطَب ويُخطَب لهُ) قد حلفت لنا وحلفنا لك وتوثّقت منّا وأنا والله اصدقك

واكثر العساكر من ورائه وصدقوا الحملة عليهِ فكسروهُ وهزموهُ ووضعوا السيوف في عسكره قتلًا واسرًا ونهبًا وافلت هزيمًا بنفسه في نفر يسير من اصحابه ووصل الى الرملة وقد قُتل اخوه وقُطعت يد اخيه الآخر ووصل بعد الفلّ الى دمشق فسُرَّت نفوس الناس

وانصحك. قال: قُل. قال: قد عرفت انهُ لم يبقَ في هذا البلد عشر العشر من الجوع والفاقة والفقر والضعف ولم يبقَ لنا قوّة ومتى غُلقت ابواب هذه البلد من عدوّ قصده ورمتَ منا منعة او حفظة فان كنت مقيمًا بيننا فنحن بين يديك مجتهدون ولك ناصحون وان بعدت عنّا فلا طاقة لنا بالقتال مع الفقر والضعف فلا نجعل للعدوّ سبيلًا لهلاكنا ومواخذتنا. فقال: صدقت ونصحت وما ابعد عنكم ولا اخليكم من عسكر يكون عندكم. ثم قام بدمشق وجاءه التركمان من الروم ولم يستخدم غيرهم وعصى عليهِ الشام واعادوا خطبة صاحب مصر في جميع الشام وقام بذلك المصامدة والسودان. وكان اتسز واصحابهُ قد تركوا اموالهم بالقدس فوثب القاضي والشهود ومن بالقدس على اموالهم ونسائهم فنهبوها وقسموا التركيات واستعبدوا الاحرار من الاولاد واسترقّوهم فخرج من دمشق فيمن ضوى اليهِ من التركمان ووصل الى قريب القدس وراسلهم وبذل لهم الامان فاجابوه بالقبيح وتوعّدوهُ بالقتال فجاء بنفسه الى تحت السور وخاطبهم فسبّوه فقاتلهم يومًا وليلة وكان ماله وحرمه في برج داود ورام السودان والمصامدة الوصول اليهم فلم يقدروا وكان في البرج رتق الى ظاهر البلد فخرج اهله منهُ اليهِ ودلّوا عليهِ فدخل منهُ ومعهُ جماعة من العسكر وخرجوا من المحراب وفتحوا الباب ودخّلوا العسكر فقتلوا ثلاثة الاف انسان واحتمى قوم بالصخرة والجامع. فقرّر عليهم الاموال حيث لم يقتلهم لاجل المكان واخذ من الاموال شيئًا لا يبلغهُ الحصر بحيث يبعث الفضة بدمشق كل خمسين درهمًا بدينار مما كان يساوي ثلثة عشر درهمًا بدينار. وقتل القاضي والشهود صبرًا بين يديهِ وقرّر امور البلد وسار الى الرملة فلم يرَ فيها من اهلها احدًا فجاء الى غزَّة وقتل كلَّ من فيها فلم يدع بها عينًا تطرف وجاء الى العريش فاقام فيهِ وبعث سريّة فنهبت الريف وعادت ثم مضى الى يافا فحصرها وكان بها رزين الدولة فهرب هو ومن كان فيها الى صور فهدم اتسز سورها. وجاء كتابه الى بغداد بانهُ على نيَّة العود الى مصر وانهُ يجمع العساكر ثم عاد الى دمشق ولم يبق بها من اهلها سوى ثلثة الاف انسان بعد خمسمائة الف افناهم الفقر والغلاء والجلاء وكان بها مائتان واربعون خبّازًا فصار بها خبّازان والاسواق خالية والدار التي كانت تساوي ثلثة الاف دينار ينادَى عليها عشرة دنانير فلا يشتريها احد والدكان الذي كان يساوي الف دينار ما يُشترى بدينار. وكان الضعفاء يأتون للدار الجليلة ذات الاثمان الثقيلة فيضربون فيها النار فتحرق ويحملون اخشابها فحمًا يصطلون به وأكلت الكلاب والسنانير وكان الناس يقفون في الازقّة الضيّقة فيأخذون المجتازين فيذبحونهم ويشوونهم ويأكلونهم. وكان لامرأة داران قد أعطيت قديمًا في كل دار ثلثمائة دينار او اربمائة ولما ارتفعت الشدّة عن الناس ظهر الفأر فاحتاجت الى سنور فباعت احدى الدارين باربعة عشر قيراطًا واشترت بها سنورًا

وقال الذهبي في تاريخ الاسلام: قال هبة الله بن الاكفاني: كان كسرة اتسز بن اوق بمصر ثم رجع وجمع وطلع الى القدس وقتل فيها ذلك الخلق العظيم منهم حمزة بن علي العين زربي الشاعر

بعصابه وتحكم السيوف في اتباعه واصحابه فاملوا مع هذه الحادثة سرعة هلاكه وذهابه. وفي هذه السنة توفي ابو الحسن احمد بن عبد الواحد بن محمد بن عثمان بن الوليد بن الحكم بن سليمان بن ابي الحديد السلمي رحمه الله

سنة سبعين واربعمائة

فيها وردت الاخبار بوصول السلطان تاج الدولة ابي سعيد تتش بن السلطان العادل البارسلان اخي السلطان ملك شاه ابي الفتح الى الشام واجتماع العرب من بني كلاب اليه ووصول شرف الدولة مسلم بن قُرَيش اليه من عند اخيه السلطان العادل ملك شاه لمعونته على افتتاح الشام بامره لهُ في ذلك. وفيها توفي ابو نصر الحسين بن محمد (63r) بن احمد بن طلّاب الخطيب رحمه الله. وفي هذه السنة نزل عسكر مصر على دمشق مع نصر الدولة الجيوشي واقام عليها مدةً يسيرةً ولم يتم لهُ فيها مراد فرحل عنها عائدًا الى مصر. وفيها نزل تاج الدولة السلطان على حلب ومعه وثاب وشبيب ابنا محمود بن صالح ومبارك بن شبل ورحل عنها في ذي القعدة ثم نزل عليها ثانيةً ولم يتمّ لهُ فيها مرادٌ فرحل عنها

سنة احدى وسبعين واربعمائة

في هذه السنة خرج من مصر عسكر كبير مع نصر الدولة الجيوشي ونزل على دمشق محاصرًا لها ومضايقًا عليها واستولى على اعمالها وأعمال فلسطين واقام عليها مدةً مضايقًا لها وطامعًا في تملّكها واضرّ على منازلتها اضرارًا اضطر اتسز صاحبها الى مراسلة تاج الدولة يستنجدهُ ويستصرخ بهِ ويعدهُ بتسليم دمشق اليهِ ويكون في الخدمة بين يديه فتوجّه نحوه في عسكره فلما عرف نصر الدولة الخبر وصحّ عنده قربه منهُ رحل عنها مجفلًا وقصد ناحية الساحل وكان ثغرا صور وطرابلس في ايدي قضاتهما قد تغلّبا عليهما ولا طاعة عندهما لامير الجيوش بل يصانعان الاتراك بالهدايا والملاطفات ووصل السلطان تاج الدولة الى عذراء في عسكره لانجاد دمشق وخرج اتسز اليهِ وخدمه وبذل لهُ الطاعة والمناصحة وسلّم البلد اليهِ فدخلها واقام بها مُدَيدةً ثم حدّثته نفسه بالغدر باتسز ولاحت لهُ منهُ امارات استوحش بها منهُ متسهله (كذا) فقبض عليه في شهر ربيع الاول منها وقتل اخاهُ اولًا ثم امر بخنقه فخُنق بوتر في المكان المعتقل فيهِ وملك تاج الدولة دمشق واستقام لهُ الامر فيها واحسن السيرة في اهلها وفعل بالضدّ من فعل اتسز فيها وملك اعمال فلسطين. وفي هذه السنة قُتل احمد شاه مقدّم الاتراك في الشام.

وفيها برز تاج الدولة من دمشق وقصد حلب في عسكره ونزل عليها واقام عليها أيّاماً ورحل عنها في شهر ربيع الاول وعبر الفرات مشرقًا ثم عاد الى الشام بعد ان وصل الى ديار بكر في ذي الحجة وملك حصن بزاعة والبيرة واحرق ربض عزاز ورحل عنها عائدًا الى دمشق

سنة اثنتين وسبعين واربعمائة

(63ᵛ) فيها تسلّم شرف الدولة مسلم بن قريش حلب. وفيها رخصت الاسعار في الشام باسره. وفيها هلكت فرقة من الاتراك ببلاد الروم كانوا غزاة فلم يفلت منهم احد

سنة اربع وسبعين واربعمائة

فيها ملك الامير ابو الحسن علي بن المقلد بن منقـذ حصن شيزر في يوم السبت السابع والعشرين من رجب من الاسقف الذي كان فيهِ بمالٍ بذله له وارغبـه فيهِ الى ان حصل في يده وشرع في عمارته وتحصينه والممانعة عنه الى ان تمكّنت حاله فيـهِ وقويت نفسه في حمايته والمراعاة دونه (١

١) وقال سبط ابن الجوزي: قال محمد بن الصابي: وقفت على كتاب بخطه (يعني الامير) منهُ: كتابي هذا من حصن شيزر وقد رزقني الله تعالى من الاستيلاء على هذا المعقـل العظيم ما لم يتأتّ لمخلوق ومن دون هذا الحصن بيض الانوق ومن وقف على حقيقة الحال علم اني هاروت . . . انني افرق بين المرء وزوجتهِ واستـنزل القمر من محلّه واجمع بين الذئب والغنم . اني نظرت الى هذا الحصن ورأيت امرًا يذهل الالباب ويطيش العقول يشبع الف رجل ليس عليهِ حصار ولا فيهِ حيلة لمحتال فعمدت الى تلّ منهُ قريب يعرف بتل الحسن فعمرتُهُ حصنًا وجعلتُ فيهِ عشيرتي واهلي وكان بين التل وشيزر حصن يعرف بالجراص فوثبتُ عليـهِ واخذتُهُ بالسيف وحين ملكتُهُ احسنتُ الى اهله ولم اكلّفهم الى ما يعجزون عنهُ وخلطتُ خنازيرهم بغنمي ونواقيسهم باصوات المؤذنين عندي وصرنا مثل الاهل مختلطين. فحين رأى اهل شيزر فعلي مع الروم آنسوا بي وصاروا يجيئوني من واحد واثنين الى ان حصل عندي نحو نصفهم فاجريتُ عليهم الجرايات ومزجتهم باهلي وحريمهم بحريمي واولادهم مع اولادي واي من قصد حصنهم اعنتُهم عليهِ. وحصرهم شرف الدولة مسلم بن قريش فاخذ منهم عشرين رجلًا فقتلهم فدسستُ اليهم عشرين عوضهم ولما انصرف عنهم جاءوا وقالوا: نسلّم اليك الحصن. فقلت: لا ما لهذا الموضع خيرًا منكم. وجرت بينهم وبين واليهم نبوة فنفروا منهُ وجاؤا اليّ وقالوا: لا بد اليكم. فسلّموه ونزلوا منـهُ وحصلتُ فيهِ ومعي سبعمائة رجل من بني عمّي ورجالي وحصلوا في الربض ولم يؤخذ لواحد منهم درهم فردٌ واعطيتُهم مالًا لهُ قدر وخلعتُ على مقدّميهم واعطيتهم واجباتهم بستة اشهر وقمت باعيادهم ونواقيسهم وصلبانهم وخنازيرهم. وسمع بذلك اهل برزية ومين تاب وحصون الروم فجاءتني رسلهم ورغب كلهم في التسليم اليّ.

سنة خمس وسبعين واربعمائة

فيها توجه السلطان تاج الدولة الى ناحية الشام من دمشق ومعه في خدمته الامير وثاب بن محمود بن صالح ومنصور بن كامل وقصد ناحية الروم واقام هناك مدّةً واتصل بهِ خبر شرف الدولة مسلم بن قريش وما هو عليـه من الجمع والاحتشاد والتأهب والاستعداد واجتماع العرب اليهِ من بني نمير وعقيل والاكراد والمولّدة وبني شيبان للنزول على دمشق والمضايقة لها والطمع في تملُّكها فعـاد تاج الدولة منكفئًا الى دمشق لمّا عرف هذا العزم ووصل اليها في اوائل المحرّم سنة ٤٧٦ . وورد الخـبر بوصول شرف الدولة في حشده الى بالس ايضًا في المحرم ووصله جماعة من بني كلاب ونهض بالعسكر مسرعًا في السير الى ان نزل على دمشق ووصل اليهِ جماعةٌ من عرب قيس واليمن وقاتل اهل دمشق في بعض الايام وخرج اليهِ عسكر تاج الدولة من دمشق وحمل على عسكره حملةً صادقةً فانكشف وتضعضع عسكره وعاد كل فريق الى مكانه وعاد عليهم بحملةٍ اخرى وانهزمت العرب وثبت شرف الدولة مكانه واشرف على الاسر وتراجع اصحابه . وكان شرف الدولة قد اعتمد على معونة عسكر المصريين على دمشق ومعـاضدته

فبينما انا على ذلك الحال اذ شنّت عليَّ الغـارات وجيّشت نحوي الجيوش من ناحيـة مسلم بن قريش غيظًا منـهُ لِمَ تسلّمت حصن شيزر بعد ان حلف لي قبل ذلك إنني اذا اخذت حصن شيزر انهُ لا يقود اليَّ فرسًا ولا يبعث جيشًا وبالله اقسم لئن لم ينتهِ عني لَأعيـده الى الروم ولا اسلّمهُ اليهِ ولا الى غيره ابدًا

وقال ايضًا في ترجمته انهُ مات بشيزر سنة ٤٧٩ وقيل في سنة ٤٧٥ وذكره ابن عساكر وقال:

قال الامير ابو عبد الله محمد بن الامير ابي سلامة مرشد بن علي بن المقلد بن نصر بن منقذ : كان جدّي الملك ابو الحسن علي بن المقلد ممّن يُنسب الى عمل الشعر وكان من ابلغ اهل الشام في معرفة اهل اللغة والنحو وكان بينهُ وبين ابن عمّار صاحب طرابلس مودّة وكيدة ومكاتبات وسببهُ انهُ كان لهُ مملوك يسمى رسلان وكان زعيم عسكره فبلغهُ عنهُ ما يكره فقال لهُ : اذهب عني وانت آمن على نفسك . فقصد ابن عمّار الى طرابلس وسألهُ ان يسأل جدّي في ماله وحرمه فسـألهُ فامر باطلاقهم وكان قد اقتنى مالًا كثيرًا فلما خرج الرسول بالمال والحرم لحقهُ جدي فظنّ انهُ قد بدا لهُ فقال : غدرت بعبدك ورغبت في مالهِ . فقال لهُ : والله ولكن لكل امر حقيقة حطّوا عن الجمال والبغال احمالها . فحطّوا فقال : ابصروا ما عليها . فنظروا فاذا في قدور النحاس خمسة وعشرون الف دينار ومن المتاع ما يساوي مثلها وزيادةً فقال جدي للرسول : أَبلغ ابن عمّار سلامي وعرّفهُ بما ترى لئلّا يقول رسلان انني اخذت ماله . ثم ان جدي زار ابن عمار واقام عنده مدّة . وكان بينهُ وبين صالح بن محمود صاحب حلب مودّة وكانا اخوين من الرضاع

بالعسكر المصري على اخذها فوقع التقاتل عليهِ بالانجاد والتقاعُد عنه بالاسعــاد اشفاقاً من ميل الناس اليهِ وعظِم شأنه بتواصلهم ووفودهم عليهِ فلمّا وقع يأسهُ ممّا أمله ورجاه وخاف ما تمنّاه وورد عليهِ من اعماله ما شغل خاطره في تدبيره واعماله وتواترت الاخبار بما ازعجه (64r) وأقلقه رأى انّ رحيله عن دمشق الى بلاده وعوده الى ولايته لتسديد احوالها واصلاح اختلالها اصوَب من مقامه على دمشق وأوفق من شأنه فاوهم انهُ سائرٌ مُقتبلًا لامرٍ مهمّ عليهِ وارب مطلوبٍ نهــد اليهِ فرحل عن دمشق ونزل مرج الصُفر وعَرف من بدمشق ذلك فقلقوا لذلك واضطربوا ثم رحل مشرّقاً في البرّية وجلّا وجدّ في سيره مُجفلًا واوصل السير ليلًا ونهاراً فهلك من المواشي والدوابّ للعرب ما لا يحصيه عددٌ ولا يُحصر كثرةً من العطش وتلف وانقطع من الناس خلقٌ كثير وخرجت بهِ الطريق الى وادي بني حصين قريباً من سلمية فانفذ وزيره ابا العزّ (بن) صدقة الى خلف ابن مُلاعب المقيم بحمص ليجعله بين الشام وبين السلطان تاج الدولة لما يعلمه من نكايته في الاتراك وفتكه بمن يظفر بهِ من ابطالهم الفُتّاك.فاقام ابو العزّ الوزير بحمص الى حين عوده فخلع عليهِ شرف الدولة واكرمه وقرّر معه حفظ الشام وطيّب بنفسه. وسار بعد ذلك السلطان تاج الدولة الى ناحية طرابلس وافتتح انطرطوس وبعض الحصون وعاد الى دمشق. وورد الخبر بنزول السلطان العادل ملك شاه ابي الفتح بن البارسلان على حلب في يوم الاربعاء الثاني والعشرين من شعبان من السنة وضايقها الى ان ملكها مع القلعة. وفي يوم الخميس الثاني من المحرّم توجّه شرف الدولة الى بلد انطاكية للقاء الفردوس ملك الروم (١ . وفيها وصل الامير شمس الدولة سالم بن مالك بالخلــع

---

١) وذكر سبط ابن الجوزي سبب صعوده الى الشام. طالب الفردوس والي انطاكية بمال الهدنة وهو ثلاثون الف دينار في كل سنة فلم يحملِ اليه شيئاً وكاتبهُ اهل انطاكية وقرّروا معــهُ فتحها وتسليمها اليهِ. وكان من سوء رأي مسلم وتخلّفهِ انهُ كان لهُ كاتب نصراني فكان يدع عنده مكاتباتهم ثقةً بهِ وتحقّق الكاتب فتح انطاكيــة فهرب اليها ومسلم بحلب ودفع تلك الكتب الى الفردوس فلماً وقف عليها احضرهم وكانوا ثلثمائة انسان فقتلهم بين يديهِ صبراً وكاشف مسلم وكتب الى السلطان بانهُ يكاتب صاحب مصر وينفــذ لهُ بالخلع والاموال واستقرّ ان الفردوس يحمل الى السلطان في كل سنة مال الهدنة. وبعث نظــام الملك فعاتب مسلم بن قريش فقال في الجواب: ان كانت الكتب مني الى صاحب مصر توجّه العتب عليّ وان كانت منــهُ اليّ فاحفظوا صاحباً لكم يرغب فيهِ صاحب مصر لا تخرجوه عن ايديكم وارغبوا فيهِ كما رغب فيهِ غيركم. ثم سار

السلطانيـــة الى شرف الدولة الى حلب وقرّر الصلح بين شرف الدولة وابن ملاعب بحمص . وفيهـــا وصل ابو العزّ بن صدقـــة وزير شرف الدولة في عسكر كثيف لإنجاد حلب على تاج الدولة فلمّا وصل اليهـــا رحل تاج الدولة في الحال عنها

سنة ست وسبعين واربعمائة

فيها عُمل على مدينة حرّان وأُخذت من ملكة شرف الدولة مسلم بن قريش في سابع صفر وعاد اليها حين عرف خبرها فنزل عليها في عسكره وضايقها وواظبها الى ان افتتحها وملكها ورتّب امرها واحتطّ عليها واعتمد على الثقات في حفظهـــا (١ . وفي

مسلم الى شيزر وفيه ابن منقذ فحاصرهُ واستقرّ ان يعطيه عشرة الاف دينار ويرحل عنهُ . وسار الى حمص وهي في يد ابن ملاعب فتحصّن بالقلعة فاخذ البلد . وكتب ابن ملاعب الى تتش يستنجدهُ فكتب الى مسلم : انّ هذا صاحبي ومتى ّ اليّ فارحل عنهُ . فبعث اليهِ : ان هذا رجل مفســـد في اعمال السلطان قاطع سُبُلها فان كان صاحباً لك فخذه اليك . فرحل تاج الدولة تتش من دمشق يريد ابن قريش فخاف من عتب السلطان وانهُ حارب اخاه فســـار الى صور واظهر انهُ يريد حصـــارها فرجع تتش الى دمشق . وعاد مسلم الى حمص فخرج نساء ابن ملاعب وحريمه فتعلّقنَ باذيال مسلم فاستحى منهنّ وذمّ لهُ وابقاه على حاله ولم يطالبهُ بما لا تقرّر عليهِ واستحلفهُ وحلف لهُ وعاد الى حلب . وكان في اعمالها نحو من ثلاثمائة فارس من التركـــمان بقايا من كان يخدم بني الروقلية فاستدعاهم مسلم من الاعمال واظهر انهُ يعرضهم فلما حضروا على بابه امر العرب فنكسوهم عن خيولهم وقيدوهم وفرقهم في القلاع وكان ذلك اخر العهد بهم . وقبض على حسن بن منيع بن وثاب النُميري الاعرج صاحب سروج واخذها منهُ وقيل انهُ وجد لهُ منطلقـــات الى تتش فكان اخر العهد بهِ . وقبض على شبيب ووثاب ولدي محمود بن الروقلية وطالبهما بتسليم قلعتي اعزاز والاثارب فسلّماها فافرج عنهمـا وعوّضهما الخانوقة وقرقيسيا ودويرا من اعمال الرحبة

١) قال سبط ابن الجوزي : ووصل الخبر الى مسلم بان اهل حرّان عصوا عليهِ فرجع كارًّا الى حمص وصالح في طريقه ابن ملاعب وحالفهُ واعطـــاه مضافًا الى حمص رفنيَّة وسلمية واقطع شبيب بن محمود بن الروقلية حماة واستحلفهُ في تلك الاعمال وعاجل حرّان فوصلها يوم الجمعـــة ثامن ربيع الاول فوجد قاضيها ابن جبلة الحنبلي قد استغوى اهلها وادخل اليها جماعة من بني نمير مع ولد صغير لمنيع بن وثاب وانفذ ابن عطير احد وجوه بني نمير الى ختق امير التركـمان فكان قريبًا فاستدناهم اليهِ ليسلّم اليهم البلد وشرع القاضي يعلم مسلمًا ويمنّيه خديعةً منهُ ليصل التركمان وعلم مسلم مخارجهم ورمى قطعة من السور . وبينما هو كذلك وصل التركمان فنزل اقوامٌ يقاتلون البلد وركب هو بمن معهُ فاشرف على التركمان واتّصل الطراد وقال للعرب : املكوا عليهم النهر المعروف بالجلاب واجعلوه وراءكم وحولوا بين التركمان وبينهُ . ففعلوا وعطشوا وخيلهم وهجرت

هذه السنة تنكّر شرف الدولة على وزيره ابي العزّ بن صدقة (64ᵛ) لاسباب انكرها منه واحوالٍ بلغته عنهُ فقبض عليه واعتقله واقام ايّاماً وقرّر امره واطلقه وطيّب نفسه

سنة سبع وسبعين واربعمائة

في هذه السنة شرع سليمان بن قتلمش في العمل على مدينة انطاكية والتدبير لامرها والاجتهاد في اخذها والتملُّك لها ولم يزل على هذه القضية الى ان تمّ لهُ ما اراده فيها وملكها سَرِقةً في يوم الاحد العاشر من شعبان ورتّب امرها بمن اعتمد عليهِ في حفظها من ثقات ولاته . وفي شهر ربيع الاوّل من السنة كانت وقعة بين عسكر شرف الدولة وعسكر الاتراك بارض آمد من ديار بكر واستظهر الاتراك على عسكر شرف الدولة فهزموه . وفي رجب منها توجه شرف الدولة مسلم بن قريش الى دركاه السلطان العادل ملك شاه بن البارسلان ودخل عليهِ ووطئ بساطه فاكرمه واحترمه وخلع عليهِ وقرّر امره على ما يهوى من اصلاح احواله والاقرار على اعماله وازالة ما كان يخشاهُ وعاد مسرورًا بما لقي ومحبورًا بنيل مبتغاه

الشمس عليهم فالوا بجمعهم طالبين رأس الماء على ان يشربوا ويسقوا خيلهم ويعودوا على العرب فلمّا عطفوا خيولهم لم يشكُّوا العرب انها هزيمة فالقوا نفوسهم عليهم فانهزموا فتبعوهم وغنموهم وقتلوا واسروا . واقام مسلم على حصار حرّان وكان لما رمى قطعة من السور نصب (ابن) جبلة بازاء الثلمة مناجيق وعرّادات منعت من يروم القرب منهما وراسلهُ : انك كلما رميتَ قطعة من السور جعلت مكانها مناجيق وعرّادات ورجالًا اشدّ منها . فتوقّف عن حربهم وتربّص . واتّفق انهُ استأمن الى مسلم من اهلها ثلثة اخوة فاخذ القاضي اباهم وكان شيخًا كبيرًا فاصعده الى السور وقتله ورمى برأسه الى مسلم فلمّا حضر الرأس بين يديهِ وعلم الحال قال : غدًا افتح البلد ان شاء الله تعالى فهذا بغاه ارجو من الله النصر في جوابه . وانفذ الى العرب وامرهم بالبكور للقتال فجاءوا ولبسوا السلاح . وتقدّم مسلم وعليهِ السلاح وكان قد بعث رجلًا في الليل ينظّفُ الحجارة من الطريق لاجل الخيل فسئل ان يكاتب ابن جبلة ويعطيه الامان لئلّا يهلك الناس وينهب البلد فلمّا كتب عاد جوابه على رأس الورقة : السيف اصدق انباء من الكتب . فتقدّم الى العرب بالدخول الى الفتحة فما منهم من اقدم فجمع عبيده وخواصّه وهجمها واتتهُ الحجارة فسلم منها ودخل واحرق المجانيق والعرّادات وقتل خلقًا كثيرًا من اهل البلد عندها وتبعتهُ العرب حينئذٍ فدخل البلد وصعد ولد ايتكين السليماني ونزل من السور وفتح الباب فاقطعهُ قرقيسيا . ثم طلب القاضي فوجد في كندوج فيهِ قطن فأخذ وولداه فقبض على اعيان اهل حرّان ونهب البلد الى اخر النهار ثم رفع النهب وصلب القاضي وولديه واعيان الحرّانيين على السور وقتل خلقًا من العوام وعاد الى منازله بارض الموصل

سنة ثمان وسبعين واربعمائة

في هذه السنة كان مصافّ الحرب بين الملك سليمان بن قتلمش وبين الامير شرف الدولة مسلم بن قُريش في اليوم الرابع والعشرين من صفر على نهر سفـين في موضع يقال لهُ قرزاحِل فـكُسر عسكر شرف الدولة وقُتل ورحل سليمان بعد ذلك في جمعـه ونزل على حلب محاصرًا لها ومضايقًا عليها في مستهلّ شهر ربيع الاوّل واقام منازلًا لها مدّة ولم يتهيّأ لهُ ما اراده فيها فرحل عنها في الخامس من شهر ربيع الاخر منكفئًا الى بلاده. وفيها شرع في عمارة القلعة الشريف بحلب وترميم ما كان هدم منها واعادتهـا الى ما كانت عليهِ في حال عمارتها. وفيها وردت الاخبار من ناحية المغرب بان الافرنج استولوا على بلاد الاندلس وتملّكوها وفتكوا باهلهـا وان صاحب طُليطلة استصرخ بالملثمين واستنجد بهم على الافرنج فاجابوه الى الإنجاد ونهضوا للاغاثة والاسعاد وطلب الجهاد ووصلوا اليـهِ في خلق عظيم وجيش كثيف وصافّوا الافرنج وهم في الاعداد الدثرة والعُدد الغاية في الكثرة فكسروا عسكر الافرنج كسرةً عظيمـةً اجلت عن قتل الاكثر منهم ولم يفلت الّا من سبق جواده وأُخّر في اجله بحيث أُحصي القتلى فكانوا (65 ^r^) عشرين الفًا فجُمعت رؤوسهم وبُني بها اربع منابر للتأذين في غاية الارتفاع واذن المسلمون فيها وعاد عسكر الملثمين الى بلادهم سالمين ظافرين مسرورين مأجورين وامتنعوا من استخـلاص ما كان مَلَكَه الافرنج من بلاد الاندلس وبقي في ايديهم على حاله

سنة تسع وسبعين واربعمائة

فيها تقدّم السلطان العادل ملك شاه ابو الفتح بن السلطان البارسلان رحمه الله بابطال اخذ المكوس من سائر التجّار عن جميـع البضائع في العراق وخراسان وحظر تناول شيء منها في بلد من البلاد الجارية في مملكته فكثر الدعاء له من كافّة الناس في سائر الاعمال وتضاعف الثناء عليهِ من الخاصّ والعام. وفيها وردت الاخبار من ناحية المغرب بوصول الانبرت ابن ملك الافرنج في عسكره الى مدينة المهدية ونزوله عليهـا ومضايقته لها الى ان ملكها بالسيف قهرًا وقتل رجالها وسبى كافة من كان بها من اهلها. وفيها جمع الملك سليمان بن قتلمش (١ وحشد وقصد بلد حلب ونزل عليها محاصرًا لها

١) وفي الاصل: شاه بن قتلمش

ومضايقاً عليها وطامعاً في تملّكها فوردت عليهِ اخبـار السلطان تاج الدولة تتش بن البارسلان باحتشاده وتأهبه لقصدها واستعداده فرحل عنها والتقى عسكره وعسكر تاج الدولة في موضع يُعرف بعين سلم في يوم الاربعاء الثـامن عشر من صفر فكسر عسكرُ تاج الدولة عسكر سليمان فقُتل في الهزيمـة وملك تاج الدولة عسكره وسواده ونزل على حلب وضيَّق عليها الى ان تسلَّمها في شهر ربيع الاوَّل سلَّمهـا اليهِ المعروف بابن البرعوني الحلبي. وفيها وصل السلطان العادل ملك شاه ابو الفتح الى الشام وانهزم تاج الدولة من حلب وملكها السلطان العادل ودخلها في شهر رمضان وخرج منهـا وقصد انطاكية وملكهـا وخيَّم على ساحل البحر أياماً وعاد الى حلب وعيّد بها عيد الفطر ورحل عنها وقصد الرُها ونزل عليها وضايقها وملكها

سنة ثمانين واربعمائة

في هذه السنة تقرَّرت ولاية حلب للامير قسيم الدولة اق سنقر من قبل السلطان ملك شاه ابي الفتح ووصل اليها واحسن السيرة فيها وبسط العدل في اهليهـا وحمى السابلة للمتردّدين فيها واقام (65^v) الهيبة وانصف الرعيَّـة وتتبّع المفسدين فابادهم وقصدَ اهل الشرّ فابعدهم وحصل لهُ بذلك من الصيت وحسن الذكر وتضاعف الثناء والشكر ما إخباره مذكور واجارهُ فيهِ منشور فعمرت السابلة للمتردّدين من السفَّار وزاد ارتفاع بالبلد بالواردين بالبضائع من جميع الجهات والاقطار

سنة احدى وثمانين واربعمائة

في هذه السنة توجَّه السلطان العـادل ملك شاه ابو الفتح الى سمرقند طمعاً في ملكتها بعد فراغ قلبه من الشام وبلاد الروم والجزيرة والرُها وديار بكر وديار بني عقيل. وفيها خرج الامير قسيم الدولة اق سنقر من حلب لتوديع تابوت زوجتـه خاتون داية السلطان ملك شاه وقيل انها كانت جالسةً معه في داره بحلب وفي يده سكّين فاومى بها اليها على سبيل المداعبة والمزاح فوقعت في مقتلها للقضاء المكتوب عليها غير مُتعمّدٍ فماتت وحزن عليها حزناً شديداً وتأسَّف لفقدها على هـذه الحال وحملها الى الشرق لتدفن في مقابر لها هُناك في مستهلّ جمادى الاخرة. وفي يوم الثلثاء مستهلّ رجب نزل

قسيم الدولة على شيزر وحصرها ونهب ربضها وضايقها الى ان تقرّر امرها والموادعة بينهُ وبين صاحبها (١ ورحل عنها عائدًا الى حلب

سنة اثنتين وثمانين واربعمائة

في هذه السنة وردت الاخبار من ناحية الشرق بافتتاح السلطان ملك شاه مدينة سمرقند واسر ملكها (٢ وكانت اخته مع السلطان ملك شاه ولهُ منها ثلثة اولاد فجعل الولاية بها لاحدهم وهو الملك احمد وامر بالخطابة لهُ على المنابر وذكر ان الملك احمد المذكور توفّي في سنة ٤٨٤ والابنة منهم زوجها للامام الخليفة المقتدي بامر الله. وفيها خرج عسكر مصر منها مع مُقدّميه وقصد الساحل وفتح ثغري صور وصيدا وكان في صور اولاد القاضي عين الدولة (ابن) ابي عقيل بعد موته ولم يكن قوّةٌ لهم تدفَعُ ولا هيبةٌ تمنع فسلّموها وكذلك صيدا وقرّروا امرهما ثم رحل العسكر عنهما ونزل على ثغري جبيل وعكا فافتتحهما. وفيها عمرت منارة الجامع بحلب. وفيها نهض قسيم الدولة صاحب حلب في اثر الحراميَّة قُطَّاع الطريق ومُخيفي السبيل فاوقع بهم واستأصل شأفتهم قتلًا واسرًا (66ᵛ) فأَمِنَت السابلة واطمأنّت السافرة وكتب الى سائر الاطراف والاعمال بتتبّع المفسدين وحماية المسافرين وبالغ في ذلك مبالغةً حَسُن ذكره بها وعظُمت هيبته بسببها وشاع لهُ الصيت باعتمادها واحترز كلٌ من كان في ضيعة او معقِل من ان يتمّ على احد من المجتازين بهِ امر يؤخذ بهِ ويهلك بسببه

سنة ثلث وثمانين واربعمائة

في هذه السنة نزل السلطان تاج الدولة على حمص في عسكره ومعه الامير قسيم الدولة صاحب حلب في عسكره والامير بوزان صاحب انطاكية وفيها خلفُ ابن ملاعب فضايقوها وصابروها الى ان ملكوها بالامان وخرج ابن ملاعب منها وسلّمها ووفوا لهُ بما قرّروه معه واطلقوا سراحَهُ فتوجّه الى مصر فاقام بها مُدّةً وعاد الى الشام واعمل الحيلة والتدبير على حصن افامية الى ان ملكه وحصل بيده

سنة اربع وثمانين واربعمائة

في ليلة الثلثاء التاسع من شعبان من السنة حدث في الشام زلزلة عظيمة هائلة

١) وهو ابن منقذ ٢) وفي مرآة الزمان ان اسمه ابن طنغاج

لم يُسمع بمثلها ووافق هذا اليوم كونه من تشرين الاول وخرج الناس من دُورهم خوفًا من عودها. وحُكي ان دُورًا كثيرة خربت بانطاكية واضطربت كنيسة السيدة فيها وهلك خلق كثير بالردم وانهدم بها تقدير سبعين بُرجًا من سورها وبقيت على حالها الى ان امر السلطان ملك شاه بعمارتها ولمّ ما تشعّث منها. وفيها نزل الامير قسيم الدولة صاحب حلب على حصن افامية فملكه وابعد خلف بن مُلاعب عنها ورتّب نائبه في حفظها في ثالث رجب وعاد الى حلب. وفيها وردت الاخبار من المشرق بوفاة الملك احمد ابن (اخت) السلطان ملك شاه المرتّب في مملكة جدّه في سمرقند وخُطب له على المنابر حسب ما تقدَّم ذكره فعاجله القضاء الذي لا يُدافَع والمحتوم الذي لا يُمانَع

سنة خمس وثمانين واربعمائة

في هذه السنة اقترن المرّيخ وزُحل في برج السرَطان وقت الظهر من يوم الاثنين النصف من شهر ربيع الاوّل وهو السادس والعشرون من نيسان وذكر اهل المعرفة من اهل صناعة النجوم ان هذا القران لم يحدث مثله في هذا البرج منذ مبعث النبي (صلعم) والى هذه الغاية. وفيها توجّه السلطان العادل (66v) ملك شاه من اصفهان الى بغداد مُعوّلًا على قصد مصر لتملّكها فلمّا وصل الى همذان وثب رجل ديلمي من الباطنية على وزيره خواجه بزرك نظام الملك ابي علي الحسن بن اسحق الطوسي فقتله رحمه الله وهرب من ساعته فطُلب فلم يوجد ولا ظهر له خبر ولا بان له اثر فاسف الناس وتألموا لمصابه وتضاعف حزنهم لفقد مثله لما كان عليه من حسن الطريقة وآثار العدل والنصفة والاحسان الى اهل الدين والفقه والقُرآن والعلم وحبّ الخير وحميد السياسة وكان قد آثر الآثارات الحسنة في البلاد من المدارس والرباطات بالعراق وبلاد العجم بحيث كان رزقه يجري على اثني عشر الف انسان من فقيهٍ الى غيره. وحزن السلطان ملك شاه عليه واسف لفقده واسرع السير الى ان وصل الى بغداد في ايام قلائل من شوّال من السنة وقام مُديدةً وخرج الى المتصيّد وعاد منهُ وقد وجد فُتورًا في جسمه واشتدّ به المرض الحادُّ فتوفّي رحمه الله في ليلة الاربعاء السادس من شوال من السنة وكان بين وفاته ومقتل خواجه بزرك ثلثة وثلثون يومًا واقام مقامه في المملكة ولده السلطان بركيارق وانتصب في منصبه وأُخذت له البيعة ودُعي على المنابر باسمه واستقام امره

وانتظمت الحال على مراده. وكان السلطان تاج الدولة تتش قد توجّه من دمشق الى بغداد للقاء اخيه السلطان ملك شاه والخدمة لهُ والتقرّب اليـــه وورد الخبر عليه بوفاته فانكفأ راجعاً ونزل على الرحبة وضايقها وارسل المقيم بها يلتمس تسليمها اليه فلم يتمّ لهُ فيها امر ولا مراد فرحل عنها الى دمشق وجمع وحشد وعاد في العسكر الى الرحبة. وقد كان كاتب قسيم الدولة صاحب حلب ومؤيّد الدولة ياغي سيـــان (١ صاحب انطاكية يستدعي منهما المساعدة ويبعثهما على المؤازرة والمرافدة فسارا نحوه واجتمعا معه فقوي امره بها واستظهر بعسكرهما ونزل على الرحبة وضايقهـــا الى ان ملكها بالامان واحسن الى اهلها واجمل السيرة فيها. وكان قد نذر على نفسه انهُ متى ملكهـا بالامان والقهر شهر فيها السيف فعند ذاك شهر سيفه عنـــد دخوله اليها واغمده عند استقرار امرها ووفى بنذرهِ ورحل عنها بعد ان قرّر امرها ورتّب المستحفظين من قبله فيها قاصداً ناحية (67^r) نصيبين. وقد كان بعد وفاة السلطان ملك شاه قد رجع ابرهيم بن قُرَيش الى بلاده وتسلّم الموصل واعمالها وجمع العرب والاكراد ونزل في بلاد بني عقيل الموصل وما والاها وغلب ولد اخيه شرف الدولة محمداً وابعـــده عن الولاية. ولمّا وصل تاج الدولة الى نصيبين وصل اليهِ الامير بوزان صاحب الرُها وخرج اليهِ والي نصيبين يبذل الطاعة لهُ والمناصحة في الخدمة فامتنع اهل البلد من الجنـــد الذين بها من اصحاب ابرهيم بن قُريش فقاتلها وهدم بعض سورها وملكها بالسيف وقتل فيهـــا تقدير الفي رجل وقتل كل من التجأ الى جامعها ومساجدها وأُخذت الحُرم وهُتكت البنات وعوقبوا بانواع العقوبات الى ان اظهرنَ كل مذخور وابرزنَ كل مستور وفعـــل في امرهم ما لا يستحلّهُ مسلم ولا يستحسنهُ كافر واطلق بعـــد ذلك من كان في الاسر من الرجال والنسوان الّا من بقي في ايدي الاتراك وذلك في صفر سنـــة ٤٨٦ وحكى بعض من حضر هذه الكاينة القبيحة انهُ شاهد امرأة تحت الاتراك يطلب منها الفاحشـــة وهي تصيح وتستغيث وتتمنّع اشدّ التمنّع « فجئتهُ وحاولتُ تخليصها منهُ فلم يفعل فجرحتهُ فتخلّى عنها واذا بها امرأة من وجوه الاشراف واخرجتهـــا الى المخيّم الى ان سكنت الفتنة واعدتُها سالمةً الى دارها دونَ كل بنتٍ هُتكت واحرزتُ ثوابهـــا وحسن الذكر بين اشراف نصيبين »

---

١) وفي الاصل في جميع المواضع : يغي سغان

سنة ست وثمانين واربعمائة

في هذه السنة عاد السلطان تاج الدولة عن نصيبين بعد ما جرى فيها طالباً لابرهيم ابن قريش فلماً عرف خبره جمع وحشد واستصرخ واستنجد وحصل في خلق عظيم ونزل بهم في المنزل المعروف بشرقي الهرماس ونزل السلطان تاج الدولة على دارا . فلما كان يوم الاثنين الثاني من شهر ربيع الاوّل من السنـة التقى الجيشان على نهر الهرماس واختلط الفريقان واشتدّ القتال وانكشفت الوقعة عن قتل جماعةٍ من الاتراك والعرب وعاد كل فريق منهما الى مكانه فلما استقرّ بالعرب المنزل عاد عسكر تاج الدولة اليهم وهم غارّون وحمل عليهم وهم غافلون فانهزمت العرب واخذهم السيف فقُتل منهم (67^v) العَدَدُ الكثير والاكثر من الرجالة المقيمين في الخيم وقُتل الامير ابرهيم بن قريش وجماعةٌ من الامراء والمقدّمين من بني عقيل وغيرهم وقيـل ان تقدير القتلى من الفريقـين عشرة الف رجل واستولى النهب والسلب والسبي على من وُجد في الخيّم وامتلأت الايدي من الغنائم والسواد والمواشي والكُراع بحيث بيع الجمل بدينار واحد والمائة شاةٍ بدينارٍ واحد ولم يشاهد أبشع من هذه الوقعة ولا أشنع منها في هـذا الزمان وقتل بعض نسوان العرب انفسهُنَّ اشفاقاً من الهتيكة والسبي . ولما عادوا بالاسرى والسبي وحصلوا بشاطي الفرات القى جماعة من الاسرى انفسهم في الفرات فهلكوا

وقصـد السلطان تاج الدولة ديار بكر ونزل على آمد وضايقها وملكها من ملكة ابن جهير (١ المقيم بها مع الجزيرة وولّا(ه) نصيبين عوضاً عن الجزيرة وملك آمد من ابن مروان وتسلّم ميافارقين واعمالها وقرّر امرها (٢ وانفذ وُلاته الى الموصل وسنجار وملك الاعمال وانهزم بنو عقيل من منازلهم وبلادهم وتوجّهوا نحو السلطان بركيارق بن ملك شاه وكان علي بن شرف الدولة مُسلم بن قُرَيش ووالدته خاتون بنت السلطان محمد ابن داود (كذا) عمّة السلطـان ملك شاه يشكون ما نزل بهِ من السلطـان تاج الدولة

ولمّا تهيّأ لتاج الدولة ما تهيّأ وما اَمله من ملكة البلاد وطاعة العباد قويت

---

١) هو ابو الحسن ابن الكافي ابي البركات جُهَير بن فخر الدولة بن جهير

٢) قال الفارقي في تاريخه : واستقرّ السلطان بميافارقين واحسن الى اهلها وعدل فيهم واسقط منهم المُؤَن والاعشار والاسقاط والكُلَف وجميع البوائق وحصل الناس معه في اهنإ عيش

شوكته وكثرت عُدّته وعِدّته وحدث نفسه بالسلطنة وتوجّه الى ناحية خراسان وليس يمرّ ببلدٍ ولا معقل من المعاقل الّا خرج اليهِ اهله وبذلوا له الطاعة والمناصحة في الخدمة وامره يستفحل وشأنه يعظم. وفصل عنه قسيم الدولة صاحب حلب وعماد الدولة بوزان صاحب الرُها مغاضبين وقصدا ناحية السلطان بركيارق بن ملك شاه مخالفين له وعاصيَيْن عليه واقتضت الحال عود تاج الدولة الى ديار بكر ونزل على مدينة سروج فملكها وولّى فيها وفي الجزيرة من ارتضاه من ثقات خواصّه. واتّصل بهِ خبر وصول الامير قسيم الدولة اق سنقر صاحب حلب ومؤيد الدولة صاحب الرُها الذين كانا فارقاه الى السلطان بركيارق ودخولهما عليهِ واكرامه لهما وحسن موقع وصولهما منه وسروره بتقدمهما عليهِ وانهما شرعا في وقوع في ناحية تاج الدولة والتحذير من (68r) الاهمال لامره والتحريض على مُعاجلته قبل اعضال خطبه وتمكُّنه من الغلبة على السلطنة والاستيلاء على اعمال المملكة واشارا عليه بالسير في هذا الوقت وطلبا منهُ مَن يسير معهما لايصالهما الى بلديهما حلب والرُها فسار معهما لايصالهما الى الموصل وردّ بني عقيل اليهم وقدّم عليًّا من شرف الدولة مسلم بن قريش عليهم ولقبه سعد الدولة. فوصل قسيم الدولة الى حلب في شوّال سنة ٤٨٦ ومعه جماعة من بني عقيل وبعض عسكر السلطان بركيارق بحيث وصل الى حلب وانتهى الخبر بذلك الى تاج الدولة فنهض في العسكر من ناحية الرحبة الى الفرات وقصد بلد انطاكية واقام بها وورد عليهِ الخبر بانكفاء السلطان من الرحبة الى بغداد وان عزمه ان يشتو بها واقام تاج الدولة بانطاكية مدّة فقلّت الاقوات وارتفعت الاسعار وخُوطِب في العود الى الشام فلم يفعل وعاد الى دمشق اخر ذي الحجة من السنة وفي جملته الامير وثاب بن محمود بن صالح وبنو كامل وجماعة من العرب لم يجسروا على الاقامة بالشام خوفًا من قسيم الدولة صاحب حلب. وفي هذه السنة خرج من مصر عسكر كثير الى ثغر صور لمّا عصى واليهـا الامير مُنيرُ الدولة الجيوشي وقد كان اهل صور انكروا عصيانه وكرهوا خلفهُ لسلطانهِ لمير الجيوش بدر وعرف ذلك من نيّاتهم فحين اشتدّ القتال عليها نادوا بشعار المستنصر بالله وامير الجيوش فهجم العسكر المصري على البلد ولم يدافع عنه مدافعٌ ولا مانع دونه ولا مُمانع ونهب واسر منهُ الخلق الكثير وأُخذ في الجملة مُنير الدولة الوالي وخواصّه واجناده وحملوا الى مصر في يوم الرابع عشر من جمادى . . . . سنة ٤٨٦ وقُطع على اهل البلد ستون الف دينار اجحفت باحوالهم واستغرقت جُلّ اموالها ولمّا وصل الوالي منير الدولة ومن

معه من اجناده واصحابه تقدّم امير الجيوش بضرب اعناقهم ففُعل ذلك ولم يعف عن واحد منهم

وفي هذه السنة وردت الأخبار من العراق بابطال مسير الحاج لاسباب دعت الى ذلك والخوف عليهم في مسيرهم وسار الحاج من دمشق والشام في هذه السنة صُحبة الامير الخاني احد مقدّمي اتراك السلطان (68[٧]) تاج الدولة بعد العقد له بولايته وتأكيد خطابه بحمايتهم ووصيّته . فلمّا وصلوا وقصدوا مناسكهم وفروض حجّهم تلوّموا عن الانكفاء اياماً خوفاً من امير الحرم ابن ابي شَيبَة[١] اذ لم يصل اليه من جهتهم ما يُرضيه فلما رحلوا من مكّة تبعهم في رجاله ونهبهم قريباً من مكة فعادوا الى مكة وشكوا اليه وتضوّروا لديه ممّا نزل بهم مع بُعد دارهم فردّ عليهم البعض من جمالهم وقُتل في الوقعة اخو الامير الخاني المقدّم فلمّا أيسوا من ردّ المأخوذ لهم ساروا من مكّة عائدين على اقبح صفةٍ فحين بَعُدوا عنها ظهر عليهم قوم من العرب من عدّة جهات فاحاطوا بهم فصانعوهم على ما دفعوه اليهم هذا بعد ان قُتل من الحجاج جماعةٌ وافرة وهلك قوم بالضعف والانقطاع وجرى عليهم من العرب المكروه وعاد السالم منهم على اقبح حالٍ واكسف بال . وفيها توفي الامام ابو الفرج عبد الواحد بن محمد بن الحنبلي رحمه الله في يوم الاحد الثامن والعشرين من ذي الحجة بدمشق وكان وافر العلم متين الدين حسن الوعظ محمود السمت

سنة سبع وثمانين واربعمائة

في هذه السنة ورد الخبر من العراق بوفاة الخليفة الامام المقتدي بامر الله ابي القاسم عبد الله بن الذخيرة بن القائم بامر الله امير المؤمنين فجأةً في ليلة السبت انتصاف المحرّم وعمره ثمان وثلثون سنة وتسعة اشهر وايام مولده ليلة الإربعاء الثاني ويقال الثامن من جمادى الاولى سنة ٤٤٨ وكانت مدّة خلافته تسع عشرة سنة

---

١) هو الامير تاج المعالي محمد بن جعفر من الامراء الهواشم من بني موسى الجون الحسني العلوي وُلّي مكّة بعد حمزة بن وهاش كذا في عمدة الطالب في نسب آل ابي طالب لجمال الدين احمد المعروف بابن ابي عقبة وفي حاشية انهُ توفّي في سنة ٤٨٧ . وفي تاريخ الاسلام ان فيها مات محمد بن ابي هاشم العلوي صاحب مكّة كان يخطب مرّةً لبني عبيد ومرّةً لامير المؤمنين بحسب من يقوى منهما ويأخذ جوائز هؤلاء

وخمسة اشهر وكان حسن السيرة جميل السريرة وولّي الامرَ بعده وليُّ عهده ولده ابو العبّاس احمد المستظهر بالله امير المؤمنين بن المقتدي بالله امير المؤمنين وبويع لهُ بالخلافة بعد ابيهِ في يوم الثلثاء الثامن عشر من المحرّم من السنة واستقام لهُ الامر وانتظمت بتدبيره الاحوال على قضية السداد وكُنه المراد وعند ذلك قبض على اخوته واعتقلهم عنده وكان السلطان بركيارق عند وفاة المقتدي بالله رحمه الله مقيماً ببغداد وبقي فيها مقيماً الى اخر السنة . وفي شهر ربيع الاخر منها برز السلطان تاج الدولة من دمشق في العسكر وتوجّه الى الشام وقطع العاصي في شهر ربيع الاخر (69r) وتقدّم الى العسكرية برعي الزراعات ونهب المواشي والعوامل ولما اتّصل الخبر بذلك الى قسيم الدولة صاحب حلب شرع في الجمع والاحتشاد والتأهّب لدفعه والاستعداد واجمع على لقائه وانتهى الخبر الى تاج الدولة بذلك ووصول بوزان صاحب الرُّها اليهِ في عسكره لاسعاده عليه وانجاده ولذلك وصول كَرْبوقا صاحب الموصل ويوسف صاحب الرحبة في الفين وخمسمائة فارس وحصول الجميع في حلب لمعونته ومؤازرته فرحل من منزله بكفر حمار الى الحانوتة ثم منها الى الناعورة وغارت الخيل على المواشي بها واحرقوا بعض زرعها ورحل منها الى ناحية الوادي ورحل قسيم الدولة في جمعه من العسكر وتقديره نحو من عشرين الفاً وزيادة على ذلك تكتّهم في احسن زي وهيئةٍ واتمّ آلةٍ وعُدّةٍ وقطع سواقي نهر سُفيان قاصداً عسكر تاج الدولة وكان بروزه من حلب في يوم الجمعة الثامن من جمادى الاوّل من السنة والتقى الفريقان غداة يوم السبت تاليه عقيب اقتران المرّيخ وزُحل في برج الاسد المقدّم ذكره بخمسة ايام وكان عسكرا كربوقا وبوزان لم يتمكّنوا من قطع بعض السواقي فاقاموا على حالهم ولم يثق بمن كان معهُ من العرب فنقلهم في وقت المصاف من الميمنة الى الميسرة ثم جعلهم في القلب فلم يغنوا شيئاً فنصر الله تعالى تاج الدولة وعسكره عليهم فانهزمت العرب وعسكر كربوقا وبوزان عند الحملة وعسكر يوسف وتحكّمت السيوف فيهم وأُسر قسيم الدولة اق سنقر صاحب حلب واكثر اصحابه وحين أُحضروا بين يدي السلطان تاج الدولة فامر بضرب عُنق قسيم ومن اتّفق من اصحابه فقُتلوا وتوجّه اكثر الفلّ الى حلب واجتمعوا باهل البلد والاحداث وتقرّر بينهم الاعتصام بحلب والاستنجاد بالسلطان بركيارق . فوصل تاج الدولة في الحال الى حلب وقد اختلفت الاراء فيها بينهم وحاروا فيما يعملون عليهِ فوثب جماعةٌ منهم لم يوبه لهم وكسروا باب البلد ونادوا بشعار تاج الدولة فدخل الامير

وثاب بن محمود بن صالح البلد في مقـدّميه وبادر الى القيم بقلعة الشريف التي قبلي حلب بالظهور الى تاج الدولة ومن بابٍ منها دخل تاج الدولة ونزل اليهِ رسول الامير نوح صاحب (69^V) قلعة حلب وزوجته وتوثّقا منـهُ واخذا الامان لهُ من تاج الدولة وعادا اليهِ واعلماهُ بما كان من تقرير الحال وأخذ الامان فسلّمها اليهِ وحصل بها في يوم الاثنين الحادي عشر من جمادى الاولى وسُلّمت جميع الحصون اليـهِ من الشام. وكان بوزان صاحب الرُها في جملة من أُسر في الوقعة فتقدّم تاج الدولة بقتله فضُربت عنقـه صبرًا وكذلك الامير كربوقا صاحب الموصل كان قد أُسر في الوقعة فاعتقل بحلب الى ان تقرّر امر حلب ورتّبت النواب والمستحفظون فيها وقرّر امره. ورحل السلطان تاج الدولة عن حلب في العسكر الى ناحية الفرات وقطعه وقصد حران فاستعادها وكذلك سروج والرُها وقصد ديار بكر وعدل عن طريق السلطان بركيارق لانهُ كان نازلًا بارض الموصل طالبًا لخـاتون زوج السلطان ملك شاه والدة اخيه محمود وكانت مستوليةً على اصفهان وجميع الاموال لمكاتبات ومراسلات تردّدت بينهما في معنى الوصلة بينها وبينه واستقرّ المُلك لهُ ولها وكانت قد منعت السلطـان بركيارق التصرُّف في تلك الاعمال والتقوّد فيها. وفي هذا الوقت حدثت زلازل في يوم وليلة دفعات لم يُسمَع بمثلها في كل زلزلة منها تُقيم و تطول بخلاف ما جرت بمثله العادة. ورحل تاج الدولة عقيب ذلك ولم يتمكّن من الاتمام على سمته وعرفت خاتون الخبر فخرجت من اصفهان في عسكرها للقاء تاج الدولة فعرض لها في طريقها مرضٌ حادّ فتوفّيت وتفرّق عسكرها الى جهة السلطان بركيارق والى غيره وحين عرف بركيارق ذلك سار في الحال الى اصفهان فدخلها وملكها وقد كان اهلها اشرفوا على الهلاك لفرط الغلاء بها وعدم الاقوات فيها. ووصل من عسكر خاتون الى تاج الدولة خلقٌ كثيرٌ وكذلك من عسكر بركيارق فتضاعفت عدّته وقويت شوكته ودُعي لهُ على منابر بغداد ووصـل الى همذان وكاتب ولده فخر الملوك رضوان بدمشق يأمره بالمسير اليهِ في مَن بقي من الاجناد في الشـام فسار الى حلب ومن حلب الى العراق ومعه الامير نجم الدين ايل غازي بن ارتق والامير وثاب بن محمـود بن صالح وجماعة من امراء العرب واتراك حلب القسيميّة وتوجّه صوب بغداد على الرحبة في اوّل سنة ٤٨٧

وفي هذه (70^r) السنة وردت الاخبار من ناحية مصر بمرض امير الجيوش بدر المستولي على امرها وانه أُسكت في مرضه هذا ودام بهِ الى ان اشتـدّ في جمادى

الاولى منها وتوفي في العشر الاول منه وقد كان الامر تمهّد لولده الافضل واستقامت حاله مع المقدّمين وسائر الاجناد والعساكرية قبل وفاته واطاعوا امره وعملوا برأيه وقيل ان وفاة امير الجيوش كانت في جمادى الاولى. وفي هذه السنة ايضاً وردت الاخبار من ناحية مصر بمرض الامام المستنصر بالله امير المؤمنين في العشر الثاني من ذي الحجة وان المرض اشتدّ بهِ وتوفي الى رحمة الله في ليلة عيد الغدير الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٤٨٧ وعمره سبع وستون سنة وستة اشهر ومولده سنة ٤٢٠ ونقش خاتمه « بنصر السميع العليم ينتصر الامام ابو تميم » ومدّة ايام دولته ستون سنة واربعة اشهر وكان حسن السيرة جميل السريرة محبًا للعدل والانصاف ومُني في اكثر عمره من الاجناد بالعناد والاختلاف ووَلِيَ الامر بعده ولده ابو القاسم احمد بن المستنصر بالله ولُقِب بالمستعلي بالله امير المؤمنين واخذ لهُ البيعة على الامراء والمقدّمين من الاجناد والعسكرية واعيان الرعية الافضلُ ابو القسم شاهنشاه بن امير الجيوش ونصبه في منصب ابيه المستنصر بالله واستقامت به الاحوال وانتظمت على غاية الايثار والآمال. وخرج اخواه من مصر خفيةً عبد الله ونزار ابنا المستنصر بالله فقصد نزار منهما الاسكندرية وحصل مع نصر الدولة واليها وكان من اكابر الغلمان الجيوشيّة الذين عوّل عليهم امير الجيوش على اقامته في الامر من بعده دون ولده فاستحكم الحلف بينه وبين الافضل وجرت بينهما حروب ووقايع اسفرت عن ظفر الافضل بهِ واستقام لهُ الامر من بعده وصلحت احوال مصر واعمالها واستقامت بعد اضطرابها واختلالها (١. واما ما يتعلّق بمعرفة احوال السلطان تاج الدولة فانه تمّ في رحيله الى مدينة الريّ فنزل عليها وضايقها وملكها واستولى على البلاد والاعمال والمعاقل من الشام والى الريّ وكان قد انهض عسكرًا مع

---

١) وقال الفارقي في تاريخه: قيل انهُ كان في سنة ٤٨٩ مات الامام ابو تميم معدّ المستنصر بالله خليفة مصر ومن ذلك الوقت افترقت الاسماعيليّة والاسماعيليّة تقول ان المستنصر نصّ على ولده ابي منصور نزار والامامة فيه وكان المستنصر تزوّج بنت الامير بدر امير الجيوش ورُزق منها ابنًا سمّاهُ احمد وكنّاهُ بابي القاسم ومات امير الجيوش بدر في سنة ٤٨٨ ووليَ موضعه ولده الافضل ووليّ الافضل امارة الجيوش. فلمّا مات المستنصر قوي امير الجيوش على نزار وولّى ابن اخته ابا القاسم احمد ولقّبهُ بالمستعلي وافترق اهل مصر فرقتين فرقة مع المستعلي في السلطنة وفرقة مع نزار وهو مختفٍ بمصر. وجاء اليهِ الحسن بن الصباح من آلموت واقام بها عندهُ وتزوّج الى بنت الحسن ابن الصباح واولد منها ولدًا وسمّاه محمد ولقّبهُ بالمصطفى وقيل لُقّب بالقائم

وقال المصنّف ايضاً في النسخة السابقة من هذا التاريخ (التي كتبها قبل هذه النسخة الحاضرة

بني عقيل ونُمير الى اعمال بني عقيل فاستولوا عليها ما خلا الموصل وساءت سيرة الاتراك في الاعمال (70v) وشملها منهم ما عاد عليها بالفساد وسوء الحال وانفدوا مواشي اهلها واموالهم واستغرقوا بالنهب وارتكاب الظلم احوالهم واجلوهم عن منــازلهم في زمن الشتاء وشدّة البرد وسقوط الثلج والجليد. وبرز السلطان بركيارق من اصفهان في العسكر وقصد جهة عمّه السلطان تاج الدولة وخاف تاج الدولة من اهل الريّ ان يخامروا عليه ان اقام فرحل عنها ونزل في منزل على اربعة فراسخ منها (١ ووصل السلطان بركيارق في عساكره وخيّم بازائه وحالت بينهما طوالع الفريقين وتأهب كل منهما للقاء صاحبه ورُتبت المصافّات للحرب والتقى الفريقان في اليوم السابع عشر من صفر سنة ٤٨٨ فانفلّ عسكر السلطان تاج الدولة وتفرّق ونُهب سواده واثقاله وأُسر اكثره وقُتل منه الخلق

في سنة ٥٦٠) ان قوماً منهم يقولون ان نزار الامام المنصّ عليهِ وانهُ بقي مدّة ثم خرج وكان اولدَ فانصّ عليهِ يسمّى محمد بن نزار ويلقّب بالمصطفى وكان خرج نزار من مصر ومضى الى خراسان الى بيت الصباح في قلعة الموت واتّصل اليهم واولد هذا الابن من بنت ابن الصباح ومات هناك وقد نصّ على هذا الابن وقيل يلقّب بالقائم ومات هناك ولهُ ابن نصّ عليهِ يسمّى نزار بن محمد بن نزار وهو الان في هذا الزمان (امام) الاسماعيلية وهو على قولهم بخراسان وقوم قالوا بالمغرب وقوم قالوا بمصر ولم يخرج نزار من مصر والله اعلم. وهم يزعمون ان الامام منهم لا يموت الّا وقد خلّف ولدًا ذكرًا منصوصاً عليهِ بالخلافة واما المستعلي فانهُ بقي في الخلافة بسيف خاله الافضل الى سنة ٥٠٣ (كذا) ومات بمصر وولي الامر من بعده ولده ابو (علي) ويلقّب بالآمر وبقي في الخــلافة مدّةً وحصل لهُ قوم ودُعاة يدعون باسمه ثم مات وكان قبل موته نصّ على الحمل وهو في مذهبهم ان الامام منهم لا يموت الّا وقد خلّف ولدًا ذكرًا منصوصاً عليهِ فلما خلف الحمل وقد نص عليــهِ باجماع النــاس انتظرتهُ الى ان وضع انثى واختلف الناس وماجوا واتّفقوا ان اخرجوا من اولاد المستنصر رجلًا يسمّى عبد الحميد ويكنّى بابي الميمون ويلقّب بالحافظ وقيل انهُ كان ابن المستعــلي وقيل بل ابن المستنصر واجمعوا عليهِ ووليَ الخلافة في سنة ٥٢٦ (كذا) وقُتل في سنة ٥١٦ (كذا) وانقطع النصّ من هؤلاء فاجمعوا اجماعاً من غير نصّ. والاسماعيلية تقول ان المستعلي ومن بعده ليس لهُ في الامامة مدخل وانما هؤلاء اخذوها بالسيف وانما الامامة في ولد نزار وبعده وهذا نص اعتقادهم. والطائفتان على الباطل وليس الامامة والخلافة الّا لبني العبّاس رضوان الله عليهم لقوله عليهِ السلام لعمّه العباس رضي الله عنهُ: انت ابو الاملاك من امّتي الى يوم القيامة. وانما اصحاب الاهواء والاعراض يقولون ان اولئك الخلفاء وهذا باطل ولا خلافة الّا ببغداد

وقال الذهبي في تاريخ الاسلام: ان في سنة ٤٣٦ وُلد نزار بن المستنصر العبيــدي المصري الذي قتلهُ الافضل بن امير الجيوش

١) وفي زبدة التواريخ وهي اخبار الدولة السلجوقية: ان المصاف كان على قرية يقال لها دُسيلوا على ١٣ فرسخاً من الري

الكثير واستشهد تاج الدولة رحمه الله في الجملة وقتله (١ بعض اصحاب قسيم الدولة اق سنقر صاحب حلب بعد اصطناعه اياه وتقريبه له وحُمل رأسه وطيف به في العسكر ثم حُمل الى بغداد وطيف به فيها

سنة ثمان وثمانين واربعمائة

فيها ورد الخبر الى الملك فخر الملوك رضوان بن تاج الدولة باستشهاد ابيه تاج الدولة وانفلال عسكره وهو نازل في عانة على الفُرات في عسكره يريد الاتمام الى بغداد ثم المصير الى ابيه تاج الدولة حين استدعاه الى الوصول اليه فاضطرب لذلك وقلق وخاف من وصول من يطلبه فحطّ مضاربه في الحال وقوّضت خيام العسكر في الوقت ورحل مجدًّا في سيره في نفر من سرعان خيله وغلمانه وترك باقي عسكره من ورائه ولم يزل مُغِذًّا في قصده الى ان دخل حلب وفتح الوزير ابو القاسم النائب في القلعة ابوابها واصعده اليها واخذوا الاهبة لمن يقصدها. ووصل اليه من الفلّ اخوه شمس الملوك دُقاق (٢ ابن السلطان تاج الدولة من ناحية ديار بكر وجماعة من خواص عسكره المفلول واقام بحلب مدّة يسيرة وراسله الامير ساوتكين الخادم المستناب في القلعة والبلد وقرّر له ملكة دمشق سرًّا فخرج في الحال من حلب من غير ان يعلم به احدٌ وجدّ في سيره ليله ونهاره فلما عرف الملك فخر الملوك خبره (71r) انهض عدّة من الخيل في اثره ففاتهم ولم يعرفوا له خبرًا ولا وجدوا له اثرًا ووصل الى دمشق وحصل بها واجلسه ساوتكين في منصب ابيه السلطان تاج الدولة واخذ له العهد على الاجناد والعسكرية واستقام له الامر واستمرّت على السداد الاحوالُ. وفي هذه السنة وردت الاخبار من ناحية الحجاز بان الامير اصفهبذ وصل الى مكة في اربعمائة فارس من التركمانية فقاتل اهلها فقهرهم وملكها وقتل خلقًا كثيرًا من حرابتها من اصحاب ابن ابي شيبة وانهزم ابن ابي شيبة وجمع الاشراف من مكة وحصل بها واقام بها مُدَيدةً يسيرةً ورحل عنها

وفي هذه السنة وردت الاخبار بخلاص الامير ظهير الدين طغتكين اتابك من اعتقاله عقيب الكسرة التاجيّة وتوجّه عائدًا الى دمشق وخرج صاحبه السلّار حصن

---

١) وفي الاصل: وقَتَلَ

٢) وفي حاشية: قلت دُقاق كنيته ابو نصر ويقال فيهِ تُقاق ايضًا بالتاء

الدولة بختيار شحنة دمشق نحوه لتلقّيه والعود في خدمته . وقد كان هذا الامير المذكور في حداثة سنّهِ ونضارة غُصنه قد حظي عند السلطان الشهيد تاج الدولة ورشّحه بجحره وقدّمه على ابناء جنسه من خواصّه وبطانته وسكن الى شهامته وصرامته وسداد طريقته وردّ اليه بعد ذلك ما انس منهُ الرشد وحسن التدبير في الصدر والورد والاسفهلاريّة على عسكريته واستنابه في تدبير امر دمشق وحفظها ايام غيبته فاحسن السيرة فيها وانصف الرعية من اهلها وبسط العدلة في كافة من بها فكثر الدعاء لهُ والثناء عليهِ فعلت منزلته وامتُثِلت اوامره وامثلتُهُ ولم يلبث ان شاع ذكره بنجابته واشفقت النفوس من هيبته فولّاه ميافارقين من ديار بكر وهي اول ولايته (١ وسلّم اليه ولده الملك شمس الملوك دُقاق واعتمد عليهِ في تربيته وكفالته فساس امرها بالهيبة والتدبير واصلح فاسدَها في اقرب اوانٍ ومدّةٍ ونكا في جماعةٍ من مُقدّميها ووجوه اهلها حين عرف منهم خيانةً ومخامرةً نكايةً قامت بها الهيبة واستقامت معها امور الرعيّة . وتنقّلت بهِ الاحوال الى ان توجّه مع السلطان تاج الدولة الى ناحية الريّ وشهد الوقعة التي استُشهد فيها تاج الدولة وحصل في قبضة الاعتقال مع مَن أُسر مِن المقدّمين واقام مُدّةً الى ان اذن الله في الخلاص (٢ 71) ووصل الى دمشق في سنة ٤٨٨ فتلقّاهُ الملك شمس الدولة دقاق وعسكره وارباب دولته وبُولغ في اكرامه واحترامه ورُدَّ اليهِ النظر في الاسفهسلّاريّة واعتُمد عليهِ في تدبير المملكة وسياسة البيضة . واقتضت الحال فيها بينه وبين الملك وامراء الدولة العمل على الامير ساوتكين والايقاع بهِ وتُمّم عليهِ الامر وقُتل وعُقدت الوصلة بينهُ وبين ظهير الدين اتابك وبين الخاتون صفوة الملك والدة الملك شمس الملوك دُقاق ودخل بها واستقامت لهُ الحال بدمشق واحسن السيرة فيها واجمل في تدبير اهليها وبالغ في الذبّ عنها والمراماة دونها وسكنت نفس الملك شمس الملوك اليه واعتمد في التدبير عليه . وقد كان الملك فخر الملوك رضوان بن تاج الدولة صاحب حلب مائلًا الى دمشق ومحبًّا لها ومؤثرًا للعود اليها ولا يختار عليها سواها

---

١) قال الفارقي في تاريخه ان السلطان تتش لما سلّم اليهِ ميافارقين في سنة ٤٨٦ رتّب في القصر مملوكًا لهُ يسمّى طغتكين وان في سنة ٤٨٨ كانت شوشة آمد على نائبه بها وهاشوا عليه وحضر طغتكين آمد وقتل جماعةً وصلب جماعةً وبقيت آمد بحكم تاج الدولة وانتقلت بعده الى الملك دقاق وانتقلت الى الامير ينال وانتقلت الى الامير فخر الدولة ابرهيم وبقيت في يده ويد اولاده الى الان (يعني سنة ٥٧٢)

لمعرفته بمحاسنها وترعرعهِ فيها فجمع وحشد واستنجد بالامير سُكمان بن ارتق وبرز طالباً لدمشق والنزول عليها وانتهاز الفرصة فيها · وقد كان الملك شمس الملوك دُقاق والعسكر مع الامير ياغي سيان والامير نجم الدين ايل غازي قد غابوا عن دمشق في هذا الوقت فوصل الملك فخر الملوك رضوان صاحب حلب في عسكره ونزل بظاهر البلد في سنة ٤٨٩ وزحف في العسكر لقتـالها · وكان في البلد وزير الملك شمس الملوك زين الدولة محمد بن الوزير ابي القاسم ونفرٌ قليل من العسكرية وانضاف اليهم جماعة من الاجناد واهل البلد وأُغلقت الابواب وارتكبت الاسوار وصاحوا ورشقوهم بالسهام وكانوا قد بلغوا في الزحف الى سوق الغنم وقربوا من السور والباب الصغير وطلب جماعـةٌ من العسكرية واحداث البلد الخروج اليهم والدفع لهم عن البلد فمنعهم السلار بختيار شحنة البلد والرئيس امين الدولة ابو محمد بن الصوفي رئيس البلد من الخروج وقاتلوهم على الاسوار ومنعوهم من الوصول اليهـا · واتّفق الامر المقتضى ان حجر المنجنيق وقع في رأس حاجب الملك رضوان وهو قائمٌ يُحرّض على الحرب فقتله فسكنت الحرب واشتغلوا بامره وعادوا الى مخيّمهم لاجله ولم يتمّ لهم امرٌ ولا تسهّل لهم عرضٌ وبلغهم ان الملك شمس الملوك عائدٌ (72r) في العسكر الى دمشق فرحل في العسكر عائداً الى حلب خائباً في الامر الذي طلب · وطلب في رحيله ناحيـة مرج الصُفَّر وطلب حوران فعاث العسكر في اطرافها وطلب التوجّه الى بيت المقدس · وعاد شمس الملوك دقاق لما انتهى اليه الخبر في العسكر ووصل الى دمشق وتبع عسكر الملك رضوان على اثره فوصـل وتقارب المدى بين الفريقين وفصل الملك رضوان منكفئاً الى حلب فوصل اليها في اخر ذي الحجة من السنة

سنة تسع وثمانين واربعمائة

فيها وصل خلف بن ملاعب الذي كان السلطان ملك شاه ابو الفتـح اخذه من حمص عند اخذها منه واعتقله باصفهان وأُطلق عند وفاة السلطـان المذكور وتوجّه الى مصر · وفيها ورد الخبر بوفاة ابي مسلم وادع بن سليمان قاضي معرّة النعمان والمستولي عليها في اخر صفر منها وكان له همّةٌ مشهورة وطريقةٌ في اليقظة مشكورة · وفيها انكفأ الامير ياغي سيان منفصلاً عن الملك شمس الملوك دقاق الى بلده انطاكية في المحرّم منها

سنة تسعين واربعمائة

في مستهلّ شهر ربيع الأوَّل منها اجتمع ستَّة كواكب في برج الحوت وهي الشمس والقمر والمشتري والزُهرة والمريخ وعطارد وذكر اهل صناعة النجوم انهم لم يعرفوا اجتماع هذه الكواكب في برج في قديم الزمان وحديثه ولا سمعوا ذاك. وفي شعبان منها ورد الخبر بان الامير جناح الدولة حُسين اتابك الملك فخر الملوك رضوان بحلب استوحش من الملك استيحاشًا خاف معه على نفسه وكان زوج والدته ففصل عن حلب مُنكرًا لما تمّ في امره وكان امر التدبير اليه والمعتمد في الحلّ والعقد فيها عليه ووصل الى حمص في عسكره وخواصّه وكان قراجة نائبه فيها فسلَّمها اليه وحصل بها وشرع في تحصينها والاحكام لجهات قلعتها ونقل اهله اليها وامن على نفسه باستقراره بها. ووصل عقيب انفصاله الامير ياغي سيان من انطاكية الى حلب وشرع في التدبير والتقرير بها والامر والنهي في عسكريّتها واهليها وبرز الملك رضوان وياغي سيان من حلب في (72v) العسكر الى ناحية شيزر عازمًا على الاحتشاد والتأهُّب والاستعداد لمعاودة النزول على دمشق فاقاموا على شيزر تقدير شهر ووقع الخلف بين مقدّمي العسكر فتفرّقوا وعاد كل منهم الى مكانه وعاد الملك الى حلب. وفي هذه السنة ورد على فخر الملوك رضوان كتاب المستعلي بالله صاحب مصر مع رسوله يلتمس منه الدخول في طاعته واقامة الدعوة لدولته وكذلك كتاب الافضل يتضمَّن مثل هذه الحال فاجابهما الى ما التمساه وامر بان يُدعى للمستعلي على المنبر وللافضل بعده ولنفسه بعده واقامت الخطبة على هذه القضيَّة تقدير اربع جُمع وكان الملك رضوان قد بنى الامر في ذلك على الاجتماع مع العسكر المصري والنزول على دمشق لاخذها من اخيه الملك دقاق فوصل الامير سكمان[١] بن ارتق وياغي سيان صاحب انطاكية الى حلب وانكرا على الملك الدخول في هذا الامر واستبدعاه من فعله واشارا عليه بابطاله واطراح العمل بِهِ فقبل ما أُشير بِهِ اليه واعاد الخطب الى ما كانت عليه

وفي اوَّل شهر ربيع الاول من السنة وردت الاخبار بخروج العسكر المصري من مصر ونزوله على ثغر صور عند ظهور عصيان واليه المعروف باكُتيلة وخروجه عن الطاعة والايثار للخُلف والعدول عن المخالصة في الخدمة والعود للمبايعة ولم يزل العسكر مُنازلها

---

١) وفي الاصل : شكماز في المواضع كلها

ومُضايقاً عليها الى ان افتتحها بالسيف قهرًا وقتل فيها الخلق الكثير ونهب منها المال الجزيل وأُخذ الوالي اسيرًا من غير امان ولا عهد وحُمل الى مصر فقُتل بها

وفي هذه السنة كان مبـدأ تواصل الاخبار بظهور عساكر الافرنج من بحر القسطنطينيّة في عالم لا يُحصى عَدَده كثرةً وتتابعت الانباء بذلك فقلق الناس لسماعها وانزعجوا لاشتهارها . وصحّت الاخبار بذلك عنـد الملك (داود بن) سليمان بن قتلمش وكان اقرب اليهم دارًا فشرع في الجمع والاحتشاد واقامة مفروض الجهاد واستدعى من امكنه من التركمان للاسعاد عليهم والانجاد فوافاه منهم مع عسكر اخيـه العَدَد الكثير وقويت بذلك نفسه واشتدّت شوكته فزحف الى معـابرهم ومسالكهم وسُبُلهم (73r) فاوقع بكل من ظفر بهِ منهم بحيث قتـل خلقاً كثيرًا وعادوا اليه واستظهروا عليه وكسروا عسكره فقتلوا منهم واسروا ونهبوا وسبوا وانهزم التركمان بعد اخذ اكثر دوابّهم واشترى ملك الروم من السبي خلقاً كثيرًا وحملهم الى القسطنطينية وتواصلت الاخبار بهذه النوبة المستبشعـة في حق الاسلام فعظم القلق وزاد الخوف والفرق وكانت هذه الوقعة لعشر بقين من رجب . وفي النصف من شعبان توجّه الامير ياغي سيان صاحب انطاكية والامير سكمان بن ارتق والامير كربوقا في العسكر الى انطاكية وقد وردت الاخبار بقرب الافرنج منها ونزولهم البلانة وخفّ ياغي سيان الى انطاكية وسيّر ولده الى دمشق الى الملك دُقاق والى جنـاح الدولة بحمص والى سائر البلاد والاطراف بالاستصراخ والاستنجاد والبعث على الخفوف الى الجهاد وقصد تحصين انطاكية واخراج النصـارى منها . وفي اليوم الثاني من شوّال نزلت عساكر الافرنج على بغراس واعادوا على اعمال انطاكية فعنـد ذلك عصى من كان في الحصون والمعاقل المجاورة لانطاكية وقتلوا من كان فيها وهرب من هرب منها وفعل اهل ارتاح مثـل ذلك واستدعوا المدد من الافرنج . وفي شعبان ظهر الكوكب ذو الذؤابة من الغرب واقام طلوعه تقدير عشرين يوماً ثم غاب فلم يظهر وكان قد نهض من عسكر الافرنج فريقٌ وافرٌ يناهز ثلاثين الفاً فعاثوا في الاطراف ووصلوا الى البارة وفتكوا فيها تقدير خمسين رجلًا وكان عسكر دمشق وصل الى ناحيـة شيزر لانجاد ياغي سيان فلما نزلت هذه الفرقة المذكورة على البارة نهضوا نحوهم وتطاردوا وقتل منهم جماعة وعاد الافرنج الى الروج وتوجّهوا الى انطاكية . وغلا سعر الزيت والملح وغير ذلك وعُدم في انطاكيـة وتواصل ذلك اليها سرقةً فرخص فيها وجعل الافرنج بينهم وبين انطاكية خندقاً لكثرة

الغارات عليهم من عسكر انطاكية وقد كان الافرنج عند ظهورهم عاهدوا ملك الروم ووعدوه بان يسلّموا اليه اول بلد يفتحونه ففتحوا نيقية وهي اول مكان فتحوه فلم يفوا له بذلك ولا سلّموها اليه على الشرط وافتتحوا في طريقهم بعد الثغور والدروب . وفي هذه السنة وردت الاخبار من (73v) ناحية حلب بفساد حال رئيسها المعروف بالجنّ لما كان عليه من التمكّن والغلبة على الامر وارتكاب الظلم بحيث قُبض عليه ونُهبت داره وقُتل مع من قُتل من اولاده واستؤصلت شأفته وذلك مجازاة الساعي في قتل النفوس وسفك الدماء وما هي من الظالمين ببعيد وذلك في ذي القعدة . وفي هذه السنة استوزر الملك رضوان ابا الفضل بن الموصول ولُقب مشيّد الدين بحلب

سنة احدى وتسعين واربعمائة

في آخر جمادى الاولى منها ورد الخبر بان قوماً من اهل انطاكية من حملة الامير ياغي سيان من الزرّادين عملوا على انطاكية وواطوا الافرنج على تسليمها اليهم لاساءة تقدّمت منه في حقّهم ومُصادرتهم ووجدوا الفرصة في برج من ابراج البلد ممّا يلي الجبل باعوه للافرنج واطلعوهم الى البلد منهُ في الليل وصاحوا عند الفجر فانهزم ياغي سيان وخرج في خلقٍ عظيم فلم يسلم منهم شخصٌ ولما حصل بالقرب من ارمناز ضيعة بقرب من معرّة مصرين سقط عن فرسه على الارض فحمله بعض اصحابه واركبه فلم يثبت على ظهر الفرس وعاود سَقَطَ فمات رحمه الله . واما انطاكية فقُتل منها وأُسر وسُبي من الرجال والنسوان والاطفال ما لا يُدرِكه حصرٌ وهرب الى القلعة تقدير ثلثة الاف تحصّنوا بها وسلِم من كتب الله سلامته

وفي شعبان منها وردت الاخبار بخروج الافضل امير الجيوش من مصر في عسكر كثير الى ناحية الشام ونزل على بيت المقدس وفيه الاميران سكمان وايل غازي ابنا ارتق وجماعة من اقاربهما ورجالهما وخلق كثير من الاتراك فراسلهما يلتمس منهما تسليم بيت المقدس اليه من غير حرب ولا سفك دم فلم يجيباه الى ذلك فقاتل البلد ونصب عليه المناجيق فهدمت ثلمة من سوره وملكه وتسلّم محراب داود من سكمان ولما حصل فيه احسن اليهما وانعم عليهما واطلقهما ومن معهما ووصلوا الى دمشق في العشر الاوّل من شوّال وعاد الافضل في عسكره الى مصر . وفيها توجّه الافرنج الى معرّة النعمان باسرهم ونزلوا عليها في اليوم التاسع والعشرين من ذي الحجة وقاتلوها ونصبوا عليها

البرج والسلالم. وبعد افتتاح الافرنج بلد (74ᵃ) انطاكية بتدبير الزرّاد وهو رجل ارمني اسمه نيروز في ليلة الجمعة مستهلّ رجب وتواصلت الاخبار بصحّة ذلك تجمّعت عساكر الشام في العدد الذي لا يدركه حصرٌ ولا حزرٌ وقصدوا عمل انطاكية للايقاع بعساكر الافرنج فحصروهم حتى عُدم القوت عندهم حتى اكلوا الميتة ثم زحفوا وهم في غاية من الضعف الى عساكر الاسلام وهم في الغاية من القوّة والكثرة فكسروا المسلمين وفرقوا جموعهم وانهزم اصحاب الجُرد السبق ووقع السيف في الرجال المتطوّعين والمجاهدين والمغالبين في الرغبة في الجهاد وحماية المسلمين في ذلك في يوم الثلثاء السادس من رجب في السنة

واهلّت سنة اثنتين وتسعين واربعمائة

في المحرّم منها زحف الافرنج الى سور معرّة النعمان من الناحية الشرقية والشمالية واسندوا البرج الى سورها وهو اعلى منه فكشفوا المسلمين عن السور ولم يزل الحرب عليه الى وقت المغرب من اليوم الرابع عشر من محرّم وصعدوا السور وانكشف اهل البلد عنه وانهزموا بعد ان تردّدت اليهم رسل الافرنج في التماس التقرير والتسليم واعطاء الامان على نفوسهم واموالهم ودخول الشحنة اليهم فمنع من ذلك الخلف بين اهلها وما قضاهُ الله تعالى وحكم بهِ وملكوا البلد بعد صلاة المغرب وقُتل فيه خلق كثير من الفريقين وانهزم الناس الى دور المعرّة للاحتماء بها فامنهم الافرنج وغدروا بهم ورفعوا الصلبان فوق البلد وقطعوا على اهل البلد القطائع ولم يفوا بشيء مما قرروهُ ونهبوا ما وجدوهُ وطالبوا الناس بما لا طاقة لهم بهِ ورحلوا يوم الخميس السابع عشر من صفر الى كفرطاب. ثم قصدوا بعد ذلك ناحية بيت المقدس اخر رجب من السنة واجفل الناس منهم من اماكنهم ونزلوا اولًا على الرملة فملكوها عند ادراك الغلّة وانتقلوا الى بيت المقدس فقاتلوا اهله وضيّقوا عليهم ونصبوا عليه البرج واسندوا الى السور (١. وانتهى اليهم خروج الافضل من مصر في العساكر الدثرة لجهادهم والايقاع بهم وانجاد البلد عليهم وحمايته منهم فشدّوا في قتاله ولازموا حربه الى اخر نهار ذلك اليوم وانصرفوا

١) وقال الفارقي في تاريخه: ان في سنة ٤٩١ ظهرت الافرنج فخرجت فلكت انطاكية وطرابلس وفي سنة ٤٩٢ ملكوا بيت المقدس وما حوله من صور وعكّة وفي ٤٩٨ ملكوا باقي الساحل وقوي امرهم وملكوا الرُها وما حولها من الحصون الفراتيّة

عنه وواعدهم الزحف اليهم من الغــد ونزل الناس عن السور وقت المغرب (74[v]) فعاود الافرنج الزحف اليه وطلعوا البرج وركبوا سور البلد فانهزم الناس عنه وهجموا على البلد فملكوه وانهزم بعض اهله الى المحراب وقُتل خلق كثير وجمع اليهود في الكنيسة واحرقوها عليهم وتسلّموا المحراب بالامان في الثاني والعشرين من شعبان من السنــة وهدموا المشاهد وقبر الخليل عم٠ ووصل الافضل في العساكر المصريّة وقد فات الامر فانضاف اليه عساكر الساحل ونزل بظاهر عسقلان في رابع عشر شهر رمضان منتظرًا لوصول الاسطول في البحر والعرب فنهض عسكر الافرنج اليــه وهجموا عليه في خلق عظيم فانهزم العسكر المصري الى ناحية عسقلان ودخل الافضل اليها وتمكّنت سيوف الافرنج من المسلمين فاتى القتــل على الراجل والمطوّعة واهل البلد وكانوا زهاء عشرة الاف نفس ونهب العسكر وتوجّه الافضل في خواصّه الى مصر وضايقوا عسقــلان الى ان قرّروا عليها بعده الافرنج عشرين الف دينار تُحمــل اليهم وشرعوا في جبايتها من اهل البلد فاتّفق حدوث الخلف بين المقدّمين فرحلوا ولم يقبضوا من المال شيئًا وحُكي ان الذين قُتلوا في هذه الوقعة من اهل عسقلان من شهودها وتُنّائها وتجارها واحداثها سوى اجنادها الفان وسبعمائة نفس

سنة ثلث وتسعين واربعمائة

في صفر منها ورد الخبر بوصول السلطان بركيارق الى بغداد بعد ان جرى بينه وبين اخيه السلطان محمد تبر خُلف وحرب واستظهر فيها عليه وغلبه على مدينة اصفهــان وحصل بها٠ وتوجّه الملك شمس الملوك دقاق بن تاج الدولة من دمشق في عسكره الى ديار بكر لتسلّمها من المستولي عليها ووصل الى الرحبة في البرّيّة ووصل الى ديار بكر وتسلّم ميافارقين ورتّب فيها من يحفظها ويذبّ عنها (١ ٠ وفي رجب منها خرج بيمند

١) وقال الفارقي في تاريخه: قيل ومُلكت جميع ديار بكر بعد موت السلطان تاج الدولة ولم تبقَ للملك دقاق غير ميافارقين والامير ابرهيم (بن) ينــال بيده آمد وبقي في يد اولاده الى الان (يعني سنة ٥٧٢) وملك حســام الدولة تمتكين بدليس وارزن وكان ملك ارزن الامير شاروَخ واخذها حسام الدولة وملك الامير شاروَخ حاني وملك قزل ارسلان السبع الاحمر اسعرد وطنزي وباهمود وكان ملك مدينة دُوَين من بلد ارزن وملك الامير سكان بن ارتق حصن كيفا سنة ٤٩٥ واخذها من الامير موسى وقتله وبقيت لهم الى الان ولمّا مات الامير سكان ملكها بعده ولده الامير ابرهيم مدّة ومات وملكها بعــده ولده الامير داود بن سكان وبقيت في يد الاولاده

ملك الافرنج صاحب انطاكية الى حصن افامية ونزل عليه واقام اياماً واتلف زرعه ووصل الخبر بوصول الدانشمند الى ملطية في عسكره من الاتراك في خلق عظيم ومن عسكر (قلج ارسلان بن) سليمان بن قتلمش فعاد بيمند عند معرفة ذلك الى انطاكية وجمع وحشد وقصد عسكر المسلمين فنصر الله تعالى المسلمين عليه وقتلوا من حزبه خلقاً كثيراً (75ᵛ) وحصل في قبضة الاسر مع نفر من اصحابه ونفذت الرسل الى نوابه بانطاكية يلتمسون تسليمها في العشر الثاني من شهر صفر سنة ٤٩٣. وفيها وردت الاخبار بان الآبار غارت في عدة جهات من اعمال الشمال والمنابع في اكثر المعاقل وقلت وتقلصت الاسعار فيها

سنة اربع وتسعين واربعمائة

فيها جمع الامير سكمان بن ارتق خلقاً كثيراً من التركمان وزحف بهم الى افرنج الرها وسروج في شهر ربيع الاول وتسلم سروج واجتمع اليه خلق كثير وحشد الافرنج ايضاً والتقى الفريقان وقد كان المسلمون مشرفين على النصر عليهم والقهر لهم فاتفق هروب جماعة من التركمان فضعفت نفسه وانهزم ووصل الافرنج الى سروج فتسلموها وقتلوا اهلها وسبوهم الا من افلت منهم هزيماً. (و) في هذه السنة توفي القاضي الفقيه الامام ابو اسحق ابرهيم بن محمد بن عقيل بن زيد الشهرزوري الواعظ رحمه الله يوم الاثنين السابع من المحرم منها. وفي هذه السنة وصل كندفري صاحب بيت المقدس الى ثغر عكا واغار عليه فاصابه سهم فقتله وكان قد عمر يافا وسلمها الى طنكري فلما قتل كندفري سار اخوه بغدوين القمص صاحب الرها الى بيت المقدس في خمسمائة فارس وراجل فجمع شمس الملوك دقاق عند معرفة خبر عبوره ونهض اليه معه الامير جناح الدولة صاحب حمص فلقوه بالقرب من ثغر بيروت فسارع

الى الان وملك الباقون ماردين وحصلوا هؤلاء امراء البلاد وميافارقين بها الامير التاش من قبل الملك دقاق. قيل وفي سنة ٤٩١ عاد الملك دقاق الى ميافارقين وحضر الى خدمته جميع امراء له بديار بكر وكان معه الوزير محمد العجمي من اهل دوين

واما آمد قال المصنف في النسخة السابقة من هذا التاريخ ان بعد قتل تاج الدولة ملك آمد الامير صادر مدة ثم مات وولاها الامير ينال اخوه مدة ومات وملكها فخر الدولة ابرهيم وبقيت بيده مدة ومات وملكها ولده سعد الدولة ايكلدي الى سنة ٣٦ ومات وولي بعده ولده جمال الدين محمود الى يومنا هذا وهي بيده الى الان (يعني سنة ٥٦٠)

نحوه جناح الدولة في عسكره فظفر بهِ وقتل بعض اصحابه . وفيها افتتح الافرنج حيفـا على ساحل البحر بالسيف وارسوف بالامان واخرجوا اهلهـا منها . وفي اخر رجب منها فتحوا قيسارية بالسيف وقتلوا اهلها ونهبوا ما فيها واعانهم الجنويّون عليهـا

وفيها ورد الخبر بقرب السلطان بركيارق من بغداد في عسكره طالباً للقاء اخيـه محمد (١ فأُسر وقُتل وأُخذ وزيره (٢ وجماعة من مقدّميه وامر بقتلهم وتوجّه من وقته الى ناحية اصفهان فنزل عليها عند وصوله اليها وتقرّر امرها بحيث ملكها وحصل فيها وهي دار السلطنة واستقام (75^٧) لهُ الامر بها . وفيها تقدّم الخليفة المستظهر بالله امير المؤمنين ببغداد بالقبض على عميد الدولة محمد بن محمد بن جهير وزيرهِ وعلى نوّابه واسبابه ومصادرتهم وقتلهم لاشياء نقمها عليه ومنكراتٍ عُزيت اليه . وفي شعبان منها ارسل القاضي ابن صُلَيحة المتغلّب على ثغر جبـلة الى الامير ظهير الدين اتابك يلتمس منـه انفاذ من يراه من ثقاته ليسلّم اليه ثغر جبلة ويصل الى دمشق بماله وحاله ويسيّره الى بغداد تحت الحوطة والامان والحماية وجميل الرعاية فاجابه الى ما اقترحه ووعده بتحقيق امله وندب لولاية الثغر المذكور ولده الامير تاج الملوك بوري وكان الملك شمس الملوك دقاق غائباً عن دمشق في ديار بكر فعـاد منها ودخل الى دمشق في اوّل شوّال من السنة وتقرّرت الحال على ما التمس ابن صُلَيحة وتوجّه تاج الملوك في اصحابه الى جبلة فتسلّمها وانفصل ابن صُليحة عنها ووصل الى دمشق باصحابه واسبـابه وكراعه ودوابّه وكل ما تحويه يده من مالٍ واثاثٍ وحال فاكرم مثواه واحسن لُقياه واقام ما اقام بدمشق وسُيّر الى بغداد مع فرقةٍ وافرةٍ من الاجنـاد بجميع ما يملكه وحصل بها واتّفق لهُ من وشى بمالهِ وعظّم سعة حالهِ الى السلطان ببغـداد فنُهب واشتمل على ما كان يملك . وامّا تاج الملوك فانهُ لما ملك ثغر جبـلة وتمكّن هو واصحابه فيها اساءوا الى اهله وقبحوا السيرة فيهم وجَرَوا على غير العادة المرضية من العدل والانصاف فشكوا حالهم فيما نزل بهم الى القاضي فخر الملك ابي علي عمّار بن محمـد بن عمّار المتغلّب على ثغر طرابلس لقُربها منهم فوعدهم المعونة على مرادهم واسعادهم بالانفاذ لهم وانهض اليهم عدّةً وافرةً من عسكره فدخلت الثغر واجتمعت مع اهله على الاتراك فقهروهم واخرجوهم منـه وملكوه وقبضوا تاج الملوك وحملوه الى طرابلس فاكرمه فخر الملك

---

١) وفي الاصل: للقاء اخيه السلطان بركيارق بعسكر اخيه محمد

٢) وهو موّيد الملك ابو بكر عبد الله بن نظام الملك

واحسن اليه وسيره الى دمشق وكتب الى والده اتابك يعرّفه صورة الحال ويعتذر اليه مما جرى. وفيها قبض الملك شمس الملوك دقاق على امين الدولة ابي محمد بن الصوفي رئيس دمشق وصالحهُ على جملةٍ من المال يحملها الى خزانته واطلقه من الاعتقال واقرّه على رئاسته

وفي هذه السنة خرج من مصر عسكر كثيف مع الامير سعد الدولة المعروف بالقوامسي ووصل الى (76ᵀ) عسقلان لجهاد الافرنج في اوّل شهر رمضان واقام بحيث هو الى ذي الحجة منها ورحل عن عسقلان ونهض اليهِ من الافرنج الف فارس وعشرة الاف راجل والتقى الفريقان فكُسرت ميمنة المسلمين وميسرتهم وتبعوهم وبقي سعد الدولة المقدّم في نفرٍ يسيرٍ من عسكره في القلب فحمل الافرنج عليهِ وطلب الثبات فعاجله القضاء وكبا بهِ جواده وسقط عنهُ الى الارض فاستُشهد مكانه رحمهُ الله ومضى شهيدًا مأجورًا. وعاد المسلمون على الافرنج وتذامروا عليهم وبذلوا النفوس في الكرّة اليهم فهزموهم الى يافا وقتلوا منهم واسروا وغنموا وكانت العُقبي الحسنة لهم ولم يُفقد الّا نفر يسير منهم. وفيها انكفأ الامير كربوقا صاحب الموصل والجزيرة عن السلطان بركيارق لمشاهدة احوال ولايته واستعادة المخالفين الى طاعته فلما وصل الى مراغة عرض لهُ مرض الموت واشتدّ بهِ وتوفّي هُناك وسار الى ربّه. وفي هذه السنة وصل السلطان بركيارق بن ملك شاه الى بغداد منهزماً من اخيه السلطان محمد في اخرها

سنة خمس وتسعين واربعمائة

وفي هذه السنة وردت الاخبار بما اهل خراسان والعراق والشام عليهِ من الخلاف المستمرّ والشحناء والحروب والفساد وخوف بعضهم من بعض لاشتغال الوُلاة عنهم وعن النظر في احوالهم بالخُلف والمحاربة. وفيها وصل قمص الرُها مقدّم الافرنج في عسكره المخذول الى ثغر بيروت فنزل عليه طامعاً في افتتاحه وحاربه وضايقه وطال مقامه عليهِ ولم يتهيأً فيهِ مرادٌ فرحل عنهُ. ووردت مكاتبات فخر الملك بن عمّار صاحب طرابلس يلتمس فيها المعونة على دفع ابن صنجيل النازل في عسكره من الافرنج على طرابلس ويستصرخ بالعسكر الدمشقي ويستغيث بهم فأُجيب الى ما التمس ونهض العسكر نحوه وقد استدعى الامير جناح الدولة صاحب حمص فوصل ايضًا في عسكره

فاجتمعوا في عددٍ دثرٍ وقصدوا ناحية انطرطوس ونهد الافرنج اليهم في جمهم وحشدهم وتقارب الجيشان والتقيا هُناك فانفلّ عسكر المسلمين من عسكر المشركين وقُتل منهم الخلق الكثير وقفل من سلم الى دمشق وحمص بعد فُقد من (76^٧) فُقد منهم ووصلوا في الثاني والعشرين من جمادى الاخرة

وفيها وردت الاخبار من ناحية مصر بوفاة المستعلي بالله امير المؤمنين ابن المستنصر بالله صاحب مصر في صفر منها وعمره سبع وعشرون سنة ومولده سنة ٤٦٨ وكانت مدّة ايامه سبع سنين وشهرين ونقش خاتمه « الامام المستعلي بالله امير المؤمنين » وكان حسن الطريقة جميل السيرة في كافّة الاجناد والعسكريّة وسائر الرعيّة لازماً قصره كعادة ابيه المستنصر بالله منكفتاً بالافضل سيف الاسلام ابن امير الجيوش فيما يريده باصالة رأيه وصواب تقديره وامضائه وقام في الامر بعده ولده ابو علي المنصور بن المستعلي بالله ابي القاسم احمد واخذ له البيعة على الاجناد والامراء وكافة الرعايا والخدم والاولياء الافضل السيّد ابو القاسم شاهنشاه ابن امير الجيوش واجلسه في منصب ابيه عقيب وفاته ولُقِب بالآمر باحكام الله واستقام له الامر بحسن تدبير الافضل وانتظمت بِهِ الاحوال على غاية الباغي والآمال

وفي هذه السنة خرجت العساكر المصرية من مصر (١ لانجاد ولاة الساحل في الثغور الباقية في ايديهم منها على منازليهم من احزاب الافرنج ووصلت الى عسقلان في رجب ولما عرف بغدوين قمص بيت المقدس وصولهم نهض نحوهم في جمعه من الافرنج في تقدير سبعمائة فارس وراجل اختارهم فهجم بهم على العسكر المصري فنصره الله على حزبه المفلول وقتلوا اكثر خيله ورجالته وانهزم الى الرملة في ثلثة نفر وتبعوهُ واحاطوا بِهِ فتنكَّر وخرج على غفلةٍ منهم وقصد يافا وافلت منهم فكان قد اختفى في اجمة قصب حين تُبع وأُحرقت تلك الاجمة ولحقت النار بعض جسده ونجا منها وحصل بيافا فاوقع السيف في اصحابه وقتل وأُسر من ظُفر بِهِ في الرملة من رجاله وابطاله وحُملوا الى مصر في اخر رجب من السنة . وفي هذا الوقت وصلت مراكب الافرنج في البحر تقدير اربعين مركبًا ووردت الاخبار بان البحر هاج بها واختلفت ارياحه عليها فعطب اكثرها ولم يسلم منها ألّا القليل وكانت مُشحَنةً بالرجال والمال

---

١) قال سبط ابن الجوزي : مع نصير الدولة يمن

سنة ستّ وتسعين واربعمائة (77ᵛ)

فيها برز الملك شمس الملوك دقاق وظهير الدين اتابك من دمشق في العسكر وقصد الرحبة ونزل عليها وضايق من بها وقطع اسباب الميرة عنها واضرّ بالمضايقة الى ان اضطرّ المقيم بها الى طلب الامان له ولاهل البلد فأومنوا وسُلّمت اليه بعد القتال الشديد والحرب المتّصلة في جمادى الاخرة منها ورتّب امرها وندب من رآه من الثقات لحفظها وقرّر احوال من بها ورحل عنها في يوم الجمعة الثاني والعشرين منها منكفئًا الى دمشق

وفيها ورد الخبر من حمص بان صاحبها الامير جناح الدولة حسين اتابك نزل من القلعة الى الجامع لصلاة الجمعة وحوله خواصّ اصحابه بالسلاح التام فلما حصل بموضع مُصلّاهُ على رسمه وثب عليه ثلثة نفر عجم من الباطنيّة ومعهم شيخ يدعون له ويسمعونه في زيّ الزُهاد فوعدهم فضربوه بسكاكينهم وقتلوه وقتلوا معه جماعة من اصحابه وكان في الجامع عشرة نفر من مُتصوّفة العجم وغيرهم فاتّهموا وقُتلوا صبرًا مظلومين في الوقت عن اخرهم. وانزعج اهل حمص لهذا الحديث واجفلوا في الحال وهربت اكثر سُكّانها من الاتراك الى دمشق واضطربت الاحوال بها وراسلوا الملك شمس الملوك بدمشق يلتمسون انفاذ من يتسلّم حمص ويُعتمَد عليه في حمايتها والذبّ عنها قبل انتهاء الخبر الى الافرنج وامتداد اطماعهم فيها فسار الملك شمس الملوك وظهير الدين اتابك في العسكر من دمشق ووصل الى حمص وتسلّمها وحصل في قلعتها ووافق ذلك وصول الافرنج اليها ونزولهم على الرستن لمضايقتها ومنازلتها فحين عرفوا ذلك احجموا عن القرب اليها والدنو منها ورحلوا عنها

وقد كان المعروف بالحكيم المنجّم الباطني صاحب الملك فخر الملوك رضوان صاحب حلب اوّل من اظهر مذهب الباطنيّة في حلب والشام وهو الذي ندب الثلثة النفر لقتل جناح الدولة بحمص وورد الخبر بهلاكه بعد الحادثة باربعة عشر يوماً. ولمّا رتّب شمس الملوك امر حمص وقرّر احوالها وانكفأ عائدًا الى دمشق في اوّل شهر رمضان خرجت العساكر المصريّة من مصر الى البرّ والاصطول في البحر مع شرف ولد الافضل شاهنشاه وكتب في استدعاء المعونة على (77ᵛ) الجهاد ونُصرة العباد والبلاد بانفاذ العسكر الدمشقي فأُجيب الى ذلك وعاقت عن مسيره اسبابٌ حدثت وصوادف صدفت ووصل اصطول البحر ونزل على يافا اخر شوال واقام اياماً وتفرّق الاصطول والعساكر الى

الساحل وكانت الاسعار بها قد ارتفعت والاقوات قد قلّت فصلحت بما وصل مع الاصطول من الغلّة ورخص الاسعار الّا ان غارات الافرنج متّصلة عليها

وفي ذي القعدة من السنة تواترت الاخبار بخروج قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش من بلاد الروم طالباً انطاكية ووصوله الى قريب من مرعش وجرى بينهُ وبين الامير الدانشمند صاحب ملطية خلفٌ ومنازعةٌ اوجبت عوده عليه وايقاعه بهِ وفلّ عسكرهِ والفتك برجاله ولمّا انكفأ بعد ذلك قيل انهُ وصل الى الشام وارسل رسوله الى حلب يلتمس الاذن للسفار بالوصول الى عسكره بالمِيَر والازواد وما يحتاج اليه سائر العسكريّة والاجناد فسُرّ الناس بذلك وتباشروا بهِ

سنة سبع وتسعين واربعمائة

في رجب منها وردت الاخبار بوصول الافرنج في البحر من بلادهم الى ظاهر اللاذقية مشحونة بالتجار والاجناد والحجاج وغير ذلك وان صنجيل المنازل لطرابلس استنجد بهم على طرابلس في مضايقتها والمعونة على ملكتها وانهم وصلوا اليه فاجتمعوا معه على منازلتها ومضايقتها فقاتلوها اياماً ورحلوا عنها. ونزلوا على ثغر جُبيل فقاتلوه وضايقوه وملكوه بالامان فلما حصل في ملكتهم غدروا باهله ولم يفوا بما بذلوه من الامان وصادروهم واستنفدوا احوالهم واموالهم بالعقوبات وانواع العذاب. وورد الخبر باجتماع الاميرين سُكمان بن ارتق وجكرمش صاحب الموصل في عسكرهما وتعاهدا وتعاقدا على المجاهدة في اعداء الله الافرنج وبذل الطاقة والاستطاعة في حربهم ونزلا في اوائل شعبان من السنة برأس العين. ونهض بيمند وطنكري في عسكريهما من ناحية انطاكية الى الرُها لانجاد صاحبها على الاميرين المذكورين فلما قرُبا من عسكر المسلمين النازلين على الرُها تأهّب كل من الفريقين للقاء صاحبه فالتقوا في تاسع شعبان فنصر الله المسلمين عليهم وهزموهم وقتلوا منهم (78^r) مقتلة كثيرة وكانت عِدّتهم تزيد على عشرة آلاف فارس وراجل سوى السواد والاتباع وانهزم بيمند وطنكري في نفر يسير وكان نصراً حسناً للمسلين لم يتهيّأ مثلهُ وبهِ ضعفت نفوس الافرنج وقلّت عدّتهم وفلّت شوكتهم وشكّتهم وقويت نفوس المسلمين وارهنت وارهفت عزائمهم في نصرة الدين ومجاهدة الملحدين وتباشر الناس بالنصر عليهم وايقنوا بالنكاية فيهم والادالة منهم

وفي هذا الشهر ورد الخبر بنزول بغدوين ملك الافرنج صاحب بيت المقدس في عسكره

على ثغر عكا ومعه الجنويّون والمراكب في البحر والبرّ وهم الذين كانوا ملكوا ثغر جُبيل في نيف وتسعين مركبًا فحصروه من جهاته وضايقوه من جوانبه ولازموه بالقتال الى ان عجز واليه ورجاله عن حربهم وضعف اهله عن المقاتلة لهم وملكوه بالسيف قهرًا. وكان الوالي بهِ الامير زهر الدولة بنا الجيوشي قد خرج منهُ لعجزه عن حمايته وضعفه عن المراماة دونه وانفذ يلتمس منهم الامان لهُ ولاهل الثغر لِيأسه من وصول نجدةٍ او معونةٍ فلمّا ملك الثغر تمّ على حاله منهزمًا الى دمشق فدخلها واكرمه ظهير الدين اتابك واحسن تلقّيهُ وكان وصوله الى دمشق في يوم الخميس لثلاثٍ بقين من شعبان وتقدّم شمس الملوك دقاق وظهير الدين اتابك في حقّه بما طيّب نفسه واكّد أُنسه واقام بدمشق الى ان تسهّلت لهُ السبيل في العود الى مصر فتوجّه اليها عائدًا ووصل اليها سالمًا واوضح عذره فيما تمّ عليه من الغلبة فقُبل عذره بعد الانكار عليه والغيظ من فعله

وفي هذه السنة عرض للملك شمس الملوك دقاق بن السلطان تاج الدولة صاحب دمشق مرض تطاول بهِ ووقع معه تخليط الغذاء اوجب انتقاله الى علّة الدقّ فلم يزل بهِ وهو كل يوم في ضعفٍ ونقصٍ فلما اشفى ووقع اليأس من بُرءه وانقطع الرجاء من عافيته تقدّمت اليه والدته الخاتون صفوة الملك بان يوصي بما في نفسه ولم يترك امر الدولة وولده سُدًى فعند ذلك نصّ على الامير ظهير الدين اتابك في الولاية بدمشق من بعده والحضانة لولده الصغير تتش بن دقاق بن تاج الدولة الى حين يكبر واحسان تربيته والقى اليه ما كان في نفسه وتوفي الى رحمة الله في اليوم الثاني عشر من شهر رمضان من السنة

وقد (78ᵛ) كان ظهير الدين اتابك قبل هذه الحال في عقابيل مرض اشفى منهُ وتداركه من الله تعالى العافية وابلّ من مرضه وشرع في احسان السيرة في العسكريّة والرعيّة واحسن الى الامراء والمقدّمين من الدولة واطلق يده من الخزانة في الخلع والتشريفات والصلات والهبات وامر بالمعروف ونهى عن المنكر واقام الهيبة على المفسدين المسيئين وبالغ في الاحسان الى المطيعين والمحسنين وتألّف القلوب بالعطاء واستمال الجانح بالتردّد والحباء واستقامت لهُ الامور واجمع على طاعته الجمهور. وقد كان الملك شمس الملوك قد حمل على الرئيس ابي محمد بن الصوفي رئيس دمشق الى ان قبض عليه في سنة ٤٩٦ وبقي معتقلًا الى ان قُرّرت عليه مصالحةٌ نهض فيها وقام بها وبعد ذلك عرض لهُ مرض قضى فيه محتوم نحبهِ وصار منه الى ربّه وقام بعده في منصبه ولده ابو المجالي

سيفٌ واخوه ابو الذواد المفرج وكتب لهما المنشور في الاشتراك في الرئاسة واحضرهما ظهير الدين اتابك عقيب وفاة شمس الملوك وطيّب نفسيهما ووكّد الوصيّة عليهما في استعمال النهضة في سياسة الرعايا وإنهاء احوالها فيما يستمرّ عليهما من صلاحٍ وفسادٍ ليقابل المحسن اليها بالاحسان والجاني عليها بالتأديب والهوان فامتثلا اوامره وعملا باحكامه. فكان الملك شمس الملوك رحمه الله قبل وفاته قد سيّر اخاه الملك إرتاش ابن السلطان تاج الدولة الى حصن بعلبك ليكون بهِ معتقلاً عنــد واليه فخر الدولة خادم ابيه كمشتكين التاجي فرأى ظهير الدين اتابك في حكم ما يلزمه لاولاد تاج الدولة ان ارسل الخادم المذكور في اطلاقه واحضاره الى دمشق فوصل اليها وتلقّاه واكرمه وبجّله وخدمه واقامه في منصب اخيه شمس الملوك وتقدّم الى الامراء والمقدّمين والاجناد بالطاعة لأمره والمناصحة في خدمته واجلسه في دست المملكة في يوم السبت لخمس بقين من ذي الحجة سنة ٤٩٧ فاستقامت بذلك الامور وسكنت اليه نفوس الجمهور. واتّفق للامر المقضي الذي لا يُدافَع والمحتوم الذي لا يُمانَع من سعى في افساد هذا التدبير ونقض هذا التقرير فاوحش الملك محيي الدين ارتاش من ظهير الدين اتابك (79r) ومن الخاتون صفوة الملك والدة شمس الملوك واوقعت امه في نفسه الخوف منهما واوهمته انهما ربّما عَمِلا عليهِ فقتلاه والامر بالضدّ ممّا نقله الواشي اليهِ والقاه فخاف منهما وحسّن لهُ الخروج من دمشق ومملكتها والعود الى بعلبك لتجتمع اليهِ الرجال والعسكرية فخرج منها سراً في صفر سنة ٤٩٨ وخرج ايتكين الحلبي صاحب بُصرَى اليها هارباً لتقرير كان بينهما في هذا الفساد فعاثا في ناحيــة حوران وراسلا بغدوين ملك الافرنج بالاستنجاد بهِ وتوجّها نحوه واقاما عنده مدّةً بين الافرنج يُحرّضانه على المسير الى دمشق ويبعثانهِ على الافساد في اعمالها فلم يحصلا منهُ على حاصل ولا ظفرا بطائل فحين يئسا من المعونة وخاب املهما في الاجابة توجّهــا الى ناحية الرحبة في البرّية (١ . واستقام الامر بعدهما لظهير الدين اتابك وتفرّد بالامر واستبــدّ بالرأي وحسنت احوال دمشق واعمالها باياالته وعمرت بجميل سياسته. وقضى الله تعالى بوفاة تُتُش ولد الملك شمس الملوك دقاق المقدّم ذكره في هذه الايام. واتّفق ان الاسعار رخصت والغلّات ظهرت وانبسطت الرعيّة في عمارة الاملاك في باطن دمشق وظاهرها لاحسان سيرته واجمال معاملته وبثّ العدل فيهم وكفّ اسباب الظلم عنهم

---

١) وفي تاريخ الاسلام انهُ هلك ارتاش في طريقه

وفي هذه السنة ورد الخبر من ناحية طرابلس بظهور فخر الملك ابن عمار صاحبها في عسكره واهل البلد وقصدهم الحصن الذي بناه صنجيل عليهم (١ وانهم هجموا عليه على غرّةٍ ممن فيه فقتل من به ونهب ما فيه واحرق واخرب واخذ منهُ السلاح والمال والديباج والفضّة الشيء الكثير وعاد الى طرابلس سالمًا غانمًا في التاسع عشر من ذي الحجة. وقيل ان بيمند صاحب انطاكية ركب في البحر ومضى الى الافرنج يستصرخها ويستنجد بهم على المسلمين في الشام واقام مدّة وعاد عنهم منكفئًا الى انطاكية

سنـــة ثمان وتسعين واربعمائة

فيها عرض لظهير الدين اتابك مرضٌ اشتدّ به ولازمه وخاف منهُ على نفسه واشفق على اهله وولده واصحابه ورعيّته ان تمّ عليه امرٌ وتواصلت مكاتبات فخر الملك بن عمّار (79ᵛ) ورسله من طرابلس بالاستصراخ والاستنجاد على الافرنج النازلين عليها والبعث على تعجيل اعانته بمن يصل اليه من العساكر لكشف غمّته وتفريج كربته وقد كان الامير سكمان بن ارتق والامير جكرمش صاحب الموصل قد اتّفقا على الجهاد في المشركين ونصرة المسلمين فنتج لظهير الدين فكرةٌ ورايةٌ فيما نزل به من المرض المخوف ان يرسل الامير سكمان بن ارتق يستدعي وصوله الى دمشق في عسكره ليوصي اليه ويعتمد في حماية دمشق عليه. ونفذت اليه ايضًا مكاتبة ابن عمّار بتحريضه على المسارعة الى ذلك والقصد لنصرته وبذل لهُ مالًا جزيلًا على معونتــه ونصرته فحين واقف على مضمون المكاتبات اجاب الى المقترح عليه وسارع اليه وثنى عنانه الى دمشق مُغذًّا في سَيره مواصلًا لجدّة بجده وتشميره وقطع الفرات الى ما حُضّ عليه والمغارات. فلمّا وصل الى القريتَين واتّصل خبره الى اتابك لامه اصحابه وخواصه على ما فرط في تدبيره وعنّفوا رأيه فيما استـــدعاه وخوّفوه عاقبة ما اتاه وقالوا لهُ: اذا وصلت الامير سكمان بن ارتق دمشق واخرجتها من يدك كيف يكون حالك واحوالنــا او ليس قد عرفت نوبة اتسز لمّا استدعى السلطان تاج الدولة بن البارسلان وسلّم اليه دمشق كيف بادر باهلاكه ولم يمهله ولا اهله. فعند ذلك افاق لغلطته وتنبّه لغفلته وندم ندامة الكُسعيّ (٢ وزاده هذا الامر مرض الفؤاد مع مرض الجسم. وبينما هو واصحابه من التفكر فيما يُعتمد من

---

١) وفيه ايضًا انهُ على ميلٍ منها

2) *Freytag*, Arab. Prov., II, 776 et Tabari I, 3184. i).

امره وتدبير بهِ حاله عند وصوله والخبر ورد من القَرْيتين بان الامير سكمان ساعة وصوله في عسكره الى القريتين ونزوله لحقه مرضٌ شديد وقضى منهُ محتوم نحبه وصار الى رحمة ربه وحمله اصحابه في الحال ورحلوا عائدين بهِ فسُرَّ اتابك بهذه الحال سرورًا زائدًا كان معهُ بدء سعادته وعود بُرئه الى جسمه وعافيته فسبحان مدبّر الخلق بحكمته ومُسبِّب الاسباب بقدرته وقصدوا ناحية الجزيرة وذلك في اوّل صفر من السنة

وفي هذه السنة وردت الاخبار بهلاك صنجيل مقدّم الافرنج النازلين على ثغر طرابلس في رابع جمادى الاولى بعد ان كان الامر استقرّ بينه وبين فخر الملك بن عمّار صاحب طرابلس من المهادنة على ان يكون ظاهر طرابلس لصنجيل بحيث لا (80r) يقطع الميرة عنها ولا يمنع المسافرين منها. وفي اوّل السنة ورد الخبر بوصول السلطان محمد تبر ابن ملك شاه الى الموصل ونزوله عليها وخروج الامير جكرمش صاحبها اليهِ باذلًا لهُ الطاعة وشروط الخدمة ورحل عنها. وفي هذه السنة وردت الاخبار من ناحية العراق بوفاة السلطان بركيارق ابن السلطان ملك شاه رحمهُ الله بنهاوند بعد ان تقرّرت الحال بينهُ وبين اخيهِ بحيث تكون مملكة خراسان باسرها للسلطان ابي الحرث سنجر واصفهان واعمالها وبغداد وما والاها برسم السلطان بركيارق والسلطنة لهُ وارمينية واذربيجان وديار بكر والموصل والجزيرة والشام وما يليها للسلطان محمد تبر. وتوجّهت عساكر السلطان بركيارق بعد وفاته الى بغداد ومقدّمها الامير اياز ومعه الامير صدقة بن مزيد بن دُبيس(١ وتوجّه السلطان محمد الى بغداد ايضًا. فلمّا عرف الامير اياز خبره خاف منهُ على نفسه فهرب منهُ ومعهُ ولد السلطان بركيارق ودخل السلطان محمد بغداد ووصل اليهِ الامير سيف الدولة صدقة بن مزيد الاسدي واستقرّ امره معهُ. وعرف اياز ان حاله لا تستقرّ الّا بالعود الى طاعة السلطان محمد والدخول في جملته والكون في خدمته فراسله والتمس الامان منهُ والتوثقة باستحلافه على الوفاء بما عاهده عليهِ فاجابهُ الى ما رامهُ منهُ ووصل اليهِ في العسكر مع ولد السلطان بركيارق وكان طفلًا صغيرًا فانضاف في جملته مع عسكره. فلمّا كان بعد ايام غدر باياز ونكث عهده واخلف وعده وقبض عليهِ وهو آمنٌ مُطمئنٌ بما توثّق بهِ من إيمانه وقتله وجعل سبب هذا الفعل امورًا اسرّها في نفسه واوردها واحتج بامور اضمرها وعددها ليُعذَر في فعله وما هو بمعذور في فعله ولا بمشكور

١) وهو صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد الاسدي

وفي اوّل شعبـان توجه ظهير الدين اتابك الى بعلبك في العسكر ونزل عليهـا متنكرًا على كمشتكين الخادم التاجي واليها لاسباب انتهت اليهِ عنهُ فانكرها منهُ . فلمّا نزل عليهِ وضايقهُ وعرف ما في نفسه انفذ اليهِ ببذل الطاعة والخدمة والانكار لما افترى بهِ عليهِ والتنصّل ممّا نُسب اليهِ والحلف على البراءة مما اختلق من المحال عليهِ فصفح لهُ عن ذلك ورضي عنهُ وقرّر (٢80) امره واوعز بكفّ الاذيّة عن ناحيته . ورحل عنهـا متوّجهًا الى ناحية حمص وقصد رفنية ونزل عليها ووفد عليه خلقٌ كثيرٌ من جبل بهرا فهجموا رفنية على حين غفلةٍ من اهلها وعرّةٍ من مستحفظهـا وقتلوا من بها وباعمالها والحصن المحدث عليهـا من الافرنج واحرق ما امكن احراقه في الحصن وغيره وُهدم الحصن ومُلكت ابراج رفنية وقتل من كان فيها وعاد العسكر الى حمص

وفي رجب خرج الملك فخر الملوك رضوان صاحب حلب وجمـع خلقًا كثيرًا وعزم على قصد طرابلس لمعونة فخر الملك ابن عمّار على الافرنج النـازلين عليهِ وكان الارمن الذين في حصن ارتاح قد سلّموا اليـهِ الحصن لمّا شملهم من جور الافرنج وتزايد ظلمهم فلمّا عرف طنكرى ذلك خرج من انطاكية لقصد ارتاح واستعادتها وجمع من في اعماله من الافرنج ونزل عليها وتوجّه نحو فخر الملك في عسكره لابعاده عنهـا وقد جمع وحشد من امكنه من عمل حلب والاحداث الحلبيين لقصـد الجهاد . فلمّا تقاربا نشبت الحرب بين الفريقين فثبت راجل المسلمين وانهزمت الخيل ووقع القتل في الرجالة ولم يسلم منهم الّا من كتب الله سلامته ووصل الفلّ الى حلب وأُحصي المفقود من الخيل والرجل فكان تقدير ثلثة الف نفس . وحين عرف ذلك من كان في ارتاح من المسلمين هربوا باسرهم منها وقصد الافرنج بلد حلب فاجفل اهله منـهُ ونُهب من نُهب وسُبي من سُبي وذلك في الثالث من شعبـان واضطربت احوال من بالشام بعد الامن والسكون

وفي هذه السنـة خرج من مصر عسكر كثيف يزيد على عشرة الاف فارس وراجل مع الامير شرف (١ المعالي ولد الافضل وكوتب ظهير الدين اتابك بالاستـدعاء للمعونة والاعتضاد الى جهـاد الكفرة الاضداد فلم يتمكّن من الاجابة الى المراد لاسباب عاقتـه عن المعونة والاسعاد وتوجّه في العسكر الى بُصرى فنزل عليها عازمًا على مضايقتها وفيهـا الملك ارتاش بن تاج الدولة وايتكين الحلبي لانهما كانا عنـد

١) وفي الاصل: « شمس » وكذا في مرآة الزمان للسبط ابن الجوزي

الافرنج على ما شرح من امرهما اوّلًا . ثم استدرك الرأي واستصوب المسير الى العسكر المصري للاعتضاد على الجهاد فسار اليهِ ووصل (81r) الى ظاهر عسقلان ونزل قريبًا منهُ وعرف الافرنج الخبر فتجمّعوا وقصدوا عسقلان والتقى الفريقان في رابع عشر ذي الحجة من السنة فيما بين يافا وعسقلان فاستظهر الافرنج على المسلمين وقتلوا والي عسقلان واسروا بعض المقدّمين وانهزم عسكر مصر الى عسقلان وعسكر دمشق الى بُصرى وقيل ان الذين قتلوا من المسلمين بازاء الذين قتلوا من المشركين (كانوا متقاربين) ولمّا عاد ظهير الدين والعسكر الى بُصرى وجد الملك ارتاش وايتكين الحلبي لمّا يئسا من نصرة الافرنج لهما قد قصدا ناحية الرحبة واقاما بها مدّةً وتفرّقا وواسل المقيمان ببصرى نوشتكين وفلوا (كذا) من ظهير الدين يطلبان منهُ الامان والمهلة لهما بالتسليم مدّة اقتراحهما فاجاب الى ما التمساهُ منهُ ورحل عنهما ولمّا بلغ الاجل منتهاه والوعد مداه سلّما بصرى اليهِ وخرجا منها ووفى لهما بما وعدهما من الامان والاقطاع وزاد على ذلك واقاما عليهِ مدّةً ايامه

سنة تسع وتسعين واربعمائة

فيها خرج الافرنج الى سواد طبرية وشرعوا في عمارة حصن علعال (١ فيما بين السواد والبثنية وكان من الحصون الموصوفة بالمنعة والحصانة فلمّا عرف ظهير الدين اتابك هذا العزم منهم اشفق من اتمام الامر فيهِ فيصعب تداركُ الامر وتلافيهِ فنهض في العسكر وقصدهم وهو على غفلةٍ مما دهمهم فاوقع بهم وقتلهم باسرهم وملك الحصن بما فيهِ من آلاتهم وكراعهم واثاثهم وعاد الى دمشق برؤوسهم وأُسرائهم وغنائمهم وهي على غاية الكثرة في يوم الاحد النصف من شهر ربيع الاخر . وفي هذا الشهر ظهر في السماء من الغرب كوكب لهُ ذؤابةٌ كقوس قُزَح اخذه من المغرب الى وسط السماء وقد كان رُؤي قريبًا من الشمس نهارًا قبل ظهوره في الليل واقام عدّة ليالٍ وغاب

وفي السادس والعشرين من جمادى الاولى ورد الخبر بقتل خلف بن ملاعب صاحب افامية قتلهُ قومٌ من الباطنيّة نفّذهم اليهِ المعروف بابي طاهر الصائغ العجمي من حلب وهو الذي قام للباطنيّة مقام الحكيم المنجّم الباطني بعد هلاكه بموافقة رجلٍ (81v) من دُعاتهم يُعرف بابي الفتح السرميني كان مقيمًا بافامية وقد قرّر ذلك مع اهلها

---

١) وفي تاريخ الاسلام يقال لهُ : « عال »

فنقبوا نقباً في السور حتى تمكنوا من الوصول اليـه فلما قربوا منهُ واحسّ بهم لقيهم فوثب اليهِ بعضهم فطعنهُ في جوفه فرمى بنفسه في القلّة يُريد بعض دور اهله دِهِ (كذا) فطعنه آخر طعنةً ثانيةً فعاش ساعة ومات وصاح الصانع على القلّة ونادوا بشعار الملك رضوان (١ فجاء اولاده وصاحبه من السور وملكوا عليهم الموضع وقتـلوا من قتلوا وسلم ولده مصبح بن خَلَف بن ملاعب وتوجّه الى شيزر واقام هناك مدّة فاطاق منها. ووصل طنكري الى افامية عقيب هذه الكائنة طامعاً فيها ومعـهُ اخٌ كان لابي الفتح الداعي السرميني كانوا مأسورًا في يده فقرّر لهُ شيئاً دفعـهُ اليه فرحل عنهُ

وفي هذه السنة وصل قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش في عسكر كثير وقصد الرُها ونزل قريباً منها فانفذ اصحاب جكرمش المقيمون بحرّان يستدعونهُ لتسليمها اليهِ فوصل اليهم وتسلّمها منهم واستبشر الناس بوصوله الى الجهاد واقام اياماً ومرض مرضاً اوجب لهُ العود الى ملطية واقام اصحابه بحرّان. وورد الخبر بان مصبح بن ملاعب الذي افات من نوبة افامية التجأ الى طنكري صاحب انطاكية وحرّضهُ على العود الى افامية واطمعهُ في اخذها لقلّة القوت بها فنهض اليها ونزل عليها وضايقها الى ان تسلّمها بالامان في الثالث عشر من المحرّم سنة ٥٠٠ فلمّا حصل ابو الفتح السرميني الباطني في يده قتلهُ بالعقوبة وحمل ابا طاهر الصانغ معه واصحابه اسرى ولم يفِ لهم بما بذل من الامان وكان القوت قد نفذ من افامية ولم تزل الاسرى في يده الى ان فدوا نفوسهم بمال بذلوهُ لهم فاطلقهم ووصلوا الى حلب

وفي هذه السنـة نهض ظهير الدين اتابك في العسكر الى بُصرى لمشاهدتها عند تسليمها من ايدي المقيمين بها عند انقضاء الاجل المضروب لها وكان قد خلع على كافة الامراء والمقدّمين واماثل العسكر الخِلع المكمّلة من الثياب والخيول والمراكب بحيث تضاعف الثناء عليـهِ (82r) والاعتراف بايايديه وشاع الخبر بذلك وتضاعفت رغبة الاجناد في خدمته والميل الى طاعته والحصول في جملتـه فلمّا حصل على بصرى (٢ (اقطع نوشكتين وفلوا) اقطاعاً يكفيهما ورجالها اجابهما الى ذلك ووفى لهما بمـا قرّره معهما حسب ما تقدّم بهِ الشرح

---

١) وقال سبط ابن الجوزي: وكان رضوان قد بنى لهم دار دعوة وهو اوّل من عملها وبقي الحصن في ايديهم حتّى اخذه الافرنج منهم سنة ٥٠٠

٢) وفي الاصل: فلمّا حصل على بصرى اقطاعاً يكفيهما الخ

سنة خمسمائة

فيها تزايد فساد الافرنج في اعمال السواد وحوران وجبل عوف وانتهت الاخبار بذلك وشكوا اهلها الى ظهير الدين اتابك فجمع العسكر ومن انضاف اليهِ من التركمان ونهض بهم وخيّم في السواد. وكان الامير عزّ الملك الوالي بصور قد نهض منها في عسكره الى حصن تبنين من عمل الافرنج فهجم ربضة وقتل من كان فيه ونهب وغنم واتّصل الخبر ببغدوين ملك الافرنج فنهض اليهِ من طبريّة ونهض اتابك الى حصن بالقرب من طبريّة فيهِ جماعة من فرسان الافرنجيّة فقاتله وملكه وقتل من كان فيهِ وانكفأ الى المدان وعاد الافرنج اليهِ. فلمّا قربوا منهُ اندفع العسكر الى ناحية زرّا وتلاقت طلائع الفريقين وعزموا على المصافّ والالتقاء وقد قويت نفوس المسلمين فلمّا كان من غد ذلك اليوم ركب العسكر وقد تأهب للقاء على تلك النيّة وزحفوا الى موضع مُخيّمهم فصادفوهم وقد رحلوا عائدين الى طبريّة ثم منها الى عكّا فعاد ظهير الدين عند ذلك في العسكر الى دمشق

وكانت الاخبار متناصرةً في هذه السنة باهتمام السلطان غياث للدنيا والدين محمد ابن ملك شاه بمحاصرة قلعة الباطنية المعروفة بشاهذر المجاورة لاصفهان والجدّ في افتتاحها وحسم اسباب الفساد المتوجه على البلاد من المقيمين بها وتوجّه عنها في عساكره الدثرة المتناهية في القوّة والكثرة ولم يزل مُنازلها ومضايقها الى ان منحه الله تعالى افتتاحها والاظهار على من فيها وملكها بالسيف قهرًا وقتل من كان فيها من الباطنية قسرًا وهدمها وازاح العالم من الشرّ المتّصل منها والبلاء المبثوث من اهلها (١ . وأنشأ

١) وفي زبدة التواريخ انهُ قتل عبد الملك المعروف بعَطاس (كذا) الباطني صبرًا وكان شديد البأس لا يسمع بامير لهُ صولة ولا عالمًا لهُ منزلة الّا بعث اليهِ من يفتك بهِ. وكان السلطان غياث الدين محمد طاهر شديد البغض للباطنيَّة مُفرطًا في عدواتهم وفتح ايضًا قلعة خان وهي بقرب اصفهان وولّى الامير الاسفهسلّار شيركير محاصرة آلموت فاشرف على اخذها . . . . وان في سنة ٥٠١ سار ضياء الملك احمد بن الوزير نظام الملك وزير السلطان ومعه الامير جاولي الى آلموت فهزموا الباطنية وقتلوا منهم مقتلة عظيمة . . . . وان الامير شيركير اشرف على فتح آلموت لولا ما اتّفق من وفاة السلطان وولاية ولده محمود فاستدعى الامير شيركير فرحل عن آلموت ثم قبض عليهِ وقتلهُ وقتل ولده عمر بن شيركير وكان رحمه الله تعالى من ازهد الامراء واكثرهم ورعًا

وقال سبط ابن الجوزي : ان قلعة شاه ذر هذه بناها السلطان ملك شاه وسببُ بنائها ان بعض رُسل الروم ورد عليهِ في رسالة واظهر الاسلام فخرج معهُ ذات يوم للصيد فهرب منهُ كلب صَيود فصعد

كتاب الفتح يوصف الحال فيها الى سائر اعمال المملكة ليُقرأ على (82ª) المنابر ويستنزل في معرفة كل بادٍ وحاضر امير الكتّاب ابو نصر بن عُمر الاصفهاني كاتب السلطان وبلاغته في الكتابة معروفة مذكورة وقضاء حقّه في إنشائه موصوفة مشهورة وذكرتُ مضمونهُ في هذا الموضع ليعلم من يقف عليهِ شرح حال هذه القلعة وما منّ الله بهِ على اهل تلك البلاد من الراحة من شرّ اهلها واذيّة المقيمين بها ونسختها بعد العنوان والطغراء : بسم الله الرحمن الرحيم وهو الوزير الاجل مجد الدين شرف الاسلام ظهير الدولة زعيم الملّة بهاء الأمّة فخر الوزراء ابو المعالي هبة الله بن محمد بن المطّلب رضى امير المؤمنين . امّا بعد اطال الله بقاء الوزير والقابه وادام تأييده وتمهيده واحسن من عوائده مزيده فانّ الله تعالى يقول وقوله الحقّ : يا أيُّها الذين آمنوا مَنْ يرتدَّ منكم عن دينهِ فسَوْفَ يأتي اللهُ بِقومٍ يُحبّهمْ ويُحبّونهُ أذِلّةٍ على المؤمنينَ أعزّةٍ على الكافرينَ يُجاهدُونَ في سبيل اللهِ وَلا يخافونَ لومةَ لائمٍ ذلكَ فضلُ اللهِ يُؤتيهِ مَنْ يشاء واللهُ واسعٌ عليمٌ (١ . ولقد اتانا الله ولهُ الحمد من هذا الفضل ما صرنا بهِ أطول الملوك في الاسلام باعاً واعزّهم في الذبّ عن حريمه اشياعاً واتباعاً واشدّهم عند الحفيظة لهُ بأساً واطهرهم من درن الشبهة فيهِ لباساً واقصدهم في اقتفار الحق المبين انحاء واثقلهم على اعداء الله واعداء الدين المنير وطاءةً وانحاء فلا تتّجه عزائنا لمهمٍّ في ذلك الّا حققنا الفيصل وطبّقنا المِفصَل وفرينا الفريّ واقتدحنا من الزناد الوريّ واعدنّا الحق جدعاً

الجبل وصعد السلطان وراءهُ ومعهُ الرومي فقال لهُ : يا سلطان لو كان هذا الجبل عندنا لبنينا عليهِ قلعة ننتفع بها ويبقى ذكرها . فثبت هذا في قلب السلطان فبناها وانفق عليها الفي الف دينار ومائتي الف دينار . فاحتال عليها ابن عطاش حتّى ملكها فكان اهل اصبهان يقولون : انظروا الى هذه القلعة كان الدليل على بنائها كلب والمشير ببنائها كافرٌ وخاتمة امرها هذا الملحد . وكان الرومي لمّا عاد الى بلده (يقول) : اني نظرتُ الى اصبهان وهو بلد عظيم والاسلام بهِ ظاهرٌ فلم اجد شيئاً أفيت بهِ جموعهم وانفذ بهِ اموالهم غير بناء هذه القلعة . ولمّا مات ملك شاه تحيّل عليها ابن عطاش وملكها واقام بها اثنتي عشر سنة ثم فتحها عنوةً وهدمها وقُتل ابن عطاش وولده في ذي القعدة وسلخ ابن عطاش ومُثّل باصحابه والقت زوجته نفسها من اعلى القلعة ومعها جواهر نفيسة فهلكت وما معها . وكان ابو ابن عطاش في اوّل امره طبيباً فاخذه السلطان طغرل بك واراد قتله لاجل مذهبه فاظهر التوبة ومضى الى الريّ وصاحب ابا علي النيسابوري وكان متقدّمهم بالري وصاهره وجمع رسالة في الدعاء الى هذا المذهب سمّاها العقيقة ومات ببعض بلاد الريّ وجاء ابنهُ احمد فملك قلعة شاهذر

(1 Sur. V, 59.

وانفَ الباطل مجدعاً نعمةً من الله تعالى اختصّنا بها من دون سائر الانام واجلّنا من التفرّد بمزاياها في الذروة والسنام فالحمد لله على ذلك حمدًا يوازي قدر نعمه ويعتري المزيد من موادّ كرمه ثم الحمد لله على ما يسّرنا له من اعزاز الدين ورفع عماده وقمع اضداده واستئصال شأفة الباطنية المناهضين لسادة الذين استركوا العقول الفاسدة فاستغووها باباطيلهم واستهووها باضاليلهم واتخذوا دين (83r) الله هُزُوءا ولعباً بما لفقوه من زخارف اقاويلهم سيّما ما سنّى الله من فتح الفتوح وهيأ اسبابه من النصر الممنوح باخذ قلعة شاهذر التي شمخ بها الجبل وبذخ وكان الباطل باض فيها وفرّخ وكانت قذى في عيون الممالك وسبيا الى التورّط بالمسلمين في المهاوي والمهالك ومرصدًا عليهم بالشرارة والنكارة حيثما ينحونه من المسالك. وفيها ابن عطاش الذي طار عقله في مدرج الضلال وطاش وكان يُرى الناس نهج الهُدى مضلّةً ويتخذ السفر المشحون بالاكاذيب مجلّةً ويستبيح دماء المسلمين هدرًا ويستحلّ اموالهم غررًا فكم من دماء سفكت وحرم انتهكت واموالٍ استهلكت وتِرَاتٍ تجرعتها النفوس فما أُستدركت ولو لم يكن منهم الّا ما كان عند حدثان امرهم باصفهان من اقتناص الناس غيلةً واستدراجهم خديعة وقتلهم ايّاهم بانواع العقوبات قتلةً شنيعةً ثم فتكهم عودًا على بدء باعيان الحشم وخيار العلماء واراقتهم ما لا يُعدّ ولا يحصى من مُحرّمات الدماء الى غير ذلك من هنات يتمعض الاسلام لها اي امتعاض وما الله عن المسلم ان يتميّز لها براضٍ لكان حقًّا علينا ان نُناضل عن حمى الدين ونركب الصعب والذلول في مجاهدتها ولو الى الصين. وهذه القلعة كانت من امّهات القلاع التي انقطع اليها رؤوس الباطنيّة كل الانقطاع فكان تبثّ الحبائل منها في سائر الجهات والاقطار وترجع اليها نتائج الفساد رجوع الطير الى الاوكار وهي في العزّة والمنعة مثل مناط الشمس التي (تنال) منها حاسّة البصر دون حاسّة اللمس تردّ الطرف كليلًا وتعدّ العدد الدثر في محاصرتها كليلًا. وكانها وهي اعلى شاهق نزلت على الجبل من حالق فهي بهذه الصفة مقابلةٌ لبلدة اصفهان التي هي مقرّ الملك ودار الثواء واولى البلاد بتطهيرها من اهتياج الفتن واختلاف الاهواء ونحن نقيم بها طول هذه المدّة المديدة وندبّر امرها الى ما يصونه الرأي من الحيلة والمكيدة وامامنا من المستخدمين واصحاب (83v) الدواوين نفرٌ تُصغي اليهم أفئدتُهم فيما كانوا عليه من مخالفة الدين يتوصّلون بمكرهم الى نقض ما يبرم وتأخير ما تقدّم ويوهمون انها من النصائح التى تقبل وتلزم حتى تطاول دون ذلك الامد وبان من القوم المعتقد واتّضح

لنا من صائب التدبير ما يعتمدُ وكنّا في خلال هذه الاحوال لم نُخـلِ هذه القلعة من طائفةٍ تَهُزُّهم حمية الدين من الجند ينتهون من التضييق عليها الى كل غايةٍ من الجدّ فيتوفّرون على محاصرتهم ومُصابرتهم ويتشمّرون لمزاولتهم ومصاولتهم ويقعدون لهم بكل مرصدٍ ويسدّون كل متنزّلٍ ومصعـدٍ حتى انقطعت عنهم الموادّ وخانتهم المِيَر والازواد واضطرّوا الى ان نزل بعضهم على حكم الامان بعد الاستئمـار والاستئذان فامرنا بتخلية سَرْبهم واعيان سِربهم وسُلّم الشطر من القلعة لخلوه من الفئة النازلة واعتصم ابن عطاش بقلّة اخرى تسمّى دالان مع نخب اصحابه من المقـاتلة وهذه القُلّة هي امنع المواضع من القلعة واحصنها واوعرها مسلكًا واحزنها فقد نُقل اليها ما كان بقي لهم من الميرة وسائر ما يستَظهر بهِ من السلاح والذخيرة على ان يلبثوا بها اياماً معدودةً فينزلوا ويُبذل لهم الامان مثل ما بُذل للاوّلين فيتحوّلوا كل ذلك بوساطة من قدّمنا ذكرهم من المستخدمين في الدواوين وفي باطن الامر خلاف ما يُتوهّم من الاعلان وذلك انهم قدّروا ان ما سُلّم من القلعة يُترَكُ على عمارتهِ ومكانتـهِ وما امتُنع بهِ من القُلّة لا يُقدر عليهِ لمنعته وحصانته فهم يتوصّلون بتمكّنهم من ذلك الحيل الى سرقة ما سلّموهُ آنفًا ببعض الحيَل هذا وقد كُفوا موّن من نزل من الاكلة وعندهم الكفاف لمن بقي من العملة. ففطنّا لما عمدوا وعليهِ اعتمدوا وامرنا في الحال بالقلعـة المسلّمة فنُسفت نسفًا وخُسفت بها خسفًا وصُيّر سفلُهـا علوًا كما كان علوها خلوًا ثم انتقمنا من المستخدمين الغادرين بالملك والدين حتى ساقهم الحين المتاح الى حين فلم يفلت منهم صاحب ولا مصحوب ان الشقـاء على الاشقين مصبوب. ووافق ذلك حلول الموعد لنزول باقي القوم من دالان فابوا الّا المطل والليـان. فلمّا مضت ايام على ذلك اظهروا التمرُّد والعصيان فصاروا كما قال الله تعـالى «وَمَنْ (84r) يُرِدِ اللهُ فتنتهُ فَلَنْ تَملِكَ لهُ مِنَ اللهِ شيئًا أُولائكَ الذينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطهِّرَ قلوبهم لَهمْ في الدُّنيا خِزْيٌ ولهم في الآخرةِ عذابٌ عظيمٌ (١)» فعند ذلك استخرنا بالله تعالى تجريد العزائم لهذا الجهاد الذي هو عندنا من انفس العزائم ولا نخاف فيه لومة لائم وأَمرنا بمن حضرنا من العساكر المنصورة الى الاحداق بالقلعة المذكورة يوم الثلثاء ثاني ذي الحجة فنزلوا لفنائها محتشدين ولصدق اللقاء متشمّرين متجرّدين وجرت منـاوشةٌ عشيّة هذا اليوم اثخنت عدّةً من اولـئـك القوم وبات المسلمون ليلتهم تلك على اضم والملحدون

1) Sur. V, 45.

لحماً على وضم. فلما تنفّس الصبح وغردت الديوك الصُدح وطوى الليل رداءه ورفع الفجر لواءه نصر الله الحقّ وادال الدين وساء صباح المنـذرين وعدَت جيوش النصر يدًا واحدةً وكلمةً على التظافُر والتظاهُر مساعدة تسطوا بالقنـة المتحصّنة بالقلعة سطوة الليث المصور وكأنهم طاروا باجنحة الصقور على صمّ الصخور فلم يلبثوا قبـل ذرور الشمس بقرنها واخذها الناصح من لونها ان اخذوا القلعة عنوةً وقهرًا واجروا من دماء الباطنيَّة الملحدة نهرًا فلم ينل منهم وائل ولا اخطأهم من السيوف البواتر وائل وامرنا في الحال بهدمها والتعفية على ردمها فلم يبقَ بها نافخُ ضَرَمه ولا اثر من نسمه ولا مدرٌ على أكمه وأُسر ابن عطاش رأس الجالوت ووليُّ الطاغوت الذي كان ممن قال الله تعالى فيه: « وَجَعَلْناهمْ أَئمَّةً يَدْعونَ الى النَّارِ (١) » فجعلناه وولده المقرون به مثلةً للنظّار وعبرةً لاولي الابصار فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله ربّ العالمين هذا الفتح المبين والعزّة التي تُتلى لانها من الدهر الحينُ والنعمة التي تمّت وعمّت واحنت بالنقمة على اعداء الله ورسوله وطمّت وما ذاك الّا من بركات عقـائدنا الناصحة في موالاة الدولة العبّاسيَّة ظاهر الله مجدها وما يلتزمهُ في فرضها من فضل المنـاصحة والمشايعة فيها نحن نسطو بالاعادي ونكفي من اعتراض النوائب كل العوادي وسوس الدهماء من الحواضر والبوادي. وهذه البُشرى التي يُهنّأ بهـا الاسلام وتُرفع بها من الاشادة بذكرها في الخافقين الأعلام (84ᵛ) امرنا بنشرها في الاقصى والادنى لاسيّمـا الدارة العزيزة ظاهر الله مجدها فانها اولى من يبشّر بمثلها ويهنّأ وانهينا بالامير عزّ الدولة الى ايصال هذه البشارة الى الديوان العزيز النبوي اعلى الله جدّه فنـدب من قبله من يقوم بهذه الخدمة ويعلمه ما نحن نصدره من الاعتراف بقـدر هذه النعمة وهذا الامير كان من المندوبين اوّلًا واخرًا لمحاصرة هذه القلعة فأبلى فيهـا بلاء حسنًا جميلًا واغنى غنائم نجد له فيه عديلًا ولذلك ما اختصصناه بهذه المزيّة واثرناه بابلاغ هـذه البُشرى الهنيَّة والمعوّل تامٌّ على الاهتمام الوزيري في القائها الى المقارّ المعظّمـة النبويّة ليعلم من صدق نهضتها بالخدمات وعندنا المساعاة في اعزاز الدين من اوجب المهمات ما يُزلفنا من شريف المراضي ويفرض لنا من المحامد والمآثر التـامّة على الأبد اكرم الاحاظي وان يتقدّم في حقّ المبشّر ما هو على الدولة ثبّتهـا الله متعيّن حتى يعود ولما يستحسن من موقع هذه البشارة عليه اثرٌ بيّنٌ والوزير اولى من اغتنم هذه المكرمة فاعتنقهـا وتمكّن

1) Sur. XXVIII, 41.

من عصمة الرأي السديد فاعتلقها واستحمد الينا بما يتكلّفه من جميل مساعيه ويتكفّله بالاهتزاز والاهتمام فيهِ من سائر ما يلاحظه من الامور ويراعيه ان شاء الله تعالى وكُتب بالامر العالي شفاهاً في ذي القعدة سنة ٥٠٠

وفي هذه السنة تتابعت المكاتبات الى السلطان غياث الدنيا والدين محمد ابن ملك شاه من ظهير الدين اتابك وفخر الملك بن عمّار صاحب طرابلس بعظيم ما ارتكبه الافرنج من الفساد في البلاد وتملُّك المعاقل والحصون بالشام والساحل والفتك في المسلمين ومضايقة ثغر طرابلس والاستغاثة اليهِ والاستصراخ والحضّ على تداركُ الناس بالمعونة. فندب السلطان لمّا عرف هذه الحال الامير جاولي سقاوه واميرًا من مقدّمي عسكره كبيرًا في عسكرٍ كثيفٍ من الاتراك وكتب الى بغداد والى الامير سيف الدولة صدقة بن مزيد والى جكرمش صاحب الموصل بتقويته بالمال والرجال على الجهاد والمبالغة في اسعاده وانجاده واقطعه الرحبة وما على الفرات فثقل امره على المكانين فدافعه ابن مزيد وسار نحو الموصل يلتمس من جكرمش ما وقّع بهِ عليه فتوقّف عنهُ فنزل (85r) على قلعة السنّ ونهبها واجتمع اليهِ خلقٌ كثير وخرج جكرمش الى لقائه فظفر بهِ جاولي سقاوه واستباح عسكره وانهزم ولده الى الموصل فضبطها وتوجّه وراءه وقتل جكرمش اباه وانفذ رأسه الى الموصل. فلمّا عرف ولده ذاك كاتب قلج ارسلان بن قتلمش يستنجدهُ من ملطية ويبذل لهُ تسليم البلاد والاعمال التي في يده اليه وكان جكرمش قد جمع مالًا عظيماً من الجزيرة والموصل وكان جميل الصورة في الرعيّة عادلًا في ولايته مشهوراً بالانصاف في اعمال ايالته. فلما عرف قلج ارسلان بن سليمان ما كتب بهِ اليه ولد جكرمش اجابه الى ملتمسه وسار نحوه في عسكره ووصل الى نصيبين واستدعي ابن جكرمش من الموصل فسار اليهِ ودخل قلج ارسلان الى نصيبين لانهُ كان في بعض عسكره وباقيهِ في بلاد الروم لانجاد ملك القسطنطينيّة على الافرنج. ولمّا تقارب عسكر قلج من عسكر جاولي سقاوه والتقت طلائع الفريقين ظفر قومٌ من اصحاب قلج بقوم من اصحاب جاولي فقتلوا بعضاً واسروا بعضاً. فرحل جاولي يطلب عسكر قلج وقد عرف انهُ قد انفذ يستدعي بقيّة عسكره من بلاد الروم وانهُ في قلّ وطلب ناحية الخابور وتوجّه منها الى الرحبة ونزل عليها وضايقها وراسل محمدًا واليها من قبل الملك شمس الملوك دقاق صاحب دمشق (وعنده الملك ارتاش بن تاج الدولة الهارب من دمشق بعد

وفاة الملك دقاق اخيه مقيماً) بالتسليم اليه فلم يحفل براسلته وآيسه من طلبتـه فاقام عليها مضايقاً لها مدّة

ووصل اليه الامير نجم الدين ايل غازي بن ارتق في جماعةٍ وافرة من عسكره التركمان واستنجد عليها بالملك فخر الملوك رضوان فوصل اليه في عسكره بعد ان هادن طنكرى صاحب انطاكية. فلمّا فصل عن حلب وعرف جوسلين صاحب تلّ باشر بُعده عن حلب واصل الغارات على اعمالها من جميع جهاتها. ولم يزل جاولى مقيماً على الرحبة منذ اوّل رجب والى الثاني والعشرين من شهر رمضـان وزاد الفرات زيادته المعروفة فركب اصحاب جاولى الزواريق وصعدوا (85^٧) طالبين سورَ البـلد بمواطأةٍ من بعض اهل البلد فلم يتهيّأ لهم امرٌ مع من واطأهم بل هجموا السور وملكوا البلد ونهبوهُ وصادروا جماعة من اهله واستخرجوا ذخائرهم بالعقوبة ثم امر جاولى برفع النهب وأمّن الناس وردّهم الى منازلهم وتسلّم القلعة بعد خمسة ايّام في الثـامن والعشرين من شهر رمضان. واقرّ اقطاع محمدٍ واليها عليه واستحلفه وقبض عليه بعد ايام لامرٍ بلغه عنـه فانكره منه واعتقله في القلعة وحصل الملك ارتاش في جملة سقاوه ولم يتمكّن من التصرّف في نفسه. وكان محمـد هذا الوالي قد ارسل قلج ارسلان بن سليمان اولًا بالاستصراخ بهِ وطلب المعونة على دفع جاولى عن البلد فتوجّه نحو الرحبة في عسكره وبلغـه خبر فتحها فعاد ونزل على الشمسانية (١ ولم يكن في نيّته لقاء جاولى. ورحل جاولى ونزل ماكسينَ وعزم على التوجه الى ناحية الموصل ومعه فخر الملوك رضوان فاتّفق انّهم قصدوا عسكر قلج فالتقى الفريقان في يوم الخميس التـاسع من شوال وكان الزمان صيفاً واشتدّت وقدة الحرّ وحميت الرمضاء فهلك اكثر خيل الفريقين وحمـل عسكر قلج ارسلان على عسكر جاولى وقصد جاولى قلج ارسلان في الجمـلة وضربه بالسيف عدّة ضربات فلم تؤثّر فيهِ وانهزم عسكر قلج ارسلان وفصل عنهُ صاحب آمد وقت الحرب مع صاحب ميافارقين وانهزم الباقون ووقع السيف في اصحاب قلج ارسلان وسقط قلج مع الهزيمة في الخابور فهلك في الماء ولم يظهر وبعد ايّام وُجد هالكاً (٢

---

١) وفي الاصل: السمانية

٢) وقال الفارقي في تاريخه: ان في السنة ٤٩٨ نفذ الوزير ضياء الدين محمـد (الذي كان رتّبه الملك دقاق بميافارقين) الى ملطيّة الى السلطان قلج ارسلان بن سليمان بن قطلمش يستدعيه الى ميافارقين وكان الملك سليمان بن قطلمش قد ورد من عند ملك شاه وفتح بلاد الروم ملطية

وعاد جاولى الى الموصل وعاد عنه الملك فخر الملوك رضوان الى حلب خوفاً منـهُ واخذ جاولى نجم الدين ايل غازي بن ارتق وطالبه بالمال الذي انفقه في التركان فصالحه على جملةٍ يدفعها اليهِ واخذ رهانه عليها الى ان يؤديها واقام لهُ بها فيا بعدُ

وقد كان قلج ارسلان انفذ بعض مقدّمي اصحـابه الى بلاد الروم في خلق كثير من التركمان لانجاد ملك القسطنطينيَّة على بيمند ومن معه من الافرنج الواصلين الى الشام فانصرفوا الى ملك الروم وما حشده من عساكر الروم فلما اجتمع للفريقـين ما اجتمع رتّبوا (86r) المصافَّ والتقوا فاستظهر الروم على الافرنج وكسروهم كسرةً شنيعةً اتت على اكثرهم بالقتل والاسر وتفرّق السالم الباقي منهم عائدين الى بلادهم وفصل اصحاب قلج ارسلان الاتراك الى اماكنهم بعد ان اكرمهم وخلع عليهم واحسن اليهم

ولمّا عاد جاولى سقاوه الى الرحبة ونزل على الموصل راسل اهلهـا والجند بها فلم يمكنهم المدافعة لهُ عنها ولا المراماة دونها فسلّموها اليهِ بعـد اخذ الامان منهُ على من حوتهُ وكان ولد قلج قد دخلها فقبض عليه وسيَّره الى السلطان محمد ولم يزل مقيماً عنده الى ان هرب من المعسكر في اوائل سنة ٥٠٣ وعاد الى مملكة ابيه ببلاد الروم ويقال انهُ لمّا وصل اليها عمل على ابن عمه وقتله واستقام لهُ امر المملكة بعده

وفي هذه السنة وصل الى دمشق الامير الاصفهبد التركماني من ناحية عملهِ فاكرمه ظهير الدين واحسن تلقّيه واقطعه وادي موسى ومآب والشراة والجبال والبلقاء وتوجّه اليها في عسكره وكان الافرنج قد نهضوا الى هذه الاعمال وقتلوا فيهـا وسبوا ونهبوا

وقيسارية واقصرا (والاصل اق سُرا اي مدينة بيضاء) وقونية وسيواس وجميع ولاية الروم وبقي فيها واستبدّ بها فلمّا مات وَلي ولده قلج ارسلان. فلمّا نفـذ اليهِ الوزير محمد حضر ودخل ميـافارقين في ١٧ جمادى الاولى سنة ٤٩٨ وملك ميافارقين وبقي مدّة واستوزر الوزير محمد . وحضر الى خدمته امراء جميع ديار بكر الامير ابرهيم صاحب آمد والسبع الاحمر من اسرد وسكان ابن ارتق والامير شاروَخ وحسام الدين (الدولة) . وولّى ميافارقين مملوك ابيه خمرتاش السليماني وكان اتابكه وخرج من ميافارقين واخذ معهُ الوزير محمد واقطعه مدينـة بلستين . واقام بملطية وجمع العسـاكر وعاد نزل الى باب الموصل وصافّ جاولى سقاوه مملوك السلطـان محمد فكسره سقاوه وعاد منهزماً وغرق في الخابور في سنة ٤٩٩ وحُمل تابوته الى ميافارقين وبني عليه اتابك هذه القبّة المعروفة بقبّة السلطان وبقي مدفوناً بها الى سنة ٥٣٨ ونفذ سلطان مسعود ولده الامير السديد جاء الدين باكاليجار العلوي من قونية فاخرج تابوته وحمله الى آمد ليحمله الى قونية الى ولده السلطان مسعود واتّفق ان الملك بَلمان (اللّان) خرج في تلك السنة ورحل السلطان عن قونية فعاد الامير السديد جاء الدين فردّهُ الى ميافارقين فهو بها الى الان (يعني سنة ٥٧٢)

ما قدروا عليه منها فلماً وصل اليهـا وجد اهلها على غاية من الخوف وسوء الحال عمّا جرى عليهم من الافرنج فاقام بها . ونهض الافرنج اليه لما عرفوا خبره من ناحيـة البرّيّة ونزلوا بازاء المكان الذي هو نازل بهِ واهملوهُ الى ان وجدوا الفرصة فيهِ فكبسوه على غرَّةٍ فانهزم في اكثر عسكره وهلك باقيهِ واستولوا على سواده ووصل الى عين الكتيبة من ناحية حوران والعسكر الدمشقي نازلٌ عليها فتلقّاهُ ظهير الدين متوجّعاً لهُ بما جرى عليهِ ومُسلّياً عمّا ذهب منهُ وعوّضه وطلق لهُ ما صلحت بهِ حاله

سنة احدى وخمسمائة

فيها جمع ملك الافرنج بغدوين حزبه المفلول وعسكره المخذول وقصد ثغر صور ونزل بازائه وشرع في عمارة حصن بظاهرها على تلّ المعشوقة واقام شهرًا وصانعه واليه على سبعة الاف دينار فقبضها منه ورحل عنهُ . وفيها وردت الاخبـار بوصول عسكر السلطان غياث الدنيا والدين محمد الى بغداد في اخر (86 [٢]) شهر ربيع الاخر منها واعلن الامير سيف الدولة صدقة بن مزيد العصيان عليه خوفاً لما بلغهُ من افساد شحنة بغداد (وعمدها حاله معه ولم يزل السلطان مقيماً ببغـداد) الى العشرين من رجب فاجتمع اليهِ تقدير ثلثين الف فارس واجتمع مع صدقة تقـدير عشرين الفاً في الحلّة وبينهما انهار وسواحل في الحلّة فاثر السلطان مراسلته في تقرير امره والصفح وايقـاع مهادنةٍ وموادعةٍ تستقيم معهما الاحوال ويصلح بها الاعمال فأبى ذلك كافّة الامراء والمقدّمين وامتنعوا من الاهمال لامره ونهضوا اليه . فلما عرف الحال قطع الانهار ووصل في جمعه حتى صار بازائهم وحمـل بعض الفريقين على بعض ونشبت الحرب بينهم وكان منزل صـدقة بن مزيد كثير الوحل عسر المجال فترجّل الاتراك عن خيلهم وحثوا عليهم واطلقوا السهام وشهروا الصفاح وشرعوا الرماح وفعل مثل ذلك اصحاب صدقة والتقى الجيشان ونظر صدقة الى اصحابه والسهـام قد شكّت خيولهم وقد اشرفوا على الهلاك وظنّ الاتراك انّهم قد انهزموا فركبوا اكتافهم رشقاً بالسهـام وضربًا بالسيوف وطعناً بالرماح فقتلوا منهم خلقاً كثيرًا وقُتل الامير صدقة بن مزيد في الجملة ووجوه رجاله ولم يفلت منهم الّا اليسير ممن حماه الاجل واستطار قلبه الخوف والوجل . وكان السلطان قد اعتمد في تدبير الجيش وترتيب الحرب على الامير مودود المستشهد بيد الباطنيَة في جامع

دمشق ووصل السلطان غد يوم الوقعة ونزل الحلّة. ولم يكن للعرب بعد صدقة مثله في البيت والتقدُّم واحسان السيرة فيهم والانصاف لهم والانعام عليهم وكرم النفس وجزيل العطاء وحسن الوفاء والصفح عن الجرائر والتجاوز عن الجرائم والكبائر والتعفُّف عن اموال الرعيَّة واحسان النيَّة للعسكريَّة غير انهُ كان مع هذه الخلال الجميلة والمآثر الحميدة مُطرحاً لفرائض الشريعة متغافلاً عن ارتكاب المحارم الشنيعة مستحسناً لسبّ الصحابة رضي الله عنهم فكان ما نزل بهِ عليه عاقبة هذه الافعال الذميمة وما ربّك بغافلٍ عمّا تعملون

وتوجَّه السلطان بعد تقرير امر الحلّة عائدًا الى اصفهان (87r) في اوائل شهر من السنة وقد قرَّر مع الامير مودود والعسكر قصد الموصل ومنازلتها والتضييق عليها والتملُّك لها فرحل مودود والعسكر ونزل على الموصل وكان جاولى صاحبها قد اخرج اكثر اهلها منها وأساء اصحابه السيرة فيها وارتكبوا كل محرم منها ومضى الى الرحبة واستناب فيها من وثق بهِ من اصحابه في حفظها واقام العسكر السلطاني عليها مدَّةً وعمد سبعة نفرٍ من اهلها على المواطأة عليها وفتحوا باباً من ابوابها وسلّموها الى مودود ودخلها وقتل مقتلةً كبيرةً من اصحاب جاولى وامَّن من كان في القلعة وحملهم وما كان معهم الى السلطان

وفي شعبان من هذه السنة اشتدّ الامر بفخر الملك بن عمَّار بطرابلس من حصار الافرنج وتطاول ايَّامه وتمادي الترقُّب لوصول الانجاد وتمادي تأُخُّر الاسعاد فانفذ الى دمشق يستدعي وصول الامير ارتق بن عبد الرزَّاق احد امراء دمشق اليهِ ليتحدَّث معهُ بما في نفسه فاجابه الى ذلك واستأذن ظهير الدين في ذلك فاذن لهُ وتوجَّه نحوه وقد كان فخر الملك خرج من طرابلس في البرّ في تقدير خمسمائة فارس وراجل ومعه هدايا وتحف اعدّها للسلطان عند مضيه اليهِ الى بغداد فلما وصل ارتق اليهِ واجتمع معه تقرّرت الحال بينهما على وصوله الى دمشق في صحبته فوصل اليها وأُنزل في مرج باب الحديد بظاهرها وبالغ ظهير الدين في اكرامه وتناهى في احترامه وحمل اليهِ امراء العسكريّة ومقدّموهُ من الخيل والبغال والجمال وغير ذلك ما امكنهم حمله واتحافه بهِ. وكان فخر الملك المذكور قد استناب عنه في حفظها ابا المناقب ابن عمّه ووجوه اصحابه وغلمانه واطلق لهم واجب ستة اشهر واستحلفهم وتوثّق منهم. فاظهر عمّه الخلاف لهُ والعصيان عليه ونادى بشعار الافضل بن امير الجيوش بمصر فلما عرف فخر الملك ما بدا منه كتب الى

اصحابه يأمرهم بالقبض عليه وحُمل الى حصن الخوابي ففعل ذلك وتوجّه فخر الملك الى بغداد ومعه تاج الملوك بوري بن ظهير الدين اتابك. وقد كان اتابك عرف ان جماعةً ممن يحسدهُ في باب (87v) السلطان ويقع فيهِ بالسعاية ويقصده بالاذية وافساد الحال عند السلطان فاصحب ولده المذكور من الهدايا والتحف من الخيول والثياب وغير ذلك ممّا يحسن انفاذ مثله واستوزر لهُ ابا النجم هبة الله بن محمد بن بديع الذي كان مستوفيًا للسلطان الشهيد تاج الدولة وجعلهُ مدبرًا لامره وسفيرًا بينهُ وبين من انفذ اليهِ وتوجّه في الثامن من شهر رمضان سنة ٥٠١ فلمّا وصلا الى بغداد لقي فخر الملك من السلطان من الاكرام والاحترام ما زاد على امله وتقدّم الى جماعةٍ من اكابر الامراء بالمسير معهُ لمعونته وانجاده على طرد محاصري بلده والايقاع بهم والابعاد لهم وقرّر مع العسكر المجرّد معهُ الالمام بالموصل وانتزاعها من يدي جاولى سقاوه ثم المصير بعد ذلك الى طرابلس فجرى ما تقدّم بهِ الشرح من ذلك وطال مقام فخر الملك طولًا ضجر معه وعاد الى دمشق في نصف المحرّم سنة ٥٠٢

فامّا تاج الملوك بن ظهير الدين فجرى امره فيما نفذ لاجله على غاية مُراده ونهاية محابّه وصادف من السلطان في حق ابيه وحقّه ما سرّه وعاد منكفئًا الى دمشق بعد ما شُرّف بهِ من الخلع السنية الامامية السلطانية ووصل الى دمشق آخر ذي الحجة من السنة. واقام فخر الملك بن عمّار في دمشق بعد وصوله اليها ايامًا وتوجّه منها مع خيل من عسكر دمشق جُرّدت معهُ الى جبله فدخلها واطاعه اهلها. وانفذ اهل طرابلس الى الافضل بمصر يلتمسون منهُ انفاذ والٍ يصل اليهم في البحر ومعه الغلّة والميرة في المراكب لتسلّم اليهِ البلد فوصل اليهم شرف الدولة بن ابي الطيب واليًا من قبل الافضل ومعه الغلّة فلما وصل اليها وحصل فيها قبض على جماعة اهل فخر الملك بن عمّار واصحابه وذخائره والاته واثاثه وحمل الجميع الى مصر في البحر

وفي هذه السنة اسرى ظهير الدين اتابك في عسكره الى طبريّة وفرق عسكره فرقتين نفذ احداهما الى ارض فلسطين والاخرى غار بها على طبريّة فخرج اليهِ صاحبها في رجاله المعروف بجرفاس وهو من مقدّمي الافرنج المشهودين بالفروسيّة والشجاعة (88r) والبسالة وشدّة المراس يجري مجرى الملك بغدوين في التقدّم على الافرنج فالتقاه واحاطت خيل الاتراك بهِ وباصحابه فقُتل اكثرهم وأُسر هو وجماعة معه وحُملوا الى دمشق فانفذ بعضهم هديّة الى السلطان وقتل جرفاس ومن كان معه في الاسر من اصحابه بعد ان

بذلوا في اطلاقهم جملةً من المال فلم يقبلها . وفيها تقدَّم السلطان غياث الدنيا والدين محمد عند وصوله الى بغداد برفع المكوس وابطال رسمها عن التجار والمسافرين في جميع بلاده وحظر تناوُل اليسير منها فلمَّا عاد الى اصفهان منها طمع في التجار واخذ منهم المكس على سبيل الخلاف لما امر فلما عاد الى بغداد وانتهى الامر اليهِ انكر ما جرى في مخالفة امره ووكّد الامر في ابطال ذلك وحذر من المخالفة لهُ في سائر البلاد

وفيها وردت الاخبار من بغداد بوقوع النار في الجانب الشرقي منها فاحرقت ما يزيد على خمسمائة دارٍ وافتقر اهلها . وفيهـا تناصرت اخبار الباطنيَّة بقلعة آلَموت والحصون المجاورة لها في ايغالهم في الفساد وافاظة النفوس بالعـدوان والالحاد فانهض السلطان وزيره احمد بن نظـام الملك خواجه بزرك ومعه جاولي سقاوه في عسكر كثيف فاظفره الله بهم ونصرهُ عليهم وقتل منهم مقتلةً عظيمةً وخرّب منازلهم وقلاعهم

وفي هذه السنة نهض بغدوين في عسكره المخذول من الافرنج نحو ثغر صيـدا فنزل عليـه في البحر والبرّ ونصب البرج الخشب عليه ووصل الاصطول المصريُّ للدفع عنهُ والحماية لهُ فظهروا على مراكب الجنويَّة وعسكر البرّ واتَّصل بهم نهوض العسكر الدمشقي لحماية صيدا والذبّ عنها فرحلوا عنها عائدين الى اماكنهم

سنة اثنتين وخمسمائة

فيها انفذ صاحب عرقة الى ظهير الدين اتابك رسوله يلتمس منهُ المعونة على دفع الافرنج عنها وانفاذ من يتسلَّمها فندب بعض ثقاته فتسلَّمها واقام واليًا بها منتظرًا وصول العسكر اليها والوفاء بما وُعد بهِ من الخلع عليهِ والاحسان اليهِ فحدث في (88[v]) الوقت من الثلوج والامطار ما عاق المسير اليها وقلّ القوت بهـا وانقطعت الميرة عنها فبادر الافرنج بالنزول عليها وتوجَّه ظهير الدين عند ذالك اليها فصادفهم قد احاطوا بها ولم يتمكَّن من دفعهم عنها . وعاد الى حصن الاكمة ونزل عليهِ وقاتله فلما عرف الافرنج ذلك نهضوا اليه في تقدير ثلثمائة فارس لانجاد مَن بالاكمة فوصلوا اليهم ليلًا فقويت نفوسهم واقتضى رأي اتابك الرحيل عنها بحكم من صار فيها منهم فرحل كالمنهزم وطمع فيه وتتبـع العسكر فغنم من الخيل والكُراع غنيمة كبيرة وتفرّق العسكر في الشجر والجبال ووصلوا الى حمص على اقبح صفة واشنع صورة من غير لقاء ولا محـاربةٍ وعاد الافرنج الى عرقة وعُدم القوت فيها فملكوها بالامان

وفيها استوزر ظهيرُ الدين ابا نجم هبة الله بن محمد بن بديع الاصفهاني الذي كان مستوفياً للسلطان تاج الدولة وكان قد وزر بعده لولده الملك رضوان بحلب وبقي في الوزارة مدَّة في اوائل سنة ٥٠٢ وافسد قلب ظهير الدين اتابك عليه مع ما كان في قلبه في الايام التاجيَّة فامر بالقبض عليه واعتقاله في القلعة وحمل كل ما كان في داره وقبض املاكه واقام ايّاماً في الاعتقال ثم امر بخنقه فخُنِق ورُمي في جُبّ بالقلعة ثم أُخرج ودُفن في المقابر

وفي شعبان من هذه السنة وصل ريمند بن صنجيل الذي كان نازلًا على طرابلس من بلاد الافرنج في جملة ستّين مركبًا في البحر مشحونةً بالافرنج والجنويين فنزل على طرابلس ووقع بينه وبين السرداني ابن اخت صنجيل مشاجرة ووصل طنكري صاحب انطاكية اليه لمعونته للسرداني ووصل الملك بغدوين صاحب بيت المقدس في عسكره فاصلح بينهم. وعاد السرداني الى عرقة ووجد بعض الافرنج في زرعها فاراد ضربه فضربه الافرنجي فقتله ولمّا بلغ الخبر ريمند بن صنجيل وجّه من تسلّم عرقة من اصحابه. ونزل الافرنج بجموعهم وحشدهم على طرابلس وشرعوا في قتالها ومضايقة اهلها منذ اوّل شعبان الى الحادي عشر من ذي الحجة (89r) من السنة واسندوا ابرجهم الى السور فلما شاهد الجندَ والمقاتلةَ اهلُ البلد سُقِط في ايديهم وايقنوا بالهلاك وذلّت نفوسهم لاشتمال اليأس من تأخر وصول الاصطول المصري في البحر والميرة والنجدة وقد كانت علّة الاصطول أُزيحت وسيرُ الريح تَرُدُّهُ لما يريد الله تعالى من نفاذ الامر المقضي فشدّ الافرنج القتال عليها وهجموها من الابراج فملكوها بالسيف في يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة من السنة ونهبوا ما فيها واسروا رجالها وسبوا نساءها واطفالها وحصل في ايديهم من امتعتها وذخائرها ودفاتر دار علمها وما كان منها في خزائن اربابها ما لا يُحدّ عدده ولا يُحصر فيذكر. وسلم الوالي بها وجماعة من جنده كانوا التمسوا الامان قبل فتحها فلما مُلكت أُطلقوا ووصلوا الى دمشق بعد ايّام من فتحها وعوقب اهلها واستُصفيت اموالها واستُثيرت ذخائرهم من مكامنها ونزل بهم اشدّ البلاء ومُؤلم العذاب

وتقرّر بين الافرنج والجنويين على ان يكون للجنويين الثلث من البلد وما نُهب منهُ والثلثان لريمند بن صنجيل وافردوا للملك بغدوين من الوسط ما رضي بهِ. وكان طنكري لما لم ينل ما اراد من نصرة السرداني قد عاد ونزل بانياس وافتتحها وامن

اهلها في شوال من السنة ونزل على ثغر جبيل وفيه فخر الملك ابن عمّار والقوت فيه نزر قليل فلم يزل مضايقاً له ولاهله الى يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي الحجة فراسلهم وبذل لهم الامان فأجابوه الى ذلك فتسلّمه بالامان وخرج منهُ فخر الملك ابن عمّار سالماً وقد وعده باحسان النظر والاقطاع. ووصل عقيب ذلك الاصطول المصري ولم يكن خرج للمصريين فيما تقدّم مثله كثرةَ رجالٍ ومراكبَ وعددٍ وغلالٍ لحماية طرابلس وتقويتها بالغلّة الكثيرة والرجال والمال لمدّة سنةٍ مع تقوية ما في المملكة المصرية من ثغور الساحل واهله ووصل الى صور في يوم الثامن من فتح طرابلس وقد فات الامر فيها للقضاء النازل باهلها. واقام بالساحل مُدَّة وفرّقت الغلّة في جهاتها وتمسّك بهِ اهل صور وصيدا (89v) وبيروت وشكوا احوالهم وضعفها عن محاربة الافرنج ولم يمكن الاصطول المقام فاقلع عائداً عند استقامة الريح الى مصر

وفي شوال من هذه السنة وردت الاخبار بتملُّك الامير سكمان القطبي مدينة ميافارقين بالامان بعد الحصر لها والمضايقة لاهلها عدَّة شهور بعد ان عُدم القوت بها واشتدّ الجوع باهلها (١. وفيها وصل بيمند صاحب انطاكية من بلاد الافرنج عائدًا الى مملكته في خلقٍ كثير ونزل بالقرب من قسطنطينة وخرج ملكها اليهِ ومعه خلق كثير من التركمان المجاورين له فاقتتلوا اياماً وطلب الروم تفستخهم بكل نوعٍ الى ان تفرّقوا وتبدّدوا في البلاد واصلح بيمند امره مع الملك ودخل عليه ووطئ بساطه ومن معه وكفى الله ولهُ الحمدُ امرَهم وصرف عن الاسلام شرَّهم

وفي هذه السنة توفي الامير ابق بن عبد الرزّاق احد مقدّمي امراء دمشق بمرض طال بهِ وكثر المهُ بسببه الى ان قضى نحبه ليلة عيد النحر من سنة ٥٠٢

وفيها تردّدت رسل الملك بغدوين الى ظهير الدين في التماس المهادنة والموادعة فاستقرّ الامر بينهما على ان يكون السواد وجبل عوف اثلاثاً للاتراك الثلث وللافرنج والفلّاحين الثلثان فانعقد الامر على هذه القضيَّة وكُتب الشرط على هذه المبنيَّة. وكان فخر الملك بن عمّار لمّا ملك الافرنج جبيل خرج منها وتوجّه الى شيزر فاكرمه صاحبها سلطان

---

١) قال الفارقي في تاريخه: سلّمها اليهِ اتابك خمرتاش الذي كان استبدّ لهُ الامر بها بعد موت قلج ارسلان واجحف بالناس وصادرهم وهو وزوجته ولقي الناس منهُ شدّة شديدة . وقال ايضاً: ان في سنة ٥٠٤ نزل الامير سكمان الى ميافارقين وقصد الرها فمات هناك وحُمل تابوته الى اخلاط ودُفن بها

ابن علي بن المقلَّد بن منقذ الكناني واحترمه وجماعته وعرض عليه المقام عنده فلم يفعل وتوجّه الى دمشق عائدًا الى ظهير الدين اتابك فاكرمه وانزله في دارٍ واقطعه الزبداني واعمالها في المحرَّم سنة ٥٠٣

سنة ثلث وخمسمائة

لمَّا فرغ الافرنج من طرابلس بعد افتتاحها وتدبير اعمالها وتقرير احوالها نهضوا الى رفنية وعرف ظهير الدين ذاك من قصدهم فنهض في العسكر نحوها لحمايتها وخيّم بازائهم بحمص فلم يتمكَّن الافرنج من منازلتها ومضايقتها وتردّدت بينهُ وبينهم مراسلات ومخاطبات افضت الى ان اجاب كل واحد من الفريقين (90F) الى تقرير الموادعة على الاعمال والمسالمة واستقرّ الامر في ذلك على ان يكون للافرنج الثلث من استغلال البقاع ويسلّم اليهم حصن المنيطرة وحصن ابن عكار ويكفُّوا عن العيث والفساد في الاعمال والاطراف وان يكون حصن مصياث وحصن الطوفان وحصن الاكراد داخلًا في شرط الموادعة ويحمل اهلها عنها مالًا معيّنًا في كل سنة الى الافرنج فاقاموا على ذلك مدَّةً يسيرةً فلم يلبثوا على ما تقرَّر وعادوا الى رسمهم في الفساد والعناد

وفيها توفّي الشريف القاضي المكين فخر الملك ابو الفضل اسمعيل بن ابرهيم بن العباس الحسيني ليلة الخميس الخامس والعشرين من صفر منها بدمشق رحمه الله

وفي جمادى الاولى من هذه السنة وردت الاخبار من ناحية العراق بوصول السلطان ركن الدنيا والدين محمد بن ملك شاه الى بغداد وانفاذ كُتُبهِ الى سائر البلاد مُعلماً فيها بما هو عليهِ من قوَّة العزم على قصد الجهاد والامر لظهير الدين اتابك بالمقام بحيث هو الى حين ترد العساكر الى الشام وينضاف اليها ويدبّر امرها لانهُ كان تابع كتبه بالاستصراخ والاستنجاد على الكفرة الاضداد فعرضت عوائق عن ذاك عاقت وموانع عن المراد صدَّت وطالت مدَّة الانتظار وتزايد طمع الكُفَّار بتأَخُّر العساكر السلطانية فحملت ظهير الدين اتابك الحميَّة الاسلاميَّة والعزيمة التركيَّة على التأَهُّب للمسير بنفسه الى بغداد لخدمة الدار العزيزة النبويّة المستظهريّة والمواقف السلطانيّة الغياثية والمثول بها والشكوى لِما نزل بالمسلمين في الاعمال اليها من تملُّك البلاد وقتل الرجال وسبي النساء والاطفال وحديثهم بينهم بالطمع في الامتداد الى تملّك الاعمال الجزرية والعراقية. وتأهب للمسير واستصحب معهُ فخر الملك بن عمَّار صاحب طرابلس وخواصّ اصحابه وما امكنه من الخيول العربية السُبَّق وطُرَف مصر من اجناس اللباس وما يصلح لتلك

الجهـات من التُّحَف والهدايا من كل فنّ لهُ قيمة وافرة وتوجّه في البرّيّة على طريق السماوة فاستنـاب في دمشق ولده تاج الملوك بُوري ووصّاهُ بمـا يجب عمله من استعمال اليقظة (90v) في الذبّ والحماية واحسان السيرة في الرعيّة والمغالطة للافرنج والثبات على الموادعة المستقرّة معهم الى حين العود. فلمّا سار وحصل في الوادي المعروف بوادي المياه من البريّة وافى الخبر بما شاع من المرجفين ببغداد من الحديث بتقليد السلطان بلاد الشام لامراء عيّن عليهم ووقعت الاشارة في ذلك اليهم فاحدث هذا الخـبر وحشةً اوجبت عوده من طريقه واعتمد على فخر الملك بن عمّار ومن عوّل عليـه من ثقاته في الاتمام الى بغداد بما صحبه من التُّحَف والهدايا والمناب عنهُ في انهاء ما دعاه الى العود من طريقه. فوصل فخر الملك الى بغداد بما صحبه فصادف من الابتهاج بمقدمه والتأسّف على عود اتابك ولم يصل ويشاهد ما زاد على الامل وظهور بطلان تلك الاراجيف بالمحال الذي لا حقيقة لهُ وتواصلت الاجوبة عن ذلك بما سرّ النفوس وشرح الصدور والاعتذار من اشاعة المحال واكاذيب الاخبار. وقد كان ظهـير الدين اتابك في عوده من وادي المياه قد اتّصل بهِ ان كمشتكين الخادم التاجي الوالي ببعلبك قد ارسل الافرنج بالتماس المصافاة منهم وبعثهم على شنّ الغارات على الاطراف وانهُ قد سيّر اخاهُ بايتكين الخادم التاجي الى السلطان للتوصّل بالمحال الى افساد الحال فحين سمع ظهير الدين هذا الخبر ونفوذه ندب جماعةً من العسكر وقرّر معهم المصير الى المسالك والطرقات التي لا بدّ من عبوره فيها لمسلكهِ وحملهِ اليهِ فلم يقف لبايتكين المذكور على خبر. وسار ظهير الدين في العسكر من طريقه وكتب الى ولده تاج الملوك يأمرهُ بالخروج في العسكر الى بعلبـك والنزول عليها فسارع الى امتثال امره وسار اليها ونزل عليهـا على غفلةٍ من اهلها وغرّةٍ ممّن بها ثم ارسل الخادم المذكور يلتمس منهُ الدخول في الطاعة وتسليم الموضع اليـهِ ويُحذّره من الاستمرار على المخالفة والعصيـان ويخوّفه الاقامة على ما يُفضي الى سفك الدماء وبالغ في الاعذار لهُ والانذار فلم يجب الى المراد والايثـار واصرّ على الخلف والانكار. ووافى عقيب ذلك ظهير الدين في العسكر ومن جمعه من الرجالة وزحف الى بعلبك مقابلًا لها ونصب عليها المناجيق وشرع في عمل آلة الحرب والنقوب لقصد الاماكن المستضعفة منها لانتهاز الفرصة فيها (91r) وترامى اليهِ من احداث اهلهـا واجنادها جماعةٌ احسن اليهم وخلع عليهم وزحف الى سورها وقاتل من عليهِ فقتل جماعةً منهم فحين شاهدوا الجدّ في القتال والصبر على النزال جنحوا الى الدخول في الطاعة والتمس

الخادم الاقالة وبذل تسليم البلد والحصن على شرط اشترطهُ واقطاع عيّنهُ وطلب بعض المقدّمين للحديث معه والتوثّق لنفسه فنفّذ اليه الامير بلتــاش لحلّه من الدولة فتقرّرت الحال على ما اقترحهُ وسلّم البلد والحصن الذي هو غايةٌ في المنعة والحصانة ومن العجائب والقلاع المشهورة وخرج اليه وجرى على عادته الجميلة في الصفح عمّن اساء اليهِ واظهر العصيان عليه وعوّضه عن بعلبك حصن صرخد وهو مشهور بالحصانة والمنعة ايضاً(١ وعاد اليه ما كان قبض عنهُ من ملكٍ واقطاع (وعاد) الى دمشق. وسلّم ظهير الدين اتابك بعلبك الى ولده تاج الملوك بُوري فرتّب فيها من ثقات اصحابه من اعتمد عليهِ في حفظها وقرّر احوالها وكانت مُدّة المقام في منازلتها خمسة وثلثين يوماً وتُسلّمت في اليوم الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة ٥٠٣ وامر ظهير الدين بازالة حوادث الظلم عن اهــل بعلبك وتسويغ بعض خراج اهلها واعاد عليهم املاكًا كانت قد اُغتُصبت في قديم الزمان وكثر لهُ الدُعاء وتواصل عليهِ الثناء وعاد منكفيًا الى دمشق. وورد عليه الخبر بعود السلطان من بغداد الى اصفهان في شوال من السنة

وورد الخبر بوفاة الامير ابرهيم ينال صاحب آمد وكان قبيح السيرة فيها مذكورًا بالظلم في اهلها وكان جماعةٌ من اهلها قد خلوا عنها لاجلهِ المستمرّ عليهم واساءتهِ اليهم فسُرَّت النفوس بفقده واُمّل من بعده الصلاح وقام مقــامه ولدهُ(٢ فكان اصلح منه سريرةً واحسن طريقةً

وفي هذه السنة خرج طنكري من انطاكية في حشده ولفيفه المخذول الى الثغور الشامية فملك طرسوس وما والاها واخرج صاحب ملك الروم منها وعاد الى انطاكية ثم خرج الى شيزر وقرّر عليها عشرة الاف دينار مُقاطعةً تُحمَل اليهِ بعد ان عاث في عملها ونزل على حصن (٧91) الاكراد فتسلّمهُ من اهله وتوجّه الى عرقة وكان الملك بغدوين وابن صنجيل قد نزلا على ثغر بيروت برًّا وبحرًا فعاد طنكري الى انطاكـية وسار جوسلين صاحب تل باشر الى ثغر بيروت لمعاونة النازلين عليهِ من الافرنج ويستنجد بهم على عسكر الامير مودود (٣ النازلين على الرُها. وشرع الافرنج في عمل البرج ونصبه على

---

١) قال سبط ابن الجوزي. ان فى سنة ٤٦٦ بنى حسان بن مسمار الكلبي قلعة صرخد وكتب على بابها: امر بعمارة هذا الحصن المبارك الامير الاجلّ مقدّم امراء العرب عز الدين فخر الدولة عدة امير المؤمنين. يعني المستنصر لانهُ كان في خدمته وذكر اسمه ونسبه ٢) وهو سعد الدولة ايكلدي قد تقدّم ذكره ٣) قال سبط ابن الجوزي: انهُ كان قد طرد جاولى عن الموصل وملك الجزيرة بامر السلطان

سور بيروت فخين نخز وزحفوا به كُسر بحجارة المناجيق وأُفسد فشرعوا في عمل غيره وعمل ابن صنجيل برجاً اخر ووصل في الوقت من اصطول مصر في البحر تسعة عشر مركباً حربيّة فظهروا على مراكب الافرنج وملكوا بعضها ودخلوا بالميرة الى بيروت فقويت بها نفوس من فيها من الرعيّة. وانفذ الملك بغدوين الى السويديّة يستنجد بمن فيها من الجنوية في مراكبهم فوصل منها الى بيروت اربعون مركباً مُشحَنَةً بالمقاتلة فزحف الافرنج في البرّ والبحر اليها باسرهم في يوم الجمعة الحادي والعشرين من شوّال ونصبوا على السور برجين اشتدّوا في القتال فقُتل مقدّم الاصطول المصري وخلقٌ كثير من المسلمين ولم يرَ الافرنج من ما تقدّم وتأخر اشدّ من حرب هذا. وانخذل الناس في البلد وايقنوا بالهلاك فهجم الافرنج على البلد اخر نهار هذا اليوم فملكوه بالسيف قهراً وغلبةً وهرب الوالي الذي كان فيهِ في جماعةٍ من اصحابه وحُمل الى الافرنج فقُتل ومن كان معهُ وغنموا ما كان استصحبه من المال ونُهب البلد وسُبي من كان فيه وأُسر واستُصفيت اموالهم وذخائرهم. ووصل عقيب ذلك من مصر ثلثمائة فارس نجدةً لبيروت فحين حصلوا بالاردُنّ خرجت عليهم فرقةٌ من الافرنج يسيرة العدد فانهزموا منهم الى الجبال فهلك منهم جماعة. فلمّا تقرّر امر بيروت رحل الملك بغدوين في الافرنج ونزل على ثغر صيدا وراسل اهله يلتمس منهم تسليمه فاستمهلوهُ مُدّة عيّنوها فاجابهم الى المهلة بعد ان قرّر عليهم ستّة الاف دينار تحمل اليهِ مقاطعةً وكانت قبل ذلك الفي دينار ورحل عنها الى بيت المقدس للحج

وفي هذه السنة وردت الاخبار بظهور الكُرج على بلاد كنجة (92r) وما قاربها واكثروا العيث والفساد في نواحيها وانتهى الخبر بذلك الى السلطان غياث الدنيا والدين محمد بن ملك شاه فانهض اليهم عسكراً وافر العدد فاوقع بهم وشرّدهم وعنّ الفساد والعيث ابعدهم بالفتك فيهم وطردهم ودوّخ بلادهم واخرب اعمالهم فامن اهل بلاد كنجة من شرّهم وقامت الهيبة باهلاكهم وعاد العسكر السلطاني ظافراً غانماً

وفي هذه السنة وردت الاخبار بظهور قومٍ كافر نزل على من صادفوهُ في الاعمال ووصلوا الى جيحون فافسدوا تلك الاعمال واعاثوا فيها واتّصل الخبر بالسلطان المعظم ابي الحرث سنجر بن ملك شاه سلطان خراسان فانهض اليهم اميراً كبيراً من مقدّمي عساكر خراسان في عددٍ دثر من الاتراك فظفر بهم وكسرهم وقتل منهم خلقاً كثيراً عائدين خاسرين مفلولين

وفي ثامن من ذي القعدة من السنــة ظهر في السماء كوكب من الشرق له ذؤابة ممتدة الى القبلة واقام الى اخر ذي الحجة ثم غاب. وفيها كاتب السلطان غياث الدنيـا والدين الامير سكمان القطبي صاحب ارمينية وميافارقين وشرف الدين مودود صاحب الموصل يأمرهما بالمسير في العساكر الى جهاد الافرنج وحماية بلاد الموصل فجمعا واحتشدا ونهضا ونزلا بجزيرة بني عُمير الى ان تكامل وصول وُلاة الاطراف اليهما وخلقٌ كثير من المتطوّعة ووصل اليهمـا ايضاً الامير نجم الدين ايل غازي بن ارتق في خلق كثير من التركمان واجتمع المسلمون في عددٍ لا يقوم بلقـائه جميع الافرنج. واتّفقت الاراء على افتتاح الجهاد بقصد الرُها ومضايقتها الى ان يُسهّل الله افتتاحها بحكم حصانتها ومنعتها. فرحلوا باسرهم ونزلوا عليها في العشر الثاني من شوال واحاطوا بها من جهاتها كالنطاق ومنعوا الداخل والخارج بالمسير اليها وكان القوت بها قليلاً فاشرف من بها على الهلاك وغلا بها السعر وطالت مُدّة الحصر لها والتضييق عليهـا. وحين عرف الافرنج صورة هذه الحال شرعوا في الجمع والاحتشاد والتأهب للذبّ عنها والاستعداد واتّفقت الكلمة بينهم على هذه الحال واجتمع (92v) طنكري صاحب انطاكية وابن صنجيل صاحب طرابلس والملك بغدوين مُقدّمو وُلاة الاعمال من الافرنج وتعاهدوا وتعاقدوا على الثبات في الحرب والمصابرة واللباث. فلمّا استقرّت الاحوال بينهم على البيّنة رحلوا باسرهم الى ناحية الرُها. واتّصلت الاخبار بظهير الدين اتابك وعرف صورة الحال فيما تقرّر بينهم فسار من دمشق في العسكر وخيم على سلميّة وعرف ان الافرنج قد قصدوا في طريقهم رفنية وفيها الامير شمس الخواصّ واليها وانهم لما نزلوا عليها ظهر اليهم في خيله وقتل منهم جماعة ووصل الى المخيّم بسلميّة واجتمع اليه خلقٌ كثير من الشـام ووصل الخبر بحصول الافرنج على الفُرات عازمين على قطعه (قصد) الرُها فرحل اتابك في الحال وتوجّه الى ناحية الرقّة وقلعة جعبر وقطع الفرات وتلوّم هناك الى ان عرف خبر الافرنج وانهم قد احجموا عن العبور لتفرّق سرايا العساكر الاسلامية وطلائعهم في سائر الجهات والمسالك الى الفرات

ولمّا عرف المسلمون قرب الافرنج منهم اتّفقت الاراء فيما بينهم على الافراج لهم ليتمكّنوا من لقائهم في الفضاء من شرقي الفرات ورحلوا عن الرُها في اخر ذي الحجـة منها ونزلوا ارض حرّان على سبيـل الخديعة والمكر وكانت حرّان قد حصلت للامير مودود وسلّمها الى نجم الدين ايل غازي بن ارتق. وتوفّق المسلمون عن لقاء الافرنج

الى ان يقربوا منهم ويصل اليهم عسكر دمشق وفطن الافرنج لهذا التدبير والاتفاق عليه فخافوا واستشعروا الهلاك والخذلان واجفلوا ناكصين على الاعقاب الى شاطئ الفرات وبلغ المسلمين خبرهم فنهضوا في اثرهم وادركهم سرعات الخيل وقد قطع الفرات بعضهم من مقدميهم فغنم المسلمون سوادهم واثقالهم واتوا على العدد الدثر من اتباعهم قتلًا واسرًا وتغريقًا في الفرات وامتلأت الايدي من الغنائم والاسلاب والسبي والدوابّ. ولم يتمكن المسلمون من قطع الفرات للّحاق بهم بحكم اشتغالهم بامر الرُها والعود اليها وكانوا قد اخرجوا منها كل ضعيف الحال ورتّبوا جماعةً من الارمن لحفظها وحملوا اليها ما صحب العسكر الواصل من الاقوات تقويةً لها وخرج بغدوين الرُوَيس (93r) صاحبها عنها وتوجّه صحبة الافرنج المنهزمين. واقام عسكر الاسلام على الفرات اياماً نازلًا بازائهم ورحل طالباً للعود الى منازلة الرها وعرف ظهير الدين اتابك خبر عودهم على تلك الصفة فعاد منكفياً الى عمله لحمايته منهم بعد ان نفّذ شطرًا وافرًا من معسكره الى النازلين على الرُها لمعونتهم ووصل الى دمشق واقام من كان انهضه من عسكره الى الرها الى ان خلت البلاد منها وأُذِن لهم في العود الى اماكنهم بعد اكرامهم والاحسان اليهم

وتردّدت بين اتابك ظهير الدين وبين الامير شرف الدين مودود مراسلات افضت الى استحكام المودّة بينهما واتّفاق الكلمة وتأكيد اسباب الأُلفة فطال مقام عسكر الاسلام على الرُها لامتناعها وحصانتها وقلّ تواصُل الميرة الى المخيّم وعدم وجودها فدعتهم الحاجة الى العود عنها فتفرّقوا بعد ان رتّبوا من يُقيم على حرّان لحصر الرُها. وحدث لنجم الدين ايل غازي ابن ارتق استيحاش من سكمان القطبي لامرٍ تجدّد بينهما فاجفل من حرّان الى ماردين فقبض سكمان على ابن اخيه بلك وحمله معه الى بلده مقيّدًا. وبعد تفرّق العساكر اسلامية عن الرُها عاد اليها بغدوين الرُوَيس صاحبها وحصل بها والغارات متواصلة على اطرافها. وقد كان الملك فخر الملوك رضوان صاحب حلب لمّا عرف هزيمة الافرنج خرج الى اعمال حلب واستعاد ما كان غلب الافرنج عليهِ منها وغار على عمل انطاكية وغنم منه غنيمةً وافرة ولمّا عرف خبر عودهم عاد الى حلب. ووصل الافرنج عقيب ذلك فافسدوا في عمل حلب وقتلوا واسروا خلقاً كثيرًا وعاد طنكرى ونزل على الاثارب وملكها بعد طول حصرها والمضايقة لها وذلك في جمادى الآخرة من السنة وأمن اهلها وخرج منها من اراد

الخروج واقام من اثر المقام واستقرّت الموادعة بعد ذلك بين الملك فخر الملوك رضوان وبين طنكرى على ان يحمل اليهِ الملك من مال حلب في كل سنة عشرين الف دينار مقاطعةً وعشرة أروُس خيلًا وفكاك الاسرى واستقرّت على هذه القضيّة

وفيها وصل الملك بغدوين صاحب (93v) بيت المقدس الى ناحية بعلبك وعزم على العيث والافساد في ناحية البقاع وتردّدت المراسلة بينه وبين ظهير الدين اتابك في هذا المعنى الى ان تقرّرت الموادعة بينهما على ان يكون الثلث من استغلالات البقاع للافرنج والثلثان للمسلمين والفلّاحين وكتب بينهما المواصفة بهذا الشرح في صفر من السنة ورحل عائدًا الى عمله وقد فاز بما حصل في يده وايدي عسكره من غنائم بعلبك والبقاع

ووردت الاخبار فيها بوصول بعض ملوك الافرنج في البحر ومعه نيّف وستّون مركبًا مشحونة بالرجال لقصد الحج والغزو في بلاد الاسلام فقصد بيت المقدس وتوجّه اليهِ بغدوين واجتمع معه وتقرّر بينهما قصد البلاد الاسلامية . فلمّا عادا من بيت المقدس نزلا على ثغر صيدا في ثالث شهر ربيع الآخر سنة ٥٠٤ وضايقوهُ برًّا وبحرًا . وكان الاسطول المصري مقيمًا على ثغر صور ولم يتمكّن من انجاد صيدا فعملوا البرج وزحفوا بهِ اليها وهو ملبسٌ بحطب الكرم والبسط وجلود البقر الطرية ليمنع من الحجارة والنفط وكانوا اذا احكموه على هذه الصورة نقلوه على بكَرٍ تُركّب تحته في عدّة ايام متفرّقة فاذا كان يوم الحرب وقُرّب من السور زحفوا بهِ وفيهِ الماء والخلّ لطفي النار وآلة الحرب

فلمّا عاين من بصيدا هذا الامر ضعفت نفوسهم واشفقوا من مثل نوبة بيروت فاخرج اليها قاضيها وجماعة من شيوخها وطلبوا من بغدوين الامان فاجابهم الى ذلك وامنهم العسكرية معهم على النفوس والاموال واطلاق من اراد الخروج منها الى دمشق واستحلفوه على ذلك وتوثّقوا منهُ وخرج الوالي والزمام وجميع الاجناد والعسكرية وخلق كثير من اهل البلد وتوجّهوا الى دمشق لعشر بقين من جمادى . . . سنة ٥٠٤ وكانت مدّة الحصار سبعةً واربعين يومًا . ورتّب بغدوين الاحوال بها والحافظين لها وعاد الى بيت المقدس ثم عاد بعد مدّةٍ يسيرة الى صيدا فقرّر على من اقام بها نيفًا وعشرين الف دينار فافقرهم واستغرق احوالهم وصادر من عَلِمَ انَّ لهُ بقيَّة (١ منهم (94r)

سنة اربع وخمسائة

في هذه السنة وردت الاخبار بان جماعة من التجار المسافرين خرجت من تنيس

---

١) وفي الاصل : سه

ودمياط ومصر ببضائع واموالٍ جمة كانوا قد ضجروا وملّوا طول المقام وتعـذّر مسير الاصطول في البحر وحملوا نفوسهم على الخطر واقلعوا في البحر فصادفتهم مراكب الافرنج فاخذتهم وحصل في ايديهم من الامتعة والمال ما يزيد على مائة الف دينار واسروهم وعاقبوهم واشتروا انفسهم بما بقي لهم من الذخائر في دمشق وغيرها

واماَّ بغدوين فانهُ لما عاد من صيدا قصد عسقلان وغار عليها وكان واليها المعروف بشمس الخلافة يُراسل بغدوين فاستقرَّت الحال بينهما على مالٍ يحملهُ اليــه ويرحل عنه ويكفّ الاذية عن عسقلان وكان شمس الخــلافة ارغب في التجارة من المحاربة ومال الى الموادعة والمسالمة وايمان السابلة وقرَّر على اهل صور سبعة الاف دينار تُحمل اليه في مدَّة سنة وثلثة شهور وانتهى الخبر بذلك الى الافضل صاحب مصر في شوال فانكر هذه الحال واسرّها في نفسه ولم يُبدِها لاحد من خاصّته وجهَّز عسكرًا كثيفاً الى عسقلان مع والٍ يكون مكان شمس الخــلافة . فلما قرب من عسقلان وعرف شمس الخلافة ذلك اظهر الخلاف على الافضل وجاهر بالعصيان عليـه واخرج من كان عنده من العسكرية لخوفه من تدبيرهم عليه من الافضــل لما يَعلمُهُ من الامور التي انكرها عليه ونقمها منه ومُراسلته لبغدوين يلتمس منه المصافاة والمعونة بالرجال والغلال وان دَهِمَهُ امرٌ وحزَبَهُ خطبٌ سلّم اليه عسقلان فطلب منه العوض عنها . فلماَّ عرف الافضل ذلك اشفق من تمام هذا الامر فكاتبه بما يُطيّب نفسه وغالطه واقطعه عسقلان واقرّ اقطاعه بمصر عليه وازال الاعتراض لشيء من ماله في ديار مصر من خيلٍ وتجارة واثاث وخاف شمس الخلافة من اهل البلد فاستدعى جمــاعةً من الارمن فاثبتهم (١ في عسقلان ولم يزل على هذه الحال الى اخر سنة ٥٠٤ فانكر امره اهل البــلد ووثب عليهِ قوم من كُتــامة وهو راكبٌ لجرحوه وانهزم الى داره فتبعوه واجهزوا عليه ونهبوا داره وماله وتخطَّفوا بعض دور (94^v) الشهود والعامّة وانتهى الخبر الى صاحب السيَّارة فبادر الى البلد فاطاع امره من بهِ وانفذوا رأسه الى الافضل الى مصر وانهوا جليَّة حاله لحسن موضع ذلك منه وموقعه واحسن الى الواردين بهذه البُشرى ثم تقدَّم بمطالبــة القوم القاتلين بما نهبوه من داره واستولوا عليه من ماله ومال اهل البلد واعتقالهم وقبض جماعةٍ من اهل البلد وحملهم الى مصر ولماَّ وصلوا اعتُقلوا فيها

وفي هذه السنة هبَّت بمصر واعمالها ريحٌ سوداء وطلع سحابٌ اسود اخذ بالانفاس

---

١) وفي الاصل : فاسهم

واظلمت منهُ الدنيا حتى لم يبصر احدٌ يدهُ والريح تسقي الرمل في مُقَل الناس ووجوههم حتى يئسوا من الحياة وايقنوا بالبوار بهول ما عاينوه والخوف مما نزل بهم ولما تجلّى ذلك السواد عاد الى الصُفرة والريح بحالها ثم انجلت الصُفرة وظهرت للناس الكواكب وظنّ اهل تلك الاعمال بان القيامة قد قامت وخرج النـاس من منازلهم واسواقهم الى الصحراء وركدت الريح واقلع السحاب وعاد الناس الى منازلهم سالمين من الاذى وكانت مدّة هذه الشدّة منذ صلوة العصر الى صلاة المغرب

وفيها وصل السلطان غياث الدنيا والدين محمد بن ملك شاه من همذان الى بغداد في جمادى الاولى منها ووردت الكتب والرسل اليه من الشام بانهـاء الحال وما جرى من الافرنج بعد عودهم عن الفرات ونوبة صيدا والاثارب واعمال حلب. ولمّا كان اوّل جمعة من شعبان حضر رجل من الاشراف الهاشميين من اهل حلب وجماعة من الصوفيّة والتجار والفقهاء الى جامع السلطان ببغداد فاستغاثوا وانزلوا الخطيب عن المنبر وكسّروه وصاحوا وبكوا لِما لحق الاسلام من الافرنج وقتـل الرجال وسبي النساء والاطفال ومنعوا الناس من الصلاة والخدم والمقدّمون يعدونهم عن السلطان بما يُسكّنهم من انفاذ العساكر والانتصار للاسلام من الافرنج والكفّار وعادوا في الجمعة الثانيـة المصير الى جامع الخليفة وفعلوا مثل ذلك من كثرة البكاء والضجيج والاستغـاثة والنحيب. ووصلت عقيب ذلك الخاتون السيدة اخت السلطان زوجة الخليفة الى بغداد من اصفهان ومعها من التجمّل والجواهر والاموال والآلات واصناف المراكب والدوابّ والاثاث (95r) وانواع الملابس الفـاخرة والخدم والغلمان والجوار والحواشي ما لا يدركهُ حزرٌ فيحصر ولا عدٌّ فيُذكر واتّفقت هذه الاستغاثة فتكدّر ما كان صافياً من الحال والسرور بمقدمها. وانكر الخليفة المستظهر بالله امير المؤمنين ما جرى وعزم على طلب من كان الاصل والسبب ليوقع به المكروه فمنعه السلطان من ذلك وعذر الناس فيما فعلوهُ واوعز الى الامراء والمقدّمين بالعود الى اعمالهم والتأهّب للمسير الى جهاد اعداء الله الكفّار

وفي جمادى الاخرة منها وصـل رسول متملّك الروم بهدايا وتُحف ومُراسلات مضمونها البعث على قصد الافرنج والايقاع بهم والاجتماع على طردهم من هذه الاعمال وترك التراخي في امرهم واستعمال الجدّ والاجتهاد في الفتك بهم قبل اعضال خطبهم واستفحـال شرّهم ويقول انّهُ قد منعهم من العبور الى بلاد المسلمين وحاربهم فان طمعوا فيها بحيث تتواصل عساكرهم وامدادهم الى البلاد الاسلامية احتـاج الى

مُداراتهم واطلاق عبورهم ومساعدتهم على مقاصدهم واغراضهم للضرورات القائدة الى ذلك ويبالغ في الحثّ والتحريض على الاجتماع على حربهم وقلعهم من هذه الديار بالاتّفاق عليهم

وفي هذه السنة نقض الملك بغدوين صاحب بيت المقدس الهدنة المستقرّة بين اتابك وبينه وكتب الى ابن صنجيل صاحب طرابلس يلتمس منهُ الوصول اليه في عسكره ليجتمع معه في طبرّية وجمع وحشد ورحل الى ناحية بيت المقدس لتقرير امرٍ كان في نفسه فحدث لهُ في طريقه مرض اقام بهِ اياماً ثم ابلّ منهُ ولم يبقَ في عينه منهم امرٌ يحفل به من جهتهم . فنهض ظهير الدين اتابك عند معرفته قصده في عسكره ونزل في المنزل المعروف برأس الماء ثم رحل عنه الى اللجاة ونهض الافرنج في اثره الى الصنمين ففرّق اتابك العسكر عليهم من عدّة جهات وبث في المعابر والمسالك خيلًا يمنع من حمل الميرة اليهم وضايقهم مضايقةً الجأتهم الى الدخول في حكم المسالمة والموادعة وتردّدت المراسلات في ذلك (٧ 95) الى ان استقرّت الحال بينهما على ان يكون لبغدوين النصف من ارتفاع جبل عوف والسواد والجبانية مضافًا الى ما في يده ومن هذه الاعمال التي يليها في ايدي العرب من آل جرّاح وكوتب بينهما هذا الشرط ورحل كل منهما منكفئاً الى عمله في اخر ذي الحجة منها . وقد كان الامر تقرّر مع السلطان غياث الدنيا والدين على انهاض العساكر عقيب تلك الاستغاثة المقدّم شرحها ببغداد والتقدّم الى الامراء بالتأهب للمسير الى الجهاد فتأهبوا لذلك وكان اوّل من نهض منهم الى اعمال الافرنج الامير الاسفهسلّار شرف الدين مودود صاحب الموصل في عسكره الى سنجتان فافتتح تلّ مُراد وعدّة حصون هناك بالسيف والامان ووصل اليه الامير احمديل في عسكر كثيف الجمع وكذلك تلاه الامير قطب الدين سكمان القطبي من بلاد ارمينية وديار بكر فاجتمعوا في ارض حرّان وكتب اليهم سلطان بن علي بن منقذ صاحب شيزر يُعلمهم نزول طنكرى صاحب انطاكية ارض شيزر وشروعه في بناء تلّ ابن معشر في مقابلة شيزر وحمل الغلال اليهِ ويستصرخهم ويبعثهم على الوصول الى جهته . فحين عرفوا ذلك رحلوا الى الشام وقطعوا الفرات في النصف من المحرّم سنة ٥٠٥ ونزلوا على تلّ باشر في التاسع عشر من المحرم واقاموا عليه منتظرين وصول الامير بُرسق بن بُرسق صاحب همذان وكان قد أُمر من السلطان بالتقدُّم عليهم فوصل اليهم في بعض عسكره وبهِ مرضٌ من علّة النقرس وسكمان القطبي ايضاً مريضٌ والامراء

بينهما مختلفة وقاتل المطوعة والسوقة هذا الحصن وتقبوه . فانفـذ جوسلين صاحب تل باشر الى الامير احمديل الكُردي يلاطفه بمالٍ وهديةٍ ويبذل لهُ الكون معه والميل اليه وكان اكثر العسكر مع احمديل وسألهُ الرحيل عن الحصن وينزل اليه فاجابه الى ذلك على كراهية من باقي الامراء واشتدّ مرض سكمان القطبي وعزم احمديل على العود طمعاً منهُ في ان السلطان يُقطعه بلاد سكمان وكان قد عقد بينهمـا وصلة وصهر فعادوا عن تلّ باشر الى حلب ونزلوا عليها وعاثوا في اعمالها وفعلوا اقبح من فعل الافرنج في الفساد وتوقّعوا خروج (96 r) الملك فخر الملوك رضوان صاحب حلب اليهم او خدمه ينفذها لهم فلم يلتفت الى احدٍ منهم واغلق ابواب حلب واخذ رهائن اهلها الى القلعة ورتّب الجند واحداث الباطنية والطائعين لحفظ الاسوار ومنع الحلبيين من الصعود الى السور واطلق الحراميّـة في اخذ من يظفرون بهِ من اطراف العسكر . وقد كان ظهير الدين اتابك عند اجتماع هؤلاء الامراء وعبورهم الفرات قد كاتبوه بالوصول اليهم وردّ التدبير فيما يعتمدون عليه اليه ووصل اليه كتاب السلطان بمثل هـذه الحال فاقتضت الصورة وصائب الرأي ان ينهض في العسكر نحوهم للاعتضاد على الجهاد وتقوية النفوس على حماية هذه البلاد من اهل الشرك والالحاد وجمع من امكنه من رجال حمص وحمـاة ورفنية وسائر المعاقل الشامية وسار اليهم ووصلهم على ظاهر حلب فتلقّوه بالاكرام والمزيد في الاحترام وقويت بوصوله النفوس واشتـدّت الظهور وسُرّوا بحصوله عندهم سروراً اظهر منهم وشاع عنهم فلم يرَ منهم عزيمةً صادقة في جهادٍ ولا حماية بلادٍ

واماّ سكمان القطبي فان المرض اشتدّ بهِ واشفي منه ففصل عنهم وعاد الى بلده وورد الخبر بوفاته في طريقـه قبل وصوله الفرات (١ . واماّ برسق بن برسق فانهُ كان

١) واماّ الامير سكمان صاحب اخلاط . قال الفارقي في تاريخه : انهُ في الخميس العشرين من جمادى الاولى سنة ٥٠٢ نزل الى ميافارقين وحاصرها وكان تشرين الاول من السنـة وضايقها وكانت شتوة صعبة وبقي يحاصرها مدّة سبعة اشهر ثم سلّمها اليه اتابك خمرتاش بعد ذلك في شوال سنة ٥٠٢ ودخلها وكان معهُ جميع امراء ديار بكر وخلع عليهم وتفرّقوا عنهُ . ولقـد احسن الى اهل ميافارقين وازال عنهم الكلف واسقط عنهم الاعشار والمؤن والاقساط ودار الضرب وما كان جدّده المحتسب واتابك واتّخذوه من الرسوم وحطّ عن الناس اشياء كثيرة واطلق الحشرى للسور واجرى الناس على املاكهم وخفّف عنهم من الخراج وازال عنهم جميع اسباب الظلم . ونزل في القصر واليًا مملوكه غزغلي وسلّم البلد الى خواجا اثير الدولة ابي الفتح وبقي النـاس معهُ على كل خيرٍ

يحمل في للحفَّة ولا يتمكَّن من فعل ولا قول . اما احمديل فان عزمه قوي على العود بسبب بلاد سكمان وطمعه في اقتطاعها من السلطان فاستجرّهم ظهير الدين اتابك الى الشام فرحلوا في اخر صفر ونزلوا معرّة النعمان فاقاموا على ذلك المنهاج الاوّل وامتار

وقال ايضاً ان في سنة ٥٠٤ نزل الامير سكمان الى ميافارقين وقصد الرُها ومعهُ عساكر عظيمة فات هناك ووصل تابوته الى ميافارقين وحُمل الى اخلاط ودُفن بها . وقال ايضاً ان في سنة ٥٠٦ وصلت الخاتون زوجة الامير سكمان وولده الامير ابرهيم الى ميافارقين وعُزل غزغلي عن الولاية وولّي السديد ابو سعد الحويلي الوزارة وولّي ميافارقين اخوه ابو منصور المُتين واستقرّ متوليّاً . وفي سنة ٥٠٧ عصي المعين بميافارقين وبقي مدّةً متحكماً في البلد . وفي اخر سنة ٥٠٨ وصل قراجا الساقي مملوك السلطان محمد الى باب ميافارقين ونزل على الروابي وبقي مدّة والمعين متولّي البلد وهو لا يظهر الّا انهُ عابر وهو ينتظر من يلحقهُ من اصحابه ولا يراسل المعين ولا يكلّمهُ واخرج لهُ المعين الاقامة والضيافة وكان كل يوم يركب الى الصيد ويعبر على باب البلد . فعبر ذات يوم كعادته على باب المدينة بباب الحوش وهجم على الباب وقطع بسيف كان بيده السلسلة ودخل فوثب اليهِ بعض الخراسانية فجذب سيفه وصاح فيهِ الامير . فدخل الى داخل البلد ومعهُ جماعة فوقف داخل الباب . فوثب الى بين يديه رجل حدّاد ومشى بين يديه الى باب القصر فوقعت الصيحة وغُلق باب القصر واجتمع الناس وبقوا ساعةً ففتح المعين باب القصر ودخل عزّ الدين قراجا الى ميافارقين في اخر سنة ٥٠٨ ونزل المعين الى دار العُجمية وملك قراجا البلد ودخل اصحابه ورحله وثقله وزوجته وكانت جارية للسلطان محمد وكان معها ابنة السلطان تسمّى فاطمة خاتون صغيرة وهي التي تزوَّجها الخليفة المقتفي في سنة ٥٣٤ ولقد حضرت لما دخلتْ اليهِ الى دار الخلافة في سنة ٥٣٤ ببغداد . وبقي قراجا ثلثة ايام واستوزر المعين وخلع عليهِ وردّ الامور كلها اليهِ

ثم ان السلطان نفذ طلبهُ واستدعاه فمضى اليه واعطاه ولاية فارس وشيراز والمعين معه وزيره . فنفذ السلطان والياً اسمه الرُزيكي فدخل ميافارقين في سنة ٥٠٩ . وفي ولايته تطاولت الايدي على ميافارقين وبلدها واخذوا منهُ من كل جانب وخرب اكثره وكان قد اخذ منهُ في ولاية اتابك خمرتاش مواضعَ كثيرة فاخذ منهُ الامير سكمان بن ارتق بلد حزة لحصن كيفا من قاطع شطّ ساتيدما الى باب الشعب الى شطّ ارزن مقدار مائة ضيعة واخذ لماردين نجم الدين ايلغازي بلد الحناضلة من قاطع دجلة الى جبل الصور مقدار ثمانين ضيعة واخذ الامير فخر الدولة ابرهيم صاحب آمد مقدار ثلثين ضيعة من شرقي نهر الحوّ واخذ الامير شاروَخ صاحب حاني رأس الجبل الاعلى واخذ الامير احمد صاحب ابن مروان (وهو ابن الامير نظام الدين) بلد الفتاخ واخذت السناسنة مقدار ثلثين قرية من عاد الجوز (ذات الجوْز) وما حوله داخل رأس السلسلة واخذ حسام الدولة صاحب ارزن خمس وعشرين قرية من بين النهرين وكان ذلك لاختلاف الوُلاة وتغيّر الدُوَل . وقال ايضاً ان في سنة ٥١٢ نفّذ السلطان الى الرزبيكي رسولًا يأمرهُ ان يسلّم ميافارقين الى نجم الدين ايلغازي فحضر وسلّمها اليهِ وملكها وخرج الرزبكي ونزل على الروابي واقام ثلثة ايام فلمّا كان اليوم الرابع وصلهُ رسول من السلطان يأمرهُ ان لا يُسلّم فوجد الامر قد فات واستقر نجم الدين بميافارقين واظهر العدل والانصاف والاحسان الى الناس

العسكر من عملها ما كفاهم وقصروا عن حملة من العلوفات والاقوات وظهر لظهير الدين من سوء نيّة المقدّمين فيه ما اوحشه منهم ونفّر قلبه من المقام بينهم وذُكر لهُ ان الملك فخر الملوك رضوان راسل بعض الامراء في العمل عليه والايقاع بهِ فاتّفق مع الامير شرف الدين مودود وتأكّدت المصافاة والمعاهدة بينهما وحمل الى بقية الامراء ما كان صحبه من الهدايا لهم والتُحَف والحُصن العربية السُبّق والاعلاق المصريّة (96ᵛ) وقُوبل ذلك منهُ بالاستكثار لهُ والاستطراف والشكر والاعتراف ووفى لهُ مودود بما بذله وثبت على المودّة وجعل اتابك يحرّضهم على قصد طرابلس ويعدهم حمل ما يحتاجون اليهِ من الميرة من دمشق وعملها وان ادركهم الشتاء انزلهم في بلاده فلم يفعلوا وتفرّقوا ايدي سبا وعاد بُرسق بن بُرسق واحمديل وتبعوا عسكر سكمان القطبي وتخلّف منهم الامير مودود مع اتابك فرحلا عن المعرّة ونزلا على العاصي

ولمّا عرف الافرنج رحيل العساكر وتفرّقهم اجتمعوا ونزلوا افامية باسرهم بغدوين وطنكري وابن صنجيل بعد التبايُن والمنافرة والخلف وصاروا يدًا واحدة وكلمةً متّفقةً على الاسلام واهله وساروا لقصدهم فخرج سلطان بن منقذ من شيزر بنفسه وجماعته واجتمع مع اتابك ومودود وحرّضهما على الجهاد وهوّن عليهما امر الافرنج فرحلوا وقطعوا العاصي ونزلوا في قبلي شيزر وصار سوق العسكر في سُوق شيزر ونزل عسكر مودود حول شيزر وبالغ ابن منقذ وجماعته في الخدمة والمواصلة بالميرة واصعد اتابك ومودود وخواصّهما الى حصن شيزر وباشر خدمتهما بنفسه واسرته ونزل الافرنج شمالي تلّ ابن معشر ودُبّر امر العسكر احسن تدبير وثبت الخيل من جميع جهاتهم تطرق حولهم وتجول عليهم وتمنع من الوصول اليهم وضيّقوا عليها وجَلَوْهم عن الماء وذادوهم عن العاصي لكثرة الرماة على شطوطه وجوانبه من قبليّهِ فما يدنو منه من الافرنج شخصٌ الّا وقد قُتل وطمع الاتراك فيهم وسهل امرهم عليهم وكانت خيل المسلمين مثل خيل الافرنج الّا ان راجلهم اكثر وزحف الاتراك اليهم فنزلوا للحرب عن تلّ كانوا عليه فهجمت الاتراك عليهم من غربيهم ونهبوا جانبًا من عسكرهم وملكوا عدّة من خيامهم واثقالهم وجالوا حولهم فعادوا الى مكانهم الذي كانوا بهِ ورجعوا منه وذلك في شهر ربيع الاوّل. واشتدّ خوف الافرنج من الاتراك واقاموا ثلثة ايام لا يظهر احد منهم ولا يصل اليهم شخصٌ وعاد المسلمون لصلاة الجمعة في جامع شيزر فرحل الافرنج الى افامية ولم ينزلوا فيها بل تعدّوها وتبعهم المسلمون عند معرفة (97ʳ) رحيلهم وتخطّفوا

اطرافهم ومن ظفروا بهِ سائرًا على اثارهم وعادوا الى شيزر ورحلوا الى حماة واستبشر الناس بعود الافرنج على هذه الحال

سنة خمس وخمسمائة

واستحكمت المودَّة بين ظهير الدين اتابك وبين الامير مودود. وفي هذه السنة جمع بغدوين الملك مَن امكنهُ جمعهُ من الافرنج وقصد ثغر صور فبادر عزّ الملك واليهِ واهل البلد بمراسلة ظهير الدين اتابك بدمشق يستصرخون به ويستنجدونه ويبذلون تسليم البلد اليه ويسئلونه المبادرة والتعجيل بانفاذ عدَّةٍ وافرة من الاتراك تصل اليهم سرعةً لمعونتهم وتقويتهم وان تأَخرت المعونة عنهم قادتهم الضرورة الى تسليمه الى الافرنج ليأسهم من نُصرة الافضل صاحب مصر فبادر اتابك بانفاذ جماعة وافرة من الاتراك بالعُدَد الكاملة تزيد على المائتين فرساناً رماة ابطالاً فوصلت اليهم واتت اهل صور رجالة كثيرة من صور وجبل عاملة رغبوا في ذلك مع رجالةٍ من دمشق وصلوا اليهم وحصلوا عندهم وشرع اتابك في انفاذه عدَّة اخرى. فحين عرف بغدوين ما تقرَّر بين اتابك واهل صور بادر النزول عليها فيمن جمعه وحشده في اليوم الخامس وعشرين من جمادى الاولى سنة ٥٠٥ وتقدَّم بقطع الشجر والنخل وبنى بيوت الاقامة عليها وزحف اليها فقاتلها عدَّة دفعات ويعود خاسرًا لم ينل منها غرضًا وقيل ان اهل صور رشقوا في بعض ايام مقاتلتها في يوم واحد بعشرين الف سهم

وخرج ظهير الدين من دمشق حين عرف نزولهم على صور وخيَّم ببانياس وبثَّ سراياه ورجالة الحرامية في اعمال الافرنج واطلق لهم النهب والقتل والسلب والاخراب والحرق طلباً لازعاجهم وترحيلهم عنها فتدخل العدَّة الثانية الى صور فلم يتمكَّن من الدخول. ونهض ظهير الدين الى الحبيس الذي في السواد وهو حصنٌ منيعٌ لا يُرام فشدَّ القتال عليه وملكه بالسيف قهرًا وقتل من كان فيه قسرًا وشرع الافرنج في عمل بُرجَيْ خشب للزحف بهما الى سور صور وزحف ظهير الدين اليهم عدَّة دفعات ليشغلهم بحيث يخرج (97v) عسكر صور فيحرق البُرجين وعرف الافرنج قصده في ذلك وخندقوا عليهم من جميع الجهات ورتَّبوا على الخندق الرجال بالسلاح لحفظه وحفظ الابراج ولم يحفلوا بما يفعل وما يجري على اعمالهم من الغارات عليها والفتك بمن فيها. وهجم الشتاء فلم يضرّ بالافرنج لانهم كانوا نزولاً في ارض رملة صُلبة والاتراك

بالضدّ من ذلك قد كابدوا من مقامهم شدّةً عظيمة ومشقّةً مؤلمة الّا انهم لا يخلون من غارةٍ وفائدةٍ وقطع ميرة عن الافرنج ومادّةٍ وأخذ ما يحمل اليهم

وقطع الاتراك الجسر الذي كان يُعبر عليه الى صيدا ليقطع المادّة ايضاً عنها فعدلوا عند ذلك الى استدعاء الميرة في البحر من جميع الجهات ففطن ظهير الدين لذلك ونهض في فريق من العسكر الى ناحية صيدا وغار على ظاهرها فقتل جماعة من البحريّة واحرق تقدير عشرين مركباً على الشطّ وهو مع ذلك لا يُهمل اصدار الكتب الى اهل صور بتقوية قلوبهم وتحريضهم على استعمال المصابرة للافرنج والجدّ في قتالهم

وتمّ عمل البرجين وكباشهما التي تكون فيهما في تقدير خمسة وسبعين يوماً وشرع في تقديمها والزحف بهما في عاشر شعبان وقُرّبا من سور البلد واشتدّ القتال عليهما وكان طول البرج الصغير منهما نيفاً واربعين ذراعاً والكبير يزيد على الخمسين ذراعاً. ولمّا كان اول شهر رمضان خرج اهل صور من الابراج بالنفط والحطب والقطران وآلة الحرق فلم يتمكّنوا من الوصول الى شيءٍ منهما فالقوا النار قريباً من البرج الصغير بحيث لم يتمكّن الافرنج من دفعها فهبّت ريح والقت النار على البرج الصغير فاحترق بعد المحاربة الشديدة عليه والمكافحة العظيمة عنه ونهب منه زرديات كثيرة وطوارق وغير ذلك واتّصلت النار بالبرج الكبير. واتّصل الخبر بالمسلمين بان الافرنج قد هجروا حربة البلد للاشتغال بحريق البرج وانثنوا عن المقاتلة على الابراج وشدّ الافرنج عليهم وكشفوهم عن البرج واطفأوا ما علق بهِ من النار ورتّبوا عدّة وافرة من ابطالهم لحفظ البرج والمنجنيقات من جميع الجهات (ᴵᴵ98) وواظبوا الزحف اليها الى اخر شهر رمضان وقربوا البرج الى بعض ابراج البلد وطمّوا الثلثة الخنادق التي امامه وعمد اهل البلد الى تعليق حائط البرج الذي بازاء بُرج الافرنج واطلقوا النار فيه فاحترق التعليق وسقط وجه الحائط في وجه البرج فمنع من تقديمه الى السور والزحف بهِ وصار الموضع الذي قصدوه قصيراً وابراج البلد تحكم عليه وبطل تقديمه من ذلك الوجه وكشف الافرنج الردم وجرّوه الى برج اخر من ابراج البلد ودفعوه اليه وقربوه من سور البلد وصدموا بالكباش التي فيه السور فزعزعوه ووقع منه شيءٌ من الحجارة واشرف اهل البلد على الهلاك. فعمد رجل من مقدّمي البحرية عارفٌ بالصنعة من اهل طرابلس لهُ فهمٌ ومعرفةٌ باحوال الحرب الى عمل كلاليب حديد لمسك الكبش اذا نطح بهِ السور من رأسه ومن جانبه بحبالٍ يجذبها الرجال حتى يكاد البرج الخشب يميل من شدّة جذبهم

بها فتارةً تكسره الافرنج خوفًا من البرج وتارةً يميلُ او يفسدُ وتارةً ينكسرُ بصخرتين تُلقَّيان عليه من البـلد مشدودة احداهما الى الاخرى فعملوا عدَّة من الكباش وهي تُكسَر على هذه الصفة واحدًا بعد واحدٍ وكان طول كل واحد منها ستين ذراعًا مُعلقًا في البرج الخشب بحبال في رأس كل واحد من الكباش حديد يزيد وزنه على عشرين رطلًا. فلمَّا طال تجديد الكباش وقربوا البرج من السور عمد هذا الرجل البحري المقدَّم ذكره الى خشبةٍ طويلة جافية قوية اقامها في برج البلد الذي بازاء برج الافرنج وفي رأسها خشبة على شكل الصليب طولها اربعون ذراعًا تدور على بَكرٍ بلولب كيف ما اراد مُتولّيها على مثال ما يكون في الصواري البحريَّة وفي طرف الخشبة التي تدور سهم حديد وفي طرفها الاخر حبالٌ مدارةٌ بها على ما يريد متولّيها وكان يرفع فيها جرار الكَدَرِ والنجاسة ليشغلهم بطرح ذلك عليهم في البرج عن الكباش. وضاق الامر بالناس وشغلهم ذلك عن امورهم واشغالهم وعمد البحري المذكور الى سلال العنب والقفاف فيجعل فيها الزيت والقِير (98[v]) والسراقة والقلفونية وقشر القصب ويطلق فيها النار فاذا علقت بذلك وقَّع ذلك في الآلة المذكورة حتى يوازي برج الافرنج فتقع النار في اعلى البرج فيبادروا باطفائها بالخلّ والماء فيبادر برفع اخرى ومع هذا يَرمي ايضًا بالزيت المغلي في قدورٍ صغار على البرج فيعظم الوقيد. فلمَّا كثرت النار وحمل بعضها بعضًا وقويت قهرت الرجلين المتولّين لرأس البرج وقتل احدهما وانهزم الاخر ونزل منه فتمكَّنت النار من رأسه ونزلت الى الطبقة الثانية من رأسه ثم الى الوسطى وعملت في الخشب وقهرت من كان حوله في الطبقات وعجزوا عن اطفائها وهرب كل من فيه وحوله من الافرنج وخرج اهل صور اليه فنهبوا ما فيه وغنموا من السلاح والآلات والعدد ما لا يحدّه وصف

فعند ذلك وقع يأس الافرنج منهُ وشرعوا في الرحيل عنه واحرقوا البيوت التي كانوا قد عمَّروها في المنزل لسكناهم واحرقوا كثيرًا من المراكب التي كانت لهم على الساحل لانهم كانوا اخذوا صواريها وارجُلها وآلاتها للابراج وكانت عدّتهم تقدير مائتي مركب كبارًا وصغارًا منها تقدير ثلثين مركبًا حربيَّة وحملوا في بعضها ما خفّ من اثقالهم ورحلوا في العاشر من شوال من السنـة وكانت مدَّة اقامتهم على محاصرة صور اربعة اشهر ونصف شهر وقصـدوا عكا وتفرَّقوا الى اعمالهم. وخرج اهل صور وغنموا ما ظفروا بِهِ منهم وعادت الاتراك المنـدوبون لاسعادهم الى دمشق وقد فقد منهم في

الحرب نحو عشرين رجلًا وكان لهم فيها الجراية والواجب في كل شهر . ولم يتمّ على برج من ابراج الافرنج في القديم والحديث مثل ما تمّ على هذا البرج من احراقه من رأسه الى اسفله والذي اعان على هذا هو تساوي البرجين في الارتفاع ولو طال احدهما على الاخر لهلك اقصرهما . وكان عدد المفقودين من اهل صور اربعمائة نفس ومن الافرنج في الحرب ايضاً على ما حكى الحاكي العارفُ تقديرَ الفي نفس . ولم يفِ اهل صور بما كانوا بذلوه لظهير الدين اتابك من تسليم البلد اليه ولم يظهر لهم في ذلك قولًا وقال : انما فعلتُ ما فعلتُ لله تعالى وللمسلمين لا لرغبةٍ (99[r]) في مالٍ ولا مملكةٍ . فكثر الدعاء لهُ والشكر بحسن فعله ووعدهم انه متى دهمهم خطبٌ مثل هذا سارع اليه وبالغ في المعونة عليه وعاد الى دمشق بعد مكابدة المشقَّة في مقابلة الافرنج الى ان فرج الله عن اهل صور . وشرع اهل صور في ترميم ما شعَّثه الافرنج من سورها واعادوا الخنادق الى حالها ورسمها بعد طمّها وحصَّنوا البلد وتفرَّق من كان فيه من الرجالة

وفي الثاني من شعبان ورد الخبر بهلاك بدران بن صنجيل صاحب طرابلس بعلّة لحقته واقام ابنه في الامر من بعده وهو طفل صغير كفلهُ اصحابه ودبّروا امره مع طنكرى صاحب انطاكية وجعلوهُ من خيله واقطعه انطرطوس وصافيثا ومرقية وحصن الاكراد

وفي هذه السنة حدث بمصر الوباء المفرط بحيث هلك بهِ خلقٌ كثير يقال تقدير ستين الف نفس . وفيها ورد الخبر من ناحية العراق بوصول السلطان غياث الدنيا والدين محمد بن البي (كذا) الى بغداد في جمادى الاولى منها واقام بها مدّةً ثقل فيها على اهلها وارتفع معها السعر الى ان رحل عنها فصلحت الحال ورخص السعر . وفيها وردت الاخبار بوصول الامير شرف الدين مودود صاحب الموصل في عسكره ونزوله على الرها ورعيه لزرعها في ذي القعدة منها واقام عليها الى المحرَّم سنة ٥٠٦ ورحل عنها الى سروج ورعى زرعها وهو في غفلةٍ غير متحفّظ من عدوّ يطرق ومسلم يرهق ولم يشعر الّا وجوسلين صاحب تل باشر في خيلهِ من الافرنج ودوابّ العسكر منتشرة في المرعى هجم عليها من ناحية سروج على حين غفلةٍ من مودود واصحابه فقتلوا منهم جماعة فاستاقوا اكثر كراعهم وقتل بعض المقدّمين واستيقظ من كان من المسلمين غافلًا وتأهبوا للقائه فعاد الى حصن سروج

وفي هذه السنة انتقل تاج الملوك بوري بن اتابك الى دار الملك شمس الملوك دقاق

في قلعة دمشق في المحرَّم منها . وفيها ورد الخبر بوفاة قراجه الوالي بحمص بعلّةٍ طالت بهِ وكان فيها هلاكهُ وقد كان موثرًا للظلم مُشاركًا للحراميَّة وقطَّاع الطريق واقيم في مكانه (99ᵛ) ولده خيرخان بن قراجه تابعًا في الظلم لافعاله ناسجًا في العدوان والجور على منواله

سنة ستّ وخمسمائة

فيها اشتدّ خرف اهل صور من عود الافرنج الى منازلتهم فاجمعوا امرهم مع عزّ المُلك انوشتكين الافضلي الوالي بها على تسليمهـــا الى ظهير الدين اتابك بحكم ما سبق من نصرته لهم في تلك النوبة ومعـــاضدته اياهم في تلك الشدَّة وندبوا رسولًا وثقوا بهِ وسكنوا اليهِ في الحديث مع ظهير الدين اتابك في هذا الباب ووصل الى بانياس وواليها الامير سيف الدولة مسعود فتحـــدّث معه وسار الامير مسعود مع الرسول الى دمشق لتقرير الحال بمحضرٍ منه فصادف ظهير الدين اتابك قد توجَّه الى ناحية حمـــاة لتقرير الحال فيما بينـــه وبين فخر الملوك رضوان صاحب حلب فاشفق الامير مسعود ان يتأخر الامر الى حين عود ظهير الدين من حماة فيُبادر بغدوين بالنزول على صور ويفوت الغرض المطلوب فيها فقرّر مع ولده تاج الملوك بوري النائب عنه في دمشق المصير معـه الى بانياس وانتهاز الفرصة في تسليم صور اليه فاجاب الى ذلك وتوجَّهُ معـــه الى بانياس وتمّ مسعود الى صور ومعه من يعتمد عليه من العسكر ولم ينتظر وصول اتابك ووصل اليها وحصل بها . وانتهت الحال في ذلك الى اتابك فانهض فرقةً وافرة من الاتراك الى صور تقويةً لها فوصلت اليها وحصلت بها واستقرّ امر الاتراك فيهـــا وحُمل اليهم من دمشق ما أُنفق فيهم وطُيّب نفوس اهل البـــلد وأُجروا على الرسم في اقامة الدعوة والسكَّة على ما كانت عليه لصاحب مصر ولم يغيّرلهم رسم

وكتب ظهير الدين اتابك الى الافضل بمصر يُعلمه : « ان بغدوين قد جمع وحشد للنزول على صور وان اهلها استنجدوا بي عليهِ والتمسوا مني دفعه عنهم فبادرتُ بانهاض من اثق بشهامته لحمايتها والمراماة دونها اليه وحصلوا فيها ومتى وصل اليها من مصر من يتولّى امرها ويذبّ عنها ويحميها بادرتُ بتسليمها اليه وخروج نوّابي منها وانا ارجو ان لا يُهمـــل امرها وانفاذ الاسطول بالغلّة اليهـــا والتقوية لها » . وحين عرف بغدوين هذا الخبر رحل في (100ʳ) الحال من بيت المقدس الى عكّا فوجد الامر قد

فات وحصل بها الاتراك فاقام بعكّا ووصل اليه من العرب الزُرَيقيّين من بلد عسقلان رجل يعلمهُ « ان القافلة الدمشقية قد رحلت من بُصرى الى ديار مصر وفيها المال العظيم وانا دليلك اليها وتُطلِق لي من أُسر من اهلي » فنهض بغدوين من وقته عن عكّا في طلب القافلة واتّفق ان بعض بني هوبر تخطّف بعضها وخلصت منهم ووصلت الى حلّة بني ربيعة فمسكوها اياماً واطلقوها بعد ذلك وخرجت من نقب عازب (١ وبينه وبين بيت المقدس مسافة يومين للفـارس فلمّا حصلت بالوادي اشرفت الافرنج عليها فهرب من كان بها فالذي صعد منها الجبل سَلِمَ وأُخذ ماله واخذت العرب اكثر الناس فاشتمل الافرنج على ما فيها من الامتعة والبضـائع وتتبّعت العرب من افلت منهم فاخذوهُ وحصل لبغدوين منها ما يزيد على خمسين الف دينار وثلثمائة اسـير وعاد الى عكا ولم يبق بلدٌ من البلاد الّا وقد اصيب بعض تجّاره في هذه القافلة. وفيها توفي القاضي ابو عبد الله محمد بن موسى البلاساغوني التركيّ في يوم الجمعة الثالث عشر من جمادى الاخرة بدمشق رحمه الله وهو معزول عن قضائها ولازمٌ منزله

وفي هذه السنة وصل ابن الملك تكش ابن السلطان البـارسلان اخي السلطان العادل ملك شاه الى حمص هاربًا من ابن عمه السلطان غياث الدنيا والدين محمد ولم يمكنه المقام بحمص ولا حمـاة فتوجّه الى حلب وكان ولد فخر الملوك رضوان صاحب حلب في الدركاه السلطانية فاشفق من المقام بحلب فتوجّه الى طنكرى صاحب انطاكية فاستجاره فاجاره واكرمه واحسن اليه واجتمع اليه جماعة من الاتراك الذين مع طنكرى فاقام عنده. وخرج طنكرى من انطاكية في اوّل جمادى الاخرة الى ناحيـة كُرَبسيل مُقدّم الارمن وكان قد هلك طمعاً في تملّك بلاده فعرض لهُ مرضٌ في طريقـه اوجب عوده الى انطاكية فاشتدّ بهِ المرض فهلك في يوم الاربعاء الثامن من جمادى الاخرة وقام في الامر بعده ابن اخيه سرجال (٢ فتسلّم انطاكـية واعمالها واستقام لهُ (100ᵛ) الامر فيها بعد ان جرى بين الافرنج خلفٌ بسببـه الى ان اصلح بينهم القسوس وطلب من الملك رضوان مقاطعة حلب المستقرّة فاجابه الى ذلك ومبلغها عشرون الف دينار والخيل وطلب مقاطعة شيزر فاجاب صاحبها اليهـا وهي عشرة الاف دينار. وتواترت غارات بغدوين على عمل البثنية من اعمال دمشق وانقطعت الطريق وقلّت الاقوات بها

---

١) وفي الاصل : غارب

٢) وفي الاصل : سيرَرجال

وغلا السعر فيها وتتسابعت كتب ظهير الدين اتابك الى الامير شرف الدين مودود صاحب الموصل بشرح هذه الاحوال في هذه الاعمال وبعثه على الوصول اليه للاعتضاد على دفع المَرَدَة الاضداد والفوز بفضيلة الجهاد وكان مودود قد شُنع عليه عند السلطان غياث الدنيا والدين بشناعات من المحال لفّقها الحسدة الاعداء اوجبت استيحاشه منه وبُعده عنه قيل في جُملتها انهُ عازمٌ على الخلاف والعصيان وان يده ويد اتابك قد صارت يداً واحدة واراؤهما متوافقة واهواؤهما متطابقة. فلمّا عرف ذلك سيّر ولده وزوجتــه الى باب السلطان باصفهان للتنصّل والاعتذار وابطال ما رُمي اليهِ من المحال والتبرّي مماّ افتُري عليهِ وعُزِيَ اليهِ والاستعطاف لهُ والاعلام بانهُ جارٍ على ما الفَ منهُ على اخلاص الطاعة والعبودية والمناصحة في الخدمة والاهتمام بالجهاد. ثم جمع عسكره من الاتراك والاكراد ومن امكنه وتوجّه الى الشام وقطع الفرات في ذي القعدة من السنة. فحين اتّصل خبره ببغــدوين الملك قلق لذلك وانزعج لخبره. وكان جوسلين صاحب تل باشر قد اختلف هو وخاله بغــدوين الرويس صاحب الرُها وصار مع بغدوين صاحب بيت المقدس واقطعه طبريّة واتّفقا على ان راسل جوسلين لظهير الدين اتابك يبذل المصافاة والمودّة ويرغبه في الموادعة والمسالمة ويسلّم اليه حصن ثمانين المجاور لحصن . . . . وجبل عاملة ويتعوّض عن ذلك بحصن الحبيس الذي في السواد ونصف الســواد ويضمن عن بغدوين الوفاء بذلك والثبات على المودّة والمصافاة وترك التعرّض لشيء من اعمال دمشق ولا يعرّض هو لشيء من اعمــال الافرنج. فلم يُجب الى ذلك ونهض من دمشق في العسكر للقاء الامير مودود والاجتماع بهِ على الجهاد فاجتمعا بمرج سَلَمِيَّة واتّفق رأيهما على قصد بغدوين (101^r) وسارا وقد استصحب اتابك جميع العسكر ومن كان بحمص وحماة ورفنية ونزلا يوم عيد النحر بقَدَس ورحلا منها الى عين الجر بالبقاع ثم منها الى وادي التَيم ثم نزلا بانياس ونهضت فرقة من العسكر فقصدت ناحية ثمانين فلم يظفر منها بمراد وعادت

ووصل اليها بغدوين وقد كان لمّا يئس من اجابة اتابك الى الموادعة واصل الغارات والفساد في الشام الى ان وصــل عسكر السلطان الى عمله. وبالغ اتابك فيما حملهُ الى الامير مودود واعظــامه واكرامه وما حمله اليــهِ والى مقدّمي عسكره وخواصّه من انواع الملبوس والمأكول والمركوب ثم نهضوا مُعلمين على النزول على القحوانة ووصل الى

بغدوين سرخالة (١ صاحب انطاكية وصاحب طرابلس واجمعوا رأيهم على النزول غربي جسر الصنبرة ثم يقطعون الى القحوانة للقاء المسلمين وقد احتاطوا على اثقالهم وراء الجسر والمسلمون لا يعلمون بذلك وانهم قد عارضوهم في المسير الى هذا المنزل. فسبق الاتراك الى نزولهم في القحوانة وقُطع بعد عسكر الاتراك الجسر لطلب العلوفات والزرع فصادفوا الافرنج قد ضربوا خيامهم وقد تقدَّم بغدوين المسبق الى هذا المنزل ونزل صاحب انطاكية وصاحب طرابلس وراءه يتبعونه اليه

ونشبت الحرب بين المتعلّقة وبين الافرنج وصاح الصائح ونفر الناس وقطعوا الجسر وهم يظنُّون انهُ جوسلين لانهُ صاحب طبرَّية فوقف اتابك على الجسر وتسرَّع خلقٌ كثيرٌ من العسكر الى قطع الجسر وقطع الامير تميراك بن ارسلانتاش في فريق وافر من العسكر ونشبت الحرب بين الفريقين من غير تأَهُّب للقاء ولا ضرب خيام ولا استقرار في منزلٍ ولا مجال واختلط الفريقان فمنح الله الكريم ولهُ الحمد المسلمين النصر على المشركين بعد ثلاث كرَّات فقُتل فيها من الافرنج تقدير الفي رجل من الاعيان ووجوه الابطال والشجعان وملكوا ما كان نُصب من خيامهم والكنيسة المشهورة وافلت بغدوين بعد ما قُبض وأُخذ سلاحه ومُلكت دوابّ الرجّالة وما كان لهم وغرق منهم خلق كثير في البحيرة واختلط الدم والماء وامتنع الناس من الشرب منها ايَّاماً حتى صفت منهُ وراقت والتجأ من نجا من الافرنج (ٰ101) الى طبرَّية واكثرهم جرحى وذلك في يوم السبت الحادي عشر من المحرَّم سنة٥٠٧. وبعد انفصال الامر وصل باقي الافرنج اصحاب طنكرى وابن صنجيل فلاموه على التسرُّع وفنَّدوا رأيه ونصبوا ما كان سلم من خيامهم على طبرية وفي غد يوم الوقعة نهض فريق من عسكر الاتراك الى ناحية طبرية واشرفوا على الافرنج بناحية طبرية وعزموا على النزول اليهم والايقاع بهم فخافهم الافرنج وايقنوا بالهلاك واقام الاتراك على الجبل عامّة نهارهم وانكفُّوا الى معسكرهم وطلع الافرنج الى الجبل وتحصَّنوا بهِ لصعوبة مرتقاه وهو من غربي طبرَّية والماء ممتنعٌ على من يكون فيهِ فعزم المسلمون على الصعود اليهِ ومواقعتهم واستدعى اتابك العرب الطائيين والكلابيين والخفاجيين فوصلوا في خلقٍ كثيرٍ بالمزادات والروايا والابل لحمل الماء وصعدت الطلائع الى الجبل من شماله وعرفوا ان هذا الجبل لا يمكن الحرب فيه لصعوبته على الفارس والراجل. وعلم المسلمون ان الظفر قد لاحت دلائله واماراته والعدو قد ذلّ والخزل

١) وفي الاصل : سير رنحال

وفلّ والخذل وسرايا الاسلام قد بلغت في النهيض الى ارض بيت القدس ويافا واخربت اعمالهم ودوّختها واستاقت عواملها ومواشيها وغنمت ما وجدتهُ فيها فانثنى الرأي عن الصعود ودامت الحال على هذه القضيَّة الى اخر صفر

وعقيب هذه النوبة وصل من حلب من عسكر الملك فخر الملوك رضوان مائة فارس على سبيل المعونة خلاف ما كان قرّره وبذله فانكر ظهير الدين اتابك وشرف الدين مودود ذلك منهُ وابطلا العمل بما كانا عزما عليهِ من الميل اليهِ واقامة الخطبة لهُ وذلك في اوّل شهر ربيع الاوَّل سنة ٥٠٧ وسيَّرا رسولًا الى السلطان غياث الدنيا والدين الى مدينة اصفهان بالبشارة بهذا الفتح ومعه جماعة من اسارى الافرنج ورؤسهم وخيولهم وطوارقهم ومضاربهم وانواع سلاحهم

ثم ان العسكر رحل من المنزل الى وادي المقتول ونزل الافرنج عند ذلك عن الجبل الى منزلهم والتجأُوا الى جبل في المنزل وتواصلت اليهم مِيَرهم وازوادهم وامدادهم من اعمالهم فعاد اليهم عسكر الاتراك من منزلهم جرائد في بضع عشرة كردوساً ولزموا ذلك ايَّاماً يرومون ان يخرجوا اليهم فلم يظهروا للحرب ولازم بعضهم (102r) بعضاً الفارس والراجل في مكان واحدٍ لا يظهر منهم شخصٌ وجعل الاتراك يحملون عليهم فيصيبون منهم بالنشَّاب ما يقرب منهم ويمنعون الميرة والعلوفة عنهم وقد احدقوا بهم كالنطاق وهالة بدر الافاقِ فاشتدّ الامر بهم فرحلوا عن منزلهم في ثلثة ايَّام تقدير فرسخ عائدين. فلمَّا كان الليل قصدوا الجبل الذي كانوا اوَّلًا عليهِ مُلتجئين اليهِ ومحتمين بهِ وواظب المسلمون قصدهم والتلهُّف على ما يفوت منهم ومن غنائمهم بالاستمرار على الاحجام عن ظهورهم على ان مقدّمي العسكر يمنعونهم من التسرُّع اليهم والاقدام في منزلهم عليهم ويَعِدونهم بفُرصةٍ تنتهز فيهم. فطال امدُ المقام وضاقت صدورُ اصحاب مودود لبعد ديارهم وتأَخُّر عودهم وتعذُّر اوطارهم فتفرّق اكثرهم وعادوا الى بلادهم فاستأْذن اخرون في العود فاذن لهم وعزم مودود على المقام بالشام والقرب من العدوّ ينتظر ما يصلهُ من الامر السلطاني والجواب عمَّا انهاهُ وطالع بهِ فيعمل بحسبه. ولم يبقَ في بلاد الافرنج مسلم الَّا وانفذ يلتمس الامان من اتابك وتقرير حاله ووصل اليهِ بعض ارتفاع نابلس ونُهبت بَيسان ولم يبقَ بين عكَّا والقدس ضيعة عامرة والافرنج على حالهم في التضييق عليهم والحصر لهم على الجبل. واقتضى الرأي عود اتابك ومودود فعادا الى دمشق في الحادي والعشرين من شهر ربيع الاوَّل

سنة ٥٠٧ ونزل مودود في حجرة الميـــدان الاخضر وبالغ اتابك في اكرامه واحترامه واعظامه بما يجد اليهِ السبيل وتأكّدت المودّة بينهما والمصافاة وتولّى خدمته بنفسه وخاصّته وواصلا صلاة الجمعة جميعاً في مسجد الجامع بدمشق والتبرّك بنظر المصحف الكريم الذي كان حملهُ عثمان بن عفّان رضي الله عنه من المدينـــة الى طبريّة وحملهُ اتابك من طبرية الى جامع دمشق (١

سنة سبع وخمسمائة

قد ذكرنا ما ذكرناهُ من الحوادث في سنة ٥٠٦ وسياقة الامر الى اوئل سنة ٥٠٧ رغبةً في صلة الحديث ورغبةً عن قطعهِ. ولمّا كان يوم الجمعة الاخيرة من شهر ربيع الاخر سنة ٥٠٧ دخل (102[v]) الامير مودود من مخيّمه برج باب الحديد الى الجامع على رسمه ومعه اتابك فلما قُضيت الصلاةُ وتنفّل بعضها مودود وعادا جميعاً واتابك امامه على سبيل الاكرام لهُ وحولهما من الديلم والاتراك والخراسانيّـــة والاحداث والسلاحية بانواع السلاح من الصوارم المرهفة والصمصامات الماضية والنواحل المختلفة والخناجر المجرّدة ما شاكل الاجمة المشتبكة والغيضة الآشبة والناس حولهما لمشاهدة زيّهما وكبر شأنهما فلمّا حصلا في صحن الجامع وثب رجل من بين الناس لا يؤبهُ لهُ ولا يُحفل بهِ فقرب من الامير مودود كانهُ يدعو لهُ ويتصدّق منهُ فقبض بند قبائه بسرعةٍ وضربهُ بخنجره أسفل سُرّتهِ ضربتين احداهما نفذت الى خاصرته والأخرى الى فخذه هذا والسيوف تأخذهُ من كل جهةٍ وضُرب بكل سلاحٍ وقطع رأسه ليُعرف شخصه فما عُرف وأُضرمت لهُ نار فأُلقي فيها. وعدا اتابك خطوات وقت الكائنـــة واحاط بهِ اصحابه ومودود متماسك يمشي الى ان قرب من الباب الشمالي من الجامع ووقع فحُمل الى الدار الاتابكية واتابك معهُ ماشٍ واضطرب الناس اضطراباً شديداً وماجوا واختلفوا ثم سكنوا بمشاهدتهم لهُ يمشي وظنّوا بهِ السلامة وأُحضر الجرائحي فخاط البعض وتوفّي رحمه الله بعد ساعات يسيرة في اليوم المذكور فقلق اتابك لوفاته على هذه القضيّة وتزايد حزنه وأسفه وانزعاجه وكذلك سائر الاجناد والرعيّة وتألّموا لمصابهِ وزاد التأسّف والتلهّف عليهِ وكُفّن ودُفن وقت صـــلاة العصر من اليوم في

---

١) وفي تاريخ الاسلام ان في سنة ٤٩٢ نقل الاتابك طغتكين من طبريّة المصحف العثماني خوفاً عليهِ الى دمشق وخرج الناس لتلقّيه فاقرّه في خزانة بمقصورة الجامع

مشهد داخل باب الفراديس من دمشق وكل عين تشاهده باكية والمدامع على الوجنات جارية . وشرع اصحابه في التأهب للعود الى اماكنهم من الموصل وغيرها من البلاد وتقدَّم اتابك باطلاق ما يستدعونهُ لسفرهم واستصحبوا معهم اثقــاله وجواهره (١ وماله

وقد كانت سيرته في ولايته جائرةً وطريقته في رعية الموصل غير حميدة وهرب خلق كثير من ولايته لجوره فلمَّا بلغه تغيُّر نيَّة السلطان فيه عاد عن تلك الطريقة وحسُنت افعاله وظهر عدله وانصافه واستأنف ضدَّ ما عُرف منهُ وسُمع (103آ) عنه ولزم التديُّن والصــدقات والامر بالمعروف والنهي عن المنكر المكروه فشاعت بالجميل اخبارُهُ وبحُسْن الارتضاء آثارهُ ثم توفّي سعيداً مقتولًا شهيداً ولم يزل مدفونًا في ذلك المشهد مخدوم القبر بالقوَمة والقراءة الى اخر شهر رمضان من السنة ووصل من عند ولده وزوجته من حمل تابوته اليهما

وفي هذه السنة ورد الخبر من بغداد بوفاة الفقيه الامام ابي بكر محمد بن احمــد الشاشي رحمه الله ببغــداد يوم السبت الخامس والعشرين من شوَّال منها وقد انتهت الرئاسة اليه على اصحاب الشافعي ودُفن في تربة شيخه ابي اسحق الشيرازي رحمه الله

قد تقدَّم من ذكر ما كان من نوبة صور وانتقال ولايتها الى ظهير الدين اتابك واستنابته مسعوداً في حفظها وحمايتها وتدبير امرها وانفاذ رسوله الى الافضل بشرح حالها ولم يزل الرسول المسيَّر الى مصر مقيماً بها الى ذي الحجة من سنة ٥٠٦ وظهر للافضــل صورة الحال فيها وجليَّةُ الامر بها واعاد الرسول بالجواب الجميل وان : « هذا امرٌ وقع منَّا اجمل موقع واحسن موضع » واستصواب رأْي ظهير الدين فيما اعتمده وإحماد ما قصدهُ . وتقدَّم بتجهيز الاسطول اليها بالغلَّة والميرة ومال النفقة في الاجناد والعسكرية وما يُباع على الرعية من الغلَّات ووصل الاسطول بذلك الى صور (ومقدّمه شرف الدولة بدر بن ابي الطيب الدمشقي الوالي كان بطرابلس عند تملّك الافرنج لها) في اخر صفر سنة ٥٠٧ بكل ما يحتاج اليه فرخصت الاسعار بهــا وحسنت حالها واستقام امرها وزال طمع الافرنج فيها . ووصل في جملته خلع فاخرة من طرف مصر برسم ظهير الدين وولده تاج الملوك بوري وخواصه ولمسعود الوالي المستناب بها واقام الاسطول عليها الى ان استقام الريح لهُ فاقلع عنها في العشر الاخير من شهر ربيع الاوَّل منها . وارسل بغدوين الملك

١) وفي الاصل : جوازهُ

الى الامير مسعود واليها يلتمس منهُ المهادنة والموادعة والمسالمة لتحسم اسباب الاذيَّة عن الجانبين فاجابه الى ذلك وانعقد الامر بينهما على السداد واستقامت الاحوال على المراد وأَمنت السابلة للمتردّدين والتجّار والسفّار الواردين من جميع (103[2]) الاقطار وتوّفي رحمهُ الله في عاشر شوال سنة ٥٠٧ وقد كان صاحب انطاكية لما فصل عن الملك بغدوين بعسكره عائدًا الى انطاكية فسح عنهُ ولد الملك تكش بن السلطان البارسلان وقصد صور وانفذ الى ظهير الدين اتابك في الوصول الى دمشق فاجابهُ بالاعتذار الجميل والاحتجاج المقبول ودفعه احسن دفع فلمّا ايسه توجَّه الى مصر ولقي من الافضل ما احبّ من الاكرام والمزيد من الاحترام والانعام واطلاق ما يعود اليهِ بصالح الحال وتحقيق الامال

وفي جمادى الاخرة وردت الاخبار من ناحية حلب بمرض عرض للملك فخر الملوك رضوان صاحبها وانهُ اقام بهِ واشتدّ عليهِ وتوفّي رحمهُ الله في الثامن والعشرين من الشهر فاضطرب امر حلب لوفاتهِ وتأَسف اصحابهُ لفقده وقيل انهُ خلف في خزانته من العين والعروض والآلات والاواني تقدير ستمائة الف دينار وتقرَّر الامر بعده لولده البارسلان وعمره ست عشرة سنة وفي كلامه حبسةٌ وتمتمةٌ وامه بنت الامير ياغي سيان صاحب انطاكية وقبض على جماعةٍ من خواصّ ابيهِ فقتل بعضًا واخذ مال بعض ودبَّر الامر معه خادم ابيه لؤلؤ فاساء كل واحدٍ منهما التدبير وقبض على اخويه ملك شاه من امّه وابيه ومبارك من ابيه وجاريةٍ وقتلهما . وقد كان ابوه الملك رضوان في مبدأ امره فعل مثل فعله بقتل اخويه من تاج الدولة ابي طالب وبهرام شاه وكانا على غاية من حسن الصورة فلمّا توفّي كان ما فُعل بولديه مكافأَة عمّا اعتمده في اخويه . وكان امر الباطنيَّة قد قوي بحلب واشتدَّت شوكتهم بها وخاف ابن بديع رئيس الاحداث بحلب واعيان البلد منهم لكثرتهم وشدّ بعضهم من بعض وحماية من يلجأ اليهم منهم لكثرتهم وكان الحكيم المنجّم وابو طاهر الصائغ اوَّل من اظهر هذا المذهب الخبيث بالشام في ايام الملك رضوان واستمالا اليهِ بالخدع والمحالات ومال اليهم خلقٌ كثيرٌ من الاسماعيلية بسرمين والجور وجبل السُّمّاق وبني عُلَيم فشرع ابن بديع رئيس حلب في الحديث مع الملك البارسلان بن رضوان في امرهم وقرَّر الامر معه على الايقاع بهم والنكاية فيهم فقبض على ابي طاهر (104[a]) الصائغ وعلى كل من دخل في هذا المذهب وهو زُهاء مائتي نفس وقُتل في الحال ابو طاهر الصائغ واسمعيل الداعي واخو الحكيم المنجّم

والاعيان المشار اليهم منهم وحُبس الباقون واستُصفيت اموالهم وشُفع في بعضهم فمنهم من أُطلق ومنهم من رُمي من اعلى القلعة ومنهم من قُتل وهرب جماعةٌ افلتوا الى الافرنج وتفرّقوا في البلاد

ودعت الملك البارسلان الحاجة الى من يدّبر امره ويثقف أَوَدهُ فوقع اختياره على ظهير الدين اتابك صاحب دمشق فراسله في ذلك والقى مقاليده اليهِ واعتمد في صلاح احواله عليهِ وسأَلهُ الوصول الى حلب والنظر في مصالحها وأَوجبت الصورة ان خرج الملك نفسه في خواصّه وقصد اتابك في دمشق ليجتمع معهُ ويؤكد الامر بينه وبينه فوصل اليهِ في النصف من شهر رمضان من السنة فلقيه اتابك بما يجب لمثله من تعظيم مقدّمه واجلال محلّه وادخلهُ الى قلعة دمشق واجلسه في دست عمّه شمس الملوك دقاق بن تاج الدولة وقام هو والخواص في خدمته وحمل اليهِ ما امكن حمله من تُحَف وأَلطافٍ تصلُحُ لمثلهِ وكذلك لجميع من وصل في صحبته واقام اَيّاماً على هذه الحال وتوجّه عائدًا الى حلب في اوّل شوال من السنة ومعهُ ظهير الدين اتابك في اكثر عسكره ووصل الى حلب واقام اَيّاماً . واشار عليهِ قوم من اصحابه بالقبض على جماعة من اعيان عسكره وعلى وزيره ابي الفضل بن الموصول وكان حميد الطريقة مشهورًا بفعل الخير وتجنُّب الشرّ ففعل ذلك واستخلص ظهير الدين اتابك من جملتهم الامير كمشتكين البعلبكي مقدّم عسكره وخالف ما في نفس اتابك من صائب الرأي ومحمود التدبير فحين شاهد الامر على غير السداد والصواب وبان لهُ فساد التدبير واختلاف التقدير رأَى ان الانكفاء الى دمشق أَصوب ما قُصِدَ وأَحسن ما أُعتمد وفي صحبته والدة الملك رضوان لرغبتها في ذلك وايثارها لهُ . ولمّا حصل في دمشق اتّصلت المراسلة بينهُ وبين بغدوين ملك الافرنج في ايقاع المهادنة والموادعة والمسالمة لتعمُرَ الاعمال بعد الاخراب وتأْمن (104v) السوابل من شرّ المفسدين والخُرّاب فاستقرّت هذه الحال بينهما واستحلف كل واحد منهما صاحبه على الثبات والوفاء واخلاص المودّة والصفاء وأَمنت المسالك والاعمال وصلحت الاحوال وتوفّر الاستغلال

وفي هذه السنة ورد الخبر من شيزر بان جماعةً من الباطنيّة من اهل افاميَة وسرمين ومعرّة النعمان (ومعرّة) نصرين في فصح النصارى وثبوا في حصن شيزر على غفلةٍ من اهله في مائة راجلٍ فملكوه واخرجوا جماعةً واغلقوا باب الحصن وصعدوا الى القلعة فملكوها وابراجها وكان بنو منقذ اصحابها قد خرجوا لمشاهدة عيد النصارى وكان هذا امرٌ قد

رُتب في المدّة الطويلة وقد كانوا احسنوا الى هؤلاء المُقدمين على الفساد كل الاحسان فبادر اهل شيزر قبل وصولهم الى الباشورة ورفع الحرم بالحبال من الطاقات وصاروا معهم وادركهم الامراء بنو منقذٍ اصحاب الحصن وصعدوا اليهم وكبّروا عليهم وقاتلوهم حتى الجأوهم الى القلعة فخذلوا وذلّوا وهجموا اليهم وتكاثروا عليهم وتحكّمت سيوفهم فيهم فقتلوهم باسرهم وقتل كل من كان على رأيهم في البلد من الباطنية ووقع التحرُّز من مثل هذه الحال

سنة ثمان وخمسمائة

في هذه السنة ورد الخبر من ناحية حلب بان بابا المعروف بلؤلوء الخادم اتابك الملك تاج الدولة البارسلان ولد الملك رضوان صاحب حلب عمل عليهِ وواطأ جماعةً من اصحابه على الايقاع بهِ والفتك بهِ عند وجود الفرصة متسهّلة فيهِ فحين لاحت لهم وثبوا عليهِ فقتلوه في داره بقلعة حلب واضطرب الامر بعده وقد كان تدبيره لنفسه وعسكريته ورعيته سيئًا فاسدًا لا يُرجى لهُ صلاحٌ ولا اصلاحٌ فمضى لسبيله غير مأسوف عليهِ ولا محزون لفقده . وفيها توفّي الشريف نسيب الدولة ابو القسم علي بن ابرهيم بن العبّاس بن الحسن الحسيني رحمه الله في ليلة الاحد الرابع والعشرين من شهر ربيع الاخر ودُفن بعد صلاة الظهر في التربة الفخريّة بدمشق (١ . (105^r) وفي هذه السنة حدثت بالشام زلزلة عظيمة ارتجّت لها الارض واشفق الناس وسكنت فسكنت لها النفوس بعد الوجيب والقلق وقرّت القلوب بعد الانزعاج والفرق

وفي هذه السنة نزل الامير نجم الدين ايل غازي بن ارتق على حمص وفيها خيرخان ابن قراجا وكان عادة نجم الدين اذا شرب الخمر وتمكّن منهُ اقام منهُ عدّة ايام مخمورًا لا يُفيق لتدبير ولا يُستأمر في امرٍ ولا تقرير وقد عرف خيرخان منهُ هذه العادة المستبشعة والغفلة المستبدعة فحين عرف انهُ على تلك القضيّة خرج من قلعة حمص في رجاله وكبسه في مخيّمه وانتهز الفرصة فيه وقبض عليه وحمله الى حمص وذلك في شعبان منها وضاق صدر ظهير الدين اتابك لما انتهى الخبر بذلك اليهِ وكاتب خيرخان بالانكار عليه والاكبار لما اجرى عليه وتغيّرت نيّته فيه واقام ايامًا في اعتقاله الى ان اطلقه وخلّى سبيله

١) وقال تقيّ الدين ابن قاضي شهبة في منتقى العبر المنتخب من كتاب العبر للحافظ الذهبي : انهُ صاحب الاجزاء العشرين التي خرّجها لهُ الخطيب (يعني الحافظ ابن عساكر)

وفيها وردت الاخبار من ناحية الافرنج بهلاك ملكهم بغدوين بعلّة هجمت عليهِ مع انتقاض جُرحٍ كان اصابهُ في الوقعة الكائنة بينهُ وبين المصريين فهلك بهـا وقام مقامه من بعده من أرتُضيَ بهِ . وفيها توفّي الشيخ ابو الوحش سُبَيع بن مسلم الضرير المعروف بابن قيراط المقري المجود بالسبعـة رحمهُ الله في يوم السبت الحادي عشر من شعبان منها ودُفن بباب الصغير بين قبور الشهـداء رضي الله عنهم وكان ملازماً لجامع دمشق يقرأ الى ان توفّي على حسن طريقه

سنة تسع وخمسمائة

في هذه السنة قويت شوكة الافرنج في رفنية وبالغوا في تحصينها وتشحّنها بالرجال وشرعوا في الفساد والتناهي في العناد فصرف ظهـير الدين همّه الى الكشف عن احوالهم والبحث عن مقاصدهم في اعمـالهم وترقّب الفرصة فيهم ومعرفة الغرَّة منهم وتقدَّم الى وجوه العسكر ومقدّميه بالتأهّب والاستعداد لقصد بعض الجهات لاحراز فضيلة الجهاد والنهوض (105^v) لامرٍ من المهمّات ثم اسرى اليهم مغذّاً حتى ادركهم وهم في مجاثمهم غارّون وفي اماكنهم لاهون قارّون فلم يشعروا الّا والبـلاء قد احاط بهم من جميع جهاتهم فهجمت الاتراك عليهم البلد فملكوه وحصل كل من كان فيهِ في قبضة الاسر وربقة الذل والقهر فقُتل من قُتل وأُسر من أُسر وغنم المسلمون من سوادهم وكُراعهم واثاثهم ما امتلأت بهِ الايدي وسرّت بهِ النفوس وقويت بمثله القلوب وذلك في يوم الخميس لليلة خلت من جمادى الاخرة من السنة وانكفأ المسلمون الى دمشق ظافرين مسرورين غانمين لم يُفقد منهم بشرٌ ولا عُدم شخص ومعهم الاسرى ورؤوس القتـلى فأُطيف بهم في البلد بحيث تضاعف بمشاهدتهم السرور وانشرحت الصدور وقويت من الجند في الجهاد والغزو الظهور . ولمّا شاع ذكر ظهير الدين اتابك في الاعمال العراقيـة والدركاه السلطانية بما اعطاه الله من شدَّة البأس في محاربة الافرنج الارجاس ومنحه من النصر عليهم والنكاية فيهم والذبّ عن اهل الشـام ومراماته دونهم ومحاماته عنهم واحسان السيرة فيهم بحيث دُعي لهُ في محافل الرعايا والتجّار وشُكر بين الرفق من سفّار الاقطار فحسده قوم من مقدّمي الدركاه السلطانية الغيـاثية وراموا القدح فيهِ والطعن عليهِ طلباً لافساد حاله واعتماداً لعكس اماله وحطّاً لرتبته بالحضرة السلطانيّة وتشعيث الاراء الجميلة الغياثية وظهر الامر بذلك وانتشر وشاع من كل صوب واشتهر وكتب

اليهِ بذلك من يُؤثّر صلاحه من الاصدقاء ويشفق عليه فاحدث ذاك له استيحاشاً دعاه الى التأهب والاستعداد لتوجّه ركابه الى الباب الامامي المستظهري والبـاب السلطاني الغياثي بمدينة السلام بغداد للمتوَلي بهما والخـدمة لهما والتقرّب بالسعي اليهما وانهاء حاله اليهما وازالة ما وقع في النفوس كائنهُ بالقدوم عليهما. وأشير عليهِ بترك ذلك واهماله وحُذر منهُ وبعث على اغفاله فلم يصحّ الى هذا المقال ولا اعاد على احدٍ جواب سؤالٍ بل تأهب للمسير وبالغ في الجدّ فيهِ (106[r]) والتشمير واعدّ ما يصحبه من انواع التُّحَف المستحسنة من اواني البلّور والمصـاغ واجناس الثياب المصرية والخيول السُّبَّق العربيّة ممَّا يصلح ان يتقرّب بمثله الى تلك المناصب العليَّة وسار في خواصّه واهل ثقتـه من غلمانه في يوم الاحد لستّ بقين من ذي القعدة من السنة

فلمَّا قرب من بغداد وأُنهي خبر وصوله تلقَّاه من خواص الدار العزيزة النبوية المستظهريَّة والدركاه السلطانية الغياثية ووجوه الدولة واعيان الرعيـة من بالغ في اكرامه وتنـاهى في احترامه وقوبل من ذاك وما زاد في مسرَّة اوليائه والفتّ في اعضاد حُسَّاده واعدائه واوضح حاله فيما قصـد لاجله فما سمع الّا ما عاد ببسط عذره واحماد فعله واطراء امره وتطييب نفسه وابعاد استيحاشه وتأكيد انسه. وحين عزم على الانكفاء الى دمشق وأُذن لهُ في ذلك شُرّف بالخلع السنيّة والكرامات الهنيَّة وكتب لهُ المنشور العـالي السلطاني الغياثي بولاية الشام حرباً وخراجاً واطلاق يده في ارتفاعه على ايثاره واختياره بانشاء الطغرائي ابي اسمعيل الاصفهاني (١ وهو اذ ذاك فريد زمانه في الكتابة والبلاغة ووحيد عصره في الآداب والبراعة وقد اثبتُّ نسخته في هذا المكان ليعرف الواقف عليهِ فضل مُنشئه وعلو مرتبة من كُتب لهُ واحسن وصفه فيه وهو: بسم الله الرحمن الرحيم: هذا منشورٌ امر بانشائه السلطان المعظم غياث الدنيا والدين اطال الله بقاءه واعزّ اولياءه ونصر لواءه للامير الاصفهسلّار الاجلّ الكبير ظهير الدين اتابك ادام الله تأييده لمَّا بان تمسُّكه من الطاعة باحكم علائقها واعتصامه من الخدمة باوكد وثائقها وانتهاجه من المشايعة اقوم مسالكها واعتماده افضل طرائقها

---

١) هو الحسين بن علي بن محمد صاحب قصيدة لاميَّة العجم توفّي سنة ٥٠٤ وقال سبط ابن الجوزي في ترجمته: انهُ جدّ وزير الظاهر غازي بن صلاح الدين الذي اسمه محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين الطغرائي

واجلت التجارب منهُ عين الناصح الاريب والمهذّب اللبيب المتــدرّج في مراقي الرُتب السنية بالمساعي الرضيّة والمحرز احاظي القُرب الخطيرة بالاثار الشهيرة المشهورة موافقــة في قود الجماهير العظام والذبّ عن حوزة الاسلام والتجرُّد لمظافرة الاولياء ومقارعة الاعداء والاستقــلال (106^٧) بعضلات الاعباء الجامع الى خصائص هذه الاسباب والالمام بخدمة الابواب والتحقّق بزمر الحشم والاصحاب المستقلّ بنصحه المنخول بولائهِ المقبول ووسائلهِ المشفوعة توالدها بالطوارف وشوافعــه المنصورة سوالفها بالاوانف ان يزاد في الانافة بقدرهِ والاشادة بذكرِهِ ويستخلص تحلية صدره بتفخيم امره وتجدّد الصنيعة عنده بما يكون لواجب حقوقه قضــاء ولمصالح مساعيهِ كفاء ولمحلّهِ المرموق لائقاً ولموضعــهِ من الدولة مُضاهياً مُطابقاً فرأيناهُ أَحقّ من أُفيضت عليــهِ ملابس الانعام وحُبيَ من الكرامة باوفر الاقسام ورُفِعَ من مراتب الاجتباء والاختصاص الى الذروة والسنام ورُشح لكفاية المهام وتدبير الامور الجسام وأُوطئ عقبة الكُماة الانجاد وردّ الى ايالتهِ الامصار والاجناد رسمنا ان نجدّد لهُ هذا المنشور بامارة الشام وتقرّر عليه جميع ما دلّت عليــهِ المناشير المنشأة المتضمّنة لاسامي البلاد الموجبة لهُ صارّة رسمه معها يجري معها ويضاف اليهــا من النواحي والضياع والحصون والقلاع حسب ما أُورد ذكره مُفصّــلًا في هذا المثال وجعلناها نعمةً مصونةً من الارتجاع وطعمةً محميّةً من الانتزاع قلدناه في عامّة تلك البقاع اعمال الحرب والمعــاون والاحداث والاخرجة والاعشار وسائر وجوه الجبــايات ⁽¹⁾ والعروض والاعطاء والنفقة في الاولياء والمظالم والاحكام وسائر المستظهر عليه بنظر الولاة الكفاة والنصحــاء الثقاة رعايةً لحقوقهِ اللازمة ومُحافظةً على اذمّتهِ المتقادمة وثقةً منهُ باستدامة النعمة وارتباطهــا بالتوفّر على شرائط الخدمة واستدعاء مزيد الاحسان واستيفــاء عوائد الاصطناع بدوام النصح وفضل الاستقلال والاضطلاع والله تعــالى يُجرينا على احسن عوائده باصابة شاكلة الصواب في اختيار الاوليــاء ويلهمنا الرشد في مرامي الافكار ومواقع الاراء. ولا يخلينا في اصطفــاء من يصطفيه واجتباء من يجتبيه من مساوقة التوفيق لما نزتادهُ ونرتنيهِ امرناه بتقوى الله وطاعتــه واستشعار خيفته ومُراقبتــه (107^٢) والالتجاء منها الى الحصن الامنع والظلّ الامتع والاستظهار منها بالذخر الاتقى والحرز الاوقى والاحتراس من هواجس الهواء باعتلاق عُروتهــا الوثقى وادّراع شعارها الاتقى.

---

(١) وفي الاصل: الجنايات

قال الله تعالى: يا أَيُّها الذينَ آمنوا إنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكمْ فُرقانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّآتِكُمْ وَيَغفِرْ لَكمْ وَاللهُ ذو الفضلِ العظيم (١. وامرناه ان يسير فيمن قبله من الاولياء والحشم اجمل سيرة ويحملهم بحسن السياسة على افضل وثيرة ويسلكهم مسلكًا وسطًا بين اللين والخشونة والسهول والوعورة ويشعر قلوبهم من الهيبة ما يقبض المتبسّط ويردع المتسلّط ويردّ غَرْب الجامح ويقيم صعر الجانح ويخصّ منهم ذوي الرأي والحنكة والثبات والمسكة بالمشاورة والمباحثة ويستخلص مخائل صدورهم عند طروق الحوادث بالمفاوضة والمنافثة ويستعين بثمار البابهم ونتائج افكارهم على دفاع الملمّ وكفاية المهمّ ويتناول سفهاءهم وذوي العيث والفساد منهم بالتقويم والتهذيب والتعريك والتأديب ويردّهم عن غلوائهم بالقول ما كفى واحرز النصح ما اجدى واغنى ومن زاده الاناة والحلم والاحتمال والكظم تماديًا في العدوان وتتابعًا في الطغيان عركه عرك الاديم وتجاوز بهِ حدّ التقويم الى التحطيم متيقّنًا ان اعطاء كل طبقةٍ ممّن تشمله رعايته وتكنفه ايالته حقها من قوانين السياسة ارهاقًا لبصيرة القارح المتمسك وكفًّا لغرب الحرج المتهالك. قال الله تعالى: « وَإمّا تخافنَّ مِنْ قومٍ خيانةً فانْبِذْ إلَيهِم على سَواءٍ إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الخائنينَ (٢ » وأمرناهُ ان يوكّل بامر الثغور المتاخمة لاعماله والمصاقبة لبلاده عينًا كالئةً واذنًا واعيةً وهمّةً للصغير والكبير في مصالحها مُراعية فيشحنها بذوي البأس والنجدة المذكورين بالبسالة والشدّة المعروفين بالصريمة والغناء والصبر عند اللقاء والبصيرة بمكابدة الاعداء ويستظهر لهم باستجادة الاسلحة والآلات والاستكثار من الميرة والاقوات ويُناوب بينهم في مقارّهم مناوبةً تجمّ المكدود وتريح المجهود وتدرّ عليهم الارزاق عند (107ᵛ) الوجوب والاستحقاق ليقوم أَوَدهم ويقلّ لَدَدهم ويحسن طاعتهم وتلين مقادتهم ويكثف عددهم وعدّتهم ويشتدّ على الاعداء شوكتهم ويغيظ الكفاء ورُبهم وشاذبهم. قال الله تعالى: «وأَعِدُّوا لهم ما استطعتم من قوّةٍ ومِنْ رباطِ الخيلِ تُرْهبونَ بهِ عَدُوَّ اللهِ وعدُوَّكمْ (٣» وامرنا ان يأخذ نفسه واصحابه بالثبات والصبر عند قراع السيوف بالسيوف وذلوق الزحوف بالحروف ويرخصوا انفسهم في ابتغاء مرضاهُ والذبّ عن حوزة الدين والمحاماة عن بيضة الاسلام والمسلمين ويحتاط مع ذلك لنفسه واصحابه ولا يقدم بهم على غررٍ ولا يفسح لهم في ركوب

1) Qur. VIII, 28. 2) Qur. VIII, 60.
3) Qur. VIII, 62.

خطر الّا بعد الاخذ بالحزم واستعمال الرفق في الحذر ويكون اقدامهم على بصيرة تآمّة لا تقتحم معها غرّة ولا تضاع فرصة ولا يُحجمون اذا احمرّ الناس واشتد المراس عن تورّد المعركة ولا يلقون بانفسهم اذا حمي الوطيس والتقى الخميس بالخميس الى التهلكـة . قال الله جلّ وعلا : « وجاهِدوا في اللهِ حقّ جِهادِهِ (١) » وامرناه ان يصل جناح ضمانهِ بالوفاء ويشدّ اركان عهدهِ بالثبات ويصون ذمّته عمّا يحفزها ويشفق عليهـا ممّا يُحيلها ويغيرها ويذهب مع دواعي الصدق ويصير على تكاليف الحق ولا يروّع لهم سربًا أمَّنَهُ ولا ينقض شرطاً ضَمِنَهُ ولا ينكث عهدًا ابرمهُ ولا يخلف وعدًا اقدمهُ ولا يتجافى عمن يلوذ بعقوته ولا يأبى قبول السلم ممّن اتّقى بصفحتهِ . قال الله تعالى : « وأوفوا بالعهـدِ إنّ العهدِ كانَ مسؤولًا (٢) » . وقال جلّ من قائل : « وَإِنْ جَنحوا للسَّلْمِ فاجنحْ لها (٣) » وامرناه ان يَعمّ رعاياه القارّة والمارّة بالامن العائد عليهم بسكون الجأش وسعة المعاش ويحوطهم في مُتوجّهاتهم ومتصرّفاتهم حياطةً تكنفهم من جميع جهـاتهم ويحمي نفوسهم وذراريّهم واموالهم ومعائشهم حمايةً تردّ كيد الظالم وتقبض يد الغارم وتخرج ذوي الريب من مظـانّهم وتحول بينهم وبين عدوانهم وتجري حكم الله فيهم وتقيم حدّه على من سفك فيهم دماء وانتهك محرمًا او اظهر شقاقًا وعنادًا او سعى في الارض فساد . قال الله تعالى : « إنّما جَزَاءُ الّذينَ يُحارِبونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعُونَ في الأَرضِ فَسادًا أَنْ يُقتّلوا أَو يُصلّبُوا أَو يُقطّعَ أَيديهِمْ وأَرجُلهِمْ مِنْ (108a) خِلافٍ أَو يُنفَوْا مِنَ الأَرضِ ذلكَ لهمْ خِزْيٌ في الدُّنيا ولهم في الآخرةِ عَذابٌ عظيمٌ (٤) » وامرنا ان ينظر في اموال الرعايا اتمّ نظر واوفاه ويسئل عن ظلاماتهم ابلغ سؤال واحفاه ويستنّ بالسنّة العادلة فيهم ويمنع اقوياهم عن تهضّم مستضعفيهم ويحمل من تحت يده على التعادل والتناصف ويصدّهم عن التعاصب والتظالم ويقرّ الحقوق مقارّها عند وضوح الحجّة وارتفاع الشبهة ويختـار لهم من العمّال والولاة أسدّهم طرائق واقومهم مذاهب واحمدهم خلائق ويأمر كلاًّ منهم ان لا يغـير عليهم رسمًا ولا ينوي لهم حقًّا ولا يسومهم في معـاملاتهم خسفًا ولا يحدث عليهم من بدع الجور رسمًا ولا يرتكب منهم ظلمًا ولا يأخذ منهم برًا باثيم ولا برءا بسقيم ويقنـع منهم في اخرجاتهم ومقاساتهم وقسوطهم ومقاطعاتهم بالحقوق المستمرّة ويحملهم في العـدل على الفوائد المستقرّة ويستقرئ آثار

1) Qur. XXII, 77. 2) Qur. XVII, 36.

3) Qur. VIII, 63. 4) Qur. V, 37.

الولاة قبله فما طاب منها وحسن اقتفاوُهُ اقتفره وما ذُمّ منها واستنكره اماطه وغيّره . ويعتقد انهُ مسؤول عمّا اكتسب واجترح ومحاسَبٌ على ما افسد واصلح . قال الله تعالى : « وأَنْ ليسَ لِلإِنسانِ إِلّا ما سَعَى وأَنَّ سَعيهُ سَوفَ يُرَى ثُمَّ يُجزاهُ الجزاءَ الأَوْفَى(١) » فليتلقّى هذه النعمة الكبيرة والعارفة الخطيرة باعظام قدرها والقيــام بواجب شكرها وليتحقّق انها قاطنة بفنائه ما احسن جوارها بخالصة نصحه وولائه وباقية عليه على عقبه ما عملوا باحكام هذا العهد وغنوا بتأكيد اسبابه واعلنوا بشعــار الدولة واستمرّوا على السنّة المألوفة في اقامة الخطبــة والسكّة وعسكوا بولاء الدولة العبّاسيّة التي هي سُنّةٌ متّبعةٌ وما عداها ضلالة مبتدعة وجاهدوا في الله حق جهاده واحسنوا السيرة في عباده وبلاده والله تعالى يمدّنا واياه في هذا الرأي الذي رأيناه ويزلف من رضاه يحمد فاتحته وعقباهُ ان شاء الله تعالى وكتب في المحرّم سنة ٥١٠

وتوجّه منكفئًا الى دمشق على اجمل صفةٍ واحسن قضيّة في سلامة النفس والجملة وتزايد العزّ والحرمة ودخلها في يوم الاثنين (108ᵛ) لثلث عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول سنة ٥١٠

سنة عشر وخمسمائة

في هذه السنة ورد الخبر بان بدران بن صنجيل صاحب طرابلس قد جمع وحشــد وبالغ واجتهد ونهض الى ناحية البقاع لاخرابه بالعيث والفســاد والاضرار والعناد وكان الاصفهسلّار سيف الدين البرسقي صاحب الموصل قد وصل الى دمشق في بعض عسكره لمعونة ظهــير الدين اتابك على الافرنج والغزو فيهم وبالغ اتابك في الاكرام له والتعظيم لمحلّه . وصادف ورود هذا الخبر بنهضة الافرنج الى البقاع فاجتمع رأيهما على القصــد لها جميعًا وأغذّا السير ليلًا ونهــارًا بحيث هجموا عليهم وهم غارّون في مخيـمهم قارّون لا يشعرون فارهقهم العسكر فلم يتمكّنوا من ركوب خيلهم ولا اخذ سلاحهم فمنحهم الله النصر عليهم واطلقوا السيف فيهم قتـلًا واسرًا ونهبًا فاتوا على الراجل وهم خلقٌ كثير قد جمعوا من اعمالهم واسروا وجوه فرسانهم ومقدّميهم واعيان شجعانهم وقتـلوا الباقين منهم ولم يفلت منهم غير مقدّمهم بدران بن صنجيل والمقدّم كند اصطبل ونفر يسيرة معهما ممن نجا بهِ جواده وحماه أجلهُ واستولى الاتراك على العُـدد الجمّة والخيول

---

1) Qur. LIII, 41.

والكراع والسواد. وذكر الحاكي المشاهد العارف ان المفقود المقتول من الافرنج الخيَّالة والسرجندية الرجالة والنصارى الخيالة والرجالة في هذه الوقعة ما يزيد على ثلثة آلاف نفس

وعاد ظهير الدين اتابك وسيف الدين (اق) سنقر البرسقي في عسكريهما الى دمشق مسرورين بالظفر السني والنصر المهني والغنائم الوافرة والنعم المتوافرة فلم يفقد من العسكرين بشرٌ ولا اصابهم بؤسٌ ولا ضرر ووصلا البلد بالاسرى ورؤوس القتلى وخرج الناس من البلد لمشاهدتهم واستبشروا بمعاينتهم وسرُّوا بنظرهم سروراً واصلوا معه حمد الله مولى النصر ومانح القهر وشكروهُ تعالى على ما سنَّاه من الاستظهار المبين بالاستعلاء المشرق الجبين. واقام اق سنقر البرسقي اياماً بعد ذلك وتوجَّه (109r) عائداً الى بلده بعد استحكام المودَّة بينه وبين ظهير الدين والمصافاة والموافقة على الاعتضاد في الجهاد متى حدث امرٌ او حزب خطبٌ. وقد كان في هذه السنة وردت الاخبار قبل عود ظهير الدين من العراق بالكائنة الحادثة من الباطنيَّة في الدركاه السلطانيَّة وقتلهم الامير احمديل فيها في المحرَّم منها مع وجاهته وتزايد حشمته ووفور عدّته واكثر الناس التعجُّب من هذا الاقدام المشهور والفعل المذكور ولله عاقبة الامور

وفيها وردت الاخبار من ناحية حلب بقتل لؤلؤ الخادم الذي كان غلب امره فيها وعمل على قتل ولد مولاه الملك البارسلان بن رضوان في ذي الحجَّة منها بامر دبَّره عليهِ اصحاب الملك المذكور

سنة احدى عشرة وخمسمائة

في هذه السنة توّفي السلَّار بختيار شحنة دمشق ونائب ظهير الدين في توّلي امر البلد وسياسة الرعية بعللٍ اختلفت عليهِ وطالت بهِ الى ان قضي نحبه رحمه الله في ليلة النصف من شعبان منها فاحزن ظهير الدين فقده واهمّه المصاب بهِ وتأسَّف اكثر الناس عليهِ لانهُ كان عفيفاً في افعاله غير معترض لخمرٍ غنيّ الحال والنفس معيناً لمن يقصدهُ في دفع مظلمةٍ وانقاذ من شدَّةٍ جميل المناب فيما يعود بصلاح الرعية والبعث على العمل بالعدل والسويّة واقيم ولده السلَّار عُمَر في منصبه فاقتفى اثاره في اشغاله وحذا مثاله في اعماله

وفيها وردت الاخبار من ناحية العراق بوفاة السلطان غياث الدنيا والدين محمد بن ملك شاه باصفهان رحمه الله بعلّة حدثت بهِ وطال مقامها عليهِ الى ان توّفي في الحادي

عشر من ذي الحجة منها وقام مقامه في السلطنة ولده محمود واستقام له الامر واستقرّت على صلاح الحال

وفيها وردت الاخبار من ناحية حلب بان الاصفهسلار يارقتاش الخادم متولّي اصفهسلاريّة حلب هادن الافرنج ووادعهم وسلّم اليهم حصن القُبّة. وقيل ان الامير اق سنقر البرسقي خرج من الرحبة في عسكره وقصد حلب ونزل عليها طامعاً في تملّكها فلم يتسهّل له ما امّل ورحل (109[٧]) عنهـا عائدًا الى الموصل. وورد الخبر ايضاً بان الاصفهسلار يارقتاش المقدّم ذكره أُخرج من قلعة حلب وردّ امر الاصفهسلاريّة والنظر في الاموال الى الامير ابي المعالي (المحسن) بن الملحمي العارض الدمشقي ودبّر الاشغال بها والاعمال فيها. وفي النصف من المحرّم منها هجمت الافرنج على ربض حماة في ليلة خسوف القمر وقتلوا من اهلها تقدير مائة وعشرين رجلًا

وورد الخبر بهلاك دوقس انطاكية. وفي المحرم منهـا وصل الامير نجم الدين ايل غازي بن ارتق في عسكره الى حلب وتولّى تدبير امرها مدّة صغر وفسد عليه ما اراده فخرج منها وبقي ولده حسام الدين تمرتاش. وفيها وردت الاخبار من القسطنطينيـة بموت متملّك الروم الكرانكس (١ وقام في الملك بعده ولده يوحنّا واستقـام له الامر وعمل بسيرة ابيه. وفيها وردت الاخبار بهلك بغدوين ملك الافرنج صاحب بيت المقدس بعلّةٍ طالت بهِ وكانت سبب هلاكه في ذي الحجة منها وقام بعده في الامر كندهو (كندهري) الملك

سنة اثني عشرة وخمسمائة

في هذه السنة شاعت الآثار والاخبار من ناحية الافرنج بطمعهم في المعاقل والبلاد واجماعهم على قصدها بالعيث والافساد لغفلة الاسلام عن قصدهم بالغزو والجهاد وانهم قد شرعوا في التأهب لهذه الحال والاستعداد وكاتب ظهير الدين اتابك ارباب الجهات والمناصب وبعثهم على التعـاوُن على دفع شرّ الملاعين بالتوازر والتواظب. وورد الخبر بتوجه الامير نجم الدين ايل غازي الى دمشق في عسكره للاجتماع مع ظهـير الدين اتابك على اعمال الرأي في التدبير والتشاور في العمل والتقرير هذا بعد ان راسل طوائف التركمان بالاستدعاء لاداء فريضة الجهاد والتحريض على الباعث لذلك والاحتشاد. ووصل

---

١) وفي الكامل لابن الاثير اسمهُ: «الكزايكس»

الامير المذكور الى دمشق من حلب في بعض اصحابه وخواصّه واجتمعا وتعاهدا وتعاقدا على بذل المكنة والاجتهاد في مجاهدة الكفرة الاضداد وطردهم عن الافساد في هذه المعاقل والبلاد ووقع الاتفاق بينهما على الامير (110ᴿ) نجم الدين ايل غازي بن ارتق والي ماردين لانجاز امره وجمع التركمان من الاعمال وحضّهم على النكاية في اخراب الشرك والضلال واقتضت الاراء مصير الامير ظهير الدين معه لتأكيد الحال وتسهيل الامال وسارا في العشر الاول من شهر رمضان سنة ٥١٢. وعاد ظهير الدين عنهُ بعد ان قرّرا مع طوائف التركمان صلاح احوالهم والتأهب للوصول الى الشام بجموعهم الموفورة وعزائمهم المنصورة في صفر سنة ٥١٣ ليقع الاجتماع على نصرة الدين واصطلام المردة الملحدين. واقام ظهير الدين بدمشق الى حين قرب الاجل المضروب والوقت المرقوب وسار الى ناحية حلب في اول شهر ربيع الاول سنة ٥١٣

ووردت الاخبار من ناحية العراق بوفاة الخليفة الامام المستظهر بالله امير المؤمنين ابن الامام المقتدي بالله امير المؤمنين بعلّةٍ عرضت لهُ واستمرّت بهِ الى ان قضى نحبه الى رحمة ربّه في ليلة الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الاخر سنة ٥١٢ وكانت مدّة خلافته ستًّا وعشرين سنة وشهرين وايّامًا وكان جميل السيرة محبًّا للعدل والانصاف ناهيًا عن قصد الجور والاعتساف ووَلِيَ الامر من بعده ولده ولي العهد ابو منصور الفضل المسترشد بالله امير المؤمنين بن ابي العبّاس احمد المستظهر بالله امير المؤمنين وجدّد لهُ اخذ البيعة واستقام لهُ الامر ونُفذت المكاتبات الى سائر الاعمال بالتعزية عن الامام الماضي والتهنئة بالامام الباقي

ودخلت سنة ثلث عشرة وخمسمائة

ولمّا وصل ظهير الدين اتابك الى حلب للاجتماع مع نجم الدين على الامر المقرَّر بينهما بعد مضيّ الاجل المعيَّن عليهِ بتدبيرهما وجد التركمان قد اجتمعوا اليهِ من كل فجّ وكل صوب في الاعداد الدثرة الوافرة والقوّة الظاهرة كأنّهم الاسود تطلب فريسها والشواهين اذا حامت على مكاسرها. ووردت الاخبار ببروز روجير صاحب انطاكية منها في مَن جمعهُ وحشده من طوائف الافرنج (110ᵛ) ورجالة الارمن من سائر اعمالهم واطرافهم بحيث يزيد عددهم على العشرين الف فارس وراجل سوى الاتباع وهو العدد الكثير في اتمّ عدّةٍ واكمل شكّةٍ وانهم قد نزلوا في الموضع المعروف بشرمدا

وقيل دانيث البقل بين انطاكية وحلب لحين عرف المسلمون ذلك طاروا اليهم باجنحة الصقور الى حماية الوكور فما كان باسرع من وقوع العين على العين وتقارُب الفريقين حتى حمل المسلمون عليهم واحاطوا بهم من جميع الجهـات وسائر الجنبات ضرباً بالسيوف ورشقاً بالسهام ومنح الله تعالى ولهُ الحمد حزب الاسـلام النصر على المَرَدة الطغام ولم تمضِ ساعة من نهار يوم السبت السابع من شهر ربيع الاول من سنة ٥١٣ الّا والافرنج على الارض سطحـةً واحدةً فارسهم وراجلهم بخيلهم وسلاحهم بحيث لم يفلت منهم شخص يخبر خبرهم ووجد مقدّمهم روجير صريعاً بين القتلى. ولقد حكي جمـاعةً من المشاهدين لهذه الوقعة انهم طافوا في مكان هذه المعركة لينظروا آية الله تعالى الباهرة وانهم شاهدوا بعض الخيول مصرعةً كالقنافذ من كثرة النشّاب الواقع فيها. وكان هذا الفتح من احسن الفتوح والنصر الممنوح لم يتّفق مثله للاسـلام في سالف الاعوام ولا الانف من الايام. وبقيت انطاكية شاغرةً خاليةً من حُماتها ورجالها خاوية من كُماتهـا وابطالها فريسة الواثب نهزة الطالب فوقع التغافُل عنها لغيبة ظهير الدين اتابك عن هذه الوقعة لتسرُّع التركمان اليها من غير تأهُّب لها للامر النافذ والقدر النازل واشتغال الناس باحراز الغنائم التي امتلأت بها الايدي وقويت بها النفوس وسُرَّت بحسنها القلوب فتلك بيوتهم خاويةً والحمد لله رب العالمين

وعاد ظهير الدين اتابك منكفياً الى دمشق عقيب هذا الظفر ودخلها يوم السبت لليلة بقيت من جمادى الاولى سنة ٥١٣ فصادف الخاتون صفوة الملك والدة الملك شمس الملوك دقاق ابن السلطان تاج الدولة تتش بن السلطان البارسلان قد نهكها المرض وطال بها وقد اشفت على الموت (111ʳ) وكانت لقدومه متوقّعةً والى مشاهدته متطلّعةً فادركها وشاهدها وسمع مقالها وقبل وصيّتها واقامت القليـل وتوفّيت الى رحمة الله ومغفرته ورضوانه بين صلاتي الظهر والعصر من يوم الاحد اخر جمادى الاولى سنة ٥١٣ ودُفنت عند ولدها في القبّة التي بنتها على التلعة المُطلّة على الميدان الاخضر فانّها كانت من النساء المصونات المحبّة للدين والصـدقات والتنزُّه عن الظلم بطلب الخيرات مع قوّة النفس وشدّة الهيبة ومعرفة التدبير فيما توخّتهُ في حق ظهير الدين عند وفاة ولدها الملك شمس الملوك الى ان استقام لهُ الامر واستقرّت في المملكة والدولة الحال وتسهّلت لهُ المطالب برأيها وهيبتها وسياستها والآمال. فقلق ظهير الدين لفقدها وتضاعف عليها حزنه وأسفه وتسلّم ما خلّفته واستخرج ما ذخرته واودعته وعمل بوصيتها

وفي رجب من هذه السنة توفّي الامير حارق بن كمشتكين العراقي في رجب منها وكان من مقدّمي الدولة ووجوه امرائها. وفيها وردت الاخبار من العراق بان السلطان محمود ابن ابن السلطان غياث الدنيا والدين محمد بن ملك شاه توجّه الى عمه السلطان سنجر بن ملك شاه الى خراسان ودخل عليه ووطئ بساطه بعد ما جرى بينهما من الوقائع والحروب فاكرمه واحترمه واحمده وقرّر احواله على ما فيه صلاح امره واستقامة حاله ووصله بابنته واقرّه على مملكتهِ وشرّفه بخلعهِ وتكرمتهِ وعاد منكفياً الى اصفهان بلادته طامراً باملهِ وبغيتهِ

وفي هذه السنة حكى مَن ورد من بيت المقدس ظهور قبور الخليل وولديه اسحق ويعقوب الانبياء عليهم الصلاة من الله والسلام وهم مجتمعون في مغارة بارض بيت المقدس وكأنّهم كالاحياء لم يبلَ لهم جسد ولا رمّ عظمٌ وعليهم في المغارة قناديل معلّقة من الذهب والفضّة وأُعيدت القبور الى حالها التي كانت عليهِ. هذه صورة ما حكاه الحاكي والله اعلم بالصحيح من غيره

سنة اربع عشرة وخمسمائة

(١١١[٧]) فيها ورد الخبر من ناحية حلب بان الامير نجم الدين ايل غازي بن ارتق رفع المكوس عن اهل حلب والمؤن والكلف وأبطل ما جدّدهُ الظَّلَمة من الجور والرسوم المكروهة وقوبل ذلك منهُ بالشكر والثناء والاعتداد والدعاء. وحكي عن ماردين انها وقع عليها برد عظيم لم تجرِ بمثله عادة ولا أُبصر اكثر منها ما اهلك المواشي واتلف اكثر النبات والشجر. وفيها هدم نجم الدين زردنا وفيها كسر الامير بلك بن ارتق عفراس الرومي وقتل من الروم تقدير خمسة آلاف على قلعة سرمان من بلد اندكان واسر مقدّمهم عفراس

وفيها ورد الخبر بان السلطان محمود كسر عسكر اخيه مسعود بباب همذان تحت الزعفراني. وفيها وردت الاخبار بوصول الكندهو (كندهري) ملك الافرنج في المراكب البحرية وملك اكثر المعاقل. وفيها وقعت المهادنة بين نجم الدين ايل غازي بن ارتق صاحب حلب وبين الافرنج وتقرّرت الموادعة والمسالمة وكفّ كل جهةٍ من الفريقين الأذيّة عن الآخر. وفيها وردت الاخبار بان السلطان محمود قصد حلّة دُبَيس بن صدقة ابن مزيد في عسكره ونهبها وهزم عسكرها وانهزم دُبَيس الى قلعة جعبر مستجيراً

بصاحبها الامير شهاب الدين مالك بن سالم بن مالك فاجاره واكرمه واحترمه وقيل انهُ انعقد بينهما صهرٌ. وقيل ان في ذي الحجة من السنة هبَّت ريحٌ شديدة هائلة منكرة بنواحي الخزر فخرب بها كنائس ومعاقل وقلعت كثيرًا من شجر الزيتون. وقيل ان جوسلين غار على العرب والتركمان النازلين بصفّين وغنم منهم ومن مواشيهم بشاطيء الفرات وفي عوده خرَّب حصن بزاعة

سنة خمس عشرة وخمسمائة

في هذه السنة وردت الاخبار بقتل الافضل بن امير الجيوش صاحب الامر بمصر رحمه الله ثاني عيد الفطر بامرٍ رُتّب لهُ وعُمل فيهِ عليهِ الى حين امكنت الفرصة فيهِ فانتُهزت الفرصة وصودف راكبًا في موكبه مجتازًا في بعض اسواق القاهرة وقد كان على غاية من التحرُّز والتحفُّظ واستعمال الاحتراس والتيقّظ لاسيما من الطائفة الباطنيَّة والاحتياط منهم بانواع السلاح ووافر الغلمان (112ᵛ) والخدم والعبيد والعُدَد المختلفة والسيوف الماضية وكان المرتّب لقتاله والمرصد لهُ جماعة فوثب عليه رجلٌ من بعض الشوارع بحيث شغل اصحاب الركاب ووثب الآخر من بين يديه فضربه ضربات سقط بها عن ظهر جواده الى الارض وقُتلا في الحال وحُمل الى داره وبهِ رمقٌ وتوفّي رحمه الله من يومه وادَّعى ان الباطنيَّة تولّوا قتله وليس ذلك صحيحًا بل ذلك ادّعاءٌ باطلٌ ومحالٌ زائلٌ وانَّما السبب الذي اجتمعت عليهِ الروايات الصحيحة التي لا تشكّ في هذا الامر فساد ما بينه وبين مولاه الآمر باحكام الله امير المؤمنين لتضييقه عليه ومنعهِ ممَّا تميل نفسه اليه ومنافرته اياه في بعض الاوقات. وقد كان هذا الخلف المستمرّ بينهما قد ظهر بمصر لكثيرٍ من اهلها وتحدَّثوا فيهِ وكان الآمر قد عزم على اغتياله اذا دخل عليهِ في قصره للسلام عليه او في ايام اعياد وقويت نفسه على اتمام هذا الامر فمنعه من ذلك الامير ابو الميمون عبد المجيد وقال لهُ : انَّ هذا الامر اذا تمَّ على هذه القضيَّة كان فيهِ شناعة وسوء سمعة لان هذا واباه في خدمتنا منذ خمسين سنة لا يعرف الناس في سائر اقطار البلاد غير هذا فما يُقال في مثل هذه الحال في مُجازاتنا لمن هذه صفتهُ هذه المجازاة الشنيعة والمكافأة الفظيعة وما العذر في ذلك الى الناس وهم لا يعلمون ما في نفوسنا لهُ وما ننقم عليهِ بسببه وما يعرفون منه في ظاهر الامر الّا الموالاة الخالصة والطاعة الصادقة والذبّ عن الدولة والمحاماة عنها ولا بدّ ان تدعو الضرورة الى اقامة

غيره في مكانه والاعتماد عليه في منصبه فيتمكّن كتمكّنه او بعضه فتحذّر من الدخول الى قصرنا خوفًا على نفسه مما جرى على غيره وان دخل علينا كان خائفًا مُعدًّا وان خرج عنّا خرج وجلًا مستعدًّا. وفي هذا الفعل ما يُؤكّد الوحشة ويدلّ على فساد التدبير في اليوم وفيما بعد بل الصواب في التدبير ان تستميل ابا عبد الله (محمد) بن البطائحي (١ الغالب على امره المطّلع على سرّه وجهره وتُراسلهُ وتعدهُ وتُمنّيه وتُطمعهُ في منصبه فانهُ يُجيب الى ذلك ويُعينُ عليه (٧ 112) لامرين احدهما دينًا لان مذهبه مذهبنا واعتقاده موالاتنا ومحبّتنا والثاني للدنيا وحبّها وكونه يصير في منصبه فيهما ويدبّر الامر عليه بمن لا يُعرف ولا يوبه لهُ ولا يلتفت اليه ممّن يغتالهُ اذا ركب فاذا ظفرنا بمن قتله قتلناهُ واظهرنا الطلب بدمه والحزن عليه والاسف لفقده فيكون عذرنا عند كافة الرعيّة مبسوطًا ويزول عنّا قُبح القالة وسوء السمعة

فاستقرّ الامر على هذه القضية وشُرع في اتمامه والحال فيه ظاهرة وقضى الله عليه قضاء المحتوم وسُرّ الآمر بقتله سرورًا غير مستور عن كافة الخاص بمصر والقاهرة. وقيل ان الموضع الذي قُتل فيه بمصر عند كُرسي الجسر في رأس السويقتين في يوم الاحد سلخ شهر رمضان سنة ٥١٥ وعمره اذ ذاك ٥٧ سنة لان مولده كان بعكاء سنة ٤٥٨ وكان حسن الاعتقاد في مذهب السنة جميل السيرة موثرًا للعدل في العسكرية والرعيّة صائب الرأي والتدبير عالي الهمّة ماضي العزمة ثاقب المعرفة صافي الحسّ كريم النفس صادق الحدس عادلًا عن الجور حائدًا عن مذاهب الظلم فبكتهُ العيون وحزنت لهُ القلوب ولم يأتِ الزمان بعده بمثله ولا حُمد التدبير عند فقده وانتقل الامر بعده الى صاحبه الآمر باحكام الله امير المؤمنين واشتمل على خزائنه وامواله وذخائره وكراعه واثاثه وهو الغاية في الكثرة والوفور وانتظمت للآمر (٢ الامور على المأثور واقام ابا عبد الله بن البطائحي ووفى لهُ بوعده ولقبهُ بالمأمون وبسط يده في البَرْم والنقض والرفع والخفض

ووردت الاخبار في هذه السنة بظهور الكرج من الدروب وقصدهم بلاد الملك

---

١) وفي منتقى العبر لتقي الدين ابن قاضي شهبة المنتخب من العبر للحافظ الذهبي: ان كان ابوه جاسوسًا للمصريين مات ورُبي محمد هذا يتيمًا فصار يُحمل في السوق فدخل مع الحمّالين الى دار امير الجيوش فرآهُ شابًّا ظريفًا فاعجبهُ واستخدمه مع الفرّاشين ثم تقدّم عنده

٢) وفي الاصل: لِلأمراء

طغرل فاستنجد بالامير نجم الدين ايل غازي بن ارتق صاحب حلب وبالتركمان وبالامير دبيس بن صدقة بن مزيد فاجابوا الى ما دعاهم اليه وبعثهم عليه وتوجّهوا نحوه في خلق عظيم فانهزم جمع الكرج خوفاً وعاد فرقاً وضايقهم المسلمون وضـايقوهم في الدروب فعادوا على المسلمين فهزموهم وقتلوا منهم مقتلةً عظيمةً وقصدوا مدينة تفليس فافتتحوها بالسيف وقتلوا من كان فيها (١

وقال الفارقي في تاريخه : وفي سنة ٥١٥ نفـذ اهل تفليس الى نجم الدين ايل غازي يستدعونهُ ليسلّموا اليهِ تفليس وكانت بيد اهلها مقدار اربعين سنة وكان ملكها قوم من اهلهـا يسمّون بني جعفر من مقدار مائتي سنة ثم انقرض كبارهم واضمحلّوا فعاد امرهم الى اهلها وكان كل شهر يلي امرهم منهم واحد وبقوا كذلك مدّة اربعين سنة . وكان الملك داود ملك الابخاز والكرج فضايقها مضايقةً شديداً واضمحلت وكان قد نفذوا الى السلطان طغرل بك بن السلطان محمـد وكان ملك جنزي واران فنفذهم شحنة وزادت مضايقة ملك الكرج جم وبقوا على هذا مدّة فاتّفقوا ان يحملوا لهُ في كل سنة عشرة الاف دينار ويكون عندهم شحنة معه عشر فوارس فبقوا على ذلك مدّة ونفذوا الى نجم الدين ايلغازي يستدعونهُ فسار ومعهُ عساكر عظيمة ومعـهُ دُبيس بن صدقة ملك العرب وكان صهر نجم الدين على ابنته كار خاتون وكان قد وصل اليهِ في تلك السنة فسار بالعساكر ونفذ الى شمس الدولة طغـان ارسلان صاحب ارزن وبدليس وكان لهُ مدينة دوين وامره ان يدخل من شرقي تفليس وسار واخذ معهُ القاضي علم الدين ابن نباتة ومعهُ ولده القاضي علم الدين ابو الفتح الكبير هو الان (يعني سنة ٥٧٢) قاضي ماردين والوزير ابو تمّام ابن عبدون وسار معهُ فوصلوا الى ارزن الروم وتخلّف القاضي والوزير بارزن الروم ودخل بالعساكر من ولاية القرس وطريق ترياليث واتّفقوا ان تُجمع العساكر اجمع على باب تفليس . وتجهّز السلطان طغرلبك من ناحية جنزي وسار طُغان ارسلان الاحدب من دوين ووصل نجم الدين الى ان بقي بينهُ وبين تفليس الجبل مقدار نصف يوم

وخرج الملك داود ومعهُ ولده ديمطري من جنب الغرب في عساكر عظيمة وكان يحدر عليهم من الجبل وهم في لحفة ولم تكن وصلت عساكر السلطـان طغرلبك ولا شمس الدولة الاحدب بمن معه وتقاتلوا قتالاً عظيماً وكُسر نجم الدين وقتل منهُ خلقاً كثيراً وغنم الكفّار منهم غنيمةً عظيمةً وخرج نجم الدين ودُبيس في نفر يسير بحيث ان بقي عندهم من الاسرى الى زماننـا . ولقد رأيت موضع الرقعة حين دخلت الى تفليس في سنة ٥٤٨ فاقمتُ بها ثم وصلت الى خدمة ملك الابخاز وبقيت عنده وخرجت معهُ وسرتُ في ولايته معهُ مقدار نيف وسبعين يوماً واجتـاز الى اللان وطرف الدربند والى ولاية الابخاز . ولقد وصلنا بعض الايام في ولاية الابخـاز الى برج واسع تحت جبل في قلعة شاهقة ونزل الملك هنـاك وقال لي : يا فُلان في هذه القلعة رجلٌ اسيرٌ مستعربٌ من نوبة ايلغازي فاصعد اليهِ من الغد وابصره واسئلهُ من اين هو . فعوّلت على ذلك وقلت : اطلبهُ من الملك ليطلقهُ . فبِتُّ تلك الليلة فلمّا كان من وقت السحر ضُرب بوق الى الرحيل لانهُ وصل

وفي هذه السنة هبّت بمصر ريح سوداء (113r) ثلثة ايام فاهلكت شيئاً كثيرًا من الناس والحيوان

سنة ستّ عشرة وخمسمائة

في هذه السنة وردت الاخبار من ناحية بغداد بان الامير دبيس بن صدقة بن مزيد جمع واحتشد وقصد بغداد في حشده وعاث في اطرافها وافسد في اكنافها فخرج الامام الخليفة المسترشد بالله امير المؤمنين من دار الخلافة واجتمعت اليه الاجناد وظهر اليه وحمل عليه فهزمه وتمّ الى الحلّة فنهبها ونُهبت مقابر قُرَيش ببغداد وما بها من القناديل الفضّة والستور والديباج وعاد الى بغداد ودخلها في المحرّم سنة ٥١٧

وورد الخبر فيها بان السلطان محمود سخط على وزيره(١ لاشياء نمّها عليه وانكرها

اليه الخبر ان بعض ولايته قد تشوّشت عليه فحين وصلهُ الخبر رحل ورحل الناس ولم يقدر على الاجتماع بهذا الرجل

ولمّا كُسر نجم الدين وعاد بمن بقي معهُ رحل ملك الابخاز بالغنائم والاسرى ونزل على تفليس وحاصرها مدّة ثم هدم سورها من قبل الغربي ودخلها سيفًا فاحرقها ونهبها وبعد ثلاثة ايام أَمَّن اهلها وطيَّب قلوبهم ووعدهم بالجميل واسقط عنهم تلك السنة الأَعشار والمؤن والاقساط والخراج وشرط للمسلمين كلما ارادوه من الشرط الذي هو الان باقٍ بها انهُ لا يعبر الى جانب المسلمين بالمدينة خنزير ولا يُذبح بها ولا في سوقها. وضرب لهم الدراهم عليها اسم السلطان والخليفة في الوجه الواحد وفي الوجه (الاخر) اسم الله واسم النبي عليهِ السلام واسمه على جانب الدرهم. ونادى في البلد ان من آذى مسلماً قد اهدر دمه وشرط لهم الاذان والصلاة والقراءة ظاهرًا وان يُخطب يوم الجمعة ويُصلَّى ويُدعَى للخليفة وللسلطان ولا يدعَى لغيرهما على المنبر وشرط ان حمّام اسماعيل بتفليس لا يدخلها كرجي ولا ارمني ولا يهودي ووصف خدمة الكُرجي في السنة خمسة دنانير وخدمة اليهودي اربعة دنانير وخدمة المسلم ثلاثة دنانير

واحسن الى المسلمين غاية الاحسان وجعل لاهل العلم والدين والصوفيّة اكرام المنازل وما ليس لهم عند المسلمين ولقد رأيت هذه الشروط كلها لمّا دخلت الى تفليس في سنة ٥٤٨ ولقد رأيت ملك الابخاز ديمطري الذي كنت في خدمته وقد نزل الى تفليس واقام بها اياماً ونزل ذات يوم جمعة الى الجامع وجلس على دكّة تُقابل الخطيب فوقف موضعه حتى خطب الخطيب وكلّ الناس يسمع الخطبة جميعها ثم خرج واطلق برسم الجامع مائتي دينار احمر. وكنت ارى العلماء والوعاظ والاشراف والصوفيّة والذين يصلّون يكرمهم ويعطيهم ويحترمهم ويعتمد معهم ما ليس بمثله ولقد كنت ارى لاحترامه للمسلمين ما لو انهم ببغداد ما احتُرموا تلك الحرمة

١) هو كمال الملك ابو طالب علي بن احمد بن حرب السُميرمي قتلهُ الباطنيّة كذا في الكامل لابن الاثير. وفي مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي هو الذي عاجل الطغرائي الذي تقدّم

منهُ وامر بالقبض عليه ثم تقدَّم بقتله فقُتل وفي صفر منها توجَّه عائدًا الى مدينة اصفهان. وفي صفر ورد الخبر من ناحية حلب ان ابا الفضل بن الموصول وزير الملك رضوان توفّي بحلب في الشهر وكان حسن الطريقة يميل الى فعل الخير وعن قصد الشرّ. وفيها جاء سيل عظيم حتى دخل الى ربض قلعة جعبر فغرّق اكثر دورها ومساكنها وهدمها واخرج منها فرسًا حمله من الربض حتى رمى بهِ من اعلى السور في الفرات وقيل ان عدَّة الدور الهالكة بهذا السيل الجازف ثمانمائة مكان. وقيل ان الامير نجم الدين بن ارتق خرج من حلب في عسكره وقطع الفرات وصادف الافرنج فلم يلقوه فاتلف ما ظفر بهِ في اعمالهم وعاد منكفئًا الى الفُنَيدق بظاهر حلب

وفي هذه السنة وصل الاسطول المصرى الى صور وهو مشحونٌ بالرجالة البحريَّة وطائفة من العساكر. وفي نفس الوالي العمل على الامير سيف الدولة مسعود الوالي بصور من قبل الامير ظهير الدين اتابك. فلمَّا خرج للسلام على والي الاسطول سألوهُ النزول فلما حصل في مركب المقدَّم اعتقلهُ وتمَّت عليهِ المكيدة وحصل البلد في ايديهم ولمَّا اقلع الاسطول ووصل الى مصر وفيهِ الامير مسعود أُكرم وأُنزل في دار وأُطلَق لهُ ما يحتاج اليه. والسبب كان في هذا التدبير ان شكاوي اهل صور تتابعت (113v) الى الآمر باحكام الله والافضل بما يعتمدهُ مسعود مع الرعية من الاضرار لهم والمخالفة للعادة والموافقة لهم فاقتضت الاراء التدبير عليه وازالة ما كان من الولاية اليه وكانت عاقبة خروجه منها وسوء التدبير فيها خروجها الى الافرنج وحصولها في ملكتهم

ذكره بالقتل بانهُ اقام اقوامًا شهدوا عند السلطان محمود انهُ زنديق لا يتديَّن بدين الاسلام. وفيهِ ايضًا ان ابن السمعاني ابا سعد حكى في الذيل: ان السلطان جلس يومًا في جو فيهِ عصافير فقال: آذتنا هذه العصافير. فقال لهُ بعض خواصّه: يأمر السلطان بعض الفرّاشين يصعد اليها بسلَّم فيرمي باعشاشها او يأمر بعض الغلمان ان يرميهم بالبندق. فقال: ما أستحلّ ذلك. فقيل لهُ: فكيف استحللت قتل مؤيد الدين الطغرائي مع شيخوخيَّته وفضله ؟. فقال: ما مع الفضل فضول. يعني انهُ اوقع بينهُ وبين اخيه. وقال المصنّف: ما احسن هذا الجواب الذي يحدو العقلاء الى طريق الصواب. وفيهِ ايضًا في ترجمة السُميري: ان في تاريخ السلجوقية في مقتلهِ وجه اخر وذلك انهُ لمَّا قُتل الطغرائي تجرَّد لهُ غلام اسود من غلمان الطغرائي ورصده مدَّة طويلة حتَّى دخل الحمَّام وغفل عنه اصحابه فوثب عليهِ فضربهُ عدَّة سكاكين فحُمل الى داره وهو مثخن بالجراح فخيطت وعوفي ثم احتال ذلك الاسود حتى تسوّر عليهِ الحائط ليلة ولم يكن عنده احد فقضى عليهِ. والاوَّل اشهر

وفي هذه السنة ورد الخبر بان الامير نور الدولة بلك بن ارتق نهض في عسكره في ايام من رجب وقصد الافرنج بالرُها واوقع بهم وكسرهم واسر مقدّمهم جوسلين وابن خالته كليان وجماعة من مقدّميهم عند سروج. وورد الخبر بوفاة الامير نجم الدين ايل غازي بن ارتق بعلّةٍ عرضت لهُ وهو نازل في قريةٍ تُعرف بالفحول من عمل ميافارقين من ديار بكر في السادس من شهر رمضان من السنة وقام في منصبه بعده ولده شمس الدولة سليمان واخوهُ تمرتاش ابناء نجم الدين وملكا ماردين واقاما مدّةً متّفقين وجرى بينهما خلفٌ استمرّ من كل منهما (١. وفيها توفّي الحاجب فيروز شحنـة دمشق في اخر ربيع الاخر منها

سنة سبع عشرة وخمسمائة

فيها وردت الاخبار من ناحية بغداد ببروز الامام المسترشد بالله امير المؤمنين وفي جملته الامير (اق) سنقر البرسقي عازماً على قصـد الامير دُبَيس بن صدقة بن مزيد لِما هو عليهِ من الخلاف والمجاهرة بالعصيان والفساد في الاعمال وقصدوا الحلّة

---

١) قال الفارقي في تاريخه: وفي سنة ٥١٥ عاد نجم الدين الى ميـافارقين واقام هناك ومعه زوجته الخاتون بنت طغتكين صاحب دمشق فرض وتوفي يوم الخميس سابع عشر من رمضـان فحمل ليلًا وركب ولده الامير شمس الدولة سليمن والخاتون بنت طغتكين ووصلوا ميافارقين ووصلوا الى باب الهوّة واجلسوا الامير على فرسه ومن ورائه رجل يمسكه وتقـدّموا وصاحوا: اتزل الوالي. وكان اسمه قتلي فدخل شيخ ممّن صحبه الامير نجم الدين من اوّل زمانه وكلّمهُ شمس الدولة والخاتون ففتح الباب فقالوا: ان الامير مريض. فلمّا حصلوا في ارض القصر صاحوا وضجّوا وقالوا: مات الامير في هذه الساعة. واصبح الناس وصعد اهل البلد ومن كان بها من الجند الى القصر وغُسل الامير وصُلّي عليه ودُفن بالسندلي مدّة ثم أُخرج ودُفن في مسجد الامير شرقي قبّة السلطان فدُفن هناك. وكان نجم الدين ايلغازي قد تزوّج بفرخُندا خاتون بنت الملك رضوان لما ملك حلب وتعقّد عليها ولم يدخل بها ولا رآها ومات ولم يرها تزوّجها بعـده الامير بلك ابن جرام ابن ارتق. قيل واستقرّ شمس الدولة سليمن بميـافارقين واستوزر الوزير عبد الملك بن ثابت وردّ الامور اليهِ واخذ خرتبرت من الامير بلك وبقيت معهُ الى ان مات واخذها الامير داود واخذ بلد حزة من الامير داود واخذ الضياع الذي اخذها حسام الدولة (قرقي بن الاحدب) صاحب ارزن من بلد ميـافارقين (وكان اخذ خمس وعشرين قريةً من بين النهرين في ولاية الزيكي في سنة ٥٠٩ ومات شمس الدولة في سنـة ٥١٨)... فوصل حسام الدين (تمرتاش) ودخل البلد في شوال سنة ٥١٨ واستوزر عبد الملك واستقرّ حاله ووصل لهُ جميع ما كان لابيهِ نجم الدين واحسن الى الناس واحبّوه واستبدّ بالملك

وانتهبوها وارتفع السعر ببغداد حتى بلغ الخبز ستّة ارطال بدينار . وورد الخبر من ناحيـة حلب باستقرار المهادنة بين الامير بدر الدولة بن عبد الجبّار (١ بن ارتق صاحب حلب وبين الافرنج على تسليم قلعة الاثارب الى الافرنج فتسلّموها وحصلت في ايديهم واستمرّت الموادعة على هذا واستقـامت احوال الاعمال من الجانبين وامنت السابلة للمتردّدين فيها بين العملين في صفر من السنة

وفيها ورد الخبر بنهوض بغـدوين ملك الافرنج في عسكره الى ناحية حلب الى الامير بلك بن ارتق في تاسع صفر منها وهو منازل لحصن كركر فنهض اليه والتقيا بالقرب من منظرة فكسره واسره وحصل في يده اسيرًا (114r) مع جماعةٍ من وجوه عسكره فاعتقله في جبّ في قلعة خرتبرت مع جوسلين ومقدّمي الافرنج . وفي اخر صفر نهض ظهير الدين اتابك في العسكر فهجم ربض حمص ونهبه واحرقه وبعض دوره وكان طغان ارسلان بن حسام الدولة قد وصل الى حمص لمعونة خيرخان صاحبها فعاد ظهير الدين عنها الى دمشق

وورد الخبر من ناحية حلب بنزول الامير بلك بن ارتق عليها في ربيع الاول منها واحرق زرعها وضايقها الى ان تسلّمها بالامان في يوم الثلثاء غرّة جمادى الاولى من بدر الدولة ابن عمه عبد الجبّار (٢ بن ارتق وقد كان ذلك تسلّم مدينة حرّان في شهر ربيع الاوّل . وفيها وردت الاخبار بوصول فريق كثير من عسكر لواتة من ناحية الغرب الى مصر وافسدوا في اعمالها وظهر اليهم المأمون ابو عبد الله بن البطائحي المقام في مقـام الافضل الشهيد بن امير الجيوش في عسكر مصر بامر صاحبـه الامام الآمر باحكام الله بن المستعلي بالله ولقيهم فكسرهم وقتل واسر منهم خلقًا كثيرًا وقرّر عليهم خرجًا معلومًا يقومون بهِ في كل سنة وعادوا الى اماكنهم وعاد المأمون الى مصر غانمًا منصورًا وبحسن الظفر مسرورًا . وفيها ورد الخبر بان اصطول مصر لقي اصطول البنادقة في البحر فتحاربا فظفر بهِ اصطول البنادقة واخذ منه عدّة قطع . وفي العشر الاول من شهر ربيع الاول منها ملك الامير بلك بن ارتق حصن البارة واسر اسقفها

وفي هذه السنة ورد الخبر من ناحية خرتبرت بان الملك بغدوين الرُوَيس وجوسلين مقدّمي الافرنج وغيرهم من الاسرى الذين كانوا في اسر الامير بلك المعتقلين في قلعة

١) وفي الاصل : بدر الدولة بن ايل غازي

٢) وفي الاصل : ابل غازي

خرتبرت عملوا الحيلة فيما بينهم وملكوا القلعة وهربوا . . . . . . الملك بغدوين ونجا ولم يظفروا به وهرب في ذلك اليوم ايضاً اسقف البارة من اعتقاله . وفي الشهر المذكور توجه الامير نور الدولة بلك في عسكره الى خرتبرت وضايق قلعتها الى ان استعادها من الافرنج الواثبين عليها ورتّب فيها من يحفظها ويتيقّظ فيها . وفي هذه السنة ورد الخبر بان محمود بن قراجة (114ᵛ) والي حماة خرج في رجاله وقصد ناحية افامية وهجم ربضها فاصابه سهم من الحصن في يده ولمّا قُلع منهُ عملت عليه وتزايد امرها فمات منه وكان عاهرًا ظالمًا متمرّدًا وقتل جماعة من اعيان حماة ظلمًا وتعدّيًا بسعاية بعضهم على بعض ولما عرف ظهير الدين ذلك انهض الى حماة من تسلّمها وتولّى امرها من ثقاته

وفيها ورد الخبر بالنوبة الكائنة بين السلطان مغيث الدنيا والدين محمود وبين اخيه طغرل ابني السلطان محمد وان السلطان محمود صافّهُ وكسره وهزمه وملك عسكره وان طغرل استعان بالامير دُبَيس بن صدقة بن مزيد واستنجد بهِ عليه وأُجيب الى ذلك . وفي هذه السنة كانت النوبة الكائنة بين عسكري ظهير الدين اتابك الدمشقي وسيف الدين اق سنقر البرسقي حين تجمّعوا ونزلوا على عزاز من عمل حلب ومضايقتها بالنقوب والحروب الى ان سَهُلَ امرها فتجمّع الافرنج من كل صوب وقصدوا ترحيل العسكر عنها والتقى الجيشان وانفلّ جيش المسلمين وتفرّقوا بعد قَتْل من قُتل وأَسر من أُسر وعاد ظهير الدين اتابك الى دمشق في جمادى الاولى من السنة . وفي شهر رمضان من السنة توجّه الحاجب علي بن حامد الى مصر رسولًا عن ظهير الدين اتابك

سنة ثماني عشرة وخمسمائة

في هذه السنة ورد الخبر من ناحية العراق بان القاضي قاضي القضاة زين الاسلام ابا سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي كان قافلًا من ناحية خراسان بجواب السلطان سنجر عمّا صدر على يده اليه وانهُ لما نزل بهمذان في جامعها وثب عليه على حين غفلةٍ منه قوم رُتّبوا لهُ من الباطنيّة فضربوهُ بسكاكينهم فقتلوهُ وهربوا في الحال ولم يظهر لهم خبر ولا بان منهم اثر ولا تبعهم شخص للخوف منهم فمضى لسبيله شهيدًا الى رحمة الله وذلك للقضاء النازل الذي لا يدافع والقدر الحالّ الذي لا يُمانع وذلك في رجب منها

وفيهـا ملك الافرنج ثغر صور بالامان وشرح الحال في ذلك كان قد مضى من ذكر الذي اوجب اخراج الامير (115^r) سيف الدولة مسعود واليهـا منها وحمله في الاسطول الى مصر ما لا يحتاج الى الاعادة له والاطالة بذكره . ولمّا حصل بها الوالي المندوب من مصر بعد مسعود طيّب نفوس اهله وكاتب ظهير الدين بصورة الحال فاعاد الجواب بان الامر في ذلك لمن دبّره والمرجوع الى ما رتّبه وقرّره . واتّفق ان الافرنج لمّا عرفوا هذا الامر وانصراف مسعود عن ولاية صور تحرّك طمعهم فيها وحدّثوا نفوسهم بتملّكها وشرعوا في الجمع والتأهب للنزول عليها والمضايقة لها . واتّصل بالوالي صورة الامر وانه لا طاقة له بالافرنج ولا ثبات على محاصرتهم لقلّة من بهـا من الجند والميرة فطالع الآمر باحكام الله صاحب مصر بذلك فاقتضى الرأي ان تُرَدّ ولاية صور الى ظهير الدين اتابك ليتولّى حمايتها والذبّ عنها والمراماة دونها على ما جرى رسمه فيهـا وكتب منشور الولاية باسمه فندب لتولّيها جماعةً لا غناء لهم ولا كفاية فيهم ولا شهامة ففسـد امرها بذلك وتوجّه طمع الافرنج حولها لاجله وشرعوا في النزول والتأهب للمضايقة لها ونزلوا بظاهرها في شهر ربيع الاوّل من السنة وضايقوها بالقتال والحصار الى ان خفّت الاقوات فيها وعُدمت الميرة . وتوجّه ظهير الدين في العسكر الى بانياس للذبّ عن صور

ونُفِذت المكاتبات الى مصر باستدعاء المعونة لها وتمادت الايام بذلك الى ان ضعفت النفوس واشرف اهلها على الهلاك وعرف اتابك جليّة (الامر) وتعـذّر تلافيها ووقع اليأس من المعونة لها فراسل الافرنج بالملاطفة والمداهنـة والارهاب والارغاب الى ان تقرّرت الحال على تسليمهـا اليهم بحيث يُؤمَّنُ كل من بها ويخرج من اراد الخروج من العسكرية والرعيّة بما يقدرون عليه من احوالهم ويقيم من اراد الاقامة

ووقف اتابك في عسكره بازاء الافرنج وفتح باب البلد وأُذِنَ للنـاس في الخروج فحمل كل منهم ما خفّ عليه واطاق حمله وترك ما ثقل عليه وهم يخرجون بين الصفّين وليس احد من الافرنج يعرض لاحدٍ منهم بحيث خرج كافّة العسكريّة والرعيّة ولم يبقَ منهم الّا ضعيف (115^v) لا يطيق الخروج فوصل بعضهم الى دمشق وتفرّقوا في البلاد وذلك في اليوم الثالث والعشرين من جمادى الاولى سنة ٥١٨

وفيها ورد الخبر باجتماع الافرنج من اعمالهم ونزولهم على حلب وشروعهم في قتال من بها والمضايقة وتمادى الامر في ذلك الى ان قلّت الاقوات فيها واشرف على الهلاك

اهلها فلمّا ضاق بهم الامر وعُدم الصبر وراسلوا الامير سيف الدين (اق) سنقر البرسقي صاحب الموصل بشكوى احوالهم وشرح ما نزل بهم والسؤال له في انجادهم على الافرنج وانقاذهم من ايدي الكافرين فضاق لذلك صدرُهُ وتوزّع سرُّهُ وتأهب في الحال للمصير اليهم وصرف الاهتمام الى الذبّ عنهم . فلمّا وصل اليهم في ذي الحجة من السنة وعرف الافرنج خبره وحصوله قريباً منهم وما هو عليهِ من القوّة وشدّة الشوكة اجفلوا مولّين ورحلوا منهزمين وتبعهم سَرَعَان الخيول يتلقّطون من يظفرون بهِ في اعناقهم ولم يلوِ منهم منهزمٌ على متلوّم الى ان حصلوا بانطاكية . وكانوا قد ابتنوا في منزلهم مساكن وبيوتاً تقيهم الحرّ والبرد واصرّوا على المقام ولطف الله تعالى وله الحمد باهل حلب وخلصهم من البلاء وانتاشهم من اللأواء . وكسب اق سنقر البرسقي بهذا الفعل الجميل جزيل الاجر والثناء ودخل حلب واحسن السيرة فيها واجمل المعاملة لاهليها واجتهد في الحماية لها والمراماة دونها بحيث صلحت احوالها وعمرت اعمالها وامنت سابلتها وتواصلت الرفق اليها ببضائعها وتجارتها

وفي شتوة هذه السنة احتبس الغيث بارض الشام في كانون وكانون واكثر شباط وتلف الزرع وغلا السعر وعمّ القحط اكثر البلاد الشامية ثم تدارك الله عبيده بالرحمة وانزال الغيث بعد القنوط فاحيا به الارض بعد موتها وانتاش الزراعات بعد فوتها وطابت النفوس وزال عنها الهمّ والبوس . وارتفعت الاسعار في هذه السنة في حلب ودمشق واعمالها الى الرحبة والقلعة والموصل وبقي الى سنة ١٩ وهلك كثير من ضعفاء الناس بالجوع

سنة تسع عشرة وخمسمائة

(116r) في هذه السنة وردت الاخبار من مصر بتقدّم الآمر باحكام الله بالقبض على المأمون ابي عبد الله واخيه المؤتمن ابني البطائحي غُلامي الافضل اللذين كانا عاملا على قتله واعانا على إتلافهِ واعتقالهما في شعبان والاستيلاء على اموالهما وذخائرهما للاسباب التي نقم بها عليهما والمنكرات التي اتّصلت بهِ عنهما

وفيها اتّصلت الاخبار من ناحية بغدوين ملك الافرنج صاحب بيت المقدس بالاحتشاد والتأهب والاستعداد لقصد ناحية حوران من عمل دمشق للعيث فيها والافساد وشرع في شنّ الغارات على الجهات القريبة من دمشق والمضايقة لها وقطع الطرقات

على الواردين اليها. فعند المعرفة بذاك والتحقّق لهُ شرع ظهير الدين اتابك في الاستعداد للقائه والاجتماع على جهاده وكاتب أُمراء التركمان ومقدّميهم واعيانهم باعلامهم صورة الحال ويستنجد بهم عليهم ويبذل لهم الاحسان والانعام وبرز في عسكره وقد ورد عليهِ خبر قربهم من طبرِيَّة قاصدين اعمال البلد من مرج الصُفّر وشرخوب وخيّم بهِ وكاتب وُلاة الاطراف بامداده بالرجالة واتّفق وصول التركمان في الفي فارس أُولي بأس شديدٍ ورغبةٍ في الجهاد ومسابقة الى الكفاح والجلاد فاجتمع اليهِ خلقٌ كثيرٌ. وكان الافرنج حين عرفوا نزول اتابك والعسكر بمرج الصُفّر رحلوا اليهِ وخيَّموا بازائهِ ووقعت العين على العين وتطاردت طلائع الفريقين. فلمّا كان يوم الاثنين السابع والعشرين من ذي الحجة من السنة اجتمع للقضاء المقضي والحكم النافذ من أحداث دمشق والشباب الأَغرار ورجال الغوطة والمرج والاطراف وأَحداث الباطنيَّة المعروفين بالشهامة والبسالة من حمص وغيرها والعقبة وقصر حجاج والشاغور خلقٌ كثير رجالةٌ وخيالةٌ بالسلاح التامّ والناهض مع المتطوّعة المتديّنين وشرعوا بالمصير للحاق المصافّ قبل اللقاء وقد شاع الخبر بقوَّة عسكر الاسلام وكثرته واستظهاره على حزب الافرنج وشدَّة شوكته ولم يشكّ احد في هلاك الافرنج في هذا اليوم وبوارهم وكونهم طعمةً للمسلمين متسهّلة

(116[v]) واتّفق ان فرقةً وافرةً من عسكر التركمان غارت على اطراف الافرنج ونالت منهم واستظهرت عليهم وخاف الافرنج وعلموا انهُ لا طاقة لهم بهذا الجمع وايقنوا بالهلكة ورحلوا باسرهم من منزلهم الذي كانوا فيهِ عائدين الى اعمالهم على غايةٍ من الخوف والوجل ونهايةٍ من الذلّ والوهل. ونشب فرقة من التركمان في فريق منهم وهم راحلون فغنمت من اثقالهم ودوابّهم غنيمةً وافرةً وظفرت بالكنيسة المشهورة التي لهم في مخيّمهم. وطمع العسكر عند ذاك فيهم وحملوا عليهم وهم مولّون لا يلوون على تابع ولا يقفون على مقصّرٍ لاحقٍ وقد شملهم الرُعب وضايقوهم مضايقةً الجأَتهم الى رمي نفوسهم عليهم امّا لهم وامّا عليهم فتجمَّعوا وعادوا على العسكر الاسلامي وحملوا عليهِ حملتهم المعروفة فكسروهم وهزموهم وقتلوا من اعقابهم مَن شطبَهُ الوجل وخانه الاجل. وتمّ العسكر في الهزيمة على حاله وعادوا على جميع الرجالة وهم العدد الكثير والجمّ الغفير واطلقوا السيف فيهم حتى اتوا عليهم وتتبَّعوا المنهزمين بالقتل حتى وصلوا الى عقبة سحورا وقربوا من البلد من شرخوب مع بُعد المدى والمسافة وصبر خيولهم

ووصل ظهير الدين اتابك والعسكر الى دمشق آخر نهار هذا اليوم وبنوا الامر بينهم

على مُباكرتهم في غد للايقاع بهم فصادفوهم قد رحلوا عائدين الى عملهم خوفاً مما عُزم عليه من قصدهم وتتبُّعهم والله يحكم ما يشاء

سنة عشرين وخمسمائة

في هذه السنة ورد الخبر من ناحية الموصل باستشهاد الامير الاصفهسلّار سيف الدين اق سنقر البرسقي صاحبها بيد الباطنيّة رحمه الله في مسجد الجامع بها في ذي القعدة منها وكان الذي وثب عليه جماعة قد رُتّبت لمراصدته وطلب غرّته حتى حان الحَين ونفذ الاجل وقد كان على غايةٍ من التيقُّظ لهم والتحفُّظ منهم بالاستكثار من السلاحيّة والجاقداريّة والسلاح الشاكّ لكن القضاء النازل لا يُدافَع والقدر النافذ لا يُمانَع وعليهِ مع هذا من (117r) لباس الحديد ما لا تعمل فيهِ مواضي السيوف ومُرهفات الخناجر وحوله من الغلمان الاتراك والديلم والخراسانيّة بانواع السلاح عُدَدٌ. فلمّا حصل بالجامع على عادته لقضاء فريضة الجمعة والنفل على رسمه وصادف هذه الجماعة الخبيثة في زيّ الصوفية يُصلُّون في جنب المشهد لم يؤبه لهم ولا ارتيب بهم. فلمّا بدأ بالصلاة وثبوا عليهِ بسكاكينهم فضربوهُ عدَّة ضربات لم تُؤثر في لُبس الحديد الذي عليهِ وقد غفل اصحابه عنه وانتضى سيفاً كان معهُ وضرب احدهم فقتله وصاح واحد منهم حين رأوا السكاكين لا تعمل فيه شيئاً: ويلكم اطلبوا رأسه واعلاه. وقصدوا حلقه بضرباتهم فاثخنوهُ الى حين ادركه اصحابُهُ وحماتُهُ فقُضيَ عليه وقُتل شهيدًا وقتلوا جميع من كان وثب عليه. وقد كان هذا الامير رحمه الله سديد الطريقة جميل الافعال حميد الاخلاق مؤثر العدل والانصاف كثير التديُّن محمود المقاصد محبًّا للخير واهله مكرّمًا للفقهاء والصالحين فحزن الناس عليه واسفوا لفقده على هذه الحال ولمّا عرف ظهير الدين اتابك هذا قلق لهُ وضاق صدره لسماعه. وقام في الامر بعده ولده الامير مسعود وهو مشهور بالنجابة والزكاء معروف بالشهامة والغناء فاجتمع اليهِ خواصّ ابيه ووزيره وكُتّابه وسلك منهاجه المحمود وقصد قصده المشكور فاستقام لهُ الامر وانتظمت على السداد والمراد احواله

وفي هذه السنة نهض ظهير الدين نحو تدمُر ولم يزل حتى استعادها من ايدي العاملين عليها المواثبين على ابن اخيه الوالي كان بها في يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاخر منها واستقرّ الامر على ان يجعل برسم الامير شهاب الدين

محمود بن تاج الملوك بُوري بن ظهير الدين اتابك وسُلّمت اليه وخرج اليهــا ومعه من رُتّب لحفظهِ وحفظها من الثقات

وفي هذه السنة عاد ظهــير الدين من حلب وقد بدا لهُ من المرض ودخل دمشق في شعبان منها ووصل اليهِ امين الدولة كمشتكين والي بصرى من مصر بجواب الرسالة التي كان نفذ لاجلهــا ومعه الامير المنتضى (117v) ابن مُسافر الغنوي رسول الآمر باحكام الله صاحب مصر وعلى يده خلعٌ سنيّةٌ وتحف مصريّة في الشهر المذكور

وفي هذه السنة استفحل امر بهرام داعي الباطنيَّة وعظُم خطبُهُ في حلب والشام وهو على غاية من الاستتار والاختفاء وتغيير الزيّ واللباس بحيث يطوف البلاد والمعاقل ولا يعرف احدٌ شخصه الى ان حصل في دمشق بتقرير قرَّرهُ نجم الدين ايل غازي بن ارتق مع الامير ظهير الدين اتابك وخطــاب وكّده بسببه فأُكرم لاتّقاء شرّه وشرّ جماعته وحُملت لهُ الرعاية وتأكدت بهِ العناية بعد ان تقلَّبت بهِ الاحوال وتنقّــل من مكان الى مكان وتبعه من جهلة الناس وسفهاء العوامّ وسفساف الفلّاحين الطغام من لا عقل لهُ ولا ديانة فيه احتماءً بهِ وطلباً للشر بحزبه. ووافقه الوزير ابو علي طاهر بن سعد المزدقاني وان لم يكن على مذهبه على امره وساعده على بثّ حبال شرّه واظهار خافي سرّه. فلما ظهر امره وشاع وطاوعه وزير ظهير الدين المذكور ليكون عوناً لهُ على فعله وتقوية يده في شغله التمس من ظهير الدين اتابك حصناً يأوي اليهِ ومعقلاً يحتمي بهِ ويعتمد عليه فسلّم لهُ ثغر بانياس في ذي القعدة سنة ٥٢٠ فلمّا حصل فيهِ اجتمع اليهِ اوباشه من الرعاع والسفهاء والفلاحين والعوامّ وغوغاء الطغام الذين استغواهم بمحــاله واباطيله واستمالهم بخدعه واضاليله فعظمت المصيبة بهم وجلّت المحنــة بظهور امرهم وسَبيهم (كذا) وضاقت صدور الفقهاء والمتديّنين والعُلماء واهل السُّنّــة والمقدّمين والستر والسلامة من الاخيار المؤمنين واحجم كل منهم من الكلام فيهم والشكوى لواحدٍ منهم دفعاً لشرّهم وارتقاباً لدائرة السوء عليهم لانهم شرعوا في قتل من يعاندهم ومُعاضدة من يوازرهم على الضلال ويرافدهم بحيث لا يُنكر عليهم سلطان ولا وزير ولا يفلّ حدّ شرّهم متقدّمٌ ولا اميرٌ

وفي هذه السنة ورد الخبر بوصول السلطان مغيث الدنيا والدين محمود ابن السلطان محمد بن ملك شاه (118r) الى بغداد وجرى بينه وبين الخليفــة الامام المسترشد بالله امير المؤمنين مراسلات ومخاطبات اوجبت تشعيث الحال بينهما والمنافرة من كل

منهما وتفاقم الامر الى ان اوجب زحف السلطـان في عسكره الى دار الخلافة ومحلّ الامامة ومحاربته في قصره والطلبة لغلبته وقهره ولم يزل الشحناء مستمرَّة والفتنة على غير الايثار مستقرَّة الى ان زالت اسباب الخلف والنفار وعادت الحال الى ما الفيت من شوائب الاكدار بحسن سفارة الوزير جلال الدين بن صدقة وزير الخلافة وجميـل وساطته وسديد نيابته وعاد السلطـان مع ذلك الى المألوف من طاعته والمعروف من مناصحته والتصرّف على اوامر امير المؤمنين وامتثالـه وذلك في العشر الاخير من ذي الحجة سنة ٥٢٠ وقيل في اوَّل المحرَّم سنة ٥٢١

وفي رجب من هذه السنة توفّي الامير طرخان بن محمود الشيباني احد امراء دمشق بعلَّةٍ حادَّةٍ هجمت عليه فاردَتْهُ . وفيها قصدت الافرنج رفنية وضايقوها واستعـادوها من ملكة المسلمين

سنة احدى وعشرين وخمسمائة

فيها ورد الخبر من ناحية العراق بقتل المعين وزير السلطان سنجر ابن السلطان ملك شاه صاحب خراسان بتدبير الباطنيَّة في شهر ربيع الاخر منها . ذُكِر انهُ كان فتك بجماعةٍ منهم ومحرِّضاً للسلطان على النكاية فيهم وتطهـير الارض منهم فرتَّبوا لهُ قوماً من سفهائهم للارصاد لفرصةٍ تلوح فيهِ وغرَّةٍ تظهر منهم فلم يتمّ لهم في ذلك نيل طلب ولا تسهَّل لهم ادراك ارب فافردوا منهم سفيهاً ولم يزل يتحيَّل الى ان خدم في اسطبـل دوابّه سائساً لبغاله واقام في خدمته الى ان وجد الفرصة متسهّلة عند حضوره لمشاهدة كراعه فوثب عليه وهو غافلٌ مطمئن فقتله ومُسك فقُتل من بعـده . وكان هذا الوزير موصوفًا بجميل الافعال وحميد الفعال ومتانة الدين (118[v]) وحسن اليقين والانصاف في اعماله والتسدُّد في اقواله ومضى لحال سبيله شهيدًا وانتقل الى ربّه مرضياً حميدًا عند نفاد المدَّة وانقضاء العدَّة ولله عاقبة الامر وبيده محتوم النفع والضرّ

وقد تقدَّم من شرح حال الامير سيف الدين اق سنقر البرسقي صاحب الموصل في استشهاده بيد الباطنية في جامعها رحمه الله وقيام ولده الامير مسعود في الامر من بعده ما فيه الكفاية . فلما استتبّ امره وقويت شوكته واستقامت ولايته شمخ بانفه ونفخت حداثة السنّ في سخره وحدَّثته نفسه بمنازلة البلاد الشاميـة والطمع في تملُّك المعاقل الاسلامية والاطّراح لمجاهدة العُصب الافرنجية بالضدّ من أُولي الحزامة والسداد وذوي

البأس والبسالة في احراز فضيلة الغزو والجهاد. ونمى الخبر عنـه الى ظهير الدين اتابك بحكايات تدلّ على حسده له بما أُوتي من الهيبة وحسن الصيت وجميل الذكر وكبر الشأن والامر وانّهُ عازمٌ على التأهب والاحتشاد لقصد اعمال الشام والعيث فيها والإفساد. فعزم ظهير الدين اتابك عند معرفته هذه الاحوال التي لا يصـدر مثلها عن اريبٍ ولا يبدو شبهها عن حازمٍ في رأيه لبيب على الاستعداد لقصده في عسكره حين يدنو من الاعمال الشامية فيُوقع بعسكره ويشفي غليله بالفتك بحزبه. فما كان بعد ذلك الّا الايام القلائل حتى انفصمت عُرى شبابه وتزل محتوم القضاء بهِ بهجوم مرضٍ حادٍّ عليه بظاهر الرحبة اتى عليهِ واصاره الى المحتوم الذي لا بدَّ لهُ عنهُ ولا مجير لهُ منهُ فانفلّ حدّه وخذله انصارهُ وجنده واسلمته للقضاء حُماتهُ وتفرّقت عنهُ خواصهُ وثقاته وهلك في الحال وزيرهُ وشريكهُ في الوزر ومُشيرهُ بعلّةٍ شديدةٍ اعجلتهُ وفي اشراك المنيَّة اوبقتهُ وهرب جماعةٌ من خواصّ غلمان ابيهِ الاتراك باعلامه التي كانت قد استعملها على مراده وايثاره وتناهى في احكامها على قضيَّة اقتراحه واختياره ووصلوا بها الى ظهير الدين اتابك متحفّين لهُ بها ومتقرّبين اليهِ باهدائها فاحسن اليهم وبالغ في الاكرام لهم والانعام عليهم واصطفاهم لنفسه وضمّهم الى ثقاته واهل انسه وقابلهم على وفودهم عليه (119r) بالفعـل الجميل والعطاء الجزيل (١

وفي هذه السنة وردت الاخبار من ناحية العراق بسير السلطان مغيث الدنيا والدين محمود وقد عبث بهِ مرضٌ خاف منهُ على نفسه محمولًا في محفةٍ نحو همذان واجتاز عند

---

١) قال الفارقي في تاريخه: وفي سنة ١٩ او في اوّل سنة ٥٢٠ قُتل البرسقي في جامع الموصل قتلهُ الباطنيـة ووليَ ولده مسعود البلاد من ديار ربيعـة وغيرها واجتمع بهاء الدين القاضي الشهرزوري ونصير الدين جقر وصلاح الدين محمد اليغصياني (الباغيسياني) وحصلوا خزانةً وخدمةً ونزلوا الى بغداد ليخدم السلطان محمود ويقرّ الامير مسعود ولد البرسقي في البـلاد ولمّا وصلوا اذنوا وقالوا: أن هذا صبيّ ولا يقوم بالملك وربّما لا يدبّر البلاد ويكون الحيف علينـا. فاقتضى رأيهم انّهم اجتمعوا بقسيم الدولة زنكي بن اق سُنقر وكان شحنة بغداد في تلك السـنة وقرّروا معهُ ما ارادوا من مصالحهم واستحلفوه ان يكون لبهـاء الدين قضاء الموصل وجميع البلاد وما فيها من القضاء والامور الدينيّة لهُ. فحلف ان تكون الحجبة وامارة العسكر لصلاح الدين وان يكون ولاية الموصل وجميع البلاد الى نصير الدين ويولّي فيها من يراهُ فحلف جم على ذلك وتقرّر الامر اليهم بينهم ثم انهم خدموا السلطان واصحابه والخليفة واصحابه بالمال الذي وصل معهم فطلبوا زنكي فسلَّم اليهِ السلطان ابنيه الب ارسلان والخفاجي وحصل اتابكهما واوفى لهُ بالبلاد وسار الى الموصل وملك الموصل والبلاد اوّل سنة ٥٢٢

ذلك بدار الخلافة وراسل الامام المسترشد بالله امير المؤمنين يسألهُ المسامحة بما سبق منهُ في تلك النوبة الحادثة بينهما وان يحلّله ويدعو لهُ ولا يدعو عليهِ فخرج اليهِ جواب الرسالة باجمل جواب وألطف خطاب طابت بهما نفسه وزاد في استماعهما امله في البرّ وأنسه ثم انهُ افاق من مرضه هذا وعاوده نشاطه بعد الكسل والفتور وعاد الى الغرض المأثور. وكان قد انكر على وزيره شمس الملوك خواجه بزرك اموراً دعتهُ الى الامر بالقبض عليه وتسليمه الى حاجبه فقتله وقيل انهُ شرب الخمر في قحف رأسه

وفي شعبان من هذه السنة قصد بغدوين ملك الافرنج صاحب بيت المقدس في عسكره وادي موسى فنهب اهله وسباهم وشرد بهم وعاد عنهم. وفي جمادى الآخرة منها ورد الخبر بان الامير ختلغ ابه السلطاني وُلّي مدينة حلب وحصل في قلعتها بطلائع اختير لهُ ولم يقم الّا القليل حتى فسد امره واضطرب حاله ووقع بينه وبين احداث الحلبيين فحصروهُ في القلعة الى ان وصل الى حلب عسكر الامير عماد الدين اتابك فتسلّمهُ من القلعة واعتُقل واستُؤذن في امره فأُذن في سمل عينيه فسُملتا

سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة

في هذه السنة اشتدّ المرض بظهير الدين اتابك وطال بهِ طولًا أنهك قوّتهُ وأنحل جسمه واضعف مُنّته واشفى منهُ على نزول ما لا يُدفع بحيلة ولا يمنع بقوّة فاحضر ولده الامير تاج الملوك وامراء دولته وخواصه واهل ثقته واعيان عسكريّته واعلمهم بانهُ قد احسّ من نفسه بانقطاع الاجل وفراغ المهل وخيبة الرجاء من البقاء والامل « ولم يبق غير الوصيّة بما يعمل عليه ويدبّر بهِ الامر بعدي وينتهي اليهِ وهذا ولدي تاج الملوك بوري هو اكبر ولدي والمترشح للانتصاب مكاني من بعدي والمأمول لسدّ ثلمة فقدي ولا اشكُّ في (119ᵛ) سداد طريقته وايثاره لفعل الخير ومحبّته وان يكون مقتفياً لآثاري في حفظ قلوب الامراء والعسكريّة وعاملًا على مثالي في انصاف الاعيان والرعيّة فان قبل وصيّتي هذه ونهج السبيل المرضية في بسط المعدلة والنصفة في الكافّة وازال بحسن سياسته عنهم اسباب الوجل والمخافة فذاك الظن في مثله والمرجو من سداده وجميل فعله وان عدل عن ذلك الى غيره وحاد عن ما يؤثر من السداد في سرّه وجهره فها هو متشاهدٌ لهذه الحال ومتوقعٌ لمثل هذا المآل » فقال: بل اوفى على المراد ولا اتعدّى سبيل السداد والرشاد فوكّد الامر عليه في ذلك تأكيداً فهمه منه وقبله عنه

ثم توفي الى رحمة الله ضحى نهار يوم السبت لثان خلون من صفر من السنة فابكى العيون ونكأ القلوب وفتّ في الاعضاد وفتّت الاكباد واشتدّ الاسف لفقده والجزع عليه ولم يُسمَع الّا متفجّعٌ لهُ وذاكرٌ لجميل افعاله وشاكر لايامه. وقام ولده تاج الملوك بوري بالامر من بعده واحسن السيرة في خاصّهِ ورعيّتهِ وجنده فلوكانت مجاري الاقدار تدفع اليهِ عن ذوي المناصب والاخطار لكان هذا الامير السعيد الفقيد احقّ من تخطَّأ بهِ المنايا ولم تُلمّ بساحتــهِ الرزايا وابقتهُ الايام لها رُتبةً تتباهى بها وحليةً تتنافسُ بها الّا انّ الله تعــالى لا يغالب امره ولا يدافع حكمه ولا بُدّ من تمام ما سبق بهِ علمه وحدوث ما تقرَّر نفــاذه في خلقه لان الموت غاية الحيوان ونهاية ما يكون من مصــير الانسان. وقد كان هذا الامير السعيــد قد بالغ في استعمال العدل والكفّ عن الظلم واعاد على جماعةٍ من الرعيّة املاكاً في ظاهر البــلد جمّةً دائرةً أُغتُصبت منهم في زمن الولاة الظــالمة وقُبضت عنهم في زمن العُتاة الجبابرة وجرت عليهما احكام المقاسمة وعتت الايدي العــادية الغاشمة فاعادها الى خراجها القديم المستقرّ ورسمها السالف المستمرّ ورفع عنها موادّ الجور والعــدوان وحسم عن مالكيها اسبــاب التأوُّل في كل مكان واوان فاحرز بذاك صالح الدعاء وجميل الشكر والثناء

ثم رفع الى امير المؤمنين الخليفة المسترشد بالله رُقعــةً عند مصيره الى بغداد (120r) ومُهاجرته الى الباب الامامي المسترشدي والسلطاني الغياثي يذكر فيها حال مواضع دائرة في عمل دمشق وحِصَصٍ عامرةٍ وارض مُعطَّلة لا مالك لها ولا فائدة في عطلتها ولا انتفاع لخاصّي ولا عامّي بشيءٍ منها لدثورها ودروس معاملها ورسومهــا واستأذنهُ في بيعها ممّن رغب فيها ويؤثر عمارتها للانتفاع بريعهــا وغلّتها وصرف ما يحصل من ثمنها في الاجناد المرتّبين للجهاد فاذن لهُ في ذلك اذنًا تامًّا مؤكدًا اباحهُ لهُ وامضاه لمن يملكه بالابتياع منه واحلّه واطلقه ووقّع بذاك على ظهر الرقعة بالامضاء وابطال التأوُّل فيهِ والتحــذُّر من ابطال شيءٍ من حكمه او التجاوُز لرسمه ووكّد بالعلامة الشريفة الاماميّة المسترشديّة التي قبلها منهُ وتقلّدها عنــه واشهد عليه بذلك الشهود المعدّلين وامضى البيع في ذلك لمن رغب فيهِ فعمرت عدَّة ضياع يباباً خاليــة وعلى عُرُوشها خاوية وارض عافية لا انتفاع بهــا ولا فائدة لاحدٍ فيها فأُجريت عيون مياهها وأُعيدت الى اجمل عاداتها وظهرت منها الخيرات وعمّت بذلك الميامن والبركات

ودامت له الدولة ولمن بعده ببركات هذه الافعال الحميدة والنيّة الجميلة وحسُنت لهم العقبى في الولد والأسرة والاهل والجملة وحصل لهُ الذكر الجميل في الآفاق والاقطار والامصار والثناء الطيب الحسن للآثار ومضى لشأنه سعيدًا عزيزًا حميدًا على ظهر فراشه لا يُرَدّ له امرٌ ولا يخالف له قولٌ ولا يُتجاوز له حكم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

ذكر تاج الملوك بوري بن اتابك عند توليه الامر بعد ابيه ظهير الدين اتابك واخباره وما جرى في ايامه من نوبة الباطنية والاحداث المتجدّدة وما جرى مع الافرنج الى ان مضى سبيله

شرح ذلك

لمّا نفذ القضاء في ظهير الدين اتابك رحمه الله قام ولده الامير تاج الملوك (120[٢]) بالامر من بعده اذ كان نجله وولي عهده فعمل بما كان القاه اليه واعتمد على ما وكده في وصيّته عليه من حسن السيرة في جميع من حوَتهُ دمشق من الاجناد والعسكريّة وكافة الاتباع والرعية وزاد على ذلك وبالغ في الذبّ عنهم والمراماة دونهم وجرى على منهاج ابيه في بسط المعدلة واعتماد النصفة للاجناد وثقل الوطأة على الاعداء والاضداد وانصاف المتظلّمين وردع الظالمين وحماية السُّفّار والمتردّدين والتبليغ بالنكاية للمفسدين بحيث اجتمعت القلوب على حبّ دولته وانطلقت الالسن بالدعاء الصالح بادامة ايّامه وإطالة مدّته واقرّ وزير ابيه ابا علي طاهر بن سعد المزدقاني على وزارته واجراه على رسمه في سفارته ولم يصرفْ احدًا من نوّابه المعروفين بخدمته عن رسمه وعادته ولا ازاله عن معيشته بل زاد في ارزاقهم وخلع عليهم واحسن اليهم واقرّ الاقطاعات على اربابها والجامكيّات على اصحابها فكثر الدعاء له والثناء عليه واحسن الى وزيره المقدّم ذكره واطلق لهُ عُشر ارتفاعه مع حقوق العرض عن الاقطاعات والواجبات والنفقات. وقد كان اسرّ في نفسه من امر الباطنية ما لم يبدِهِ لاحدٍ من خواصّهِ وثقات بطانته عند ما قويت شوكتهم وتضاعفت مضرّتهم اتباعاً لما كان عليهِ ابوهُ من اظهار الرعاية لهم والمداراة لدفع شرّهم فلماً مكّنهُ الله منهم واقدره عليهم افتتح امره بالتدبير عليهم والايقاع بهم فكان منهُ في امره ما سيأتي مشروحاً في مكانه

ذكر ما حدث من الباطنيّة بدمشق واعمالها وما آلت اليه احوالهم من البوار وتعفية الآثار في بقية سنة ٥٢٢

شرح الامر والسبب في ذلك

قد تقدّم من ذكر بهرام داعي الباطنيــة والسبب الذي اوجب تسليم ثغر بانياس اليه ما فيهِ الكفاية عن تكرير الذكر لهُ ولمّا حصل في بانياس شرع في تحصينها وترميم ما استرمّ وتشعّث منها وبثّ دُعاته في سائر الجهــات فاستغووا خلقًا كثيرًا من جهّال الاعمال وسفساف الفلّاحين من الضياع وغوغاء الرعاع ممّن لا (121ᵛ) لُبّ لهُ يصدّه عن الفساد ويردعه ولا تقيّة تصدفه عن المنكر وتمنعه فقوي شرّهم وظهر بقبح الاعتقاد سرُّهم وامتدّت ايديهم وألسنتهم الى الاخيار من الرعية بالثلب والسبّ والى المنفردين في المسالك بالطمع والسلب واخذهم قسرًا وتناولهم بالمكروه قهرًا وقتل من يقتل من الناس تعدّيا وظلمًا. واعانهم على الايغال في هذا الضلال ابو علي طاهر بن سعــد المزدقاني الوزير معونةً بالغ فيها وحصل لهُ وَخِيمُ عاقبتها وذميمُ مغبّتها لما تقرّر بينهُ وبين بهرام الداعي المقدّم من المؤازرة والعاضدة والمظافرة والمرافدة موافقةً في غير ذات الله ولا طاعته طلبًا لِأَن تكون الايدي واحدةً على من يقصدهما بمكروهٍ والنيّات مترادفة على من ينوي لهم شرًّا وتاج الملوك غير راضٍ بذاك ولا مؤثر لهُ بل تبعثــهُ السياسة السديدة والحلم الوافر والمعرفة الثاقبة على الاغضــاء منهم على القذى والصبر على مؤلم الاذى وهو يسرّ في نفسه ما لم يظهره ويطوي من امرهم ما لم ينشره الى حين يجــد الفرصة متسهّلة المرام والمكنة من اعداء الله بادية الاعلام فضــد ذاك تُنتَهز الفرصة وتُقتَنَص الفريسة. واتّفق ان بهرام الدعي لمّا يريد الله تعالى من بواره ويحــلّ بهِ من هلاكه ودماره حدّثتهُ نفسه بقتل برق بن جندل احد مقــدّمي وادي التيم لغير سبب حمله عليهِ ولا جناية دعتهُ اليهِ بل اغترار بعاقبة الظالمين في سفك الدماء المحرّمة وافاظة النفوس المحظورة وجهلًا بما حذّر الله تعالى من يقصد ذاك ويُقدِم عليهِ بقوله عزّ وجلّ: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهــا وَغَضِبَ اللّٰهُ عليهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عظيمًا [1] فخدعهُ الى ان حصل في يده فاعتقله وقتله صبرًا فتألّم لقتل

1) Qur. IV, 95.

مثله على هذه مع حداثة سنِهِ وشهامته وحسن صورته واعلنوا بلعن قاتله في المحافل والمشاهد وذمّه من كل غائب ومُشاهد. فحملت اخاه ضحاك بن جندل وجماعته وأسرته الحميةُ الاسلامية والحرقة الاهلية على الطلب بدمه والاخذ بثاره فتجمّعوا وتعاهدوا وتعاقدوا وتحالفوا على المصابرة على لقاء اعدائهم والايغال في الطلب لدمائهم وبذل المهج والنفوس (121v) في ادراك ثارهم وشرعوا في التأهّب لهذه الحال صابرين وللفرصة متوقّعين الى ان ساق بهرام ولفيفه الحَين المتاح وقضى الله عليهم بالاصطلام والاجتياح فتجمعوا من كل ناحية وتهافتوا من كل صوب وجهة وظهر بهم من بانياس في سنة ٥٢٢. وقصد ناحية وادي التيم للايقاع بالمذكورين وكانوا مستعدّين للقائه مترقّبين لحربه. فلمّا أَحسُّوا بقربه منهم نهضوا باجمعهم اليهِ نهوض الليوث من غابها للمحاماة على اشبالها وطاروا نحوهم مطار صقور الجبال الى يعاقيبها واجبالها لحين دنوا من حزبه المفلول وحشده المخذول هجموا عليهم وهم في مخيَّمهم غارُّون وبهم مغترُّون وصاح صائحهم وهم غافلون وعما نزل بهم من البلاء ذاهلون والى ان يتمكّن فارسهم من امتطاء جوادهِ وراجلهم من تناوُل عدّتهِ وعتادهِ اتى القتل على اكثرهم ضرباً بالسيوف ووجياً بخناجر الحتوف ورشقاً بسهام البلاء ورجماً باحجار الاقدار والقضاء

وكان بهرام في خيمته وحوله جماعةٌ من شركائه في جهله وضلالته غافلاً عمّا احاط بهِ وبطائفته وقد وثبوا عند سماع الضوضاء والصياح الى اخذ آلة السلاح فارهقوهم بسيوفهم الماضية وخناجرهم المبيرة القاضية حتى اتوا على الجميع وقُطع رأس بهرام ويده بعد تقطيعه بالسيوف والسكاكين واخذهما واحد مع خاتمه من الرجال القاتلين ومضى بهما الى مصر مبشّراً بهلاكه ومهنّئاً ببواره فخلع عليهِ واحسن اليهِ وشاعت بذلك الاخبار وعمّ الكافة الجذلُ بهلكهم والاستبشار واخذ الناس من السرور بهذا الفتح باوفر السهام واكمل الاقسام فقلّت عدّتهم وانقصفت شوكتهم وانفلّت شكّتهم

وقام بعد بهرام صاحبه اسمعيل العجمي رفيقه في الضلال والعدوان وشريكه في المحال والطغيان مقامه واخذ في الاستغواء للسفساف مثاله وزاد في الجهل زيادةً اظهرت سخف عقله ومحاله وتجمّع اليهِ بقايا الطائفة الخبيثة من النواحي والاصقاع ومن كان منهم متفرّقاً في النواحي والبقاع. وجرى ابو علي طاهر بن سعد المزدقاني الوزير على الحال التي سلكها مع بهرام في حقّ اسمعيل في المساعدة على مراده (122r) والمعاضدة

على اغراضه لتحرّزه من الشرّ ورغبته في السلامة ولم يعلم ان عُقبى هذه الافعال عين الندامة والبعد عن طريق السلامة فقد قيل «رُبَّ مستسلمٍ نجت بهِ سلامتهُ ومتحرّزٍ من الشرّ كانت فيهِ آفتهُ» ولم تزل شكوى الناس من الخاصّة والعامّة تتضاعف والاضرار بهم من المخذولين يتوالى ويترادف الى ان صرف تاج الملوك بن ظهير الدين اتابك الى الفتك بهم والاجتياح لهم همّته وارهف لتطهير الاعمال منهم عزيمته ورأى ان صلاح الامر فيما يقتضيه التدبير فيما يُراد والتقرير الايقاع بابي علي الوزير اوّلًا فانهُ أصوَبُ ما اعتمد واولى ما قصد فرتّب لقتله من خواصه من اعتمد عليهِ وسكن في امره اليهِ وقرّر معهُ ان يضرب رأسه بالسيف متى اشار اليه. فلمّا كان يوم الاربعاء السابع عشر من شهر رمضان سنة ٥٢٣ حضر مع جماعة الامراء والمقدّمين على الرسم في قبّة الورد من دار القلعة بدمشق وجرى في المجلس امورٌ ومخاطباتٌ مع تاج الملوك والحضور انتهى الامر فيها الى الانصراف الى منازلهم والعود الى دورهم ونهض الوزير المذكور منصرفًا بعدهم على رسمه فاشار تاج الملوك الى خصمه فضرب رأسه بالسيف ضربات اتت عليهِ وقُطع رأسه وحُمل مع جثّته الى رمادة باب الحديد فالقيت عليها لينظر الكافّة الى صنع الله تعالى بمن مكر واتّخذ معينًا سواه وبغيره انتصر وأُحرقت جثته بعد ايام بالنار وصار رمادًا تذروه الرياح ذلك بما قدّمت يداه وما الله بظلّام للعبيد(١

وشاع الخبر بذلك في الحال فثارت الاحداث بدمشق والغوغاء والاوباش بالسيوف والخناجر المجرّدة فقتلوا من ظفروا بهِ من الباطنيّة واسبابهم وكل متعلّق بهم ومُنتمٍ اليهم وتتبّعوهم في اماكنهم واستخرجوهم من مكانهم وافنوهم جميعًا تقطيعًا بالسيوف وذبحًا بالخناجر وجُعلوا مُصرّعين على المزابل كالجيف الملقاة والميتة المجتواة وقُبض منهم نفرٌ كثيرٌ التجأوا الى جهاتٍ يحتمون بها واملوا السلامة بالشفاعة منها قهرًا وأُريقت دماؤهم هدرًا واصبحت النواحي والشوارع منهم خالية والكلاب على اشلائهم وجيفهم مُتهارشةٌ عاويةٌ ان في (122ᵛ) ذلك لآيةً لأُولي الالباب

وكان قد اخذ في الجملة المعروف بشاذي الخادم تربية ابي طاهر الصانغ الباطني الذي كان بحلب وهذا اللعين الخادم كان اصل البلاء والشر فعوقب شرّ عقوبة شفت قلوب كثير من المؤمنين وصُلب ومعه نفرٌ منهم أعلى شرفات سور دمشق ليشاهد فعل

---

١) قال سبط ابن الجوزي: ان هذا الوزير هو الذي بني المسجد على الشرف الشمالي شمالي دمشق عند تربة ستّ الشام ويسمّى بمسجد الوزير وفيهِ القُرّاء وعليهِ الوقف

الله بالظالمين ونكالةُ بالكافرين . وكان الحاجب يوسف بن فيروز شحنة البـلد ورئيسه الوجيه ثقة الملك ابو الذواد مفرّج بن الحسن الصوفي قد بالغـا في التحريض على هلاك هذه الطائفة الخبيثة فاخذوا في التحرُّز والاحتياط من اغتيال مَن يُندب اليهما من باطنية أَلموت مقرّ الباطنية بلبس الحديد والاستكثار من الحفظة حولهما بالسلاح الوافر العتيد لحصل الشقاء لمن اساء وكفر والسعادة لمن احسن واعتبر

واما اسمعيل الداعي المقيم ببانياس ومن معه فانهم لما سمعوا ما حدث من هذه الكائنة سُقط في ايديهم وانخذلوا وذلّوا واقبل بعضهم على بعض يتـلاومون وتفرّق شملهم في البلاد وعلم اسمعيل ان البلاء محيط بهِ ان اقام ببانياس ولم يكن لهُ صبرٌ على الثبات فانفذ الى الافرنج يبذل لهم تسليم بانياس اليهم ليأمن بهم فسلّمها اليهم وحصل هو وجماعةٌ في ايديهم فتسللوا من بانياس الى الاعمال الافرنجيـة على غاية من الذلّة ونهاية من القلّة وعرض اسمعيل علّة الذرب فهلك بهـا وقُبر في بانياس في اوائل سنة ٥٢٤ فخلت منهم تلك الناحية وتطهَّرت من رجسهم

وفي سنة ٥٢٢ ورد الخبر من بغداد بوفاة الوزير جلال الدين ابي علي الحسن بن علي بن صدقة وزير الخليفة رحمه الله في جمادى الاخرة منها وكان حسن السيرة محمود الطريقة كاتبًا فاضلًا بليغًا محبوبًا من الخاصّة والعامّة سديد الرأي حميـد التدبير صادق العزم صافي الحسن كريم النفس . فكثر الاسف عليهِ والتوجُّع لفقده واستوزر بعده نقيب النقباء شرف الدين ابو القسم علي بن طراد الزينبي في جمادى الاولى منهـا وهو من جلالة القدر وشرف الاصل ونباهة الذكر والمنزلة المشهورة والرتبة المعروفة والمكان المشتهر . وفي جمادى الاولى سنة ٥٢٢ توفّيت الخاتون شرف النساء والدة تاج الملوك رضي الله عنها (123ᵛ) وقُبرت في قبّتها المبنيَّة برسمها خارج باب الفراديس

سنة ثلث وعشرين وخمسمائة

قد مضى ذكر نوبة الباطنية وغيرهم لما اقتضى سَوْق الكلام فيهِ في سنة ٢ و٣ لما انتهى الى الافرنج خبر الكائنة في الباطنية وانتقـال بانياس عنهم اليهم احدث ذلك لهم طمعًا في دمشق واعمالها واكثروا الحديث في قصـدها وبثّوا رسلهم الى الاعمال في جمع الرجال والاحتشاد فاجتمع اليهم سائر من حوَتهُ بلادهم من الرُّها وانطاكية وطرابلس والساحل ووصلهم في البحر ملك كُند هو الذي قام مقام بغدوين الهالك في

الافرنج ومعهُ خلقٌ كثير فاجتمعوا ونزلوا على بانياس وخيّموا عليها وشرعوا في تحصيل المِيَر والازواد للاقامة وتواترت الحكايات عنهم ممّن شاهدهم واحصى عــددهم انهم يزيدون على ستّين الفاً فارساً وراجلاً واكثرهم الرجالة

فلمّــا عرف تاج الملوك ذلك من عزمهم تأهّب لهذا الامر وصرف همّه الى الاستكثار من العدد والسلاح وآلة الحرب وما يحتاج اليهِ من الآلات التي يحتاج اليها لتذليل كل صعب وكاتب امراء التركمان على ايدي رسله المندوبين اليهم بالاستنجــاد والاستغــاثة بهم وبذل من المال والغــلال ما بعثهم على المبادرة الى اجابة ندائه والسرعة الى دعائه ووصل اليهِ من طوائفهم المختلفة الاجنــاس كل ذي بسالة وشدّة مراس راغبين في اداء فريضة الجهاد ومسارعين الى غزو الكفرة الاضــداد واطلق ما يحتاجون اليهِ لقوتهم وقضيم خيولهم

ورحل الملاعين عن بانياس طالبين دمشق على اناةٍ وترتيب ونزلوا على جسر الخشب والميدان المعروف المجاور لهُ في.....من ذي القعدة سنة ٥٢٣ وخيّموا هناك واصبح العسكر خَرَجَ من دمشق وانضمّ اليهِ التركمان من منازلهم حول البلد والامير مرّة بن ربيعة في العرب الواصلين معه وتفرّقوا كراديس في عدّة جهــات ووقفوا بازائهم لتخرج منهم فرقةٌ فيسارعوا اليها ويزحفوا فيبادروا الى لقائهم فلم يخرج منهم فارسٌ ولا ظهر راجلٌ بل ضمّوا اطرافهم ولزموا مخيمهم واقام النــاس على هذه الصورة اياماً (123[٧]) يتوقّعون زحفهم الى البلد فلا يشاهد منهم الّا تجمّعهم وإطافتُهم حول مخيمهم وبريقُ بيضهم وسلاحهم وكُشف خبرهم وما الذي اوجب تأخّرهم عن الزحف وتلوّمهم فقيل انهم قد جرّدوا ابطال خيلهم وشجعان رجالهم للمصير مع البغال الى حوران لجمع المِيَر والغلال التي يُستعــان بمثلها على الاقامة والنزال وانّهم لا حركة لهم ولا قوّة بهم الى عود المذكورين

فلمّا عرف تاج الملوك هــذه الحال بادر بتجريد الابطال من الاتراك الدمشقيين والتركمان الواصلين والعرب القــادمين مع الامير مرّة واضاف اليهم الامير سيف الدولة سوار في عسكر حماة وقرّر معهم نهوضهم اخر يومهم والجدّ في السير عامّة الليل ووصولهم عند الصباح الى ناحية بُراق لان تقدير وصول الملاعين عند عودهم من حوران الى ذلك المكان. فسارعوا الى العمل بما مثل لهم واصبحوا في ذلك المكان وهم على غاية من الكثرة والمنعة ومعهم سواد عسكرهم باسره في عَدَدٍ لا يُحصى كثرةً فهجموا عليهم

فلم يتكامل ركوبهم الّا وقد قُتل منهم جماعة بالنشّاب وضربوا مصافًا ووقفوا قِطعــةً واحدةً وحمل عليهم المسلمون فثبتوا ولم يزل عسكر الاسلام يكرّ عليهم ويفتك بهم الى ان فشلوا واتخذلوا وايقنوا بالبوار وحلول الدمار. وولّى كليام دبور مقدّمهم وشجاعهم في فريق من الخيّالة منهزمين وحمل الاتراك والعرب حمــلةً هائلةً واحدقوا بهم ضربًا بالسيوف وطعنًا بالرماح ورشقًا بالسهام فما كان الّا بعض النهار حتى صاروا على وجه الارض مصرعين وبين ارجل الخيل مُعفّرين وغنموا منهم الغنيمة التي امتلأت ايديهم بها من الكراع والسلاح والاسرى والغلمان وانواع البغال وهو شيء لا يُحصَر فيذكر ولا يحدّ فيعدّ ولم يسلم منهم الى معسكرهم الّا القليل من الخيالة الذين نجت بهم سوابقهم المضمرة وعاد الاتراك والعرب الى دمشق ظافرين غانمين منصورين مسرورين اخر نهار ذلك اليوم المذكور. فابتهج الناس بهذا اليوم السعيد والنصر الحميد وقويت بهِ النفوس وانشرحت بهِ الصــدور وعزم العسكر على مباكرتهم بالزحف الى مخيّمهم عند تكامل وصوله (124ʳ) وتسرّع اليهم جماعةٌ من الخيل وافرةٌ وهم ينظرون الى كثرة النار وارتفــاع الدخان وهم يظنون انّهم مقيمون فلما دنوا من المنزل صادفوهم وقد رحلوا اخر تلك الليلة عندما جاءهم الخبر وقد احرقوا اثقالهم وآلاتهم وعُددهم وسلاحهم اذ لم يبقَ لهم ظهر يحملون عليهِ عند ما عرفوه من حقيقة الامر الذي لا يمكن معه المقام مع معرفتهم بكثرة عسكر الاتراك ولا طاقة لهم بهِ ولم يتمالكوا ان رحلوا لا يلوون على منقطعٍ ولا يقفون على مُقصِّرٍ وخرج الى منزلهم فغنموا منــهُ الشيء الكثير من اثاثهم وزادهم وصادفوا جماعةً من الجرحى في الوقعة قد هلكوا مع وصولهم ودُفنوا في اماكنهم وخيولُهم مُصرّعةٌ من الجراح الكثيرة (١ ولحق اواخرهم العسكر فقتلوا جماعةً من المنقطعين واغذّوا سيرهم في هزيمتهم خوفًا من لحاق المسلمين لهم . وامن النــاس وخرجوا الى ضياعهم وانتشروا في اماكنهم ومعائشهم وانفرجت عنهم الكربة وانكشفت الغمّة وجاءهم من لطف الله تعالى وجميل صنعه ما لم يكن في حساب ولا خطر في بال. فلله الحمد والشكر على هذه النعمة السابغة والموهبة الكاملة حمدًا يستديم جزيل نعمهِ ويستمدّ المزيد من منائحهِ وقسمهِ

وعاد التركمان الى اماكنهم بالغنائم الوافرة والخلع الفاخرة وتفرّق جمع الكفَرة الى معاقلهم على اقبح صفةٍ من الذلّة وعدم الكراع وذهاب الاثقال وفقد ابطال الرجال

---

١) وفي الاصل: الكد

وسكنت القلوب بعد الوجل وأمنت بعد الخوف والوهــل وايقنت النفوس بان الكفرة لا يكاد يجتمع لهم بعد هذه الكائنة شملٌ بعد فناء ابطالهم واجتياح رجالهم وذهاب اثقالهم

سنة اربع وعشرين وخمسمائة

في المحرَّم اوَّل هذه السنة توّفي الشيخ الامين جمال الأُمناء ابو محمد هبة الله بن احمد الاكفاني رحمهُ الله وكان موصوفًا بالكفاية والامانة معروفًا بالصيانة والديانة ولم يقم من الشهود بعده مثله في الذكاء والامانة والغناء

لمَّا خلا ديوان الوزارة بدمشق بعد قتــل ابي علي طاهر المزدقاني الوزير من عارفٍ ينظم حسباناته ويسدّد امور معــاملاته وارتاد تاج الملوك كافيًا يَرُدُّ الامر في ذلك (124ᵛ) اليهِ ويعتمد فيهِ عليهِ ويسكن الى نهضته في تهــذيب احواله وترتيب اعماله وحفظ ابواب ماله فلم يتسهّل لهُ بلوغ المقصود ولا تيسّر لارتياده نيــلُ الغرض المنشود فوقع تعويله على الرئيس الوجيه ثقــة الملك ابي الذواد المفرّج بن الحسن الصوفي رئيس دمشق فردّ الامر في ذلك اليه وقلّده منصب الوزارة واعتمد فيه عليــه ووجده أكفى من وقعت اليه الاشارة من كتّابه ومتصرّفيه وان كان ضعيف الصناعة في الكتابة خفيف البضاعة من البلاغة فان رأيه سديد ومذهبه في التنزّه والامانة حميد ولهُ معرفةٌ بسياسة العاملين في المعاملات ويدٌ في الحكّ والضبط في استدعاء الحسبــانات وحفظ الاخراجات ولم يجد لهُ محيدًا عنهُ ولا بدلًا منــهُ فقلّدهُ هذا المنصب واثقًا بحسن سفارته ومرضيّ موّازرته وخلع عليه وزاد في احسانه اليه واجلسه مجلسه من الديوان بمحضر من الامراء والاماثل والاعيان وامر بكتب المنشور بأحسن اوصافه والتحــذير من تجاوز امره وخلافه ولقّبه محيي الدين تأكيدًا لامره ورفعًا لقدره فاحسن السياسة وسدّد احوال الرئاسة واستعمل العدل في اعماله والانصاف لمعاملته وعمَّاله ونظر في الاعمال واعتمد على الكُفاة الثقات من العُمَّال وجرت الاحوال في ذلك على السداد واطّردت على الاستقامة أحسن اطّراد

(و)في هذه السنة ورد الخبر بوصول الامير عمــاد الدين اتابك زنكي بن اق سنقر صاحب الموصل الى حلب في عسكره عازمًا على الجهاد وارسل تاج الملوك بوري بن ظهير الدين اتابك يلتمس منه المعونة والإسعاد على محاربة الافرنج الاضداد وتردّدت الرســل

بينهما في ذلك الى ان اجاب الى المراد وانفـذ اليه من استحلفه على المصافاة والوداد وتوثّق منهُ على الوفاء وجميل الاعتقاد واكد الامر في هذه الحالة تأكيدًا سكن اليهِ ووثق بهِ واعتمد عليهِ وبادر بتجريد وجوه عسكره في خمسمائة فارس وكتب الى ولده بهاء الدين سونج بحماة يأمره بالخروج في عسكره والاختلاط بالعسكر الدمشقي ومقدّمه الامير شمس الامراء الخواصّ وعدّة من الامراء والمقـدّمين (125ʳ) فامتثل الامر وخرج من حماة في رجاله وتجمّله وتوجّهوا جميعًا الى مخيّم عمـاد الدين اتابك فاحسن لقاءهم وبالغ في الاكرام لهم واغفلهم اياماً وعمل عليهم وغدر بهم وقبض على سونج ولد تاج الملوك وعلى جماعة المقدّمين ونهب خيامهم واثقالهم وكراعهم فهرب منهم من هرب واعتقل الباقين وحملهم الى حلب وامر بحفظهم فيها

وزحف من يومه الى حماة وهي خالية من الرجال الحماة فملكها واستولى على ما فيها ورحل عنها الى حمص وكان صاحبها خيرخان بن قراجه معه بعسكره ومناصحٌ في خدمته وعاملٌ بطاعته وكان المعين لهُ والمحرّض على الغدر بسونج وقبضهِ حين نزل عليها غدرًا بخيرخان صاحبها واعتقله ونهب خيامه واثقاله وتوثّق منـهُ وطلب بتسليم حمص اليهِ فراسل نوّابه فيها وولده بذلك فلم يلتفتوا الى مقـاله ولا وقعت منهم اجابةٌ الى سؤاله فاقام عليها مدّةً طويلةً يبالغ في المحاربة لاهلها والمضايقة لها فلم يتهيّأ لهُ فيها مطلبٌ ولا تيسّر مأرب فرحل عنها الى الموصل واستصحب معـهُ سونج بن تاج الملوك والمقدّمين من عسكر دمشق واقرّ الباقين في حلب وتردّدت المراسـلات في اطلاق المعتقلين فلم يفعل والتمس عنهم خمسين الف دينـار اجاب تاج الملوك الى تحصيلها والقيام بها

في هذه السنة وردت الاخبار من ناحية مصر بقتل الآمر باحكام الله صاحبها في اخرها تدبيرًا دُبّر لهُ وعُمل فيه عليه لامورٍ منكرة ارتكبها واحوالٍ قبيحةٍ اعتمدها ادعت الى قتله واوجبت الفتك بهِ لانهُ بالغ في ظلم الرعيّـة وأَخْذ اموالهم واغتصاب املاكهم وسفك الدماء واساء السيرة وارتكـب المحذورات واستحسن القبائح من المحظورات فابتهج الخاصّ والعامّ بالحادث فيه والراحة منهُ في يوم الثلثاء الثاني من ذي القعدة سنة ٥٢٤ وعمره ٣٤ سنة ومولده بالقاهرة سنة ٤٩٠ وايام دولته ٢٤ سنة ونقش خاتمه « الامام الآمر باحكام الله امير المؤمنين » وقام بعده ابن عمه ابو الميمون عبـد المجيد بن الامير ابي القاسم ابن الامام المستنصر بالله امير المؤمنين وأُخذت لهُ البيعة على

الرسم (125ᵛ) فيها ونُعت بالحافظ لدين الله امير المؤمنين فاستقام لهُ الامر واستتبّ برأيه التدبير وقلّد الامر ابا علي احمد بن الافضل امير الجيوش وزارة الدولة وتدبير المملكة فساس الكافّة أعدل سياسة ودبّر الاعمال اجمل تدبير وجرى على منهاج ابيه الافضل رحمه الله في حُبّ العدل وايثاره واحتواء الجور واخماد ناره واعاد على التُنّاء والتجّار ما اغتُصب من اموالهم وقُبض من املاكهم وأمّن البرّ التّقي واخاف المفسد الشقي وبالغ في ذلك مُبالغةً احرز بها شكر القريب والبعيد وحاز بها اجر الوفّق السعيد. ولم يزل على هذا المذهب الحميد مُواظباً ولهذا المنهاج السديد مُداوماً الى ان نجم لهُ من مقدّمي الدولة حَسَدةٌ حسدوه على ما الهمهُ الله من افعال الخيرات واقتناء الصالحات تجمّعوا على افساد احواله ولفقوا المحال في الطعن في اعماله وسعوا في العمل بانواع من الكذب جمعوها والفاظ من الباطل نمقوها وقُرّر ذلك مع العسكرية دون الاعيان والاماثل من الرعيّة وأُغفل الى ان وُجدت الفرصة فيهِ متسهّلة والغرّة منهُ باديةً وحصل في جانبٍ من الميدان خالياً من العِدّة والعُدّة والاعوان والنجدة لا يشعرُ بما قد رُتّب لهُ ودُبّر عليهِ فوثبوا عليهِ وقتلوهُ رحمهُ الله وانفردوا بهِ وادركهُ اصحابهُ وقد قضى فقتلوا الجُناةَ وحملوهُ الى تربته فدفنوهُ بها (١

سنة خمس وعشرين وخمسمائة

في هذه السنة انتهى الى تاج الملوك عن الرئيس المقلّد امر الوزارة محالٌ غيّر قلبه عليه وقدح في منزلته وافسد ما كان جميلًا فيهِ من رأيه وامر باعتقاله مع بعض اقاربه اعتقالًا جميلًا وعزله عن الوزارة والرئاسة في شهر ربيع الاوّل منها وعوّل في تقليد مكان الوزارة على كريم الملك ابي الفضل احمد بن عبد الرزّاق المزدقاني ابن عمّ الوزير ابي علي المزدقاني المقدَّم ذكره فردّ الامر في ذلك اليه وعوّل في الوزارة والسفارة عليهِ واستقام لهُ الامر ومشت الاحوال بهِ. واستبشر اكثر المتصرّفين والعمّال لانهُ كان حسن الطريقة قد تهذّب في النيابة عن الوزارة في الديوان وعرف سياسة (126ʳ) الاعمال في كل عصرٍ واوان فصيح اللسان بالفارسيّة والعربيّة ولم يزل مستمرّ الامر الى ان حدث

---

١) قال سبط ابن الجوزي : انهُ لُقّب بالاكمل وانهُ قُتل في سنة ٥٢٦ وحُمل رأسه الى الحافظ فسُرّ بقتله لانهُ كان قد حجر عليهِ واستوزر يانس الكاتب ولقبهُ امير الجيوش واستصفى اموال الاكمل فكانت ثلثمائة الف دينار

ما تغيّرت بهِ حاله لان الباطنية لما جرى عليهم ما قضاه الله من البوار واحلّه بهم من الهلاك والدمار انتهى خبر ذاك الى رفقائهم بالموت فاسفوا عليهم وقلقوا لما نزل بهم وشرعوا في بثّ حبائل شرّهم ونصب اشراك ختْرهم ومكرهم وندبوا لتاج الملوك من يغتاله ويوقع بهِ من جُهّال اخوانهم وفُتّاك اقرانهم. ووقع اختيارهم على جاهلين من الخراسانية قرّروا معهما التحيُّل في امر تاج الملوك والطلب لهُ والفتك بهِ في داره عند امكان الفرصة فيهِ ووصل هذان الرجلان الى دمشق في زيِّ الاتراك بالقباء والشربوش وحضرا الى معارف لهما من الاتراك وسألوهما الوساطة في استخدامهما وتقرير الواجب لهما وخدعاهم ولم يرتابوا بهما وتدرّجا بالحيلة والمكر الى ان صارا في الجملة من الخراسانية المرتّبين لحفظ ركاب تاج الملوك وتمكّنا وسكنت القلوب اليهما لانهما ضُمنا. ورقبا الفرصة في تاج الملوك الى ان دخل الحمّام وعاد منهُ ووصل الى باب داره من القلعة بدمشق وتفرّق عنهُ من كان في ركابه من الخراسانية والديلم والاحداث الحفظة لهُ فوثبا عليهِ في يوم الخميس لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ٥٢٥ وضربهُ احدهما بالسيف طالباً لرأسه فجرحه في رقبته جرحاً لم يتمكّن منهُ وضربهُ بسكّين عند خاصرته نفذت بين اللحم والجلد ورمى بنفسه في الحال عن فرسه سليماً وتكاثرت الرجال عليهما فقطعوهما بالسيوف وأُحضر اهل الخبرة بمداواة الجراح من الاطبّاء والجرائحيين وعولجا فبرأ احدهما الذي عند الرأس وتنسّر الذي في الخاصرة وصلحت الحال في ذلك وركب واقام مدّة يحضر مجلسه الخواصُّ والعسكريّة والاجناد للسلام والشراب على الرسم المعتاد

وفيها ورد الخبر من بغداد بوفاة السلطان مغيث الدنيا والدين محمود ابن السلطان غياث الدنيا والدين محمد بن الملك شاه بن البارسلان رحمه الله في شوال سنة ٥٢٥ بمرض حدث بهِ كان معهُ نفاد اجلهِ وفراغ مهله وتقرّرت السلطنة بعده لأخيه السلطان ابي الفتح مسعودِ بن محمد (126[v]) بن ملك شاه بن البارسلان وتكون ولاية العهد من بعده لابنه داود بن محمود ثم لاخيه السلطان طغرل بن محمد وسيأتي ذكر كل واحد منهم في موضعه

وفيها ورد الخبر من حِلّة مكتوم بن حسّان بن مسمار بان الامير دُبيس بن صدقة ابن مزيد اجتاز بالحلّة وكان قد انهزم من العراق في خواصّ اصحابه وغلمانه خوفاً من الخليفة المسترشد بالله امير المؤمنين وضلّ في الطريق لم يكن معهُ دليلٌ عارفٌ بالمسالك

والمناهل وكان قصده حلّة مِرَى بن ربيعة فهلك اكثر من كان معه وتفرّق اصحابه بعد موت من مات بالعطش وقد حصل في الحلّة كالمنقطع الوحيد في نفر يسير من اصحابه فانهض تاج الملوك فرقة من الخيل نحوه لاحضاره فاحضرته الى القلعة بدمشق في ليلة يوم الاثنين لستّ خلون من شعبان سنة ٥٢٥ فتقدّم تاج الملوك بانزاله في دارٍ بالقلعة واكرامه واحترامه والتنوُّق في شرابه وطعـامه وحمل اليهِ من الملبوس والمفروض ما يقتضيه محلّه الرفيع ومكانه المكين الوجيه واعتقله اعتقال كرامةٍ لا اعتقال اهانةٍ وانهى الحال في ذلك الى الدار العزيزة الامامية المسترشدية فورد الجواب اليهِ بالتوثّق منهُ والاحتياط عليهِ الى حين يصل اليهِ من يتسلّمهُ ويحملهُ الى بغداد

ولمّا عرف عماد الدين اتابك زنجي صاحب الموصل هذه الحال نفّـذ رسولًا لهُ الى تاج الملوك يلتمس منهُ تسليمه ويكون الجزاء عنـهُ الخمسين الالف الدينار المقرَّرة على ولده سونج وبقية العسكر الدمشقي المتعلّقين فاجابهُ تاج الملوك الى ذلك وتقرَّر الشرط عليه وان يصل عسكره الى ناحية قارا ومعه المعتقلون ويخرج الامير دُبيس مع عسكر دمشق الى هُناك فاذا تسلّم المعتقلين سلّموا دُبيسًا الى اصحابه فتوجّهوا بهِ من دمشق ووصلوا بهِ الى قارا فتسلموا المعتقلين منهم وسلّموا اليهم دُبيسًا في يوم الخميس الثامن من ذي القعدة من السنة وعاد كلٌّ من العسكرين الى مكانه ووصل سونج الى دمشق هو والجماعة فسُرّ تاج الملوك بهم وزال شغل قلبه (127[r]) بوصولهم فعند ذلك خُوطب تاج الملوك في الرئيس واهله المعتقلين وسُئل في اطلاقهم والمنّ عليهم بتخليـة سبيلهم فاجاب الى ذلك بعد ان قرَّر عليهِ مصالحة يقوم بها وأُطلق وأُعيـد الى رئاسته دون وزارته وخلع عليهِ وعلى الوزير كمال الدين كريم الملك ابي الفضل احمد بن عبد الرزّاق المزدقاني في مستهلّ رمضان من السنة

وفي هذه السنة ورد الخبر من صرخد بوفاة واليهـا فخر الدولة كمشتكين الخادم التاجي في جمادى الآخرة منها وكان حسن الطريقة جميل الذكر كثير التديّن مشكور المقاصد. وفيها وصل سديد الدولة ابن الانباري كاتب الخليفة الامام المسترشد بالله امير المؤمنين رسولًا منهُ في امور واسباب اقتضتها في آخر ذي القعدة منها ويبعثُ على تسليم الامير دُبيس الى مَن يحملهُ الى بغداد وقد فات الامر فيـهِ فاكرم مثواهُ وسرّ بمقدَمه وأُجيب عن رسائله وتوجّه عائدًا بعد ان حمل اليهِ ما يقتضيه محلّه ويوجبه مكانه وصادفه في طريقه بناحية الرحبة خيل الامير عماد الدين فقبضت عليهِ ونهبت ما كان معهُ وقتلت

بعض غلمانه ولقي شدّةً عظيمةً من الاعتقال والإعنات الى ان خلص وأُطلق سراحهُ وعاد الى بغداد (١ . وفي يوم الخميس لثلاث ليال خلت من جمادى الاخرة منها جمع تاج الملوك جماعة من الامراء والمقدّمين والخواصّ واعيان الاجناد والكتّاب والفقهاء واماثل الرعيّة في مجلسه وقال لهم: انني قد انتهت بي الحال بسبب هذا الجرح الذي قد طال ألمه وتعذّر اندماله ما قد ايقنتُ معهُ الحلول بالامر المقضي الذي لا بدَّ منهُ ولا مندوحة للخلق عنهُ وقد يئستُ من روح الحيوة واستشعرتُ قُربَ الوفاة وهذا ولدي ابو الفتح اسمعيل قد لاحت لي منهُ امارة الشهامة والنجابة وبانت لي فيهِ مخايل الكفاية واللبابة وهو اكبر ولدي والمرجو لسدّ ثلمة فقدي وقد رأيتُ ان اجعله ولي عهدي والمرشح لتولّي الامر بعدي ثقةً بسداده وحسن تأتيه مع حداثة سنهِ وحميد اقتصاده فان سلك منهاج الخير واقتفاه وقصد سبيل العدل والانصاف وتوخّاهُ فذاك المراد منهُ والمأمول فيه وان عدل عن المطلوب المشار اليهِ وخالف (127[٧]) الامر المنصوص عليهِ كان المعوَّل عليكم في تنبّهه من نومته وايقاظه من فتور غفلته فانَّ الحازم اللبيب والسديد الاريب اذا ذُكّر ذَكَر واذا أُنهي عن منكرٍ اعرض عنهُ واقتصر. فقالوا: الامر امرُك الذي لا يُخالف ولا يُعدَل عنهُ والحكم حكمك الذي لا خروج لنا منهُ وطاعتنا لك في حياتك كطاعتنا لولدك بعد وفاتك والله يمدّ لك في العمر ويمنّ عليك بالعافية الشافية وتعجيل السلامة والبرء. فسرّ بمقالهم وشكر ما بدأ منهم من الحوادث الدالّة على حميد خلالهم ثم نصّ في الامر عليهِ واشار في ولاية العهد من بعده اليهِ وقرّر معهم العمل بطاعته والانتهاء الى اشارته وخلع عليهِ خلعًا سنيّةً تليق بمثله وتضاهي شرف مثله وركب فيها الى داره من القلعة بين الامراء والمقدّمين والاتباع من الخراسانية والغلمان والسلاحيّة والقرعداريّة (كذا) والجاووشية في اليوم المذكور والمحفل المحضور وتضاعف بذاك

---

١) وفي قصّة دُبَيس قال سبط بن الجوزي: انَّ ذكره هكذا في تواريخ اهل الشام وابي يعلي بن القلانسي (يعني هذا التاريخ). امّا تواريخ البغداديين فانهم قالوا: ضلّ في طريقه فقبض عليهِ بجيلة مكتوم بن حسّان الكلبي من اعمال دمشق وانقطع منه اصحابه فحُمل الى دمشق فباعهُ اميرها الى زنكي بن اق سنقر صاحب الموصل بخمسين الف دينار وكان زنكي عدوّه فظن انهُ سيهلكهُ فلما وصل في قبضته اكرمه وخوّله المال والسلاح. فلما ورد الخبر الى بغداد بعث الخليفة ابن الانباري ليتوصّل في اخذه فلما وصل الرحبة قبض عليهِ اميرها بامر زنكي وحصل الى قلعة الموصل وانهُ لم يخلص الّا بشفاعة السلطان محمود

منهم الجذل والسرور ومالت كافة الاصحاب اليهِ واجتمعوا عليهِ وواظبوا الخدمة لهُ في كل يوم والتسليم عليهِ

سنة ستّ وعشرين وخمسمائة

في هذه السنة ورد الخبر من ناحية الافرنج بهـــلاك بغدوين الرُوَيس ملك الافرنج صاحب بيت المقدس بعكّا في يوم الخميس الخـــامس والعشرين من شهر رمضان منها وكان شيخًا قد عَركهُ الزمان بحوادثه وعانى الشدائد من نوائبه وكوارثه ووقع في ايدي المسلمين عدَّة دفعات اسيرًا في محارباته ومصافاته وهو يتخلَّص منهم بحيله المشهورة وخُدعِهِ المخبورة ولم يخلف بعدهُ فيهم صاحب رأي صائب ولا تدبير صالح وقام فيهم بعده الملك القومص الجديد الكند الجور الواصل اليهم في البحر من بلادهم فلم يتسدَّد في رأيه ولا اصاب في تدبيره فاضطربوا لفقـــده واختلفوا من بعده

وفيهـــا اشتدّ مرض الجرح بتاج الملوك ووقع اليأس من بُرئهِ وصلاحه فطال الامر بهِ طولًا سئم معه الحياة واحبّ الوفاة وتزايد الضعف بهِ والذبول في جسمه وقوّته وقرب اجله وخاب في الصحَّة امله (128[1]) وتوفّي الى رحمـــة الله ومغفرته وتجاوُزهِ على مضي ساعة من نهار يوم الاثنين الحادي والعشرين من رجب منها فتألَّمت القلوب لمصابه وأُفيضت الدموع للنازل بهِ :

واذا المنيّةُ أَنشبت اظفارها　　أَلفيت كلَّ تميمةٍ لا تَنْفَعُ

ولكن قضاء الله تعالى لا يُغالب وحكمه لا يُدافع لان هذه الدنيـــا دار سوء لم يدم فرحٌ لامرئٍ فيها ولا حزنٌ الانفاسُ فيها محصاة معدودة والاجال محصورة محدودة والليل والنهار يقطعان الاعمار ويُفنيان المدَّة وما فَهم مواعظ الزمان مَن سكن الى خُدع الايام. ولقد انشد عند فقده الشريف الرضي :

بُعدًا ليومك في الزمان فانَّهُ　　أقذى العيون وفتَّ في الاعضادِ

لولا ما منَّ الله من قيام نجلهِ في الامر من بعده ونصه عليهِ في ولاية عهده شمس الملوك فازال الروعة وخفَّف اللوعة فاشتغل الناس بالتهنئـــة بالامير الموجود عن التعزية بالشهيد المفقود. وقد كان لتاج الملوك رحمه الله من المحاسن والمآثر والمناقب ما يُذكَر

في المحافل ويُنشر في الاندية والمحاضر ونظمت مدائحه الشعراء ونشرت فضائله الفصحاء البلغاء وكان الاديب الفاضل ابو عبد الله محمد بن الخيّاط الشاعر الدمشقي رحمه الله وهو طرفة شعراء الشام والمشهور بمحاسن الفنون من المديح وغيره بينهم قد نظم في تاج الملوك عدّة قصائد بالغ في تهذيبها وتحريرها وتحكيكها فذكرتُ من جملة ابياتها المعرّبة عن صفات معاليه ما يُستدلّ بهِ على استحقاقه ما بالغ فيهِ من مدح مقاصده ومساعيه فمن ابيات قصيدة اوّلها :

لقد كرّم الله ابن دهرٍ تسودهُ   وشرّف يا تاج الملوك بك الدهرا
ومنّ على هذا الزمان واهلهِ   بأروعَ لا يَعصي الزمانُ لهُ امرا
حُسامُ امير المؤمنين ومن يكن   حُساماً لهُ فليقتل الخوفَ والفقرا
اذا قلتُ في تاج الملوك قصيدةً   من الشعر قالوا قد مدحت بهِ الشعرا

وقال من أُخرى

(128v) ألم تكُ للملوك الغُرّ تاجا   وللدنيا وعالمها سراجا
لقد شرّف الزمان بك افتخارًا   كما سعدَ الانام بك ابتهاجا
مَدَدتَ الى اقتناء الحمد كفاً   طمى بحر السماح بها وماجا
وغادرت المعالي بالعوالي   كخيس الليث عزّ بهِ ولاجا

ذكر ايام شمس الملوك ابي الفتح اسمعيل بن تاج الملوك بوري بن ظهير الدين اتابك وشرح حالهِ في ابتداء امره الى انقضائه وما كان في خلال ذلك من الحوادث المتجدّدة ومعرفة تواريخها واوقاتها واحوالها

لمّا مضى الامير تاج الملوك بوري بن اتابك رحمه الله من هذه الدنيا الفانية الى الدار الباقية سعيدًا حميدًا شهيدًا اقام ولده شمس الملوك ابو الفتح اسمعيل مقامه في المملكة حسبَ ما كان عهدَ بهِ اليهِ في حياته واوصى بما يعمل بهِ بعد وفاته احسن السياسة والسيرة واخلص النيّة في اعماله والسريرة وبسط العدل في الرعية وافاض احسانه على كافة الاجناد والعسكريّة واقرّ الاقطاعات على اربابها والجامكيات على اصحابها وزاد في الواجبات ولم يُنقصها واقرّ وزير ابيهِ على وزارته ورتّب العُمّال والمتصرفين على ما كانوا عليهِ وردّ امر التقرير والتدبير الى الحاجب يوسف بن فيروز شحنة دمشق واعتمد عليهِ في مهمات امره وسكن اليهِ في جهره وسرّه وافتتح امر السياسة بالنظر في امر

الرعية والمتعيّشين بان رفع عنهم ما كان يستخرج منهم في كل سنة من اقساط الفيئة وابطل رسمها وحظر تناوُلها وازال حكمها وعوَّض ارباب الحوالات عليها بجهاتٍ غيرها فكثر لهُ الدعاء واتّصل عليه الثناء وذلك في رجب سنة ٥٢٦ . وظهر من شهامته وشدَّة بأسه وشجاعته واقدامه وبسالته ومضاء عزيمته ما لم يقع في وهمٍ ولا خطر في بالٍ وفهمٍ .وسنذكر من ذلك في اماكنه مايقوم مقام العيان دون الحكاية بالمقال

فمن ذلك اوَّلًا افتتاحه حصن اللبوءة والرأس (129r) وكانا في يدي المندوبين لحفظهما من قبل تاج الملوك ابيهِ وكانا قد اقرًّا على رسمهما فانتهى الى شمس الملوك ان اخاهُ شمس الدولة محمد بن تاج الملوك صاحب بعلبك قد عمل عليهما حتى استنزلهما على حكمه من حصنيهما المذكورين وندب لهما من رآه من ثقاته ونوَّابه لحفظهما فانكر مثل هذا الفعل عليهِ وامتعض منهُ وراسل اخاه المذكور بالمعاتبة على ما قصده ويهجّن رأيه فيما اعتمده ويسألهُ النزول عليهما واعادتهما الى ما كانا عليهِ فامتنع من الاجابة الى ما طلب والقبول لما التمس فاهمل الامر فيه وفي الحديث في معناهُ مدَّةً يسيرةً ثم استعدّ وتأهب لقصد الحصنين المذكورين ولم يشعر احدٌ بما عزم عليهِ وصرف همّه اليهِ . ثم نهض في العسكر وآلات الحرب من دمشق موهمًا انهُ يطلب ناحية الشمال في آخر ذي القعدة من السنة ثم عاد في طريق اخرى مُغرِّبًا بعد تشريقه فلم يشعر من بحصن اللبوءة الّا وقد نزل عليهِ وزحف من وقته اليه بعزيمة لا تُدافع وشدَّة لا تُمانع . فلمَّا احسّ من فيهِ بالبلاء لما شاهدهُ من شدَّة القتال ولم يجد لهُ مخلصًا بحالٍ من الاحوال طلب الامان من يومه فأُجيب الى ما سأل وأُسعف بما امَّل ونزل من الحصن وسلَّمهُ اليهِ فقرَّر امره واستناب في حفظه من اعتمد على كفايته ونهضته . ثم رحل عنها عند الفراغ منهُ الى حصن الرأس فجرى امرُ مَن فيهِ على تلك القضية فتسلَّمهُ وولَّاهُ لمن يحفظهُ ثم رحل عنهُ ونزل على بعلبك وقد استعدَّ اخوهُ صاحبها واحتشد واجتمع اليهِ خلقٌ كثير من فلاحي البقاع والجبال وغير ذلك من الحراميَّة المفسدين فحصرهم فيها وضايقهم وزحف اليهم في الفارس والراجل وخرج من بعلبك من المقاتلة جماعة فقُتل منهم وجرح نفرٌ كثيرٌ وعلى السور ايضًا

ثم زحف بعد ايام الى البلد البرَّاني وقد حصَّنوه بالرجال فشدَّ عليهم القتال وفرَّق العسكر عليهِ من عدَّة جهات فملكه وحصل العسكر فيه بعد ان قُتل وجُرح الخلق الكثير ممَّن كان فيه ونصب المناجيق على البلد والحصن وواظب الزحف اليهما والشدّ عليهما . فلمَّا عاين صاحبها شدَّة الامر والاستمرار على الاقامة (129v) والمصابرة راسل

في بذل الطاعة والمناصحة والسؤال في اقراره على ما كان عليه في ايّام ابيهِ فحملتهُ عاطفة القُربى على احتمال ما جرى والاغضاء عمّا سلف واجاب الى ما التمس ونزل على ايثارهِ وما طلب وتقرّر الامر بينهما على ما اقترح وعاد شمس الملوك في العسكر الى دمشق ظافرًا مسرورًا في اوائل المحرّم منها

سنة سبع وعشرين وخمسمائة

في المحرّم منها وردت الاخبار من ناحية الافرنج بوقوع الخلف بينهم من غير عادةٍ جاريةٍ لهم بذلك ونشبت المحاربة بينهم وقُتل منهم جماعة. وفيها صادف جماعة من التركمان صاحب زردنا (١ في خيله فظفروا بهِ وقتلوهُ ومن معهُ واشتملوا على خيولهم وكراعهم. وقيل ان ابن الدانشمند ظفر بفريق وافر خرج من القسطنطينيّة فاوقع بهِ وقتل من كان فيه من الروم وغيرهم

وفي سابع عشر جمادى الآخرة غار الامير سوار من حلب في خيله على تل باشر فخرج مَن فيهِ من ابطال الافرنج اليهِ فقتل منهم تقدير الف فارس وراجل وحمل رؤوسهم الى حلب. وفي رجب منها قبض شمس الملوك على مري بن ربيعة فاعتقله وعلى اسامة بن المبارك وصانعهُ على مصالحةٍ قام بها واطلقهُ واقام مري على حاله وتردّد فيهِ خطاب انتهى آخره الى قتله وهذا مكافأة ما اسلفهُ من قبيح الافعال ومذموم الاعمال والظلم الذي ارتكبهُ في سائر الاحوال

ولمّا عاد شمس الملوك من ناحية بعلبك بعد المقرّر بينهُ وبين اخيه صاحبها ممّا تقدّم ذكره وشرحه انتهى اليهِ من ناحية الافرنج ما هم عليهِ من فساد النيّة والعزم على نقض الموادعة المستقرّة. وشكا اليهِ بعض التجّار الدمشقيين ان صاحب بيروت قد اخذ منهم عدّة حمال كتّان قيمتها جملة وافرة من المال فكتب الى مقدّم الافرنج في ردّ ذلك على اربابه واعادته على من هو اولى بهِ وتردّدت المكاتبات في ذلك فلم تُسفر عن نيل مرادٍ ولا نيل طلابٍ فحملهُ الغيظ والحنق على مقابلة هذا الفعل بمثله واسرّ ذلك في نفسه ولم يبدهِ لاحدٍ من خاصّتهِ وثقات بطانته وصرف همّه وعزمه الى التأهّب لمنازلة بانياس (130r) وانتزاعها من ايدي الملاعين المتغلّبين عليها ونهض اليها في اواخر المحرّم من السنة ونزل عليها في يوم الاحد غرّة صفر منها وزحف في عسكر اليها وفيها جماعة وافرة

١) وفي الاصل: ردنا

من الخيّالة والرجالة فارتاعوا لما اتاهم فجأةً وذلّوا وانخذلوا وقرب من سورهم بالدَرَق الجفتيات والخراسانيين والنقّابين وترجّل عن جواده وترجّل الاتراك باسرهم لترجّله ورشقوا مَن على السور بالنشّاب فاستتروا ولم يبقَ احدٌ يظهر برأسه عليه لكثرة الرماة وألزق الجفتيات الى مكانٍ من السور استرقه فنقبوه الى ان تمكّنوا منهُ ثم هجموهُ وتكاثروا في البلد. والتجأ من كان فيهِ من الافرنج الى القلعة والابراج وتحصّنوا بها ومانعوا عن نفوسهم فيها وملك البلد وفتح بابه وقتل كل من صودف فيهِ من الافرنج وأسر. ولمّا رأى مَن بالقلعة والابراج من المنهزمين ما نزل بهم من تملّك البلد والقصد لهم بالقتال ولا ناصر لهم ولا ممانع عنهم التمسوا الامان فأجيبوا اليهِ ونزلوا فأسروا جميعاً ونَهب ما كان في البلد وقرّر فيه من الرجال الاجلاد مَن يحفظهُ ويذبّ عنهُ ورحل عنهُ في العسكر ومعه الاسرى ورؤوس القتلى وحُرَم الوالي الذي كان بهِ واولاده والعُدَد الكثيرة ووصل الى دمشق في يوم الخميس لستّ ليالٍ خلت من صفر من السنة. وخرج الناس من البلد للقائه ومشاهدة الأسرى في الحبال والرؤوس في القصب وهم الشيء الكثير والجم الغفير فرأى النـاس من ذلك ما اقرّ عيونهم وسرّ قلوبهم وشدّ متنهم وابتهجوا لهُ واكثروا من شكر الله تعالى على ما سناهُ من هـذا النصر العزيز والفتح المبين وشاعت الاخبار بذلك في الافرنج فهالهم سماعه وارتاعوا لحدوث مثله وامتلأت قلوبهم رعباً ووجلاً واكثروا التعجّب من تسهّل الامر في بانياس مع حصانتها وكثرة الرجال فيها في اقرب مدّةٍ واسهل مرامٍ واسفوا على من قُتـل من الخيالة الفرسان والرجالة

وفي هذه السنة وردت الاخبار من ناحية العراق بوصول السلطـان مسعود بن السلطان محمد (١ الى بغداد ونزوله في الجانب الغربي منها واقام بها اياماً قلائل لتقرير الحال وكتب تذكرةً باشياء اقترحها والتمس اضافة الشام الى العراق (130v) ووصل اليه قاضي القضاة والاعيان والاماثل واستحلفوهُ على ما تضمّنـهُ المشروح المقترح في التذكرة وطولع بما جرى فخرج الامر السامي الامامي المسترشدي بالاذن لهُ في نزوله في دار السلطنة وكُتبت ألقابه وإقامة الدعوة لهُ وحُمل اليهِ ما يُحتاج الى مثله من الفرش وغيره وخُطب لهُ آخر جمعة من المحرّم وكُتب بتقرير امر السلطنـة الى جميع الاعمال والامر بالدعاء لهُ على منـابرها. واستُدعي الى الدار العزيزة المسترشديّة ونائب الوزير

---

١) وفي الاصل: محمود. وكذلك في جميع المواضع

شرف الدين انوشروان بن خالد وزير الخليفة عنهُ في ايصال سلامه ودعائه احسن مناب وخوطب باجمل جواب وافيضت الخلع عليهِ في يوم الاحد لخمس خلون من شهر ربيع الاوّل من السنة وقد جلس الامام الخليفة المسترشد بالله امير المؤمنين فحضر بين يديهِ وخدم كما جرت العادة لمثله فقال لهُ امير المؤمنين في مبدإ خطابه : تَلَقَّ هذه النعمة بشكرك واتّقِ الله تعالى في سرّك وجهرك . وكان هذا التشريف سبع دراريع مختلفات الاجناس والسابعة منها سوداء وتاجًا مرصّعًا وسوارين وطوق ذهب ولمّا جلس على الكرسي المعدّ لهُ وقبّل الارض قال لهُ امير المؤمنين : من لم يحسن سياسة نفسه لم يصلح لسياسة غيره . قال الله تعالى ذكرهُ : «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (١» . فاعاد الوزير عليه ذلك بالفارسية فاكثر من الدعاء لهُ والثناء عليه واستدعى امير المؤمنين السيفين المعدَّين لهُ فقلّدهُ بهما واللوائين فعقدهما لهُ بيده وسلّم عليه السلطان داود بن محمود اخيه (٢ واتابكه اق سنقر واكّد الوصية عليهِ في بابهما واجمال الرعاية لهما واستحلفه على الوفاء بما قرّره في بابهما وقال لهُ امير المؤمنين : انهض وخُذ ما اتيتُك (٣ وكُن من الشاكرين . وتوجّه السلطان مسعود بعد ذلك الى ناحية اذربيجان في اوّل شهر ربيع الآخر من السنة وقد انضمّ اليهِ (اق) سنقر احمديلي (٤ وخلق كثير من الاتراك

ووردت الاخبار الى بغداد بان عسكر السلطان مسعود كسر عسكر السلطان طغرل بن محمد (٥ بناحية همذان في ثامن عشر رجب من السنة وتفرّق عسكره في البلاد وعاد السلطان مسعود الى (131r) منزله وخُوطب لهُ في جامع همذان

وفي هذه السنة عزم شمس الملوك اسمعيل بن تاج الملوك على قصد حماة لمنازلتها واستعادتها من ايدي الغالبين عليها وملكتها وقد كان اخفى هذا العزم في نفسه ولم يُظهر عليه غيره وشرع في التأهّب لذلك والاستعداد للمصير اليها وقد كانت الاخبار انتهت الى الحافظ لها بهذا الاعتزام فبالغ في التحصين لها والتأهب للذبّ عنها والمراماة دونها واعدّ لذلك كل آلةٍ يُحتاج اليها ويُعتمد عليها . وانتهى الخبر بهذه الحال الى شمس الملوك فلم يحفل بهذا الامر ولا يشطن عنهُ بل برز في العشر الاخير من شهر رمضان سنة

---

1) Qur. ICIX, .7 , 8

٢) وفي الاصل : اخاه

٣) وفي زبدة التواريخ : ما اتيتك بقوّة

٤) وفي الاصل : سنقر واحمديلى

٥) وفي الاصل : محمود

٢٧ ولم يبق من مقدّمي أمرائه وخواصه الّا من اشار عليه بابطال هذه الحركة واستوقف عزمه عنها وهو لا يحفل بمقال ولم يسمع منه جواب خطاب وقيل لهُ : تهمل هذا الى فراغ صوم هذه الايام القلائل من هذا الشهر المبارك وتقضي سُنَّةُ العيد ويكون التوجه بعده الى ذلك المكان. فلم يصغ الى احد في هذا الرأي ولا عمل بمشورة انسان وبنى امره على قصدها واهلها غارُّون ومن بها من الحماة غافلون لتحققهم انهُ لا ينهض احدٌ في هذه الأيام الّا بعد العيد وترفيه الجند. ثم انهُ رحل في الحال اليها واغذّ السير حتى نزل عليها وهجم في يوم العيد على من فيها فراعهم ما احاط من البلاء بهم وزحف اليهم من وقته في اوفر عِدَّةٍ واكمل عُدَّةٍ فتحصَّنوا بالدروب والرحائل وصبروا على الرشق بالسهام والنبال وعاد العسكر في ذلك اليوم وقد نكأ فيهم نكايةً ظاهرةً في القتل والجرح والنهب والسلب وباكرهم من غدهِ في الفارس والراجل وفرّقهم حول البلد من جميع نواحيه ثم زحف في خواصه من الغلمان الاتراك وجماعة وافرة من الرجالة والخيالة القُتّال واسترقّ موضعاً من حماة قصد اليهِ وعوَّل في هجم البلد عليه وشدّ على من بهِ من الحماة والرماة فاندفعوا بين يديهِ وهجم البلد بنفسه من ذلك المكان. ولاذ من بها بالامان وترامى اليه جماعةٌ من حُماتها مستأمنين فأمّنهم وخلع عليهم واحسن اليهم ونادى بالكفّ عنهم ورفع الاذيّة عن كافّتهم وردّ ما نهب عليهم فخرج اليهِ اكثر رجال القلعة طالبين الامان فخلع عليهم (131^v) وأمّنهم. فحين رأى الوالي ذلك وعرف عجزه عن المصابرة طلب أمانه فأمّنه. وسلّم القلعة بما فيها اليهِ وحصلت مع البلد في يديهِ باسهل امرٍ واسرع وقتٍ فرتّب لولايتها من اعتمد عليه وسكن في حفظها اليه ورحل عنها وقصد شيزر ونزل عليها وامر بالعيث والفساد في نواحيها ولم يزل على هذه الحال الى ان لُوطف واستُعطف بما حُمل اليهِ ورحل عائدًا الى دمشق ودخلها مسرورًا ظافرًا في ذي القعدة من السنة

ومن اقتراحات شمس الملوك الدالّة على قوّة عزيمتهِ ومضاء همّته ومستحسن ابتدائه ما احدثهُ من البابين المستجدَّين خارج باب الحديد من القلعة بدمشق الاوسط منها وباب جسر الخندق الشرقي منها وهو الثالث لها انشأهم في سنة ٥٢٧ مع دار المسرَّة بالقلعة والحمام المحدثة من شامها على قضيَّة اخترعها وبنية اقترحها وصفة اثرها فجاءت في نهاية الحسن والطيبة والتقويم والاعتدال وفرغ منها في اوائل سنة ٥٢٨

وفيها (ورد) الامير المنتضى ابو الفوارس وثاب بن مسافر الغنوي رسولًا من مصر

في يوم السبت لاربع بقين من ذي القعدة منها بجواب ما كان صدر من مكاتبة شمس الملوك وواصل ما صحبه من الخلع السنية وأسفاط الثياب المصرية والخيل والمال وقُرِئَ الكتاب الوارد على يده ولم يزل مقيماً الى ان تسهّل مسيره فعاد منكفئاً سنة ٢٨ في يوم السبت لليلتين بقيتا من شهر ربيع الاوّل منها

وفي ذي الحجة منها وردت الاخبار بوصول عسكر وافر من التركمان الى ناحية الشمال وانهم غاروا على طرابلس واعمالها من معاقل الافرنج فظفروا بخلق كثير منهم قتلاً واسراً وحصل لهم من الغنائم والدواب الشيء الكثير وان صاحب طرابلس قنض طلولا بن بدران الصنجيلي خرج اليهم فيمن حشده من اعماله ولقي عسكر التركمان فكسروهُ واظفرهم الله بجشده المفلول وجمعه المخذول وقُتل اكثر رجاله وحُلّ حماته وابطاله وانهزم في نفر قليل من الحصن المعروف ببعرين فالتجأوا اليهِ وتحصنوا بهِ ونزل عسكر الاتراك عليه واقاموا محاصرين لهُ اياماً كثيرة حتى نفد ما فيه من القوت (132r) والماء بحيث هلك منهم ومن خيلهم الاكثرُ فاعملوا الحيلة واستغنموا الغفلة وانتهزوا الفرصة وخرجوا في تقدير عشرين مع المقدّم فنجوا ووصلوا الى طرابلس. وكاتب ملك بنض طلولا صاحبها ملك الافرنج بعكّا يستصرخ بهِ ويهن في اعماله ويبعثهم على نصرته فاجتمع اليهِ من الافرنج خلقٌ كثيرٌ ونهضوا الى التركمان لترحيلهم عن حصن بعرين واستنقاذ من بقي فيهِ منهم فلماّ عرفوا عزمهم وقصدهم زحفوا الى لقاءهم فقتلوا منهم جمعاً كثيراً واشرف التركمان على الظفر بهم والنكاية فيهم لولا انّهم اندفعوا الى ناحية رفنية فاتّصل بهم رحلهم عنها وعودهم على طريق الساحل فشقّ ذلك عليهم واسفوا على ما فاتهم من غنائمهم وتفرّقوا في اعمالهم

وفي هذه السنة عرض لكريم الملك ابي الفضل احمد بن عبد الرزّاق وزير شمس الملوك مرضٌ حادٌّ لم يزل بهِ الى ان توّفي الى رحمة الله في يوم الاحد الحادي والعشرين من ذي الحجة منها فحزن لهُ الناس وتفجّعوا بوفاته وتأسّفوا عليهِ بحسن طريقته ومشكور افعاله وحميد خلاله وكان محبًا للخير متمسّكاً بالدين مواظباً على تلاوة القرآن العظيم

وفي صفر من السنة نهض صاحب بيت المقدس ملك الافرنج في خيله الى اطراف اعمال حلب ووصل الى موضع يُعرَف بنوار فنهض اليه الامير سوار النائب في حلب في عسكر حلب وما انضاف اليهِ من التركمان فالتقوا وتحاربوا اياماً وتطاردوا الى ان وصلوا الى ارض قنسرين فحمل الافرنج عليهم فكسروهم كسرةً عظيمةً قتلوا فيها من المسلمين

تقدير مائة فارس فيهم جماعة من المقدّمين المشهورين المــذكورين وقتل من الافرنج اكثر من ذلك ووصل الفلّ الى حلب وتمّ الافرنج الى قنسرين ثم الى المقــاومة ثم الى نقرة الاحرن (كذا) فعاود الامير سوّار النهوض اليهم من حلب في من بقي من العسكر والاتراك فلقوا فريقًا من الافرنج فاوقعوا بهِ وكسروهُ وقتلوا منه تقــدير مائة فارس فانكفت الافرنج هزيمًا نحو بلادهم وعاد المسلمون بروٴوس القتلى والقلانع الى حلب فانجلت تلك الغمة بتسهُّل هذه النعمة . ووصل الملك الى انطاكية وانتهى الى (132v) سوّار خبر خيل الرُّها فنهض الامير سوّار وحسّان البعلبكي فاوقعوا بهم وقتــلوهم عن آخرهم في بلد الشمال واسروا من وقع في ايديهم حيًّا وعادوا الى حلب ظافرين سالمين ومعهم الأسرى والروٴوس

سنة ثمان وعشرين وخمسمائة

وفي هذه السنة نهض شمس الملوك اسمعيــل بن تاج الملوك في عسكره الى شقيف تيرون . الذي في الجبل المطلّ على ثغر بيروت وصيــدا فملكه وانتزعه من يد ضحّاك بن جندل التميمي المتغلّب عليه في يوم الجمعة لستّ بقين من المحرَّم منهــا

وفي هذه السنة خرج شمس الملوك الى المتصيّد اواخر شهر ربيع الآخر بناحية صيدنايا وعسال فلمّا كان يوم الثلثاء التاسع منــهُ وقد انفرد من غلمانه وخواصه وثب عليه احد مماليك جدّه ظهير الدين اتابك من الاتراك يُعرَف بايلبا وقد وجد منهُ خلوةً وفرصةً بالسيف وضربهُ ضربةً هائلةً يريد بها قطع رأسه فقضى الله تعالى بالسلامة فانقلب السيف من يده ولم يعمل شيئًا ورمى بنفسه الى الارض في الحال وضربه ثانيةً فوقعت في عنق الفرس فاتلفه وحال بينه وبين الفرس الى ان تكاثر عليهِ الغلمان وتوافوا اليهِ فانهزم وانهض في اثره من الخيل من يتعقّبه ويطلبهُ ويتوثّق منهُ وعاد الى البلد . وقد اضطرب الامر فيهِ عند اشاعة هذه الكائنة فسكنت النفوس بسلامته . وجدّ المنهضون في طلبه من الخيل والغلمان والبحث عنهُ في الجبال والطرقات والمسالك الى ان لحقوهُ فجرح جماعةً بالنشّاب الى ان امسكوه فلما احضروه الى شمس الملوك وقرَّره وسألهُ : ما الذي حملك على هذا الفعل . فقال : لم افعلهُ الّا تقرُّبًا الى الله تعالى بقتلك وراحة الناس منك لانك قد ظلمت المساكين

والضعفاء من الناس والصنّاع والمتعيّشين والفلّاحين وامتهنت العسكرية والرعيّة ·
وذكر جماعةٌ من الغلمان أبرياء اوقعهم في التهمـــة بانهم وافقوهُ على هذا فقبض عليهم واضافهم اليهِ وقتل الجميع في الحال صبرًا. ولامهُ الناس على ذلك (حيث قتل) هؤلاء الغلمان بقول هذا الجاني من غير بيّنةٍ قامت (133ᵛ) ولا دلالة ظهرت ولم يكفهِ قتل من قَتلَ ظلماً حتى اتّهم اخاه سونج بن تاج الملوك فقتله وهو كبيره اشنع قتلة بالجوع في بيتٍ وبالغ في هذه الافعال القبيحة والظلم ولم يقف عند حدٍّ

وفي يوم السبت الرابع من جمادى الاولى من السنة وصل اثير الملك ابو علي الحسن ابن اقش رسولًا من الدار العزيزة النبويّة المسترشـديّة وعلى يده برسم شمس الملوك التشريف الامامي المندوب لايصاله اليه وافاضته عليه ووردت المكاتبات على يده عن الوزير شرف الدين ابي القسم علي بن طراد النقيب الزينبي وزير الخليفة وكان معزولًا عن الوزارة فأعيد اليها في شهر ربيع الاوّل سنة ٥٢٨ وصُرف عنها الوزير شرف الدين انوشروان بن خالد صرفًا جميلًا

وفي هذه السنة وردت الاخبار من ناحية مصر بالخلف الحادث بين ولدي الامام الحافظ لدين الله ابي الميمون عبد المجيد امير المؤمنين ابي علي الحسن ولي عهد المسلمين واخيه ابي تُرابٍ حيدرة ابني الحافظ واقتسام الاجناد فرقتين احدهما مائلةٌ الى مذهب السنّة واهله والاخرى الى مذهب الاسماعيلية وحزبه واستعار نار الحرب بينهما واستظهار حزب السُنّة على حزب الاسماعيلية بحيث قُتل منهم خلق كثير وكان اكثر القتل في الريحانية والسودان واستقام الامر بعده لابي علي الحسن وتتبّع من كان ينصُر مذهب الاسماعيلية من المقدّمين والدُعاة ومن يجري مجراهم فابادهم بالقتـل والتشريد وصلحت الاحوال واستقامت امور الاعمال بعد الاضطراب والاختلال وورد كتاب الحافظ لدين الله الى شمس الملوك بهذه الحال في اواخر ذي الحجة من السنة بما تجدَّد عندهُ من هذه النعمة

وفي ذي القعدة من السنة انتهت الاخبار الى شمس الملوك من ناحيـة الافرنج باعتزامهم على نقض المستقرّ من الهـدنة وقبيح الموادعة المستمرّة وتأهّبهم للجمع والاحتشاد وقصد الاعمال الدمشقية بالعيث والفســاد فحين عرف شمس الملوك هذه الحال شرع في جمع الرجال واستدعى التركمان من جميع الاعمال واتّصـل به نهوض الافرنج الى ناحية حوران فبرز في (133ᵛ) العسكر وتوجّه اليهم وخيّم بازائهم وشرعوا في اخراب امّهات الضياع الحورانيـة ووقع التطارُد بين الفريقين. وكان الافرنج في جمع

كثيف من الخيل والرجل بحيث حصروهم في منزلهم لا يخرج منهم فارسٌ ولا راجل الّا رشقته السهام واختطفهُ الحِمام واقامت المناوشة بين الفريقين عدّة ايّام ثم اغفلهم شمس الملوك ونهض في فريقٍ وافرٍ من العسكر وهم لا يشعرون وقصد بلادهم عكّا والناصريّة وما جاورهما وطبريّة وما والاها فظفر بما لا يحصى كثرةً من المواشي والعوامل والنسوان والصبيان والرجال وقتل من صادفه وسبي من ظهر لهُ واحرق ما وجدهُ وامتلأت ايدي التركمان من غنائمهم. واتّصل الخبر بالافرنج فانخذلوا وقلقوا وانزعجوا واجفلوا في الحال من منزلهم طالبين اعمالهم وعرف شمس الملوك ذاك فانكفأ الى مخيّمه على طريق الشعراء سالمًا في نفسه وجملته ظافرًا غانمًا. ووصل الافرنج الى اعمالهم فشاهدوا ما حلّ بها ونزل باهلها من البلاء فساءهم ذاك وفتّ في اعضادهم وانفلّت شكّتهم وانقصفت شوكتهم وتفرّق شملهم وذلّوا وطلبوا تقرير الصلح بينهم وعاد شمس الملوك الى دمشق مسرورًا في اخر ذي الحجة من السنة

وفيها وردت الاخبار باجتماع الامير عماد الدين اتابك والامير حسام الدين تمرتاش ابن ايل غازي بن ارتق على بلاد الامير داود بن سكمان بن ارتق ونهض اليهما في عسكره والتقى الفريقان على باب آمد فانهزم داود وانفلّ عسكره وأُسر بعض اولاده وقتل جماعة من اصحابه وذلك في يوم الجمعة سلخ جمادى الآخرة ونزل على آمد وحصرها وقطع شجرها ولم يحصل منها على طائل فرحل عنها

ووردت الاخبار بان عماد الدين اتابك نزل على القلعة المعروفة بالصور وضايقها وافتتحها في رجب من السنة (١. وفيها ورد الخبر من ناحية بغداد بوقوع النار في بعض محالّها فاحترق الخان المشهور بمخازن التجار وكثيرٌ من الاسواق وتلف للتجار الحاضرين والغائبين من جميع الجهات ما لا يحصى من اموالهم وبضائعهم. وفيها ورد الخبر بان عماد الدين اتابك استوزر ضياء الدين (134r) ابا سعيد الكفرتوثي وهو مشهور بحسن الطريقة والكفاية وحُبّ الخير والمقاصد السديدة والمذاهب الحميدة. وفيها وردت الاخبار من ناحية العراق بوفاة السلطان طغرل بن السلطان محمد بن ملك شاه رحمه الله. وفيها تواصلت الاخبار من ناحية الامير عماد الدين اتابك باعتزامه على التأهّب لقصد مدينة دمشق لمنازلتها ومحاصرتها وانّهُ منصرف الهمّة الى الاستعداد لذلك .

---

١) قال الفارقي في تاريخه: وسلّمها الى السعيد حسام الدين (تمرتاش) وكانت للامير ركن الدولة داود (بن سكمان بن ارتق)

سنة تسع وعشرين وخمسمائة

في اوّل المحرّم هرب الحاجب يوسف بن فيروز شحنة دمشق الى تدمر خوفاً من شمس الملوك اسمعيل بن تاج الملوك بوري

شرح السبب في ذلك

كان الحاجب المذكور في جاه تاج الملوك متمكّن الرتبة عنده مقبول الرأي فيما يرومه وقد صرف همّه ووكّده الى تطلّب معقلٍ حصينٍ بعده لنائبــةٍ تنوب وخطبٍ من خطوب الزمان تتجدّد واتّفق ان الامير شهاب الدين محمود بن تاج الملوك المقيم بتدمر قد سئم المقام بها وضجر من كونه فيها وارتاحت نفسه الى دمشق والاقامة فيها وجعل يراسل اباهُ تاج الملوك ويسأله نقله عنها ولم يزل الى ان أُجيب الى مقترحه وأُسعف بطلبه. فوجد يوسف بن فيروز الغرض الذي يتطلّبهُ قد تسهّلت اسبابه فشرع في الحديث فيهِ والخطاب بسببه والاستعانة بمن يُعينه على ذلك من المقدّمين والوجوه الى ان تسهّــل الامر وأُجيب اليهِ وعُولَ في تولّي امر تدمر عليه وتسلّمهـا وحصلت في ولايته ورتّب فيها ولده مع من وثق بهِ في حفظها والذبّ عنها من ثقات اصحابه وأُمناء نُوّابه وشرع في تحصينها ومرمّتها ولمّ شعثها وشحنها بالغلّة والعُدد وحصل فيها كل ما يحتاج مثلهـا الى مثله. فلما عرف من شمس الملوك التنكُّر عليه وظهر لهُ فساد نيّته فيه وبان ذاك لهُ من ثقاتٍ يسكن اليهم ولا يشكّ فيهم وحمله الخوف من المعاجلة لهُ والايقاع بهِ فهمّ بالهروب الى تدمر وترقّب الفرصة في ذلك الى ان اتّفق لشمس الملوك في بعض الجهات خروجٌ فخرج من البلد اخر النهار وسرّهُ مكتوم عن الخلّ والجار وقصد ضيعته لمشاهدتها (134v) وقد استصحب خواص اصحابه وغلمانه ثم تمّ على حاله مُغذّاً في سيره مجــدّاً في قصده الى ان حصل بتدمر آمناً مما توقّاهُ ظافراً بما رجاه. وظهر خبرهُ في غد ذلك اليوم فحين عرف شمس الملوك جليّة حاله ضاق صدره لافلاته من يده وتضاعف ندمه لفوات الامر فيهِ وكاتبه بما يطيّب نفسه ويؤنسه بعد استيحاشه فلم يُصغِ الى ذلك بل اجابه جواب الخاضع والطائع والعبد الناصح والمستخــدم المخلص ويقول: « انني في هذا المكان خادمٌ في حفظه والذب عنه » فلما وقع اليأس وعلم ان المقــال لا ينجع حَنِقَ عليهِ وذكره بكل قبيح واظهر ما يُسرّهُ في نفســه ولم يعرض لشيء من ملكه وداره

واقطاعه واهله واسبابه . وتجدّد بعد ذلك ما يُذكر في موضعه وكان هروبه في ليلة الجمعة لليلة خلت من المحرّم سنة ٥٢٩ من الضيعــة الجارية في اقطاعه المعروفة بالمنيحة من الغوطــة

وفي هذه السنة شاعت الاخبار في دمشق بين خاصّتها وعامّتها عن صاحبها الامير شمس الملوك ابي الفتح اسمعيل بن تاج الملوك بوري بن ظهير الدين اتابك بتناهيه في ارتكاب القبائح المنكرات وايغــاله في اكتساب المآثم المحظورات الدالّة على فساد التصوّر والعقل وصداء الحسن وظهور الجهل وتبلّد الفهم وحبّ الظلم وعدوله عمّا عرف فيه من مضاء العزيمة في مصالح الدين والمسارعة الى الجهاد في الاعداء الملحدين وشرع في مصادرات المتصرّفين والعُمّال وتأوّل المُحال على المستخدمين في الاعمال واستخدم بين يديه كرديًّا جاءهُ من ناحيــة حمص يُعرف ببدران الكافر لا يعرف الاسلام ولا قوانينه ولا الدين وشروطه ولا يرقُب في مؤمن ولاً ذمّة ونصبــه لاستخراج مال المصادرين من المتصرّفين والاخيار المستورين بفنون قبيحة اخترعها في العقوبات وانواع مستبشعة في التهديد لهم والمخاطبات . وظهر من شمس الملوك مع هذه الحال القبيحة والافعال الشنيعة بخلٌ زائدٌ واشفاق نفس الى الدنايا متواصل بحيث لا يأنف من تناول الخسيس الحقير بالعدوان واخذه من غير وجهه بالعتوّ والطغيان واشياء من هــذا الباب لا حاجة الى ذكرها لاشاعتهــا واشتهار امرها بحيث أُنكرت من افعاله واستُبشعت (135r) من امثاله ولم يكفه ما هو عليه من هذه الافعال الذميمة والخصال المكروهة حتى اسرّ في نفسه مصادرة كُفاته من الكُتّاب وخواصّه من الأُمراء والحجّاب وعزم على الابتداء اولًا بالحاجب سيف الدولة يوسف بن فيروز أحظى من كان عند ابيه اوّلًا وعندهَ ثانيًا واشتهر عنهُ حتى هرب الى تدمر منهُ ورأى الغنيمة الكبرى ببعده من شرّه وراحته من نظره . وكاتب في اثناء هذا الاختلال والاضطراب الامير عماد الدين اتابك حين عرف اعتزامه على قصد دمشق لمنازلتها ومضايقتها والطمع في ملكتها يبعثهُ على سرعة الوصول اليها ليسلّمها اليه طائعًا ويمكّنــهُ من الانتقام من كل من يكرههُ من المقدّمين والامراء والاعيان باهلاكهم واخذ اموالهم واخراجهم من منازلهم لامر تصوّره وهذيان في نفسه قرّره وتابع الكتب اليه بالمسئلة في الاسراع والبــدار وترك التلوّم والانتظار ويقول لهُ في اثناء هذا المقال « وان اتّفق اهمالٌ لهذا الامر واغفالٌ او امهالٌ أُحوجتُ الى استدعاء الافرنج من بلادهم وسلّمتُ اليهم دمشق بما فيها وكان اثم دم

من بها في رقبته » واسرّ ذلك في نفسه ولم يُبدهِ لاحد من وجوه دولته واهل بطانتــه وكانت كتُبه بذلك بخط يده وشرع في نقل المال والاواني والثيــاب من خزانته الى حصن صرخد حتى حصل الجميع بهِ ظنًّا منهُ انهُ يفوز بهِ ويهلك جميع الناس من بعده. فلمّا بدأ هــذا الامر يظهر والسرّ فيهِ ينتشر شرع في القبض على اصحابه وكتّابه وعمّاله وغيرهم من اهل دمشق ومقدّمي الضياع امتعض الامراء والمقــدّمون ووجوه الغلمان الاتابكية وكافّة العسكرية والرعية من هذا الفعل واشفقوا من الهلاك والبوار ان تمّ هذا التدبير المذموم لما يعلمون من افعال عماد الدين اتابك اذا ملك البــلد فاجروا الحديث فيما بينهم سرًّا. وانهوا الحال فيهِ الى والدته الخاتون صفوة الملك فقلقت لذلك وامتعضت منهُ واستدعتهُ وانكرتهُ واستبشعت وحملها فعلها الجميل ودينها القويم وعقلها الرصين على النظرِ في هذا الامر بما يحسم داءهُ ويعود بصلاح دمشق ومن حوَتهُ وتأمّلت الامر في ذلك تأمّل الحازم الاريب والمرتأي (135ᵛ) المصيب فلم تجد لدائهِ دواء ولا لسقمه شفاء الّا بالراحة منهُ وحسم اسباب الفساد المتزايد عنهُ واشار عليها وجوه الغلمان واكابرهم بذلك واستصوبوا رأيها فيه وبعثوها على المعاجلة لهُ قبل ظهور الشرّ وفوات الامر وانهُ لا ينفع فيهِ امرٌ ولا ينجع معهُ وعظٌ. فصرفت الهمّة الى مناجزته وارتقبت الفرصة في خلوته الى ان تسهّل الامر المطلوب عند خلوته من غلمانه وسلاحيّته فأمرت غلمانها بقتله وترك الامهال لهُ غير راحمةٍ لهُ ولا متألّمةٍ لفقــده لما عرفت من قبيح فعله وفساد عقله وسوء سيرته ومذموم طريقته واوعزت باخراجه حين قُتل والقائه في موضع من الدار ليشاهده غلمانه. وكلٌّ سُرّ بمصرعه وابتهج بالراحة منهُ وبالغ في شكر الله تعالى على ما سهّلهُ فيهِ واكثر الدعاء لها والثناء عليها وذلك ضُحى نهــار يوم الاربعاء الرابع عشر من ربيع الاخر سنة ٥٢٩. وقد كان مولده ليلة الخميس السابع بالعدد من جمادى الاخرة سنة ٥٠٦ في الساعة الثانية منها والطالع برج السرطان او المشتري فيه كمح مح والمريخ في السنبــلة والزُهرة في الخامس والعقرب والشمس في السادس من القوس والقمر وزحل في التاسع وسهم السعادة في العاشر

وقد كان المعروف ببــدران الكافر لعنه الله في يوم الثلثاء المتقدّم ليوم الاربعاء الذي قُتــل فيهِ وقد راح من بين يديه بعد ان اسرّ اليهِ بشرّ يعمل عليهِ لهُ. فلمّا حصل في بيته وقت الظهر من يومه المذكور ارسل الله تعــالى ذكره عليه آفةً عظيمة اخذت بانفاسه وربا لسانه حتى ملأ فاهُ وهلك من وقته وكانت الكائنــة في غدهِ

فبالغ الكافّة في حمد الله تعالى وشكره على هذه الآية الباهرة والقــدرة الظاهرة وواصلوا تسبيحه وتقـديسه وتمجيده فسبحان مالك الامر ومدبّر الخلق تعالى عمّا يقول الظالمون عُلوًّا كبيرًا

وفي الوقت نُودي بشعار اخيه الامير شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بن اتابك جلس في منصبه بمحضر من والدته خاتون صفوة الملك وحضر الامراء واماثل الاجنــاد واعيان الرعيّة فسلّموا عليهِ بالامرة واستُحلفوا على الطاعة (136r) لهُ ولوالدته والمناصحة في خدمتها والنصرة لاوليائهما والمجاهدة في اعدائهمــا وحلف كل منهم بانشراح من صدره وانفساح من امله وظهر من سرور الكافة خاصّيها وعامّيها بهذه النوبة السعيدة والافعال الحميــدة ما يزيد على الوصف وايقنوا بالخلاص من المكروه الذي اشرفوا عليهِ واستقامت الاحوال وتحقّقت الآمال

وتتابعت المكاتبات في اثناء ذلك من سائر الجهات بوصول عماد الدين في عسكره وقطعه الفرات مجدًّا لتسلّم دمشق من شمس الملوك صاحبها ووصلت رسله لتقرير الامر فصادفوا الحال بالضدّ والتدبير بالعكس ألّا انّهم أُكرموا وبُجّلوا وأُحسن اليهم وأُعيدوا باجمل جوابٍ وأَلطف خطابٍ وأُعلم عماد الدين جليّة الحال واتّفاق الكلمة في حفظ الدولة والذبّ عن الحوزة والبعث على اجمال الرعاية والعود على احسن نيّة

فلمّا انتهى اليهِ الجواب ووقف عليهِ لم يحفل بهِ ولا اصاخ الى استماعه فاوهمتهُ نفسه بالطمع في ملكة دمشق ظنًّا منهُ بان الخلف يقع بين الامراء والمقــدّمين من الغلمان فكان الامر بخلاف ما ظنّ وواصل الرحيل واغذاذ السير الى ان وصل الى ظاهر دمشق وخيّم بارض عذراء الى ارض القُصَير في عسكر كثيف الجمع عظيم السواد في اوائل جمادي الاولى في سنة ٥١٩ . وقد كان التأهّب لهُ مستعملًا عند ورود اخبار عزيمتــه واجفلت الضياع وحصل اهلها في البلد ووقع الاستعــداد لمحاربته واللقاء عند منازلته والاجتماع على صدّه ودفعــه ولم تزل الحال على هذه القضية والانتصاب بازائه على هذه السجية وقد اشعرت النفوس من شدّة البأس والصبر على المراس للقائه والتأهب لزحفه ودُنوه من البلد وقُربه وقد كان رحل عن عذراء ونزل تحت العقبة القبليّة وكان يزحف في عسكره وقد فرّقه في عدّة مواضع كالمراكب حتى تقرب من البلد فيشاهد كثرة من يخرج من البلد والعسكرية واحداث الرعيّة بالســلاح الشاكّ وامتلأ المصلّي وسائر الاماكن والكمناء في جميع المسالك ما يروعهُ ويصدّهُ عن الزحف وفي كل يوم يصــل

من مستأمني عسكره جملةٌ وافرة مع ما ينهب من خيولهم ويقلع من فوارسهم (136v) فلمّا طالت الايام عليهِ ولم يحصل على طائل ممّا حاول ولا مرام راسل في طلب الصلح والدخول في طاعته والتمس خروج الامير شهــاب الدين محمود بن تاج الملوك اليه لوطء بساط ولد السلطان الواصل معه ويخلع عليه ويعيده الى بلده واجمــل الخطــاب في ذلك والوعد فام يجب الى خروج شهاب الدين وتقرَّرتِ الحال على خروج اخيه تاج الملوك بهرام شاه بن تاج الملوك. ووافق ذلك وصول الرئيس بشر بن كريم بن بشر رسولًا من الامام المسترشد بالله امير المؤمنين الى عماد الدين اتابك بخلع أُعدَّت لهُ والامر بالرحيل عن دمشق وترك التعرّض لها والوصول الى العراق لتوّلي امره والتدبير لهُ وان يخطب للسلطان البارسلان المقيم بالموصل

ودخل الرسول المذكور والقــاضي بهاء الدين ابن الشهرزوري الى دمشق لتقرير الامر ولإحكام القاعدة في الجمعة في الثامن والعشرين من جمادى الاولى فتقرّر الامر ووكدت الايمان وحضرا الجامع لصلاة الجمعة وخُطب للسلطان البارســلان على المنبر بامر امير المؤمنين وعاد الى العسكر الاتابكي وخرج بهرام شاه فاكرمهُ واعاده على اجمل قضيَّــةٍ ورحل في يوم السبت غد ذلك اليوم منكفئًا والقلوب قد امنت بعد الوجل والنفوس قد سكنت بعد الاضطراب والوهل والشكر لهُ متواصل والثناء عليهِ متكامل. فلما حصل بحماة انكر على شمس امراء الخواصّ واليها امرًا اظهر لهُ منهُ وتزايد شكوى اهلها لاصحابه ونوّابه فعزله عنها وقرَّر من رآهُ في ولايتهــا. وقد كان ظهر من الامير شجــاع الدولة بزواج ومعين الدين أُتُز من حسن السياسة في تدبير العسكرية والاجناد عند الترتيب في الحرب ما وافق الاعراض وطابق الاصابة والســداد بحيث شُكرا وحُمدت مقاصدهما

وفي ذي القعدة منها وردت الاخبار من العراق باستشهاد الامام الخليفــة المسترشد بالله ابي منصور الفضل بن المستظهر بالله أمير المؤمنين رحمهُ الله عليهِ ورضوانه وشرح السبب في ذلك

قد مضى ذكر ما كان من الخليفة المفقود في معنى السلطان مسعود بن السلطان محمد (١ بن ملك شاه (137r) من تقرير السلطنــة لهُ وردّ تدبير الاعمال والامر بالدعاء لهُ على منابر البلاد وتشريفه بالخلع والحملان الكامل. وعقيب هذا الفعل

١) وفي الاصل محمود بن محمد

الجميل ظهر لامير المؤمنين المسترشد بالله امورٌ انكرها وبلغتهُ اسبابٌ امتعض منها وبدت منهُ افعالٌ أكبرها فرام استعطافه واستعادته الى الواجب المألوف في طاعة الخلفاء فامتنع وحاول استمالته الى الصواب المعروف في المناصحة وحسن الوفاء فلم ينفع وبعثه على الحقّ الذي هو خير من التمادي في الباطل فلم يقبل . فافضت الحال صرف الهمة العليّة المسترشدية الى مداواة هذا الداء والاستعداد لهُ الى ان اعضل بالدواء ولم يَرَ فيهِ أنجع من التأهُّب لقصده والاحتشاد للايقاع بهِ وصمدهِ لان اخباره كانت متناصرةً بعزمه على قصدٍ بغداد والاخراب لها والاعاثة في نواحيها فرأى الصواب في معاجلته ومقابلة فعله بمثاله

واتّفق وصول جماعةٍ من وجوه عسكره ومقدّمي جنده لخدمة الخليفة والمعاضدة لهُ على محاربة عدوّه وشرعوا في تحريضه على البروز اليهِ والمسارعة للإطلال عليه فتوجَّه نحوه في تجمُّل يعجز عنهُ الوصف ويقصر دونهُ النعت وقد اجتمع اليهِ من اصحاب الاطراف واصناف الاجناد الخلق الكثير والجمّ الغفير الذي بمثاله قويت نفسه واشتدّ بأسه ولم يشكّ احدٌ في انهُ الظافرُ بهِ والمستولي على حزبه . فلمّا قرب من مخيّمه بناحية همذان ووقع العيان على العيان زحف اليهِ في عسكره والتقى الجمعان واتّفق للقضاء المكتوب والقدر المحجوب ان أمراء الاتراك الواصلين لخدمة الخليفة في عسكره خامروا عليهِ بمواطأة كانت وتقريرات تقرّرت وبانت فانقلبوا عنهُ واسلموهُ وعملوا عليه واغنموه بحيث تفرّقت عنهُ جماعة وخذله ابطاله وكُماته وثبت هو وخواصّه في المصاف يقاتلون ولا يُولّون الى ان انفلّ عنه حزبه وضعف امره وغُلب على نفسه فاخذوه ووزيرَهُ النقيب وكاتبهُ سديد الدولة بن الانباري وصاحب مخزنه وخدمه وخاصّته وحملوه مع اصحابه المذكورين الى خيمه ووكل بجماعة من يحفظهم ويتوثّق منهم (137[v]) ويحتاط عليهم

وكتبت المطالعات الى السلطان سنجر بن ملك شاه صاحب خراسان بصورة الحال والاستئذان بما يعتمد في بابه ووعد السلطان مسعود الخليفة ومن معه بالاطلاق واعادتهم الى بغداد وتقرير امر الخلافة على ما جرى بهِ الرسم قديماً فلما عاد الجواب من السلطان سنجر في هذا الباب وتقرير ما اقتضاه الرأي في امر الخلافة بين السلطانين المذكورين ندب عدّةُ من الرجال تقدير اربعة عشر رجلاً نُسبوا الى انهم من الباطنية فقصدوا الخليفة في خيمته وهو مطمئنٌ لا يشعر بما نزل بهِ من البلاء واحاط بهِ من محتوم القضاء

وهجموا عليهِ فقتلوه في يوم الخميس الثامن عشر من ذي القعدة سنة ٥٢٩ صبرًا وقتلوا معه من اصحابه وفرَّاشيه من دافع عنه ومانع دونهُ. وشاع الخبر بذلك بناحية مراغا على مرحلتين منها ودُفن بها واستبشع الناس هذا الفعــل الشنيع والقصد الفظيع في حقّ خليفة الزمان وابن عمّ رسول الله عليهِ افضل الصلاة والرضوان واكبروا الجرأة على الله والاقدام على هذا المنكر في الاسلام والدم الحرام واطلقوا الأَلسنة بالدُعاء والذمّ على من استحسن هذا الفعل القبيح ودبّر هذا الخطب الشنيع وتيقّن كل انسان من الخاص والعام ان الله تعالى لايهمل المُقدِم عليه ولا (يرضى) بفعل المُجرِم اليهِ لانهُ جلّت قدرته لا يصلح عمل المفسدين ولا يهدي كيد الخائنين ولا يهمل عقوبة الظالمين

ولمّا انتهى هذا الخبر الى ولده ولي عهده تقدَّم بتحصين بغداد والتأهُّب لدفع من يقصدها بسوء من الاعداء والمخالفين وبويع بالخلافة في يوم السبت السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ٥٢٩ ولُقّب بالراشد بالله ابي جعفر المنصور بن المســترشد بالله امير المؤمنين وجلس في منصب الخلافة في ذي الحجة سنة ٥٢٩ واستقام لهُ الامر وتوكّدت لهُ البيعة على الرسم ووعد كافّة الاجنــاد والعسكرية ولماثل الرعية بما طيَّب نفوسهم وشرح صدورهم واطلق مال النفقات والواجبــات على جاري العادة فكثر الدعاء لهُ والثناء عليهِ وسكنت الدهماء (١

---

١) قال الفارقي في تاريخه: قيل وفي شعبان سنة ٥٢٩ خرج الخليفة المسترشد من بغداد ولقي السلطان مسعود بباب همذان الى موضع يسمّى دآيمرك قريب من جبل جستون ونهب العسكر وكان جمع السلطان خلقاً عظيماً وكان نفذ لهُ عمّه السلطان سنجر عسكرًا عظيماً فالتقوا فكُسر الخليفة واسروهُ واسروا ارباب المناصب كلّها

ولقد سألت السعيد مُؤيد الدين ابا عبد الله محمد بن عبد الكريم الانباري رحمهُ الله في سنة ٥٣٤ ببغداد حين نزلتُ اليهِ في هذه السنة عن حال المسترشد والوقعة وما جرى فقال رضي الله عنهُ: كان قد وقع (خلاف) بين السلطان والخليفة في ايام السلطان محمود وخرج واسره مرّتين. فلمّا ولّي مسعود استطال نوّابه على العراق وعارضوا الخليفة في املاكه فوقعت الوحشة وتجهّز المسترشد وعزم على الخروج وجدّ في ذلك. واتّفق ان بعض الايام دخل الوزير شرف الدين الزينبي عليّ ابن طراد على الخليفة وانا معهُ وجمال الدين طلحة صاحب المخزن وكان الخليفة قد طرد اصحاب السلطان عن العراق ورتّب صاحب المخزن على دار السلطان للمظــالم والبلد. فلمّا دخلنا ذلك اليوم قال لهُ الوزير شرف الدين: يامولانا في نفس المملوك شيء وهل يؤذن لهُ في المقال. فقال: قُل. قال: يا مولانا الى اين تمضي وبمن تعتضد والى مَن تلتجيء وبمن تنتصر؟ ومقامنا ببغداد امكن لنا ولا يقصدنا احدٌ الّا وُقّينا نحن الظهر والعراق فيهِ لنا كفاية فان الحُسين بن عليّ عليهما السلام

(138r) سنة ثلثين وخمسمائة

في المحرَّم منها وردت الاخبار من ناحية العراق بقتل الامير دُبَيس بن صدقة بن مزيد قتلهُ السلطان مسعود بن محمد لامورٍ انكرها واسبابٍ امتعض منها نُسبت اليهِ وقيل ان هذا مكافأة من الله تعالى لهُ عمَّا كان منهُ في عصيان الخليفة الامام المسترشد

لمَّا خرج الى العراق جرى عليهِ ما جرى ولو اقام بمكَّة والمدينة ما اختلف عليهِ انسان وكان تابعهُ جميع الناس. فقال لهُ الخليفة: ما تقول يا كاتب. فقلتُ: يا مولانا الصواب المقام وما رآه الوزير فهو الرأي فلا يقدم علينا بالعراق احدٌ وليت بقي لنا العراق. فقال لصاحب المخزن: يا وكيل ما تقول. قال: في نفسي ما في نفس مولانا. (وكان هو قد حملهُ على الخروج) فقال المسترشد: واذا لم يكن من الموت بد فمن العين ان تموت جبانًا. ثم خرج. . . . .

وقال ايضاً السعيد مؤيد الدين: لمَّا قُتل المسترشد نفَّذ السلطان مسعود واحضرنا عنده فحضر الوزير شرف الدين وجمال الدين صاحب المخزن وانا فلما حضرنا عنـدهُ قال: ما الرأي وما التدبير في امر الخلافة ومَن ترون. فقال الوزير: يا مولانا الخلافة لولي العهد الراشد وقد بايعهُ الناس وجلس واستقرَّ وقد بويع لهُ بولاية العهد والان بعد قتل ابيه. فقال: ما الى هذا سبيلٌ ولا اقرَّه عليها ابدًا فانهُ تحدّث نفسه بالخروج مثل ابيه ونحن كل يوم من حيث ولّي المسترشد لم يزل بخروج علينا وكان خرج على اخي محمود مرَّتين وعليَّ مرَّة وهذه اخرى وقد تمّ عليهِ ما تمّ وبقيت علينا شناعة عظيمة وسُبَّة الى اخر الدهر ويقولون: قتلوا الخليفة. وهم كانوا السبب في عود الخلافة الى هذا البيت. لا اريد يجلس الّا مَن لا يداخل نفسه في غير امور الدين ولا يُجنِد ولا يتّخذ ولا يجمع ولا يخرج عليَّ ولا على اهل بيتي وفي الدار جماعةٌ فاعتمدوا على شيخ منهم صاحب عقل ورأي وتدبير ويلزم نفسه ما يجب من طاعتنا ولا يخرج من داره ولا تعرّجوا عن هرون بن المقتدي فهو شيخ كبير ولا يرى الفتنة وقد اشار بهِ عمّي سنجر. وكان في الدار في ذلك الوقت سبعة اخوة من اولاد المقتـدي ولهم اولاد واولاد اولاد ومن اولاد المستظهر سبعة اخوة وكان المسترشد اولاد جماعة وللراشد ولهُ مقدار نيف وعشرين ولدًا. . . .

وقال المؤرّخ ايضاً: قيل ونفَّذ السلطان مسعود الى عمه سنجر يأخذ اذنه فيمن يولّي فنفذ اليهِ يقول: لا تولّ الّا من يقع عليهِ رأي الوزير وصاحب المخزن وكاتب الانشاء ويضمنون ما يجري منهُ ويكون الجواب عليهم. فلمَّا اشار السلطان بولاية هرون وعرفهم ما امرهم السلطان سنجر قال الوزير: اذا كان هذا الامر يلزمنا فنحن نولّي من نراه وهو الزاهد العـابد الدّين الذي ليس في الدار مثله. قال السلطان: مَن هو. فقال الوزير: الامير ابو عبد الله بن المستظهر. فقال: وتضمنون ما يجري منهُ. فقال الوزير: نعم. وكان الامير ابو عبد الله صهر الوزير شرف الدين على ابنته فانها دخلت ذات يوم في الدار في زمن المستظهر فرآها الامير ابو عبد الله فطلبها من ابيهِ فزوّجهُ اياها وكان شرف الدين اذ ذاك نقيب النقباء ودخل بها وبقيت عنده مدّة وماتت عنده. فقال السلطان: ذاك اليكم واكتموا الحال لئلّا ينمو الامر فيُقتَل. ثم رحل السلطان يطلب بغداد والوزير والجماعة في جملته

بالله امير المؤمنين والسعاية في دمهِ ٠ وكان هذا الخليفة المسترشد بالله امير المؤمنين رحمهُ الله عالمًا تقيًا فاضلًا حسن الخطّ بليغا نافذًا في اكثر العلوم عارفًا بالفتوى واختلاف الفقهاء. فيها اشقر الشعر اشهل العينين بوجهه نمش وكانت مدّة خلافته سبع عشرة سنة وما الله بغافل عمّا يعمل الظالمون ٠ وفي شهر ربيع الاوّل منها تسلّم الامير شهاب الدين محمود بن تاج الملوك مدينة حمص وقلعتها

شرح الحال في ذلك

لمّا عرف من كان بحمص وقلعتها من اولاد خيرخان بن قراجه وخمارتاش الوالي من قبلهم فيها ما استمرّ عليها من مضايقة الامير عماد الدين اتابك لها وبذل جهده وحرصه في تملّكها واخذها واخذه حماة المجاور لها وجدّه في طلبها وإضعاف اهلها ومواصلة الغارات عليها وانهم لا طاقة لهم بضبطها لقلّة القوت بها وعدم الميرة فيها انفذوا رسلهم الى شهاب الدين يلتمسون منهُ انفاذ من يراه لتسلّم حمص وقلعتها ويعوّضهم عنها بما يتّفق عليهِ الرأي ٠ وتوسّط الحاجب سيف الدولة يوسف بن فيروز المقيم بتدبير الامر في ذلك طمعًا في الكون بها والانتقال من تدمر اليها لكونها من الاماكن الحصينة والقلاع المنيعة واستأذن في الوصول الى دمشق للحديث وتقرير الحال في ذلك فأذن لهُ ووصل الى دمشق وجرى في ذلك خطابٌ طويل افضى آخره الى ان تُسلَّم حمص وقلعتها الى شهاب الدين وتسلَّم الى خمارتاش تدمر عوضًا عنها ووقع الشرط واليمين على هذه الصفة ٠ وبرز شهاب الدين من دمشق في العسكر وتوجّه اليها فحين حصل بها نزل خمارتاش من القلعة واولاد خيرخان واهله بما يخصّهم وسلّموها اليه فتسلّمها يوم الاحد الثاني والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ٥٣٠ وحصل بها ورتّب امرها (138v) وقرّر ولايتها للحاجب يوسف بن فيروز وان يكون فيها نائبًا عن الامير معينُ الدين أُنز الاتابكي حسب ما استقرّ وكتب الى الجهات والاطراف بحمل الاقوات اليها والتقوية لها بالميرة وعاد شهاب الدين عنها بعد تقرير امرها منكفئًا الى دمشق ٠ وشرع الامير سوار النائب عن عماد الدين في حلب ومَن بحماة من قبله في الغارات على اعمال حمص ورعي زرعها وجرى في ذلك مراسلات ومخاطبات اسفرت عن المهادنة والموادعة والمسالمة الى امدٍ معلوم وأجلٍ مفهوم بحيث انحسمت اسباب الفساد عن الجهتين واستقامت احوال الجانبين

وفي يوم الاحد الرابع والعشرين من جمادى الاولى من السنة خلع شهاب الدين على امين الدولة كمشتكين الاتابكي والي صرخد وبُصرى الخلع التامّة وردّ اليه اسفهسلّاريّة العسكريّة وخُوطب بالاتابكيّة وأُنزل في دار الكبيرة الاتابكيّة بدمشق وحضر الناس لهنائه فيها واوعز الى الكافّة باتباع رأيه والامتثال لامره٠ وفي يوم الاربعاء السابع والعشرين من جمادى الاخرة من هذه السنة قُتل الحاجب يوسف بن فيروز في ميدان المصلّى بدمشق

شرح السبب في ذلك

كان الحاجب يوسف بن فيروز المقدّم ذكرهُ عند كونه في خدمة شمس الملوك اسمعيل بن تاج الملوك وتمكّنه عنده وارتفاع طبقته لديه قد اعتمد في حقّ مقدّمي الغلمان الاتابكيّة ما اوحشهم منهُ وبلغهم ما ضيّق صدورهم عنه واسرّوا ذلك في نفوسهم واخفوه في قلوبهم لا سيّما ما قصده في نوبة الغلمان الذين قتلهم شمس الملوك مع اخيه سونج بن تاج الملوك بسبب اتهمهم بكونهم مع ايلبا الغلام التركي (الذي كان وثب على شمس الملوك وضربهُ بالسيف طالباً قتله فسلمه الله منهم ونجّاهُ حسب ما تقدّم بهِ الشرح وكونه اكبر السُعاة عليهم والسبب في قتلهم على عادةٍ قد أُلفيت من فعله وطريقةٍ قد عُرفت من طبعه وقد كان حصل بتدمُر وأُهمل امره ونُسي ما سبق بهِ شرّه٠ فلما راسل من تدمر من يطلب الاذن في الوصول الى دمشق لتقرير امر حمص وأُوجب الى الاذن في ذلك انكر الامير شجاع الدولة بزواج والحاجب سنقر واكابر الغلمان الاتابكية الاذن لهُ في ذلك وامتعضوا من وصوله كل الامتعاض (139r) لِما عرفوا من سوء فعله ومشهور سعيه وختله واشاعوا بينهم ما هم عازمون عليهِ من العمل على قتله٠ ونصحهُ اهلُ وُدّهِ والاشفاق عليهِ والمتقرّبين اليهِ بذلك فأبى القبول منهم وأخذ النصح منهم وقويت نفسه على التغرير بها والمخاطرة باتباع هواها٠ وتمسّك بمدافعة الامير معين الدين عنهُ والمنع منهُ لصداقةٍ كانت بينهما قد استحكمت قُواها ووُصلة انعقدت وأُحكمت عُرَاها ولما وصل الى دمشق توثّق لنفسه من الجماعة بأيمان سكنت اليها نفسه وتوكّد معها أُنسه وقرّر معهُ انهُ يكون يحضر للسلام في كل يوم ويعود الى داره ويقنع بالكون في ملكة دمشق والتنقّل منها الى حمص ولا يداخل نفسه في امر غير ذلك

فما هوَ إلّا ان حصل بها وجعل يُدبّر امرًا غير خافٍ ويقرّر تقريرًا غير مكتوم ولا مستترٍ فاثار بذلك ما كان في نفوس الغلمان كامنًا وحرّك ما كان في القلوب ساكنًا . ووجد الامير بزواج والغلمان السبيل الى نقض ما عُوهدوا عليهِ باعتماده المخالفة لما قرّروه معهُ وسكنوا اليهِ ولاحت للفرصة لهم فيه ولمّا كان في يوم القدَّم ذكره وقد تقرَّر الامر بينهم على الفتك بهِ صادفه شجاع الدولة بزواج المقدَّم ذكره في الميدان المجاور للمصلّى بظاهر دمشق فماشاهُ ساعةً بالحديث وقد خلا من اصحابه واغفله وجرَّد سيفه وضربه بهِ ضربةً عظيمةً في وجهه الى رأسه وثنَّى بأُخرى فسقط الى الارض واجهز عليهِ اخر من الغلمان ولم يتجاسر احد من اصحابه من الدنوّ منهُ ولا الدفع عنهُ لقوَّة شوكة الغلمان واتّفاق كلمتهم على قتله

وانهزم شهاب الدين واصحابه من الميدان الى داره وبقي ساعةً مطروحًا على الارض في الميدان يشاهد مصرعهُ ويعتبر اللبيب بنظره ثم حُمل الى المسجد الذي بناهُ فيروز ابوهُ بالعُقَيبَة فدُفن عند قبره في يومه في تربته . وانفذ بزواج وسنقر وجماعة الغلمان الى شهاب الدين ووالدته الخاتون مراسلات ومعاتبات على ما اعتمداهُ من الاذن لهُ في العود الى دمشق بعد ما كان من فعله في حقّ من قتل بسعيه من الغلمان واشترطوا امورًا وقع الاباء لها والاستيحاش منها ومن طلب مثلها وامتنع الغلمان واكثر الاتراك من الدخول الى البلد والعود الى دورهم الّا بعد تقرير امر بزواج (139[٧]) وجماعة الغلمان والدخول فيما راموه وتطييب نفوسهم بالاجابة الى ما حاولوهُ

واندفعوا الى ناحية المرج فنزلوا فيهِ وخيّموا في ناحية من نواحيه وتردّدت بينهما مراسلات لم تسفر عن سدادٍ ولا نيل مرادٍ فاظهروا الخلاف وكاشفوا بالعصيان والانحراف وعمدوا الى خيل الجشار فاستاقوها واشتملوا على جميعها وهي العددُ الكثير لسائر الامراء والعسكريّة والرعيَّة من انواع الدوابّ ولها قيمةٌ عظيمةٌ وتوجّهوا بها في يوم الجمعة السابع والعشرين من جمادى الاولى من السنة من تل راهط الى ناحية المرج . وخرج اليهم من بقي في البلد من العسكر مع الامراء والمقدّمين وهم منهم اكثر عَددًا واتمّ عُددًا طلبًا للايقاع بهم وتخليص الجشار من ايديهم فما اغنوا فتيلًا ولا اعادوا ممّا اخذوا كثيرًا ولا قليلًا ورحلوا بهِ الى صوب بعلبك . فخرج اليهم الامير شمس الدولة محمد ابن تاج الملوك صاحبها ووقعت الموافقة والمعاهدة بينهم على اقامته والدخول في طاعته والمناصحة في خدمته واجتمع اليهِ خلقٌ كثير من التركمان فاخافوا السبيل وشرعوا في

العيث والفساد واقتضت الحال مراسلتهم بالملاطفة ودعاهم الى الطاعة وتَرْك المخالفة وتطييب نفوسهم وبعثهم على العود الى ما كانوا عليهِ والاجابة الى ما اقترحوا واشاروا اليهِ واستقرَّت الحال على مرادهم وأُخذت الأَيمان المؤكدة عليهم ولهم بالوفاء واستعمال الاخلاص والصفاء وأُذن لهم في العود فعادوا الى البلد وخيَّم بزواج وجماعته بجسر الخشب وامتنع من الدخول الى داره لمَّا رآهُ وجال في نفسه. واتّفق الرأي على خروج شهاب الدين في العسكر الى ناحية حوران على الرسم في ذلك والاجتماع هناك وتقرير ما يجب تقريره من الاحوال والبعث على تحصيل الغلال واتّفق الرأي في اوائل شعبان على تقديم بزواج على سائر الاجناد والغلمان وردّ اليهِ الاسفهسلَّاريَّة وخوطب بالاتابكية وكُتب بجمال الدين مُضافًا الى القابه فاستقام لهُ الامر ونفذ في النفع والضرّ

وفي العشر الاوَّل من رجب من السنة خرج امين الدولة كمشتكين الاتابكي والي صرخد من دمشق مُظهرًا قصد الصيد (140ʳ) والإشراف على ضياعه لاجل الجراد الظاهر بها في خواصّه وثقله وفي النفس ضدّ ذلك فلمّا توارى عن البلد اغذّ السير قاصدًا سمت صرخد ومفارقًا لما كان فيهِ خوفًا على نفسه من الغلمان بحيث حصل بها وسكنت نفسه من الخوف فيها . ثم روسل بالاستعطاف والتلطُّف في العود الى داره ومنزلته والانكفاء الى رُتبته فأَبى واحتجّ باسبابٍ ذكرها واحوالٍ شرحها ونشرها فوقع السلوُّ عنهُ واليأْس منهُ

وفي يوم السبت الثالث عشر من شعبان سنة ٥٣٠ وردت الاخبار من ناحية الشمال بنهوض الامير مسعود سوار من حلب فيمن انضمّ اليهِ من التركمان الى الاعمال الافرنجية فاستولوا على اكثرها وامتلأت ايديهم بما حازوهُ من غنائمها وتناصرت الاخبار بهذا الظفر من جميع الجهات والاستكثار لذلك والتعظيم لهُ ولقد ورد كتاب من شيزر يتضمَّن البشرى بهذه النوبة ويشرحها على جليّتها فاثبت مضمونه في هذا الموضع تأْكيدًا للخبر وتصديقًا لما وُصف وذُكر وهو : ان المتجدّد عندنا بهذه الناحية ما يجب علينا من حيث الدين ان نُذيعه ونُبشّر بهِ كافة المسلمين فان التركمان كثّرهم الله ونصرهم اجتمعوا في ثلثة الف فارس جريدةً مُعدَّةً ونهضوا الى بلاد اللاذقية واعمالها بغتةً بعد اليأس منهم وقلّة الاحتراز من غارتهم وعادوا من هذه الغزاة الى شيزر يوم الاربعاء حادي عشر رجب ومعهم زيادةٌ عن سبعة الف اسير ما بين رُجلٍ وامرأةٍ وصبي وصبيّة ومائة الف رأْسٍ دواب ما بين بقر وغنم وخيل وحُمرٍ والذي حازوهُ واحتاجوهُ يزيد عن مائة قرية

كبار وصغار وهم متواصلون بحيث قد امتلأت الشام من الاسارى والدوابّ. وهذه نكبةٌ ما مُني الافرنج الشماليون بمثلها وبعد هذا لا يُبعْ منهم اسيرٌ الّا بثمنه ولا نقص السعر الاوّل وهم سائرون بهم الى حلب وديار بكر والجزيرة

وفي آخر نهار يوم الاربعاء الرابع وعشرين من اَيار طلع على دمشق سحاب اسود اظلمت الدنيا لهُ وصار الجوُّ كالليل ثم طلع بعد ذلك سحابٌ احمر اضاءت الدنيا منهُ وصار الناظر اليهِ يظنّ انهُ نارٌ موقدة وكان (140v) قد هبّ قبل ذلك ريحٌ عاصفٌ شديدة أذت كثيرًا من الشجر وقيل انهُ في هذا الوقت والساعة جاء في حوران بَردٌ كبارٌ ومطرٌ شديدٌ بحيث جرت منهما الاودية وجاء في الليلة مطرٌ عظيمٌ زاد منهُ بردًا زيادةً لم يُرَ مثلها عِظَمًا

وفي المحرَّم من هذه السنة في الثالث عشر منهُ ارسل الله تعالى من الغيث ما طبق الاعمال الدمشقية بحيث سالت بهِ الاودية والشعاب وزاد المدّ في الانهار بحيث اختلطت وانكسر نهر يزيد ونهر باناس والقنوات والتقت المياه وبطلت الارحية ودخل الماء الى بعض بيوت العقيبة وذكر جماعة من الشيوخ المعمّرين انهم لم يشاهدوا في مثل هذا الوقت مثل ذلك

وفي شعبان من هذه السنة وردت الاخبار من ناحية العراق بان السلطان مسعود ابن محمد (١ بن ملك شاه حضر بغداد وضايق الامام الخليفة الراشد بالله بن الامام المسترشد بالله امير المؤمنين ومعهُ السلطان داود ابن اخيه والامير عماد الدين اتابك زنكي بن اق سُنقر واقتضى التدبير حين لم يُنَل منها غرضٌ ولم يُظفر بمرادٍ ولا بدّ من اللقاء والمحاربة العود عنها فعاد السلطان داود الى بلاده وعماد الدين اتابك الى الموصل واقام السلطان مسعود على رسمه في بغداد وحين رأى الامام الراشد بالله اقامة السلطان على الاستيحاش منهُ زادت وحشتهُ وعلم انهُ لا طاقة لهُ بالمقام معه وخاف على نفسه فتبع عماد الدين الى الموصل ونزل بظاهرها وخيّم بهِ كالمستجير والعائذ بهِ. وحين خلت بغداد من الخليفة وتدبيره تمكّن من كل ما يُريد فعلَه ويروم قصدَه فاقام في منصب الخلافة ابا عبد الله محمد اخا المسترشد بالله ولقبه المقتفي لامر الله وعمره اربعون سنةً واخذ البيعة لهُ على جاري الرسم وخُطب لهُ على المنابر في بلاده فقط في ذي القعدة سنة ٥٣٠ وبقي الامر واقفًا الى ان تقرّر الصلح بين السلطان مسعود وبين عماد الدين

١) وفي الاصل محمود بن محمد

اتابك في سنة ٥٣١ فخطب له وللسلطان في الموصل وسائر الاعمال وسيأتي ذكر ذلك مشروحاً في موضعه

وفي هذه السنة سنة ٥٣٠ تشتّى السلطان مسعود بغـداد واتابك عماد الدين (141[r]) والامام الراشد بالله ووزيره جلال الدين ابو الرضا بن صدقة بظاهر الموصل

وفيها وردت الاخبار في ذي القعدة منها بظهور متملّك الروم من القسطنطينية وحكي ان طالع ظهوره كان عشر درج من الميزان وان الزهرة والمشتري في العاشر والشمس في الاسد والمرّيخ في السابع والله اعلم بالغيب. وفي يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان من السنة قُتـل الرئيس محيي الدين ابو الذواد المفرج بن الحسن بن الحسين الصوفي رئيس دمشق بظاهر المسجد الجديد قبلي المصلّى في اليوم المذكور والسبب في ذلك ان الامير شهـاب الدين محمود بن تاج الملوك صاحب دمشق والامير بزواج والحاجب سنقر كانوا قد انكروا عليه اموراً بلغتهم عنهُ واحوالًا استوحشوا بسببها منهُ فشرعوا في افساد حاله وتحدّثوا في اخذ ماله وتقرّرت الحال فيما بينهم على هذه الصورة في المخيّم بحوران وكان الرئيس المذكور قد فارقهم من حوران وعاد الى البلد لمداواة مرض عرض لهُ. فلمّا استقرّ الامر بينهم على هذه القضيّة وعادوا الى البلد وخرج الرئيس المذكور في جماعةٍ لتلقّيهم فحين سلّم عليهم وافق ذاك حديثٌ جرى بينهم في معنى المعـاملات اجاب عنهُ جواباً غلظ عليهم وانكروه منه فعادوا لذاك عن القبض عليهِ الى القتل لهُ. وقد كان بلغهُ اعتزامهم على افساد حاله باخذ ماله وأُشير عليـهِ بالاحتياط على نفسه والتحيُّل في دفع الضرر عنها فلم يقبل للامر المقضي والقدر النازل فقُتل مظلوماً رحمهُ الله بغير استحقاقٍ للقتل ومضى شهيداً واعتقل باقي اقاربه والتمسوا الاذن لهم بعد ايامٍ في التوّجه الى صرخد دفعاً للشرّ واخماداً لنار الفتنة فأُذن لهم في ذلك فتوجّه من توجّه منهم اليها

وفي هذه السنة في اواخرها حضر المعروف بالاصمعي الديوان الشهـابي والتمس الاذن لهُ في ضرب الدينار في دمشق على ان يكون عياره نصف وربع وثُمن دينار خلاصاً والباقي من الفضّة والنحاس وكرّر الخطاب الى ان أُجيب الى ما طلب وتقرّر ضربه على هذه السجية وان ينقش السكّة باسم الامام الراشد بالله امير المؤمنين والسلطان (141[v]) المعظّم مسعود وشهاب الدين . ولمّا وردت الاخبار باخذ السلطان البيعة للامام المتقي لامر الله وتوجّه الراشد بالله الى ناحية الموصل واظهر السلطان رقعةً بخطّ الراشـد بالله

تتضمَّن انهُ متى خرج من داره وقصد محاربة السلطان او اباح دماً محرماً بغير واجبٍ او مدّ يدًا الى اخذ مالٍ من غير حلّهِ ولا جهتهِ كانت بيعته باطلة وخرج من عهدة الخلافة وكان متعدّيًا للواجب وبذاك اشهد على نفسه القُضاة والفقهاء والاعيان فكان ذلك اوكد الحجة في خلعه ونقض امره

سنة احدى وثلثين وخمسمائة

في هذه السنة وردت الاخبار بظهور متملّك الروم كياليانى من القسطنطينية في ذي القعدة سنة ٥٣٠ وقيل بل اوَّل المحرَّم سنة ٥٣١ ووصل الى جزيرة انطاكية واقام بها الى ان وصلت مراكبه البحريّة بالاثقال والميرة والمال والعُدَد في عاشر نيسان ونزل على نيقية فملكها وقيل بل هادنه عليها اهلها ووصل الى الثغور وتسلَّم اذنة والمصيصة وغيرهما وحاصر عين زربة وملكها عنوةً . وقيل في التاريخ ان امير المؤمنين المأمون بالله ابن الرشيد بالله كان عمَّر عين زربة عند الاجتياز بها لمَّا ورد الى هذه الجهات وانفق على عمارتها مائة وسبعين الف دينار مع جاه الخلافة والسلطنة والقدرة وكان يعمل فيها كل يوم اربعون الف فاعل سوى البنّائين والحدَّادين والنجّارين . وملك تلّ حمدون وحمل اهله الى جزيرة قبرص وكان صاحبهُ ابن هيثم الارمني ثم عمّر مينا الاسكندرية ثم خرج الى انطاكية ونزل عليها وضايق اهلها في سلخ ذي القعدة وجرى بينهُ وبين صاحبها ريمند ابن سدقين (كذا) مصالحة ورحل عائدًا الى الدروب فافتتح ما بقي في يد ابن ليون الارمني من الحصون وشتى بها

وفي رجب من السنة نهض الامير بزواج في فريقٍ وافرٍ من العسكر الدمشقي من التركمان الى ناحية طرابلس فظهر اليهِ قومُصها في عسكره والتقيا فكسره بزواج وقتل منهم جماعة وافرة وملك حصن وادي ابن الاحمر وغيره . وفي رجب ايضاً نهض ابن صلاح والي حماة في رجاله الى (142r) حصن الخربة فملكه

وفي شعبان منها ورد الخبر بان عماد الدين اتابك بن اق سنقر توجَّه في عسكره من ناحية الموصل وقطع الفرات في العشر الاوَّل منهُ ووصل الى حمص وكان قد تقدَّمه اليها صلاح الدين في اوائل العسكر ونزلا عليها وضايقاها وفيها الامير معين الدين أُنُر واليها فراسله في تسليمها فاحتجَّ عليهِ بانها للامير شهاب الدين وانهُ نائبهُ فيها فنصب الحرب عليها والمضايقة لها اياماً ولم يحظَ منها بطائل فرحل عنها في العشرين من شوال من

السنة ونزل على الحصن المعروف ببعرين لينتزعهُ من ايدي الافرنج. فلما عرفوا ذاك تجمَّعوا ونزلوا قريباً لحمايته ومعونة من فيهِ منهم فحين عرف عماد الدين خبرها كمن لهم كميناً والتقى الجمعان فانهزم فريقٌ من الاتراك بين ايدي الافرنج وقتلوا منهم جماعة وافرة عند عودهم الى منزل مخيمهم وظهر عليهم عماد الدين في مَن كمن لهم من الكُمناء واوقع الرجالة وملك الاثقال والسواد وحين قربوا من المخيم وشاهدوا ما نزل عليهم وحلّ بهم انخذلوا وفشلوا وحمل عليهم عسكر عماد الدين فكسرهم ومحقهم قتلاً واسراً وحصل لهم من الغنائم الشيء الكثير من الكُراع والسواد والاثاث وعاد عماد الدين الى حصن بعرين. وقد انهزم اليهِ ملكهم كند اياجور ومن يجامعه من مقدّمي الافرنج وهم على غاية من الضعف والخوف فنزل عليهم وحصرهم في الحصن المذكور ولم يزالوا على هذه الحال في المضايقة والمحاربة الى ان نفد ما عندهم من القوت فاكلوا خيلهم وتجمَّع من بقي من الافرنج في بلادهم ومعاقلهم وانضموا الى ابن جوسلين وصاحب انطاكية واحتشدوا وساروا طالبين نُصرة المخذولين المحصورين في حصن بعرين وتخلّصهم ممّا هم فيهِ من الشدَّة والخوف والهلاك فحين قربوا من عسكر اتابك وصحّ الخبر عنده بذاك اقتضت الحال ان أمَّنهم وعاهدهم على ما اقترحه عليهم من طاعته وقرّر عليهم خمسين الف دينار يحملونها اليهِ واطلقهم وتسلّم الحصن منهم وعاد من كان اجتمع لنصرتهم

وفي شهر رمضان منها ورد الخبر بان الامام (142v) الخليفة الراشد بالله امير المؤمنين ابن المسترشد بالله كان قد فصل عن الموصل قاصداً الى مراغة وانهُ اجتمع بالسلطان داود بن محمود وجرى بينهما احاديث وتقريرات قرَّرها كل واحد منهما مع الاخر (١. ووردت الاخبار من ناحية الشمال بان الامير عماد الدين اتابك رحل في عسكره

---

١) قال الفارقي في تاريخه: وكان الراشد على طريقة ابيهِ وكان بايعهُ الناس في آخر سنة ٥٢٩ وكان شهماً شريف النفس ذا رأي وهمَّة فلهذا انحرف السلطان من توليتهِ الخلافة. وقال ايضاً انهُ كان بعد قتل ابيه قد بايعهُ الناس واستبدّ واستقرّ ونفذ الى اتابك زنكي الى الموصل واستدعاه وضمن لهُ ان تكون السلطنة في الملك الب ارسلان ابن محمود الذي عند اتابك وتكون الاتابكيَّة والخلافة بحكمهِ فنزل اتابك الى بغداد ونزل بالجانب الشرقي في احد دُور السلطنة وبقي الى ان وصله ان السلطان قد طلب بغداد فخيَّم في الجانب الغربي. فلمَّا قرب السلطان من بغداد ونزل قريباً من النهروان حقّق الراشد الحال وانهُ لا بدّ من تولية غيره فجمع الامراء باسرهم الذين كانوا في الدار من بني الخلفاء في سردابٍ وتقدَّم بان يطبق السرداب

عن حلب في يوم الجمعة السادس عشر من شهر رمضـان من السنة ونزل على حمص وخيَّم بها وقاتلها ووصل اليهِ رسول متملّك الروم

ولقد حدّثني زين الدولة ابو القاسم عليّ بن الحاجب وكان هو حاجب البـاب هو وابوه وجدّه وكان بين يدي الراشد قال: لمّا جمع الراشد الامراء في السرداب استدعاني وقال: يا عليّ خُذ هذا السيف (وكان بيده سيف) وقال: احذر ان يسبق سيفي سيفك فاني اريد اخرج كل من في السرداب واقتل الجميـع حتّى لا يبقى من يصلح للخلافة فان هؤلاء ربّما دخلوا وغيّروا وولّوا غيري. ثم امر بفتح السرداب والصايح جاءهُ فقال: ما الخبر. فقال: ان اتابك زنكي نهب الحرم الطاهر. (وطلب الموصل في ذي القعدة واماً السلطان فوصـل وعبر النهروان ولمّا حقّق اتابك نزول السلطـان بالنهروان انهزم) فرمى السيف من يده ودخل الى الدار واخذ معهُ من الجواهر ما لا يُعرَف لهُ قيمة واعطاني منهُ مثل ذلك وخرج. واخرج معـهُ قاضي القضاة الزينبي وكان قد استوزر جلال الدين ابا الرضا (ابن) صدقة فخرج وخرجنـا ولحق اتابك زنكي على طريق الموصل

قال السعيد مؤيّد الدين رحمهُ الله: فلماً كان بكرة ذلك اليوم دخل السلطان بغداد ودخلنا معه فنزل في داره ونزلنا نحن في دورنا وكان دخولنا عاشر ذي القعـدة سنة ٥٣٠ فلماً كان من الغد مضى الوزير الى دار السلطنة ونحن معهُ واستأذنهُ فيما يفعل فاخذ خطّهُ وخطوطنا بالضمان ثم عُدنا الى دُورنا واصبحنا يوم الاثنين سابع عشر ذي القعدة سنة ٥٣٠ وحضرنا عنـد الامير ابي عبد الله وتحدَّث الوزير معهُ وتحدّثنا معهُ وشرط عليهِ القيام بامر الخلافة وطاعة السلطان واعلمناهُ «انا قد ضمنا ذلك من السلطان جميع ما اقترحهُ عليك» فرضي بذلك وانفصلنـا عنهُ ومضينا الى السلطان واعلمناهُ ما جرى وانهُ رضي بما شرطتَ عليهِ فقال السلطان: اذا كان من الغد فبايعوهُ. فلماً اصبحنا صعدنا الى الدار واخرجنا من الدار اشياء من آلات التي تصلح للغناء واشياء لا تليق وشهد جماعةٌ من اهل الدار انهُ شرب الخمر فافتى العلماء بخلعهِ واعتنق ذلك القاضي عماد الدين شرف القضاة ابو طاهر احمد ابن الكرخي المحتسب وكان قاضي اصحاب الشافعي رحمهُ الله واجتمع العلماء والاكابر فخلعوه

ودخل اليهِ الوزير وصاحب المخزن وانا وتحدّثنا وناولتُهُ رُقعةً فيها ما يسمَّى بهِ من اللقب وكان فيها المقتفي لامر الله والمستضيء بامر الله والمستنجد بالله فقال: ذلك اليكم. فقال لي الخليفة: ما ترى. فقلت: المقتفي لامر الله. فقال: مبارك. ثم مدَّ يدهُ فاخذها الوزير وقبّلها وقال: بايعتُ سيدنا ومولانا المقتفي لامر الله امير المؤمنين على كتاب الله وسُنَّة رسول الله واجتهاده. ثم اخذها صاحب المخزن وقبّلها وبايعهُ على مثل ذلك ثم اخذتُ يده وقلتُ بعـد ان قبّلتها: بايعتُ سيدنا ومولانا الامام المقتفي لامر الله امير المؤمنين على ما بايعت عليهِ اباه واخاهُ وابن اخيـهِ في ولاية عهده. (وكنت بايعت الامام المستظهر بالله لمّا خدمتهُ في وكالة الدار سنة ٩٠ وبقيت الى سنة ٥٠٧ لمّا وُلّيتُ ديوان الانشاء وبايعت المسترشد والراشد) ثم قمنا من عنده ودخل الى الدار ودخل العلماء والفقهاء والقضاة واكابر الناس اجمع فبايعوه وحضر السلطان مسعود بعد ثلثة ايام وبايعهُ. وبايعهُ جميع اصحابه من خواجا والامير حاجب وجميع ارباب دولته واستبـدّ لهُ الامر واستقرّ

ووردت الاخبار من ناحية العراق بالتقاء عسكري السلطان مسعود واخيه (كذا) داود وان عسكر السلطان مسعود ظهر على عسكر السلطان داود وكسرهُ وقتل من مقدّميه واجناده جماعةً وافرةً من السنة (كذا)

وفي سنة ٥٣١ تردَّدت المراسلات من الامير شجاع الدولة ابي الفوارس المسيَّب ابن علي بن الحسين الصوفي وجماعة المقيمين بصرخد وكتب الامير امين الدولة كمشتكين الاتابكي الوالي بصرخد الى الامير شهاب الدين محمود بن تاج الملوك والى الامير شجاع الدولة بزواج والحاجب اسد الدين اكز في التماس الاذن لهم في العود الى دمشق والسؤال في اعادة ما قُبض من املاكهم اليهم واعادة كل مغصوب منها عليهم ولم تزل المراسلات في هذا الباب متناصرة والكُتُب في طلبه متواترة الى ان تقرَّرت الحال في ذلك والاجابة اليهِ على مُصالحةٍ معيّنةٍ مقسّطة برسم واجبات الاجناد يقومون بها في انجمُها المعيّنة واوقاتها المبيّنة تصلح الاحوال بتأديها وتتحقَّق الامال بتملكتها وان يُرَدّ امر الرئاسة في البلد الى الامير المقدّم ذكره وكُتب لهُ المنشور بالرئاسة ونُعت فيهِ مع اوصافه بالامير الرئيس الاجلّ مُؤيّد الدين ممهّد الاسلام مضافًا الى القابه ونعوته المتقدّمة وان يكون الرسم في الرئاسة جاريًا على العادة المستمرَّة والقاعدة المقيمة المستقرَّة في الحمايات والواجبات والرسوم الجاريات في دار الوكالة وسائر العِراض ونُفذت الكُتُب اليهم بالاجابة الى ما التمسوه والاسعاف بما اقترحوه والاذن لهم في العود الى البلد واثقين بما يُقدِمون عليه من حفظ الحُرمة وحراسة الحشمة والتطييب بالنفس وتأكيد (143r) الأُنس. فعند الوقوف على ما صدر اليهم من هذه الحال سُرَّت بهِ نفوسهم وابتهجت

في الخلافة

وقال المصنّف ايضًا: واما ما كان من الراشد فانهُ خرج مع اتابك زنكي في صفر سنة ٥٣١ الى الموصل ومعهُ قاضي القضاة الزينبي وجلال الدين ابو الرضا بن صدقة ابن اخي الوزير ابي علي وبقي عنده مدَّة فوصل معهُ الى باب نصيبين واقام اياماً ثم عاد الى الموصل وانفصل عن اتابك ومضى الى السلطان مسعود حتَّى يستأذنهُ ويمضي الى السلطان سنجر. وقيل قصد السلطان داود ودخل عليهِ حتى يردَّه الى الخلافة فلما قارب اصفهان خرج عليهِ قوم من الملاحدة ودخلوا عليهِ وقتلوه في شهر رمضان سنة ٥٣٢ وحُمل الى اصفهان ودُفن بها في مدينة شهرستان من اصفهان على فرسخ ويقال انها من ابنية ذي القرنين على ماء زندروذ على القنطرة وكانت خلافته من حيث بويع لهُ بعد قَتْل ابيهِ الى ان بويع للمقتفي احد عشر شهرًا زائدًا وناقصاً وقيل ان نفَّذ السلطان مَن قتله وجعل الاسم للملاحدة

بمعرفته قلوبهم وشرعوا في التأهُّب للعود بصدورٍ مُنشرحة وآمالٍ مُنفسحة وعادوا باسرهم وحين قربوا من البلد خرج كل من فيهِ من خاصّ وعامّ لتلقّيهم واظهار السرور والاستبشار بعودهم والاغتباط والابتهاج بقدمهم ودخلوا البلد في العشر الاول من رجب من السنة المذكورة فاستقامت احوالهم على منهج السداد واستمرّت على قضيَّة الايثار والمراد وأُعيد عليهم جميع ما اعتُرض لهم من ملكٍ وغيره واجروا على كل رسم جميلٍ واكرامٍ وتبجيل. فكم من شدَّةٍ فرجها الله تعالى ذكرُهُ بعد اشتدادها وغُمَّةٍ كشفها بلطفه بعد اظلامها

ربَّما تجزع النفوس من الام ر لهُ فرجةٌ كحلّ العقالِ

وفي هذه السنة ورد الخبر من ناحية مصر بان مقدّم الارمن بها قام في حزبه على صاحبها الامام الحافظ لدين الله ابي الميمون عبد المجيد وزحف اليهِ في قصره واقام عليهِ كالمحاصر لهُ فعاد اكثر الجند عنهُ خوفًا وقتلًا فانخذل وانهزم. وقيل ان السبب في ذلك كون اخ لمقدم الارمن في الصعيد وَرَدَ عليهِ خبر قتله فغلظ هذا الامر عليه وحمله على ما كان منهُ ثم انَّهُ تلطَّف امره بحيث عُفي عنهُ ولزم داره خائفًا مروعًا

وفي رجب من السنة نهض الامير بزواج في العسكر ومن حشده وجمعه من التركمان الى ناحية طرابلس في الرابع منهُ فظهر اليه صاحبها في خيله من الافرنج فكمن لهم في عدَّة مواضع فلمَّا حصلوا بالموضع المعروف بالكورة ظهرت عليهم الكمناء فهزموهم ووقع السيف في اكثرهم ولم يفلت منهم الَّا اليسير وهجم على الحصن الذي هناك فنهبهُ وقتل من فيهِ من المقدّمين والاتباع واسر من بذل في نفسه المال الكثير وحصل لهُ ولعسكره القيمة الكثيرة

وفي شوال من السنة تقرَّرت المهادنة والموادعة بين عماد الدين وبين شهاب الدين صاحب دمشق على قاعدة أُحكمت. وفي ذي الحجة منها ورد الخبر بعود متملك الروم في عسكره عن انطاكية الى ناحية بعرين من عملها في الثاني والعشرين منهُ (**143**v) وانفذ رسوله الى عماد الدين اتابك وظفر الامير سوار النائب عنه في حلب بسريَّة وافرة العدد من عسكر الروم فقتل بعضًا واسر بعضًا ودخل بهم الى حلب

وورد الخبر بان حسام الدين تمرتاش بن ايل غازي بن ارتق ملك قلعة الهتَّاخ (١

---

١) وفي الاصل: الهياخ. وفي تاريخ الفارقي اخذها من الامير شمس الدولة عيسى بن احمد ابن نظام الدين بن مروان

من بقيّة آل مروان وما كان بقي في ايديهم غيرها بعد البلاد والمعاقل ملكها بحيلةٍ اعملها عليهم ومكيدةٍ نصبها لهم وهي على غايةٍ من الحصانة والمنعة

وفيها شرع اهل حلب في تحصينها وحَفر خنادقها والتحصّن من الروم بها لقربهم منها . وورد الخبر بان عماد الدين اتابك عزل وزيره ابا المحاسن علي بن ابي طالب العجمي وقبض عليهِ واعتقله بسبب مال وافر وانكسر عليهِ من المعاملات ما عجز عن القيام بهِ والخلاص بتأديته وبقي معتقلًا في القلعة بحلب بسببه

سنة اثنتين وثلثين وخمسمائة

اوّلها يوم الاثنين مستهلّ المحرّم وهو العشرون من ايلول وفيهِ وصل الحاجب حسن الذي كان أُرسل الى متملّك الروم ومعه رسول الملك عماد الدين اتابك . وفي رابع عشر المحرَّم وصل اتابك في عسكره الى حماة ورحل عنها متوجّهًا الى ناحية البقاع فملك حصن المجدل من ايدي الدمشقيين ودخل في طاعته ابرهيم بن طرغت والي بانياس من عمل دمشق . وورد الخبر في صفر بان زلزلة عظيمة جاءت بالجزيرة واعمال الموصل وقيل انها اهلكت عدَّة مواضع من الارض وهلك فيها خلقٌ كثير وافر من اهلها . وفي اوائل شهر ربيع الاول من السنة وقيل ان رسول السلطان مسعود بن السلطان محمد ووصل الى الموصل بالتشريف الكامل لعماد الدين اتابك ووصلت كُتُب نصير الدين نائبه فيها يشرح حالها

وورد الخبر بان صاحب انطاكية قبض على بطركها الافرنجي ونهب داره وذكر ان السبب في ذلك ان ملك الروم لمّا تقرَّر الصلح بينه وبين ريمند صاحب انطاكية شرط في جملة الشروط ان ينصب بانطاكية بتركًا (كذا) من قِبل الروم على ما جرى بمثله الرسم قديمًا ثم انتقض هذا الرسم فيما بعد وخرج ريمند صاحب انطاكية الى متملّك الروم وهو مخيّم في (144ᵇ) عسكره بمرج الديباج وقرَّر معهُ الهدنة والموادعة وعاد الى انطاكية . وفيها عاد عماد الدين اتابك عن دمشق الى حماة في شهر ربيع الآخر ونزل عليها ورحل عنها الى حمص فنزل عليها مُحاصرًا لها

وفي هذه السنة نقض الافرنج الهدنة المستقرَّة بين عماد الدين اتابك وبينهم واظهروا الشقاق والعناد وشرعوا في العيث والفساد بعد اصطناعهِ لمقدّميهم والكفّ عنهم حين

اظهره الله عليهم وقبضوا بانطاكية وثغور الساحل جماعةً من تجّار المسلمين واهل حلب والسفَّار تقدير خمسمائة رجل في جمادى الآخرة

وفيها شتَّى السلطان مسعود ببغداد ووصل رسوله الى اتابك بحمص وشتَّى ملك الروم بالثغور والدروب وخيَّم ببرج الديباج. وفي يوم الاحد النصف من جمادى نهض الامير بزواج من دمشق في عسكره الى ناحية الافرنج وقد فسد امره مع شهاب الدين صاحب دمشق لعجرفيَّةٍ فيهِ واقدام على استعمال الشرّ ونودي عليهِ بفساد امره وظهور غدره ومكره وكثرة جهله وتناهيه في سوء فعله واقام بظاهر البلد مدَّةً وعاد امره انصلح ودخل البلد واقام فيهِ مستقيم الحال مُبلغًا غاية الامال فعمل عليهِ شهاب الدين وقتله بقلعة دمشق بايدي الشمسيّة في يوم الاثنين السادس من شعبان من السنة. والسبب في ذلك ان شهاب الدين كان قد نقم عليه امورًا انكرها واستوحش منهُ لاجلها وعبث بمال الارتفاع عزقهُ في النفقات والاطلاقات فاعمل الحيلة في قتله وآنسه وطمَنهُ الى حين وجد الفرصة فيهِ متسهّلة وحصل عنده بقبَّة الورد في داره بالقلعة وقد رتَّب لهُ جماعةً من الارمن الشمسية اصحاب ركابه وقرَّر معهم قتله فحين تمكّنوا منهُ بخلوةٍ من اصحابه قتلوهُ واخرجوهُ ملفوفًا في كساء الى المقبرة المبنية لزوجته فدُفن بها

وفي يوم الاحد السابع عشر من شعبان من السنة خلع شهاب الدين على الامير معين الدين أُنر وقرَّر لهُ امر الاسفهسلَّاريَّة وخوطب بالاتابكية وردّ امر الحجبة الى الامير الحاجب اسد الدين اكز وطيّب بنفسيهما وردّ التدبير والتقرير في سائر الاعمال وعامَّة الاحوال اليهما

وفي هذا (144[v]) الشهر وردت الاخبار من ناحية الشمال بنزول ملك الروم في عسكره على شيزر محاصرًا لها ومضايقًا عليها ونصب عليها عدَّة من المناجيق واشتدَّت الحرب بينهُ وبين اهلها وقتل فيها جماعة من المسلمين بحيث اشرفت على الهلاك مع مبالغة الامير عماد الدين اتابك في امدادها بالرجالة والسلاح وآلات الحرب وكونه بازاء الروم يجول بخيله على اطرافهم ويفتك بمن يظفر بهِ منهم ولم يزالوا على هذه القضيّة الى ان سئم المقام عليها ويئسوا من بلوغ الغرض فيها ولطف الله تعالى باهل الشام وتداركهم برحمته وورد خبرُ رحيلهم عن شيزر الى انطاكية واستبشر الناس برحيلهم وعودهم خاسرين غير ظافرين ومفلولين غير فائين فلله تعالى الحمد على هذه النعمة دائمًا والشكر متواصلًا متتابعًا

قد مضى من ذكر الروم فيما اعتمدوهُ في هذه الايام ما قد عُرف ويُذكَر بعد ذلك مبدأ احوالهم وخروجهم وافعالهم وذلك انهم ظهروا من ناحية مَدينة البـلاط في يوم الخميس الكبير من صومهم ونزلوا غفلةً على حصن بزاعة بالوادي في يوم الاحد عندهم وغارت خيلهم على اطراف حلب في تاسع عشر رجب من السنـة واستأمن منهم الى حلب جماعةٌ من كافر تُرك وانذروا من بحلب بالروم فحذروا وضمّوا اطرافهم وتحرّزوا وتحفّظوا واستعدُّوا وتيقَّظوا قبل الاغارة بليلةٍ وكان هذا الانذار من المستأمنة لطفاً من الله تعالى ورحمةً . وبعد هذا التحرُّز والاحتياط اشتمل الروم في عادتهم على جملةٍ وافرةٍ من اهل حلب وضواحيها وانفذ اهل حلب من اعيانهم من مضى الى عماد الدين اتابك مستصرخاً بهِ وهو مخيّم على حمص فانهض اليهم من امكنه من الخيالة والرجالة والناشبة والنبالة والعدد الوافرة وحصل الجميع في السابع وعشرين من رجب من السنة

ووردت الاخبار بتملُّك الروم المذكورين حصن بزاعة بعد حصره ومضايقته ومحاربته بالمنجنيقات في يوم السبت الخامس والعشرين من رجب بالامان وغدر باهله بعد تسلّمه وأَمانهم وجمع من غدر بهم واحصاهم وقيل انهم كانوا خمسة الف وثماغائة نفس وتنصَّر قاضي بزاعة وجماعة من الشهود (145r) وغيرهم تقدير اربعمائة نفس واقام الملك بعد ذلك بمكانه عشرة ايام يُدخّن على مغارات اختفى فيها جماعة فُهلكوا بالدخان

وفي يوم الاربعاء الخامس من شعبان نزل الروم ارض الناعورة ورحلوا عنها في يوم الخميس ثامنه واجتازوا بحلب ومعهم عسكر انطاكية ومقدّمهم ريمنـد صاحبها وابن جوسلين فنزلوا على حلب ونصبوا خيامهم على نهر قُوَيق وارض السعدي . وزحف الملك من غدهِ في خيله ورجله من قبلي حلب وغربيها من ناحية قُرنَة بُرج الغنم وخرج اليها فرقة وافرة من احداث حلب فقاتلتهم وظفرت عليهم فقُتلوا فيهم وجرحوا وأُصيب من الروم مقدّمٌ مذكورٌ وانكفُّوا خائبين الى مخيّمهم واقاموا على حلب اياماً قلائل ورحلوا عنها غداة يوم الاربعاء ثامن شعبان مقتبلين الى ارض صلدع وخاف من بقلعـة الاثارب فهربوا منها في يوم الخميس تاسع شعبان وطرحوا النـار في خزائنها وعرف الروم ذلك فنهضت منهم طائفة الى القلعة ونزلت عليها وملكتها وحازوا ما فيها والجأوا السبايا والاسرى الذين في ايديهم من حصن بزاعة الى ربض الاثارب وخنـدقها بحيث عرف الامير سوار النائب بحلب ذاك وانعزال الروم عنهـا نهض في عسكر حلب وادركهم بالاثارب فاوقع بهم وقهرهم واستخاص المأسورين والمسبيين الّا

اليسير منهم وذلك في يوم السبت الحادى عشر من شعبان وسُرَّ اهل حلب بهذه النوبة سرورًا عظيماً

وفي يوم الخميس التاسع من الشهر رحل عماد الدين اتابك عن حماة الى سلميَّة وسيَّر ثقله الى الرَّقة وبقي في خيله جريدة مُخفَّفة. وفي يوم الاثنين رحل ملك الروم عن بلد المعرَّة فهرب من كان مقيماً في كفرطاب من الجند خوفاً على نفوسهم. وتناصرت الاخبار بعبور عسكر التركمان الفُرات مع ولد الامير داود بن ارتق الى ناحية حلب للغزو في الروم ونزلوا بجمع المروج ونهض فريق وافر من عسكر دمشق للغُزاة ايضاً في خدمة عماد الدين اتابك وكان سبب رحيل الروم عن شيزر ما انتهى اليهم من وصول التركمان وتجمُّع العساكر خاسرين وكان مدَّة اقامتهم عليها ثلثة وعشرين يوماً ووصول ملك الروم الى انطاكية في عوده يوم الاحد (145v) الثامن من شهر رمضان من السنة وتواصلت الاخبار باتمام الروم في رحيلهم الى بلادهم وسكنت القلوب بعد انزعاجها وقلقها منهم ووجلها

وورد الخبر من ناحية حلب بوفاة القاضي بهاء الدين ابن الشهرزوري بها في يوم السبت السادس عشر من شهر رمضان من السنة وحُمل الى مشهد صفين ودُفن بهِ وكان صاحب عزيمةٍ ماضية وهمَّةٍ نافذة ويقظةٍ ثاقبة (١. وفي هذه السنة توفّي القاضي الاعز ابو الفتح محمد بن هبة الله بن خلف التميمي رحمه الله في ليلة الجمعة النصف من شهر رمضان وكان من المتخصّصين ذوي المروءة وكرم النفس

وفي هذه السنة تردّدت المراسلات من الامير عماد الدين اتابك الى الامير شهاب الدين في التماس انعقاد الوصلة بينهُ وبين والدته الخاتون صفوة الملك زمرُّد ابنة الامير جاولى الى ان اجيب الى ذلك واستقرّ الامر فيه ونُدب من دمشق من تولَّى لها العقد في مخيَّمه بحمص في يوم الاثنين السابع عشر من شهر رمضان من السنة وتقرّرت الحال على تسليم حمص اليهِ فتسلَّمها مع القلعة وعوَّض عنها لواليها الامير معين الدين أنز حصن بعرين (٢ وتوجَّهت الخاتون صفوة الملك والدة شهاب الدين من دارها الى عسكر عماد

---

١) قال الفارقي في تاريخه: انهُ مات بالرقّة ودفن بها ووُلي ولده نجم الدين قضاء القضاة

٢) وقال ايضاً ان في هذه السنة تسلَّم زنكي حمص وقتل قرخانٍ صاحبها. وقال سبط ابن الجوزي في تزوّج اتابك زنكي بالخاتون انهُ كان قد طلبها في السنة الماضية فامتنع براوش (بزاوج)

الدين اتابك بناحية حمص وحماة مع اصحاب عماد الدين المندوبين لايصالها اليهِ في اواخر شهر رمضان منها

ووردت الاخبار من ناحيـــة العراق بان الامام الراشد بالله امير المؤمنين كان قد فصل عن الموصل وتوجَّه الى ناحية الجبل فقضى الله تعالى للقدر النازل والحكم النافذ استشهاده على باب اصفهان بامرٍ قُرِّر لهُ وعملٍ عُمل عليه فصـــار الى رحمة ربّه سعيداً مأجوراً شهيداً في يوم الثلثاء السادس والعشرين من شهر رمضان من السنة فكانت خلافته الى ان استشهد سنتين وعشرة اشهر

وفي هذه السنة ورد الخبر بوفاة الامير طغان (ارسلان الاحدب) بن حسام الدولة بدليس وانتصب في مكانه ولده الامير قرتي بن طغان ارسلان واستقام لهُ الامر وحُكي عنهُ حكايات في الظلم والتعجرُف والتجبّر والجور تُنكرها النفوس وتنفِر من سماعها القلوب (١

سنة ثلث وثلثين وخمسمائة

(146[r]) اول هذه السنة يوم الجمعة بالرؤيا مستهل المحرَّم وفيهِ اجتمع الامير عماد الدين اتابك بالخاتون صفوة الملك والدة الامير شهاب الدين بظـــاهر حمص وقد اجتمع عنده جماعة وافرة من رُسُل الخليفة والسلطان ومصر والروم ودمشق وغـير ذلك. وفي

فقال: وما السبب في اننا نزيل دولة مولانا بايدينا ؟ فلما قُتل راسل اتابك زنكي في هذا المعنى وهو مقيم على حمص فأُجيب وعقد العقد

١) وقال الفارقي في تاريخه: ان في سنة ٥٣٣ وصل الى ميافارقين حسام الدولة قرتي ابن الاحدب صاحب ارزن. وقال ايضاً: ان في سنة ٥٤٣ حضر الوزير من عنـــد الامير فخر الدين دولت شاه بن طغان ارسلان صاحب ارزن وبدليس وعقد على نورة خاتون بنت السعيـــد حسام الدين (تمرتاش) على خمسين الف دينار. وان في سنة ٥٣٨ كان مات حسام الدولة قوتي (قرتي) بارزن وولِي الامارة اخوه شمس الدين ياقوت ارسلان الى سنة ٥٤٠ ونفذ اخاه لامه دولت شاه الى خدمة اتابك زنكي لما عبر واخذ بلاد الامير داود بعد موته. وكان موته في سنة ٥٣٩ بحاني وكان ملك بعده ولده الأمير فخر الدين قرا ارسلان حصن كيفـــا وخربيت (خرتبرت) و بالو وملك ولده ارسلان تغمش قلعة منازجرد. ثم مات ياقوت ارسلان يوم السبت مستهلّ شهر رمضان سنة ٥٤٠ وسار ضياء الدين ايوب (الوزير) وكان زوّج امه الى معسكر اتابك فاخذه وعاد بهِ الى ارزن وملك البلاد واستبدّ بالامارة وملك جميع ولاية ابيه واخيه

هذا الشهر غارت الافرنج على ناحية بانياس ونهض شهاب الدين في العسكر في اثرهم فلم يُدركهم وعاد الى البلد

وفي يوم الثلثاء الرابع من صفر جاءت في دمشق زلزلة هائلة بعد الظهر اهتزّت بها الارض ثلث مرّاتٍ وتلاها في ليلة الجمعة وقت عشاء الاخرة ثانية اهتزّت بها الارض عدّة مرّات. وفي ليلة الاثنين التاسع عشر من صفر عادت الزلزلة في الثلث منهـا ثلث مرّات فتبارك رب هذه القدرة الباهرة والآية الظاهرة وعادت في ليلة الاربعاء يتلوها في الربع الاخير من ليلة الجمعة وتناصرت الاخبار من الثقات السفار والواردين من ناحية الشمال بصفة هذه الرجفات المذكورات وانها كانت في حلب وما والاها من البـلاد والمعاقل والاعمال اشد ما يكون بحيث انهدم في حلب الكثير من الدور وتشعّث السور واضطربت جدران القلعة وظهر اهـل حلب من دورهم الى ظاهره من خوفهم على نفوسهم ويقول اُلكثر من الحاكي ان الزلزلة جاءت تقدير مائة مرّةٍ وقوم يحقّقون انها ثمانون مرّةً والله اعلم بالغيب والصواب تبارك الله ربّ العالمين القادر على كل شيء.

وفي يوم السبت السابع عشر من شعبان الموافق للتاسع من نيسان جاءَ رعدٌ هائل مختلفٌ من عدّة جهات وبرقٌ زائدٌ وجلبـات هائلة قبل الظهر ثم جاءَ مع ذلك مطر شديد الوقع وبرَد هائل حكي بعض الثقات انهُ وزن واحدةً من كبار البَرَد فكان وزنها في ناحية الغوطة والمرج ثمانية دراهم وكان آخرون وزنوا واحدةً فكانت سبعـة عشر درهمًا وقتل كثيرًا من الطير واتلف كثيرًا من الطير والزرع والثمار

وفي يوم الاربعاء النصف من شوال وردت الاخبار من ناحية مصر بالحادثة الكائنة بمصر بين الاجناد بها بحيث قتـل بينهم من الفريقين الخلق الكثير من الخيَّالة والرجالة وعلى مُضي ستّ ساعاتٍ من (146v) نهار يوم الاربعاء الحادي والعشرين من شوال جاءت رجفةٌ هائلة ارتاعت لها القلوب ورجفت بِهِ الصدور

وفي يوم الجمعة الثالث والعشرين من شوال من السنة في غداته ظهرت الحادثة المدبّرة على الامير شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بن ظهير الدين اتابك وقتله في فراشه وهو في نومه في ليلة الجمعة المذكورة بيد غلمانه اللاعين البغش الارمني الذي اصطنعهُ وقرَّبه اليه واعتمد في اشغاله عليه ويوسف الخادم الذي وثق بهِ في نومه لديه والخركاوي الفرّاش الراقد حواليه ووقوع الزحف عند اشتهار هذا الخبر الى كاتبه النفيس ابي طالب عقيل بن حيدرة مستوفي ديوان المعاملات وقتله في الطريق عنـد اخذه من الدار التى

لجأ اليها واختفى عند هروبه فيها . وكان هؤلاء الثلثة النفر الجناة الملاعين يبيتون حول سريره فلمّا قرّر معهم هـذا الامر رقدوا في اماكنهم على جاري عادتهم فلما انتصف الليل وتحقّقوا نومه وثبوا عليه فقتلوه في فراشه على سريره وصاح فرّاش اخر كان معهم فقتلوه ايضًا ودبّروا امرهم بينهم واخفوا سرّهم بحيث خرجوا من القلعـة وظهر الامر وطُلب البغش لعنه الله فهرب ونُهب بيته ومُسك الاخران فصُلبا على سور باب الجابية. وكُتب الى الامير جمال الدين محمد بن تاج الملوك اخيه صاحب بعلبـك بصورة الحال فبادر بالوصول الى دمشق في اسرع وقتٍ واقرب اوانٍ فجلس في منصبه وعُقد الامر لهُ واستحلف الامراء والمقدّمين والاعيان على الطاعة والمناصحة في خدمته فتقرّرت الحال وسكنت الدهماء وظهرت الكائنة وانكشفت الغمّاء

وحين انتهى (الخبر) الى الخاتون صفوة الملك والدة الامير شهاب الدين رحمه الله قلقت وانزعجت وحزنت عليه واسفت واكبرت هـذا الامر وحدوث مثله على ولدها وراسلت الامير عماد الدين اتابك وهو بناحية الموصل مُعلمةً لهُ بصورة الحال وباعثـةً لهمّتهِ على النهوض لطلب الثأر من غير تلوّم ولا اغفال فحين وقف على الخبر امتعض لهُ اشدّ الامتعاض ولم يكن باستمرار مثله بالراضي وصرف الاهتمام الى التأهب لما حرضته عليه واشارت اليه والاستعداد لهُ والاحتشاد لقصده وثني أعنّـة (147r) الاعتزام الى ناحية الشام مُجدًّا في قصد دمشق لبُلُوغ كل مطلبٍ ينحوه ومَرَامٍ وتناصرت الاخبار بهذه العزيمة الى دمشق فوقع الاحتياط والتحرّز من جانبه والاستعداد ثم تلى ذلك ورود الخبر بنزوله على بعلبك في يوم الخميس العشرين من ذي الحجة من السنة في عسكر كثيف وجمّ غفير. وقد كانت قبل نزوله عليها قد شُحنت بالرجال المقاتلة والعُدَد الكاملة ورُدّ امر الولاية فيها الى معين الدين أُنُر وقد تمكنت حالتـه وارتفعت رتبته ونفذت اوامره في الدولة وامثلتُهُ فنصب عليها عدّة من المناجيق وواصل المحاربة لاهلها وبالغ في المضايقة لها وقيل ان عدّة المنجنيقات المنصوبة عليها اربعـة عشر منجنيقًا يرمي عليها بالنوبة ليلًا ونهارًا بحيث اشرف من بها على الهلاك . ولم تزل هـذه حالها الى ان ورد الخبر بافتتاحها بالامان لشدّة ما نزل باهلها من البلاء والمضايقة والنقوب وبقيت القلعة وفيها جماعة من شجعان الاتراك المندوبين لحمايتها والذبّ عنها فلما أيسوا من معين يأتيهم من المعين ووصول من ينقذهم من البلاء المحيط سلّموها الى عماد الدين اتابك بعـد اخذ امانهِ والتوثّق منـه . فلمّا حصلت في ملكته نكث عهده ونقض امانه لحنقٍ

اسرَه وغيظٍ على من كان فيهـا آكنَةٌ فامر بصلبهم ولم يفلت منهم الّا من حماه اجله فاستبشع الناس ذلك من فعله واستبدعوه من نكثه . وقد كان الخبر ورد قبل ذلك بافتتاح عماد الدين اتابك قلعة الاثارب في يوم الجمعة اوّل صفر من السنة المقدَّم ذكرها. ووردت الاخبار بان رجفةً عظيـمة حدثت في الشام بعد ما تقدَّم ذكره في ليلة الجمعـة الثامن من صفر منها

وفي شهر رمضان منها ورد الخبر بان الامير الافضـل رضوان بن ولخشي صاحب الامر بمصر خرج منها لامر خاف معهُ من صاحبه الامام الحافظ لدين الله امير المؤمنين ووصل الى صرخد وان امين الدولة كمشتكين الاتابكي واليها تلقَّاهُ بالاكرام ومزيد الاعظام والاحترام واقام في ضيافته وكرامته مدّة ثم عاد من عنده طالباً لمصر لامرٍ كان دبَّره وسببٍ قرَّرهُ فلمَّا وصل اليها فسد ذلك التدبير عليهِ ولم ينل ما كان صرف همَّه اليه فاعتقل في القصر مكرماً ومُبجّلًا محترماً

(147[v]) وفيها توفّي النقيب الامام جمال الاسلام ابو الحسن علي بن محمد (١ بن الفتح السُلمي الشافعي متولّي المدرسة الامامية في يوم الاربعـاء الثالث عشر من ذي القعدة منها وهو ساجدٌ في صلاة الغداة رحمه الله وكان مشهوراً بوفور العلم في التفقـه وقوَّة الفرائض والوعظ والدين والامانة بحيث وقع التأَلُّم لفقـده وافتُقر الى مثله من بعده

سنة اربع وثلثين وخمسمائة

اول هذه السنة المباركة يوم الثلثاء بالرؤية مستهلّ المحرَّم . وفيهِ ورد الخبر بفراغ عماد الدين اتابك من ترتيب امر بعلبك وقُلّتها وترميم ما تشعَّث منها وشروعه في التأهُّب للنزول على مدينة دمشق لمضايقتها وورد عقيب ذلك الخبر برحيله عنها في العسكر ونزوله في البقاع في شهر ربيع الاول منها وانفـذ رسوله الى الامير جمال الدين محمد بن تاج الملوك بوري بن اتابك صاحبها في التماس تسليم البلد اليه ويعوض عنه بما يقع الاختيـار والاقتراح عليه فلم يُجب الى ما رُغب فيه فرحل عن البقاع ونزل على داريّا ظاهر دمشق

---

١) وفي كتاب العبر للحافظ الذهبي « ابن المسلم » مدرّس الغزالية والامينية واوّل ما دُرّس بمدرسة امين الدولة سنة ٥١٤

في يوم الاربعاء ثالث عشر ربيع الاخر منها . وكان عند نزوله على داريّا قد التقت الطلائع فظفر بجماعة وانهزم الباقون الى البلد وزحف بعد ذلك الى البلد في عسكر من ناحية المصلّى في يوم الجمعة الثامن وعشرين من شهر ربيع الاخر من السنة فظفر بجماعة وافرة من احداث البلد والغوطة واطلق السيف فيهم فمنهم من مضى قتيلًا واسيرًا ومنهم من عاد الى البلد سالمًا وجريحًا واشرف البلد في هذا اليوم على الهلاك لولا لطف الله تعالى وعاد الى مخيّمه بمن اسر بعد من قتل وامسك اياماً عن الحرب (١ . وتابع المراسلة والتلطّف في تسليم البلد واخذ العوض عنه ببعلبك وحمص وما يقترح معهما فاثر جمال الدين محمد بن تاج الملوك الدخول في هذا الامر لما فيه من الصلاح وحقن الدماء وعمارة الاعمال وسكون الدهماء واباءة غيره عند الاستشارة فيه وجعل يزحف بعسكره في ايام متفرّقة بحيث لم يصدق في القتال ولا بالغ في التضييق والنزال اشفاقًا من سفك الدماء كالكافّ المسالم والمتأنّي في الوقائع والمغانم . وابتدأ بجمال الدين (148r) محمد ابن تاج الملوك مرضٌ اتّصل بهِ في جمادى الاولى من السنة فصار يخفّ تارةً ويثقل ويضي ويعود ويقلّ ويزيد الى ان اشتدّ بهِ اشتدادًا وقع اليأس معه منه ولم يكن لهُ فيهِ طبٌّ ولا راقٍ ولم يزل على هذه الحال الى ان قضى محتوم نحبه وصار الى رحمة ربّه في ليلة الجمعة الثامن من شعبان منها في الوقت الذي اصيب فيه اخوه شهاب الدين محمود بن تاج الملوك رحمهما الله فعجب الناس من ذلك واتّفاق الوقت والساعة وسبّحوا الله وقدّسوه وجُهّز ودُفن في تربة جدّته بالفراديس

فاجتمع رأي المقدّمين واصحاب الامر من بعده على سدّ ثلمة فقده بنصب ولده الامير عضب الدولة ابي سعيد آبق بن جمال الدين محمد في مكانه واخذت لهُ بذلك العهود المؤكدة بالايمان المشدّدة على الاخلاص في الطاعة والصدق في الخدمة والمناصحة فاستقام الامر وصلح التدبير وزال الخُلف وسكنت الامور بعد اضطرابها وقرّت النفوس بعد استيحاشها . وحين عرف عماد الدين اتابك هذه القضية زحف في عسكره الى البلد طامعاً في خُلف يجري بين المقدّمين بوفاته فينال بهِ بعض طلباته فكان الامر بالضدّ ممّا امّل والحال بالعكس فيما ظنّ ولم يصادف من اجناد دمشق واحداثها الّا الثبات على القراع والصبر على المناوشة والمصاع فعاد منكفئًا الى عسكره وقد ضعفت

١) قال الفارقي : ان في هذه السنة ملك اتابك زنكي قلعة بعلبك ونزل على دمشق وحاصرها مدّةً ثم سلّموا اليهِ قلعة بُصرى

نفسه وضاق لهذا الامر صدره. وقد كان تقرَّر الامر مع الافرنج على الاتفاق والاعتضاد والمؤازرة والاسعاد والامتزاج في دفعه والاختلاط في صدّه عن مراده ومنعــه ووقعت المعــاهدة على ذلك بالأَيمان المؤكدة والضمان للوفاء بما بذلوهُ والتمسوا على ذلك مالًا مُعينًا يحمل اليهم ليكون عونًا لهم على ما يحــاولونه وقوّةً ورهانًا تسكن بها نفوسهم واجيبوا الى ذلك وحُمل اليهم المال والرهائن من اقارب المقــدّمين وشرعوا في التأهب للانجاد والاستعداد للمؤازرة والاسعــاد وكاتب بعضهم بعضًا بالبعث على الاجتماع من سائر المعاقل والبلاد على ابعاد اتابك وصدّه عن نيل الارب من دمشق والمراد قبــل استفحال امره واعضال خطبــه وقوّة شوكته واستظهاره على عُصَب الافرنج وقصد بلادهم

فحين تيقّن صورة الحال في هذا العزم (148[v]) وتجمّعهم لقصده مع عسكر دمشق رحل عن منزله بداريًا في يوم الاحد الخامس من شهر رمضان طالبًا ناحية حوران للقاء الافرنج ان قربوا منه وطلبهم ان بعدوا عنه واقام على هذا الاعتزام مُدّةً ثم عاد الى ناحية غوطة دمشق ونزل بعذراء يوم الاربعاء لستّ بقين من شوال فاحرق عدّة ضياع من المرج والغوطة الى حَرَستا التين ورحل يوم السبت تاليه متشــاملًا حين تحقّق نزول الافرنج بالمدان في جموعهم. وكان الشرط مع الافرنج ان يكون في جملة المبــذول لهم انتزاع ثغر بانياس من يد ابرهيم بن طرغت وتسليمها اليهم فاتّفق ان ابرهيم بن طرغت واليه كان قد نهض من اصحابه الى ناحية صور للاغارة عليهــا فصادفه ريمند صاحب انطاكية في قصده واصلًا الى اسعــاد الافرنج على انجاد اهل دمشق فالتقيا فكسره وقُتل في الوقعة ومعه نفرٌ يسير من اصحابه وعاد من بقي منهم الى بانيــاس فتحصّنوا بها وجمعوا اليها رجال وادي التيم وغيرهم ومن امكن جمعــه من الرجال للذبّ عنها والمراماة دونها فنهض اليهــا الامير معين الدين في عسكر دمشق ونزل عليها ولم يزل محاربًا بالمنجنيقات ومضايقًا لها بانواع المحاربات ومعــه فريقٌ وافر من عسكر الافرنج عامة شوال

وورد الخبر بان الامير عماد الدين اتابك قد نزل على بعلبك وانفذ يستدعي التركمان من مَطانهم (كذا) في شوال لقصد بانياس ودفع النازلين لها عنها ولم تزل الجاليــة جارية على هذه القضية الى آخر ذي الحجة من السنة

ووردت الاخبار من ناحية مصر بان الافضل بن ولخشي لمّا فصل عن صرخد ووصل

الى ظاهر مصر ان الاتراك الذين انضمُّوا اليه عملوا عليه وغدروا بهِ وانتهبوا ما كان معه من كراع وسواد فحين وجدوا منهُ الغرَّة والغفلة لم يبقوا على شيء ممَّا صحبه وتفرَّقت عنهُ اصحابه ورجاله وبقي فريدًا فحصل في ايدي الحافظيَّة اسيرًا ووُكِّل بهِ من يحفظه ويحتاط عليه وهذا الافضل المقدّم موصوف بالشجاعة والفروسيَّة وعلو الهمَّة ومضاء العزمة والبسالة وحسن السياسة وذكاء الحسّ ولكن المقادير لا تغالَب والاقضية لا تُدافَع والله يفعل ما يشاء ويختار . ولم تزل بانياس على حالها في المضايقة والمحاصرة الى ان نفدت منها الميرة وقلّ قوت المقاتلة فسُلّمت (149r) الى معين الدين وعُوض عنها الوالي الذي كان بها بما ارضاه من الاقطاع والاحسان وسلَّمها الى الافرنج ووفى لهم بالشرط ورحل عنها منكفئًا الى دمشق ظافرًا بامله حامدًا لعمله في اواخر شهر شوال

وفي صبيحة يوم السبت السابع من ذي القعدة من السنة حصل عماد الدين اتابك بعسكره جريدةً بظاهر دمشق ووصل المصلَّى وقرب من سور البلد ولم يشعر بهِ احد لكون الناس في اعقاب نومهم فلما تبلَّج الصباح وعُرف خبره علت الجلبة والصياح ونفر الناس واجتمعوا الى الاسوار وفتح الباب وخرجت الخيل والرجالة وكان قد فرَّق عسكره الى حوران والغوطة والمرج وسائر الاطراف للغارة ووقف هو في خواصه بازاء عسكر دمشق بحيث لا يمكن احدًا من اصحابه في اتباع احدٍ من خيله المغيرة ونشبت الحرب بينه وبين عسكر دمشق وخرج من الفريقين جملة وافرة واحجم عنهم لاشتغاله بمن بثه من سراياه في الغارات وحصل في ايديهم من خيول الجشار والاغنام والاحمال والابقار والاثاث ما لا يُحصى كثرةً لانهم جاءوا على غفلةٍ وغرَّةٍ ونزل من يومه بمرج راهط الى ان اجتمعت الرجال والغنائم وسار عائدًا على الطريق الشمالية بالغنائم الدثرة المتناهية في الكثرة

ووردت الاخبار من ناحية بغداد بعزل الوزير شرف الدين علي بن طراد الزينبي عن وزارة الامام المقتفي بامر الله وتقليدها الوزير نظام الدين ابن جهير

سنة خمس وثلثين وخمسمائة

في شهر رمضان منها ورد الخبر بظهور عسكريَّة عسقلان على خيل الافرنج الغائرين عليها وقتل جماعة منهم وعودهم مفلولين خاسرين . وفيها ورد الخبر من ناحية الشمال

بتملّك الباطنية حصن مصياث بحيلة دُبّرت عليـــهِ ومكيدةٍ نُصبت لهُ · وفيها توّفي البدليسي (١ امام المسجد الجامع بدمشق في ثالث ذي الحجة منها رحمه الله وكان حسن الطريقة قليل التبذُّل جيّد الحفظ والقراءة والتصوُّن ووقع الاختيـــار على الشيخ الامام ابي محمد بن طاووس في اقامته مكانه لما فيه من حسن الطريقـــة والتصوّن والتديّن والقيام بقراءة السبعة المشهورة (٢

(149v) سنة ست وثلثين وخمسمائة

فيها ورد الخبر من ناحيـــة الشمال باغارة الامير لجه التركي النازح عن دمشق الى خدمة الامير عماد الدين اتابك على بلد الافرنج وظفره بخيلهم وفتكه بهم بحيث ذُكر ان عدّة المقتولين منهم تقدير سبعمائة رجل · وفيها ورد الخبر من ناحية العراق بايقـــاع عسكر السلطان غياث الدنيا والدين ركن الاسلام والمسلمين مسعود بن محمد بجلّة بني

---

١) هو اسماعيل بن فضائل بن سعيد وقال فيهِ سبط ابن الجوزي : ذكره الحافظ ابن عساكر وقال : اقام اماماً بجامع دمشق نيفاً وثلثين سنة يؤُمُّ الناس ويتلو القرآن فظهر عليه شيء من اعتقاده من ميله الى السنة فعزل عن الامامة في رمضان سنة ٥٢٨ وبُعث مكانه ابو محمد طاووس وجرى في ذلك مرافعات وتعصّبات فاستقرّ الامر على ان لا يبقى في الجامع من يصلّي اماماً غير امام الشافعية والحنفية لا غير و بطلت امامة المالكية والحنابلة

٢) قال الفارقي في تاريخه : وكان بميافارقين شرف الدين حبشي والحاجب يوسف ينـــال في الولاية فدبّر حبشي امر العسكر والبلد وساس الناس وبقي الامر كذلك الى اخر سنة٥٣٥ . . . . ونفّذ اتابك زنكي الى حُسام الدين (تمرتاش) يقول : ان كان رسول يصلني منك ويصلك مني لا يصحوك ولا يصحوني فان اردت انفاذنا فنفّذ الى حبشي . فنفّذه اليهِ ومعهُ جماعة . فلمّا لقوه انزلهم وبقي ثلثة ايام ثم ولّي شرف الدين حبشي الاستيفـــاء وخلع عليهِ الجبّة الاطلس والبركان بالذهب العراقي والفرس بالمركب وعادت الامراء الذين مضوا معهُ . ثم انهُ تضمّن للاتابك زنكي اخذ البلاد وقاطعهُ في ذلك فقال (فقال لي مَن قد حلف لي) : ومتى وصلنا الى البلاد سلّمتُها اليك . وفي سنة ٥٣٧ صعد اتابك زنكي الى ديار بكر ودخل الى ولاية الامير يعقوب ابن السبـــع الأحمر فقصد حيزان والمعدن وابرزوَن وفطليس واخذ جميع ولايته وكُنتُ في هذه السنة بالموصل مدّة شهرين. وفي سنة ٥٣٨ قصد اتابك زنكي البلاد ووصـــل الى ماردين ودخل الى تلّ بسمى على انهُ يدخل الى ولاية آمد وميافارقين وكان قد ملك حاني واسعرد وجبـــل جور وذي القرنين وجميع تلك الولاية اخذها بعد صلح بالامير داود ونزل في الزيتون الذي في تل بسمَى . فلمّا كان بعض الليالي دخل الى حبشي الى خيمته مؤمّل الشاقصي ومحمد بن ابي المكارم الحلبي وضرباهُ بالسيوف واخذا رأسهُ وسارا بهِ الى السعيد حسام الدين ووقع الصيحة واختبط العسكر واصبح اتابك من غدوةٍ فرحل وعاد الى نصيبين

خفاجة ونهبها وقتل من ظفر به لكثرة فسادهم وتزايد عنادهم واخافتهم السابلة واخذهم كل رُفقةٍ من التجّار الصادرة والقافلة وعوده الى بغداد ظافرًا غانمًا

وفيها توفي النقيب الامام ابو القسم عبـد الوهّاب بن عبد الواحد الحنبلي رحمه الله في . . . . . بمرض حادّ عرض لهُ فاضعفه وقضى فيه نحبه وكان على الطريقة المرضيّة والخلال الرضيّة ووفور العلم وحسن الوعظ وقوّة الدين والتنزّه مما يقدح في افعال غيره من المتفقّهين وكان يوم دفنه يوماً مشهورًا من كثرة المشيّعين لهُ والباكين حوله والمؤبّنين لافعاله والمتأسفين عليه

وفي هذه السنة وردت الاخبار من ناحية العراق بالوقعة الهائلة بين السلطان المعظّم ناصر لدين الله (كذا) سنجر بن ملك شاه سلطان الشرق وبين كافر ترك الواصل من ناحية الصين عندما وراء النهر وكان في عسكر لا يحصى عددًا وقصده السلطان سنجر في عسكر يُناهزه والتقى الجمعان فظهر عسكر كافرترك على عسكر السلطـان سنجر فكسره وهزمه وقتل اكثره الّا اليسير ممّن حماه اجله واشتمل على ما حواه من الاموال والحرم والكراع والسواد وهو شيء لا يحيط به وصفٌ فيوصف ويحصر ولا يدركهُ نعتٌ فيُذكر وعاد السلطان منهزمًا الى بلخ (١

وفيها ورد الخبر بوفاة ضياء الدين ابي سعيد بن الكفرتوثي وزير الامير عماد الدين اتابك في خامس شعبان وكان على ما حُكي عنهُ حسن الطريقة جميل الفعل كريم النفس مرضي السياسة مشهور النفاسة والرئاسة. وفيهـا ورد الخبر بوفاة الامير سعد الدولة صاحب آمد وجلوس ولده محمود (٢ في منصبه من بعده (150r) فانتظم لهُ الامر من بعد فقده (٣. وفيها ورد الخبر بوفاة الامير ولد الدانشمند رحمه الله وانتصـاب ولده في

---

١) وقال فيه سبط ابن الجوزي: اخذ الله المسترشد بالثار واحلّ به الهلاك والبوار

١) وفي الاصل: محمـد

٣) قال الفارقي في تاريخه : وفي منتصف جمادى الاولى من هذه السنة مات الامير سعـد الدولة ايكلدي ابن ابرهيم صاحب آمد وكان مؤيّد الدين ابن نيسـان متولّي آمد فرتّب ولده شمس الملوك محمود في الامارة وقرّرها وكانت أمه يمني خاتون بنت نجم الدين ايلغازي وكان حسام الدين خاله وكنتُ في هذه السنة بآمد وكنت في صحبـة والدي رحمه الله

وقال ايضاً ان في سنة ٥٤٢ وصل عزّ الدولة ابو نصر بن نيسان الى ميافارقين وعقـد على صفيّة خاتون بنت السعيد حسام الدين لجمال الدين شمس الملوك محمود بن ايكلدي صاحب آمد على خمسين الف دينار

منصبه من بعده واستقام لهُ الامر. وفيها توفي الشيخ ابو محمد بن طاووس امام المسجد الجامع بدمشق في يوم الجمعة سابع عشر من المحرَّم من السنة

سنة سبع وثلثين وخمسمائة

فيها وردت الاخبار من ناحية مصر بعظم الوباء في الاسكندريَّة والديار المصريَّة بحيث هلك هناك الخلق العظيم والجم الغفير. وفي يوم الاحد السابع والعشرين من شهر ربيع الاول تُوُفّي القاضي بهجة الملك ابو طالب علي بن عبد الرحمن بن ابي عقيل بمرض صعب كان فيهِ قضاء نحبه وانتقاله الى رحمة ربّه وهو من جلالة القدر وجميل الذكر على الطريقة المرضية المشهورة والسجية المستحسنة المشكورة

وفيها ورد الخبر بظهور صاحب انطاكية الى ناحية بزاعة وان الامير سوار النائب في حفظ حلب ثناه عنها وحال بينهُ وبينها. وفيها وردت الاخبار بظهور متملّك الروم الى الثغور دفعةً ثانيةً بعد اوله وبرز اليهِ صاحب انطاكية وخدمه واصلح امره معه وطيَّب نفسه وعاد عنهُ الى انطاكية

وقال ايضاً: وكانت في سنة ٥٤٤ ماتت صفيّة خاتون بآمد وفي اوّل سنة ٤٦ خرج السعيد حسام الدين ونازل آمد وطالبهم بصداق صفيّة خاتون وبقي مدَّةً ورحل عن آمد الى ماردين وبقي اياماً. ونفّذ ابن نيسان رجلين فاقاما بقلعة ماردين يعملان بالفاعل اياماً ثم ان الوزير زين الدين ركب ذات يوم وصعد الى القلعة فجاز في موضع ضيق فخرج عليهِ اولئك الرجلان فضرب به احدهما بفاس في رأسه فوقع فطلب جماعةً كانوا بين يدي الوزير الرجلين فقالا لهم: ما تريدون نحن نصعد معكم الى الامير. فصعدا مع القوم الى باب القلعة والناس خلفهم ودخلا القلعة الى بين يدي الامير وقالا: نحن قتلنا الوزير. فقال لهم: لِمَ؟ فقالا: أُمرنا بذلك. واكثر الناس قالوا ان ابن نيسان دسّ عليهِ وقتله. وامر الامير حسام الدين بضرب رقابهما على قبره وكان دُفن بماردين وكان الرجلان من الملاحدة. وعاد حسام الدين نزل على آمد وضايقها. فحضر بهاء الدين اوس بن مسعود وهو في خدمة بنت سكمان القطبي وزير اخلاط فاجتمع بالسعيد حسام الدين على باب آمد وتحدَّث معهُ وسألهُ فيهم ثم دخل الى آمد واجتمع بمؤيد الدين بن نيسان وقرَّر معه الحال فخرج مؤيّد الدين الى الامير واستقرّ الصلح وخرجوا الاميرية الى السعيد حسام الدين وحصلوا في جملته وتحت امره ورحل عنهم

وقال ايضاً: وفي سنة ٥٥١ في غرَّة شعبان مات مؤيّد الدين ابو علي بن نيسان بآمد وولّى آمد ولده جمال الدولة (الدين؟) ابو القاسم واستقلّ ولده عز الدولة بحصن آكل وما كان فيهِ من الخزائن والذخائر

وفيها وردت الاخبار بان الامير عماد الدين اتابك استوزر الاجلّ ابا الرضا ولد اخي جلال الدين بن صدقة وزير الخليفة. وفيها ورد الخبر بان الامير عماد الدين اتابك افتتح قلعة اشب المشهورة بالمنعة والحصانة. وفي شهر رمضان منها ورد الخبر بموت متملّك الروم. وفيها توفي القاضي المنتجب ابو المعالي محمد بن يحيى في يوم الاربعاء النصف من شهر ربيع الاول منها ودُفن بمسجد القدم رحمه الله وتولى بعده القضاء ولده القاضي ابو الحسن علي بن محمد القُرَشي وكُتب لهُ منشور القضاء من قاضي القضاة ببغداد

سنة ثمان وثلثين وخمسمائة

فيها وردت الاخبار من ناحية العراق بان الخبر ورد اليها بهلاك ملك كافر ترك من ناحية الصين الذي كان ظفر بعسكر السلطان سنجر في تلك الوقعة المقدَّم ذكرها. وفيها ورد الخبر بافتتاح الامير عماد الدين قلعة حيزان (١. وفي شهر رمضان منها (150 ٧) وردت الاخبار من ناحية العراق بقتل السلطان داود ابن السلطان محمود بن محمد بن ملك شاه بيد نفرٍ نُدبوا لقتله فاغتالوه وقتلوه ولم يُعرف لهم اصل ولا جهة ولا عُلم مستقرُّهم (٢. وفي ثالث جمادى الاولى منها قبض على الامير الحاجب اسد الدين اكز واخذ ماله وسُملت عيناه واعتُقل وتفرّق عنهُ اصحابه. وفيها ورد الخبر من ناحية الافرنج بهلاك ملكهم الكند الجور ملك بيت المقدس بعلّة عرضت لهُ كان فيها اتلاف نفسه وأُقيم ولده الصغير وامه مقامه في الملك ورضي الافرنج بذلك واستقامت الحال عليه. وفي رمضان منها عُزل ابو الكرام عن وزارته ديوان دمشق لاسبابٍ أُنكرت عليهِ واشياءٍ قبيحةٍ عُزيت اليهِ. وفيها ورد الخبر بعزل عماد الدين اتابك وزيره ابا الرضا بن صدقة لاسبابٍ أَوجبت ذاك ودعت اليه واغراضٍ بعثت عليه واستوزر مكانه

سنة تسع وثلثين وخمسمائة

في يوم الخميس الحادي عشر من المحرَّم منها توجه الامير الرئيس مؤيد الدين

---

١) قال الفارقي في تاريخه: في سنة ٥٣٧ صعد اتابك زنكي الى ديار بكر ودخل في ولاية الامير يعقوب ابن السبع الاحمر (يعني قزل ارسلان) فقصد حيزان والمعدن وايرزون وشطليس واخذ جميع الولاية وكنتُ بالموصل في هذه السنة

٢) قال الفارقي: انهُ قُتل بسوق تبريز

رئيس دمشق الى ناحية صرخد مستوحشاً من احوال بلغته عن ابي الكرام المستناب في وزارة ديوان دمشق وعن الامير مؤيد الدولة اسامة بن مرشد بن علي بن منقذ انكرها من سعيهما واستبشعها من قصدهما فسار عن البلد ممتعضاً من اقدامهما على ما يخالف امره ويضيّق صدره ووصل اليهما وتلقّاهُ واليها بالاكرام لمثواه واحسان لقياه. وتردَّدت المراسلات بينهُ وبين الامير معين الدين اتابك صاحب الامير والتدبير بدمشق في هذا الباب وتكرّر المقال بينهما بالاعتذار من كل واحدٍ منهما والعتاب ولم تزل هذه الحال متردّدة بينهما الى ان اسفرت عن تقرير عوده الى داره واخراج ابي الكرام الوزير وأُسامة بن منقذ الى ناحية مصر باهليهما ومالهما واسبابهما فسارا من دمشق الى ناحية مصر بعد استئذان صاحبها في امرها وخروج اذنه بوصولها في يوم الخميس السابع من جمادى الاولى من السنة على سبيل المداراة والمصانعة وقيل انهما لقيا من احسان تلك الدولة السعيدة من الاحسان وجزيل الانعام ما جرت بهِ عادتهما المستحسنة في حقّ من يلجأ الى ظلّها وسابغ عدلها. وفي يوم الجمعة (151 r) الثالث عشر من جمادى الاولى عاد الامير مؤيد الدين الى دمشق من صرخد وخرج اهل البلد لتلقّيه واظهار السرور بهِ والاستبشار بعوده وطابت نفسه ببلوغ امانيه ومضيّ اعاديه الساعين فيهِ

وفي شهر ربيع الاخر ورد الخبر بخروج عسكر الى فرقةٍ وافرة من الافرنج وصلت الى ناحية بعلبك للعيث فيها وشنّ الاغارات عليها فالتقيا فاظفر الله المسلمين بهم واظهرهم عليهم فقتلوا اكثرهم واستولوا على ما كان معهم وامتلأت ايدي المسلمين بغنائمهم وعادوا الى بعلبك سالمين مسرورين غانمين وعاد الباقون من الافرنج الى مكانهم مفلولين محزونين خاسرين

وفي جمادى الاولى منها ورد الخبر من ناحية الشمال بان عسكر حلب ظفر بفرقةٍ كبيرة من التجّار والاجناد وغيرهم خرجت من انطاكية تُريد بلاد الافرنج ومعها مالٌ كثير ودوابٌ ومتاعٌ واثاثٌ فاوقعوا بها واشتملوا على ما كان فيها وقتلوا من كان معها من خيالة الافرنج لحمايتها والذبّ عنها وعاد الى حلب بالمال والسبي والاسرى والدوابّ

وفي يوم السبت الثالث عشر من رجب من السنة توفّي الاخ الامين ابو عبد الله محمد بن اسد بن علي بن محمد التميمي عن ٨٤ سنة بعلّة الذرب ودُفن بتربةٍ اقترحها خارج باب الصغير من دمشق وكان على الطريقة المرضيّة من حسن الامانة والتصوّن

والديانة ولزوم داره والتنزّه عن كل ما يُوتغ الدين ويكره بين خيار المسلمين غير مكاثر للناس ولا معاشرٍ لهم ولا مختلط بهم

وفي هذه السنة وردت الاخبار من ناحية الشمال بان الامير عماد الدين اتابك افتتح مدينة الرُها بالسيف مع ما هي عليهِ من القوّة والحصانة والامتناع على قاصديها والحماية على طالبيها من العساكر الجمّة ومنازلتها وان السبب في ذلك ان الامير عماد الدين اتابك لم يزل لها طالبًا وفي تملّكها راغبًا ولانتهاز الفرصة فيها مترقبًا لا يبرح ذكرها جائلًا في خلَدِهِ وسرّهِ وامرُها ماثلًا في خاطرهِ وقلبه الى ان عرف ان جوسلين صاحبها قد خرج منها في جُلّ رجاله واعيان حُماته وابطاله لامرٍ اقتضاهُ وسببٍ من اسباب الى البُعد عنها دعاهُ للامر المقضي والقدر النازل فحين تحقّق ([7] 151) ذلك بادر بقصدها وسارع الى النزول في العسكر الدثر عليها لمضايقتها والحصر لمن فيها وكاتب طوائف التركمان بالاستدعاء لهم للمعونة عليها والاسعاد واداء فريضة الجهاد فوصل اليه منهم الخلق الكثير والجمّ الغفير بحيث احاطوا بها من جميع الجهات وحالوا بينها وبين ما يصل اليها من المِيَر والاقوات والطائر لا يكاد يقرب منها خوفًا على نفسه من صوائب سهام منازليها ويقظة المضيقين عليها ونصب على اسوارها المناجيق ترمي عليها دائمًا والمحاربة لاهلها مضرًّا ومواظبًا. وشرع الخراسانيون والحلبيون العارفون بمواضع النقوب الماضون فيها فنقبوا في عدّة مواضع عرفوا امرها وتيقّنوا نفعها وضرّها ولم يزالوا على هذه الحال في الايغال في النقب والتمادي في بطن الارض الى ان وصلوا الى تحت اساس ابراج السور فعلّقوهُ بالاخشاب المحكمة والآلات المنتخبة وفرغوا من ذلك ولم يبقَ غير اطلاق النار فيها. فاستأذنوا عماد الدين اتابك في ذلك فأذن لهم بعد ان دخل في النقب وشاهد حاله واستعظم كونه وهالهُ. فلمّا أُطلقت النار في تعليق النقوب تمكّنت من اخشابها وابادتها فوقع السور في الحال وهجم المسلمون البلد بعد ان قُتل من الجهتين الخلق الكثير على الهدم وقُتل من الافرنج والارمن وجُرح ما اوجب هزيمتهم عنه وملك البلد بالسيف في يوم السبت سادس وعشرين من جمادى الآخرة منها ضحوة النهار (١. وشرع

١) قال الفارقي في تاريخه: انهُ فتحها عنوةً في ٢٥ من جمادى الاخرة وكان ٢٣ كانون الاول من السنة وكان اخذها الافرنج بعد موت تاج الدولة في سنة ٤٩٢ ثم رحل عنها بعد ما رتّب امرها ونزل على البيرة فحاصرها مدّة. وكانت النصارى يقولون ان اتابك يُقتل ليلة الميلاد وكانوا منتظرين ذلك وكان فتحها ليلة الميلاد وسلم اتابك وكذبوا

في النهب والقتل والاسر والسبي والسلب وامتلأت الايدي من المال والاثاث والدوابّ والغنائم والسبي ما سُرَّت به النفوس وابتهجت بكثرته القلوب وشرع عماد الدين اتابك بعد ان امر برفع السيف والنهب في عمارة ما انهدم وترميم ما تشعَّث ورتَّب من رآهُ لتدبير امرها وحفظها والاجتهاد في مصالحها وطيَّب بنفوس اهلها ووعدهم باجمال السيرة فيهم وبسط المعدلة في اقاصيهم وادانيهم. ورحل عنها وقصد سروج وقد هرب الافرنج منها فملكها وجعل لا يمرّ بعملٍ من اعمالها ولا معقل من معاقلها فينزل عليهِ الّا سُلّم اليهِ في الحال

(152r) وتوجَّه الى حصن البيرة من تلك الاعمال وهو غايةٌ في الامتناع على طالبه والصعوبة على قاصده فنزل عليهِ وشرع في محاربتهِ ومضايقتهِ وقطع عنهُ سائر من يصل اليهِ بالقوت والميرة والمعونة والنصرة ولم يزل محاصرًا له ومحاربًا ومضيقًا الى ان ضعف امره وعُدمت الميرة فيهِ. وورد على عماد الدين وقد اشرف على ملكته من خبر نائبه في الموصل الامير جقر بن يعقوب في الوثوب عليهِ وقتلهِ ما ازعجهُ واقلقهُ ورحَّلهُ عنها لكشف الحال الحادثة بالموصل ممَّا يأتي شرح ذلك في موضعه

وفي جمادى الاولى منها ورد الخبر بان الامير عماد الدين اتابك انتهى اليهِ ان اهل الحديثة عانة قد خالفوا امره وعصوا عليهِ فانهض اليها من عسكره فريقًا وافرًا فقصدها ونزل عليها وحاربها وضايقها وملكها بالسيف وقتل اكثر اهلها ونهبها وبالغ في اهلاك من بها

وفي شهر رمضان منها ورد الخبر من ناحية الشمال بان عسكر الافرنج المجتمع بناحية انطاكية لإنجاد اهل الرُها من جميع اعمالها ومعاقلها . . . . . وكان عماد الدين اتابك قد انهض اليهِ جيشًا وافر العَدَد من طوائف التركمان والاجناد فهجموا عليهِ بغتةً واوقعوا بمن وجدوه في اطرافه ونواحيهِ وفتكوا بهِ فرحل في الحال وقد استولوا على كثير من الافرنج قتلًا واسرًا واشتملوا على جملةٍ وافرةٍ من كُراعهم وتحكَّم السيف في اكثر الراجل وتفرَّقوا في اعمالهم ومعاقلهم مفلولين مخذولين خاسرين. وفيها كانت الحادثة على الامير نصير الدين جقر بن يعقوب النائب عن الامير عماد الدين في ولاية الموصل

شرح الحال في ذلك

كان الملك فرخانشاه (الخفاجي) بن السلطان (كذا) اخي السلطان محمود بن

محمد بن ملك شاه قد حدَّث نفسه على العمل على الامير نصــير الدين الوالي بالموصل والفتك بهِ وملكه الموصل وبالتفرُّد بالامر واشتمال جماعةٍ من غلمان الامير عماد الدين اتابك تقدير اربعين غلاماً من وجوه الغلمان مع اصحابه وخواصه ورقب الفرصة فيــهِ والغفلة منهُ مع شدّة تيقّظه ومشهور احتراسه وتحفُّظه الى ان اتّفق ركوبه (152ᵛ) في بعض الايام للتسليم على الخاتون في دارها وقد خلا من حُماته ووجوه اصحابه ورصدوه فلمَّا حصل في دهليز الدار وثبوا عليهِ فقتلوهُ وادركهُ اصحابه ومن في البلد من اصحاب عماد الدين فهرب من هرب ومسكوا الملك ابن السلطان فمانع فجُرح وأُخذ واعتُقِل معهُ اكثر الغلمان المشاركين في دمه وتوثّق منهم بالاعتقال لهم والاحتياط عليهم وذلك في يوم......(١ وكتب الى عماد الدين بصورة هذه الحال وهو مُنازل اقامة البيرة في عسكره واقلقهُ سماع هذا الخبر الشنيع والرُزْء الفظيــع ورحل في الحال عن البيرة وقد شارف افتتاحها والاستيلاء عليهــا وهو متفجعٌ بهذا المصاب متأسّفٌ على ما أُصيب بهِ متيقّنٌ انهُ لا يَجد بعدهُ من يقوم مقامه ولا يسدّ مسدّه. وارتاد من يقيمه في موضعــه وينصبه في منصبه فوقع اختياره على الامير علي كوَجك لعلمه بشهامتــه ومضائه في الامور وبسالته وولّاهُ مكانه وعهد اليهِ ان يقتفي آثاره في الاحتياط والتحفُّظ ويتبــع افعاله في التحرُّز والتيقُّظ وان كان لا يغني غناءه ولا يضاهي كفاءتهُ ومضاءهُ فتوجّه نحوها وحصل بها وساس امورها سياسةً سكنت معها نفوس اهلها واطمأنّت معهــا قلوب المقيمين فيها وبذل جهده في حماية المسالك وامن الســوابل وقضاء حوائج ذوي الحاجات ونصرة ارباب الظلامات فاستقام لهُ الامر وحسنت بتدبيره الاحوال وتحققت بيقظته في اعماله الآمال. وقد كان لنصير الدين هذا المقصود اخبارٌ في العدل والانصاف وتجنب الجور والاعتساف مُتداولةً بين التجار والمسافرين ومتنــاقلةً بين الواردين والصادرين من السفّار وقد كان دأْبُهُ جَمْع الاموال من غير جهة عن حرام وحلال لكنهُ يتناولها بأَلطف مقال وأحسن فعال وأرفق توصُّلٍ واحتيــال وهذا فنٌّ محمودٌ من وُلاة

---

١) قال الفارقي في تاريخه: كان قتلهُ غلمانَهُ في ثامن ذي القعدة من السنة ورتّب في الموصل زين الدين عليّ كوَجك وكان لقي الناس من نصير الدين شدّة من الجور والظلم والقتل والمصادرات والاقساط فلمّا وُلّي زين الدين ازال ذلك جميعه فاحسن الى الناس والرعايات وجميع البلاد ورأى الناس منهُ كل خير الى ان مات في سنة ٥٦٤

الامور وقصدٌ سديدٌ في سياسة الجمهور وهذه هي الغاية في مرضيّ السياسة والنهاية في قوانين الرئاسة

وفي اواخر هذه السنة فرغ من عمارة المسجد الذي تولّى عمارتهُ واختيـار بُقعته الامير مجاهد الدين بزان بن مامين (153) مقدّم الأكراد بظاهر باب الفراديس من دمشق بعقب الجسر القبلي وكان مكانه اوّلا مستقبح المنظر واجمع الناس على استحسان بُقعته واقتراح هيئته بعد ان انفق عليهِ المبلغ الوافر من ماله مع جاهه رغبةً في حسن الذكر في الدنيا ووفور الثواب والاجر في الأخرى. انّ الله لا يُضيع اجر المحسنين

سنة اربعين وخمسمائة

في جمادى الاولى منها تناصرت الانباء من ناحية الامير عماد الدين اتابك بصرف الاهتمام الى التأهُّب والاستعداد والجمع والاحتشاد لقصد الغزو والجهاد وشاعت عنهُ الانباء بانهُ ربّما قصد الاعمال الدمشقية والنزول عليها ولم تزل اخباره بذلك متّصلةً وما هو عليهِ بالاستكثار من عمل المناجيق وآلة الحرب وما يحتاج اليه لتذليل كل ممتنـع صعب الى اوائل شعبان ووردت الاخبار عنهُ بان عزيمتـه عن ذلك قد انحرفت واعنّة رأيه الى غيره قد ثُنيت وأُعيدت المنـاجيق الى ناحية حمص من بعلبك. وقيل ان الخبر وافاهُ من جهة الرُها بان جماعة من الارمن عملوا عليها وارادوا الايقاع بمن فيهـا من مستحفظيهـا وان مكتوم سرّهم ظهرَ ومخفي امرهم بدأ وانتشر وان الجُناة أُخذوا وتُتبّعوا وقُوبلوا على ذلك بما يُقابل بهِ من يسعى في الارض بالفساد من القتل والصلب والتشريد في البلاد

وفي اوائل شعبان من السنة وردت الاخبار من ناحية بغداد بوصول السلطان غياث الدنيا والدين مسعود بن محمد (١ بن ملك شاه الى بغداد وقيل انهُ وَجِلٌ من اخيـهِ السلطان طغرل بن محمد (٢ لانهُ قد جمع واجتهـد فيما حشد وهو عازمٌ على لقائه والايقاع بعسكره

وفي هذه السنة وردت الاخبار من ناحيـة مصر بوفاة الامير المعظّم ابي المظفّر خُمارتاش الحافظي صاحب باب الامام الحافظ لدين الله امير المؤمنين صاحب مصر بعلّة

١) وفي الاصل: بن محمود بن محمد

٢) وفي الاصل بن محمود

عرضت لهُ وقضى فيها نحبه وقيل انهُ كان حسن الطريقة جميل الفعل مشكور القصد

قال الرئيس الاجلّ مجد الرؤساء ابو يعلي حمزة بن اسد بن عليّ بن محمد التميمي : قد انتهيت في شرح ما شرحتُهُ من (153ᵛ) هذا التاريخ ورتبتُهُ وتحفّظت من الخطإ والخطل والزلل فيما علقتُهُ من افواه الثقات نقلتُهُ واكّدت الحال فيهِ بالاستقصاء والبحث الى ان صحّحتهُ الى هذه السنة المباركة وهي سنة ٥٤٠ وكنتُ قد مُنيتُ منذ سنة ٥٣٥ والى هذه الغاية بما شغل الخاطر عن الاستقصاء عمّا يجب اثباته في هذا الكتاب من الحوادث المتجدّدة من الاعمال والبحث عن الصحيح منها وجميع الاحوال فتركتُ بين كل سنين من السنين بياضًا في الاوراق ليثبت فيهِ ما يُعرف صحّته من الاخبار وتُعلم حقيقته من الحوادث والآثار . واهملت فيما ذكرتهُ من احوال سلاطين الزمان فيما تقــدّم وفي هذا الاوان استيفاء ذكر نُعوتهم المقرّرة والقابهم المحرّرة تجنُّبًا لتكريرها باسرها والاطالة بذكرها لم تجرِ بذلك عادةٌ قديمة ولا سُنّةٌ سالفة في تاريخ يُصنَّفُ ولا كتــابٍ يُؤلَّفُ وانما كان الرسم جاريًا في القديم باطراح الالقاب والانكار لها بين ذوي العلوم والاداب . فلمّا ظهرت الدولة البويهية الديلمية ولُقب اوّل مسعودٍ نبع فيها بعماد الدولة بن بويه ثم اخوه وتِلْوُهُ في الولادة والسعادة بركن الدولة ابي علي ثم اخوهما بمعزّ الدولة ابي الحسين وكل منهم قد بلغ من علو المرتبة والمملكة ونفاذ الامر في العراق وخراسان والشام الى اوائل المغرب ما هو مشهور وذكره في الآفاق منشور . ولمّا علا قدر الملك عضد الدولة فنّاخُسره بن ركن الدولة ابي علي بن بويه بعدهم وظهر سلطانه وعلا شأنه وملك العراق باسره وما والاه من البلاد والمعاقل وخُطب لهُ على المنابر وزيد في نعوته في ايام المطيع لله امير المؤمنين رحمه الله تاج الملّة ولم يزد احدٌ من اخوته مؤيد الدولة صاحب اصفهان وفخر الدولة صاحب الرأي وما والاهما وانضاف اليهمــا على اللقب الواحد . ولم يزل الامر على ذلك مستمرًا الى ان ظهر امر السلطان ركن الدنيــا والدين طغرلبك محمد بن ميكال بن سلجوق وقويت شوكة الترك وانخفضت الدولة البويهية واضمحلّت وانقرضت ولقب السلطان طغرلبك ولمّا ظهر امره في العراق واجتاح شأفة ابي الحرث ارسلان الفساسيري في ايام (154ʳ) الامام الخليفة القائم بامر الله امير المؤمنين رحمه الله بالسلطان المعظّم شاهنشاه الاعظم ركن الدين غياث المسلمين بهاء دين الله وسلطان بلاد الله ومغيث عباد الله يمين خليفة الله طغرلبك . ثم زاد الامر في ذلك الى ان اضيف الى القاب وُلاة الاطراف الدين والاسلام والانام والملّة والامّة وغير ذلك بحيث اشترك

في هذا الفن الخاص والعام لا سيّما في هذا الاوان والقاب سلاطينه لان منهم : سلطان خراسان السلطان المعظم شاهنشاه الاعظم مالك رقاب الامم سيد سلاطين العرب والعجم ناصر دين الله مالك عباد الله الحافظ بلاد الله سلطان ارض الله معين خليفة الله مُعزّ الدنيا والدين كهف الاسلام والمسلمين عضد الدولة القاهرة تاج الملّة الظاهرة وغياث الامم الباهرة ابو الحرث سنجر بن ملك شاه بُرهان امير المؤمنين . وسلطان العراق السلطان المعظّم شاهنشاه الاعظم مالك رقاب الامم مولى العرب والعجم جلال دين الله سلطان ارض الله ناصر عباد الله حافظ بلاد الله ظهير خليفة الله غياث الدنيا والدين رُكن الاسلام والمسلمين عضد الدولة القاهرة ومغيث الامم الباهرة ابو الفتح مسعود بن محمد (١ بن ملك شاه قسيم امير المؤمنين . وسلطان الشام وغيره الامير الاسفهسلّار الكبير العادل المؤيّد المظفَّر المنصور الاوحد عماد الدين رُكن الاسلام ظهير الانام قسيم الدولة معين الملّة جلال الامة شرف الملوك عمدة السلاطين قاهر الكفَرة والمتمرّدين قامع الملحدين والمشركين زعيم جيوش المسلمين ملك الأُمراء شمس المعالي امير العراقين والشام بهلوان جهان الب غازي ايوان اينانج قتلغ طغرلبك اتابك ابو سعيد زنكي بن اق سُنقر نصير امير المؤمنين . وصاحب دمشق الامير الاسفهسلّار الكبير العادل المؤيّد المظفَّر المنصور ظهير الدين عضد الاسلام ناصر الامام تاج الدولة سيف الملّة محيي الأمة شرف الملوك عماد الامراء كهف المجاهدين زعيم جيوش المسلمين ابو سعيد اتق بن محمد بن بوري اتابك سيف امير المؤمنين

سنة احدى واربعين وخمسمائة

(154[v]) قد تقدّم من ذكر عماد الدين اتابك زنكي في اواخر سنة ٥٤٠ في نزولهِ على قلعة دوسر على غرّة من اهلها وهجمه على ربضها ونهبه واخذ اهله ما لا حاجة الى اعادة ذكره وشرح امره ولم يزل مُضايقًا لها ومُحاربًا لاهلها في شهر ربيع الآخر من سنة ٥٤١ حتى وردت الاخبار بان احد خدمه ومن كان يهواهُ ويأنس بهِ يعرف بيرنقش واصلُهُ افرنجي وكان في نفسه حقدٌ عليهِ لاساءةٍ تقدّمت منهُ اليهِ فاسرّها في نفسه . فلمّا وجد منهُ غفلةً في سكره ووافقهُ بعض الخدم من رُفقتهِ على امرهِ فاغتالوهُ عند نومه في ليلة الاحد السادس من شهر ربيع الآخر

١) وفي الاصل محمود بن محمد

من السنة وهو على الغاية من الاحتياط بالرجال والعُدَد والحرسْ الوافر العَدَد حول سُرادقه فذبحهُ على فراشه بعد ضربات تمكَّنت من مقاتلـهِ ولم يشعر بهم احدٌ حتى هرب الخادم القاتل الى قلعة دوسر المعروفة حينئذٍ بجعبر وفيها صاحبها الامير عزّ الدين عليّ بن مالك بن سالم بن مالك فبشَّرهُ بهلاكه فلم يصدّقه. واواهُ الى القلعة واكرمهُ وعرف حقيقة الامر فسُرّ بذلك واستبشر بما اتاهُ الله من الفرج بعد الشدَّة الشديدة والاشفاء على الهلكة بتطاول المحاصرة والمصابرة وارسال خواصه وثقاته اليهِ بما استدعاهُ منهُ واقترحهُ عليهِ من آلاتٍ فاخرة وذخائر وافرة اشار اليها وعيَّن عليها ووعدهُ اذا حصلت عنده بالافراج عنه فعنـد حصوله ذلك لديه مع اصحابه غدر بهم وعزم على الاساءة اليهم فاتاه من القضاء النازل الذي لا دافع لهُ ولا مانع عنهُ ما صار بهِ عبرةً لأُولي الابصار وعبرةً لذوي العقول والافكار. وتفرَّقت جيوشه ايدي سَبَا ونُهبت امواله الجمَّة وخزائنه الدثرة وقُبر هناك بغـير تكفين الى ان نُقل كما حُكي الى مشهـد على الرقَّة

وتوَّجه الملك ولد السلطان المقيم كان معهُ فيمن صحبهُ وانضم اليهِ الى ناحيـة الموصل ومعه سيف الدين غازي بن عماد الدين اتابك رحمهُ الله وامتنع عليهم للوالي بالموصل على كوجك اياماً الى حين تقرَّرت الحال بينهم ثم فتح الباب ودخل ولده واستقام لهُ الامر (155r) وانتصب منصبه

وعاد الامير سيف الدولة سوار وصلاح الدين في تلك الحال الى ناحيـة حلب ومعهم الامير نور الدين محمود بن عماد الدين اتابك وحصل بها وشرع في جمع العساكر وانفاق المال فيها واستقام لهُ الامر وسكنت الدهماء (١ وفصـل عنهُ الامير صلاح

١) قال الفارقي في تاريخه: ولقد سألت الوالي المصدر الكامل قاضي القضـاة كمال الدين ابو الفضل محمد بن عبد الله الشهرزوري ادام الله ظلّه في سنـة ٥٤٤ بالموصل عن قتل اتابك وما جرى فقال: كنَّا نازلنا القلعة مدَّة فلما كان بعض الايام خرج الامير حسام الدين المنبجي وصـاح: اريد اكلّم الامير علي (وهو سيف الدولة ابو الحسن علي بن مالك) فتراءى لهُ من على السور وقال لهُ: تعلمُ ما بيني وبينك من الصداقة وانت تعرف اتابك وما هو عليـهِ وما لك من تلتجيء اليهِ ولا من يصرفهُ عنك والرأي ان تسلّم والَّا ان آخذها بالسيف يجري ما لا تقدر على دفعه وبعد هذا ايش تنتظر؟ فقال لهُ: يا امير حسَّان انتظرْ الفرج من الله تعالى وما انتظرت على منبج لمَّا حاصرها الامير بلُك وكفاك الله امره. فقال جمال الدين: والله ما كان الَّا تلك الليلة نصف الليل وكان ذلك اليوم الاربعاء خامس شهر ربيع الآخر وقيل تاسع سنة ٥٤١ والصائح جاءنا من

الدين وحصل بحماة ولايته على سبيل الاستيحاش والخوف على نفسه من امرٍ يُدبَّر عليه على ان الاعمال كانت قد اضطربت والمسالك قد اختلَّت بعد الهيبة المشهورة والامنة المشكورة وانطلقت ايدي التركمان والحراميَّة في الافساد في الاطراف والعيث في سائر النواحي والاكناف. ونظمت في صفة هذه الحال ابياتٌ من الشعر تنطق بذكرها وتُعرب بالاختصار عن جليَّة امرها منها من جملة قصيدة يطول شرحها بتشبيبها :

كذاك عماد الدين زنكي تنافرت ... سعادتهُ عنهُ وخرَّت دعائمُهْ
وكم بيتِ مالٍ من نضارٍ وجوهرٍ ... وانواع ديباجٍ حوتها مخائمُه
واضحت باعلى كل حصنٍ مصونة ... يحامي عليها جندهُ وخوادمُه
ومن صافنات الخيل كل مطهَّمٍ ... تروع الاعادي حلبهُ وتراجمُه
ولو رامت الكتَّاب وصف شياتها ... باقلامها ما ادرك الوصفَ ناظمُه
وكم معقلٍ قد رامهُ بسيوفهِ ... وشامخ حصنٍ لم تفُتْهُ غنائمُه
ودانت وُلاة الارض فيها لامره ... وقد أَمَّنتهم كتبهُ وخواتمُه
وأَمَّن من في كل قطرٍ جبيةٍ ... تُراع بها اعرابُهُ واعاجمُه
وظالم قومٍ حين يُذكَر عدلهُ ... فقد زال عنهم ظلمهُ وخصائمُه
واصبح سلطان البلاد بسيفهِ ... وليس لهُ فيها نظيرٌ يُزاحمُه
وكم قد بنى دارًا تباهي بحسنها ... جنانَ خلودٍ احكمتها عزائمُه
فمن زخرفٍ بالتبرِ من كل جانبٍ ... واغصان بقشٍ قد تغلَّت حمائمُه
وزاد على الاملاك بأسًا وسطوةً ... ولم يبقَ في الاملاك ملكٌ يُقاومُه
فلمّا تناهى ملكهُ وجلالهُ ... وراعت وُلاة الارض منهُ لوائمُه
(155v) اتاهُ قضاءٌ لا يُردّ سهامهُ ... فلم يُنجِهِ امواله ومغانمُه

القلعة يصيح : قُتل اتابك واختبط الناس وماجوا. وكان سبب ذلك ان الامير اتابك كان يبيت في الخيمة وعنده خادم فما كان يبيت عنده غيره فلما نام تلك الليلة قتله الخادم في الخيمة واخذ السكين بالدم وخرج وطلع الى الربض الى تحت القلعة وصاح اليهم : قتلتُ اتابك. فلم يصدّقوهُ فاراهم السكين وعلامة اخرى كان اخذها من عنده فاصعدوهُ اليهم وحقَّقوا الحال منهُ وصاحوا فاختبط الناس واختلفوا. وقصد الناس مخيّم جمال الدين الوزير فنُهب وانهزم وجاء اليَّ وقصدني الامراء والكبار وركبتُ وقالوا : ما رأيُ الملك. فقصدوا وقصدت خيمة الب ارسلان ابن محمود وقلتُ : انا والناس واتابك غلمان الملك والبلاد لهُ والكل خَدَمهُ ومماليك السلطان. فاجتمع الناس على الملك وتفرّق الناس فرقتين فاخذ صلاح الدين محمد ابن ايوب اليغسياني نورَ الدين محمود بن اتابك وعسكر الشام ومضوا الى الشام فملك حلب وحماة ومنبج وحرّان وحمص وجميع ما بيد اتابك من الشام واستقر بهِ. وسرنا نحن مع الملك وعساكر ديار ربيعة فطلبنا الموصل فوصلنا الى سنجار. فانهزم الملك وطلب الجزيرة فلحقهُ اخي تاج الدين ابو طاهر يحيى بن الشهرزوري رحمهُ الله وعز الدين ابو بكر الدُّبيسي وحلفاء لهُ وردّاهُ الى المسكر ونزلوا الى الموصل

واذكره للحين منهـا حمامه ... وحامت عليـهِ بالمنون حوائمُه
واضحى على ظهر الفراش مُجدّلا ... صريعًا تولّى ذبحه فيـهِ خادمُه
وقد كان في الجيش اللُّهام مبيتُـهُ ... ومن حـولهِ ابطـالهُ وصوارمُه
وسمر العـوالي حولهُ باكُفّهم ... تذودُ الردى عنـهُ وقد نام نائمُه
ومن دون هذا عصبةٌ قد ترتّبت ... باسهمها يردى من الطـير حائمُه
وكم رام في الايّام راحة سرّهِ ... وهمّتـهُ تعلو وتقوى شكائمُـه
فاودى ولم ينفعـهُ مالٌ وقُدرةٌ ... ولا عَنهُ رامت للقضـاء مخاذمُه
وأضحت بيوت المال تُجبى لغيره ... يُمزّقهـا ابنـاؤهُ ومظـالمُه
وكم مسـالكٍ للسّفر أمّن سُبلهُ ... ومسرح حيٍّ ان تُراع سوائمُـه
وكم ثغر اسـلامٍ حماهُ بسيفـهِ ... من الروم لمّا ادركتهُ مراحمُه
فلمّـا تولّى قام كل مخالفٍ ... وشام حسامًا لم يجُد وهو شائمُه
وأطلـق مَن في اسره وحبـوسه ... وفُكّت عن الاقدام منهُ اداهمُه
وعاد الى اوطانه بعـد خوفهِ ... وطابت لهُ بعد السغوب مطاعمُه
وفرّت وحوش الارض حين تمزّقت ... كواسرهُ عنها وفلّت سواهمه
ولم يبقَ جانٍ بعدهُ يحذَرُ الردى ... ولا داعرٌ يخشى عليـهِ مشـاقمُه
فمن ذا الذى يأتي نحيبةَ مثـلهِ ... وتنفذ في اقصى البـلاد مراسمُه
فلو رُقيت في كل مصرٍ بذكرهُ ... اراقمـهُ ذلّت هناك اراقمُـه
ومن ذا الذي ينجو من الدهر سالمًا ... اذا ما اتاهُ الامر والله حاتمُـه
ومن رام صفوًا في الحيـاة فما يرى ... لهُ صفو عيشٍ والحِمام يحـاومُه
فاياك لا تغبـط مليكًا بملكـهِ ... ودعْهُ فانّ الدهر لا شكّ قاصمُه
فان كان ذا عدلٍ وأمنٍ لخائفٍ ... فلا شكّ انّ الله بالعـدل راحمُه
وقل للذي يبني الحصون لحفظـه ... رُوَيدك ما تبـني فدهرك هادمُه
(156r) فكم ملك قد شـاد قصرًا مزخرفًا ... وفارق ما قد شادهُ وهو عادمُه
واصبح ذاك القصر من بعد بهجة ... وقـد درست آثارهُ ومعـالمُه
وفي مثـل هذا عبرةٌ ومواعظٌ ... بها يتنـاسى المرء ما هو عازمُه

وهذه صفاتُهُ فيما ملكهُ من البلاد والثغور والمعاقل وحازهُ من الاموال والقـلاع والاعمال ونفوذ اوامره في سائر الاطراف والاكناف ثم اتاهُ القضـاء الذي لا يُدافع والقدر الذي لا يُمانع . وحين اتّصل هذا الخبر اليقـين الى معين الدين وعرف صورة الحال شرع في التأهّب والاستعداد لقصد بعلبك وانتهاز الفرصة فيهـا بآلات الحرب والمنجنيقات ونهد اليها ونزل عليها وضايقها ونصب الحرب على مستحفظيها ولم يمض الّا الايام القلائل حتى قلّ الماء فيها قلّةً دعتهم الى النزول على حكمه . وكان الوالي بها (١

١) وفي الكامل : انهُ نجم الدين ايوب بن شاذي

ذا حزمٍ وعقلٍ ومعرفةٍ بالامور فاشترط ما قام لهُ بهِ من إقطاعٍ وغيره وسلَّم البلدة والقلعة اليهِ ووفى لهُ بما قرَّر الامر عليهِ وتسلَّم ما فيهِ من غلّةٍ وآلةٍ في ايامٍ من جمادى الاولى من السنة . وراسل معين الدين الوالي بحمص وتقرّرت بينهُ وبينهُ مهادنةٌ وموادعة يعودان بصلاح الاحوال وعمارة الاعمال . ووقعت المراسلة فيما بينهُ وبين صلاح الدين بحماة وتقرّر بينهما مثل ذلك . ثم انكفأ بعد ذلك الى البلد عقيب فراغه من بعلبك وترتيب من رتّبهُ لحفظها والاقامة فيها في يوم السبت الثامن عشر من جمادى الاخرة من السنة وصادم الخادم يرنقش القاتل لعماد الدين اتابك رحمهُ الله قد فصل عن قلعة جعبر لخوف صاحبها من طلبه منهُ ووصل الى دمشق متيقّنًا انهُ قد امن بها ومُدلاً بما فعلهُ وظنًّا منهُ ان الحال على ما توهّمهُ فقُبض عليهِ وأُنفذ الى حلب صحبة من حفظه واوصله اليها فاقام بها اياماً ثم حُمل الى الموصل وذُكر انهُ قُتل بها

ووردت الاخبار في اثناء ذلك في ايام من جمادى الاخرة من السنة بان ابن جوسلين جمع الافرنج من كل ناحية وقصد مدينة الرُها على غفلةٍ بموافقة من النصارى المقيمين فيها فدخلها واستولى عليها وقتل من فيها (156^v) من المسلمين فضاقت الصدور باستماع هذا الخبر المكروه ووردت الاخبار مع ذلك بأَنَّ الامير نور الدين صاحب حلب نهض في عسكره وانضاف اليهِ من التركمان عند وقوعه على الخبر وتقدّمه سيف الدولة سوار واغذّوا السير ليلًا ونهارًا وغدوًا وابتكارًا مَن اجتمع من الجهات وهم الخلق الكثير والجمّ الغفير زهاء عشرة الف فارس ووقفت الدوابّ في الطرقات من شدّة السير ووافوا البلد . وقد حصل ابن جوسلين واصحابه فيه فهجموا عليهم ووقع السيف فيهم وقُتل من ارمن الرُها والنصارى من قُتل وانهزم الى برج يقال لهُ برج الماء فحصل فيهِ ابن جوسلين في تقدير عشرين فارساً من ابطال اصحابه واحدق بهم المسلمون من جهاته وشرعوا في النقب عليهم وما كان الّا بقدْر كلا ولا حتى تعرقب البرج وانهزم ابن جوسلين وافلت منهُ في الخفية مع اصحابه واخذ الباقون ومحق السيف كل من ظُفر بهِ من نصارى الرها واستخلص من كان أُسر من المسلمين ونُهب منها الشيء الكثير من المال والاثاث والسبي وسرَّت النفوس بهذا النصر بعد الحزن والاختزال وقويت القلوب بعد الفشل والانخذال وانكفأ المسلمون بالغنائم والسبي الى حلب وسائر الاطراف

وفي شوال من هذه السنة تردّدت الرسل والمراسلات من الاميرين نور الدين محمود بن عماد الدين اتابك صاحب حلب ومعين الدين أُنُر الى ان استقرَّت الحال

بينهما على اجمل صفةٍ واحسن قضيةٍ وانعقدت الوصلة بين نور الدين وبين ابنـة معين الدين وتأكّدت الامور على ما اقترح كل منهما وكتب كتاب العقد في دمشق بمحضر من رُسل نور الدين في الخميس الثالث والعشرين من شوال سنـة ٥٤١ وشرع في تحصيل الجهاز وعند الفراغ منهُ توجّهت الرُسل عائدةً الى حلب وفي صحبتهم ابنة معين الدين ومرّ في جملتها من خواصّ الاصحاب في يوم الخميس النصف من ذي القعـدة من السنة

وكان معين الدين قد حصّل آلات الحرب والمنجنيقات وجمع من امكنه جمعه من الخيل والرجل وتوجّه الى ناحية صرخد وبُصرى بعد ان اخفى عزيمته وستر نيّته استظهارًا لبلوغ طلبه وتسهيل اربه (157r) ونزل غفلةً على صرخد وكان المعروف بها بالتونتاش غلام امين الدولة كمشتكين الاتابكي الذي كان واليها اوّلًا وكانت نفسه قد حدّثتهُ بجهله انهُ يقاوم من يكون مستوليًا على مدينة دمشق وان الافرنج يعينـونه على مراده وما يلتمسهُ من انجاده واسعاده ويكونون معه على ما نواه من عيثه وافساده. وكان قد خرج للامر المقضي من حصن صرخد الى ناحية الافرنج للاستنصار بهم وتقرير احوال الفساد معهم ولم يعلم ان الله لا يصلح عمل المفسـدين ولم يشعر بما نواه معين الدين من ارهاقه بالمعاجلة وعكس اماله بالمنازلة فحال بينهُ وبينهُ العَوْد الى احد الحصنين المذكورين ولم تزل المحاربة بين مَن في صرخد والمنازلين متّصلة والنقوب مستعملة والمراسلات متردّدة من الافرنج الى معين الدين بالمسئلة والتلطّف في اصلاح الامر والوعد والوعيد والترهيب والتهديد ان لم يُجِب الى المطلوب ومعين الدين لا يعدل عن المغالطـة والمدافعة. وكان قد عرف تجمّعهم وتأهّبهم للنهوض اليهِ وإزعاجه وترحيلهم عنها فاوجبت هـذه الحال ان راسل نور الدين صاحب حلب يسئلهُ الانجـاد على الكفرة الاضداد بنفسه وعسكره فاجابهُ الى ذلك. وكان لاتّفاق الصلاح مبرزًا بظاهر حلب في عسكره فثنى اليهِ الاعنّة واغذّ السير ووصل الى دمشق في يوم الاربعاء السابع وعشرين من ذي الحجة من السنة وخيّم بعين شواقة واقام اياماً يسيرة وتوجّه نحو صرخد ولم يُشاهَد احسن من عسكره وهيئته وعدّته ووفور عُدّته

واجتمع العسكران وارسل مَن بصرخد اليهما يلتمسان الامان والمهلة اياماً ويسلّم المكان وكان ذلك منهم على سبيل المغالطة والمخاتلة الى حين يصـل عسكر الافرنج لترحيل النازلين عليهم وقضى الله تعالى للخيرة التامّة للمسلمين والمصلحة الشاملة لاهل

الدين وصول من اخبر بتجمّع الافرنج واحتشادهم ونهوضهم في فارسهم وراجلهم مجدّين السير الى ناحية بُصرى وعليها فرقةٌ وافرةٌ من العسكر محاصرةً لها فنهض العسكر في الحال والساعة عند المعرفة بذاك الى ناحية بُصرى كالشواهين الى صيدها والبُزاة (157v) الى حجَلها بحيث سبقوا الافرنج الى بُصرى فحالوا بينهم وبينها ووقعت العين على العين وقربت المسافة بين الفريقين واستظهر عسكر المسلمين على المشركين وملكوا عليهم المشرَب والمسرَب وضايقوهم برشق السهام وارسال نُبَل الحِمام واكثروا فيهم القتل والجراح واضرام النيران في هشيم النبات في طرقهم ومسالكهم واشرفوا على الهلاك والدمار وحلول البوار وولّوا الادبار وتسهّلت الفرصة في اهلاكهم وتسرّعت الفوارس والابطال الى الفتك بهم والمجاهدة فيهم

وجعل معين الدين يكفّ المسلمين عنهم ويصدّهم عن قصدهم والتتبّع لهم في انهزامهم اشفاقًا من كرّةٍ تكون لهم وراجعةٍ عليهم بحيث عادوا على اعقابهم ناكصين وبالخذلان منهم منهزمين قد شملهم الفناء واحاط بهم البلاء ووقع اليأس من فلاحهم وسُلّمت بصرى الى معين الدين بعد تقرير امر مَن بها واجابتهم على ما اقترحوه من اقطاعاتهم ورحل عنها عائدًا الى صرخد. وجرى الامر في تسليمها الى معين الدين على هذه القضيّة وعاد العسكران الى دمشق ووصلاها في يوم الاحد السابع والعشرين من المحرّم سنة ٤٢ واقام نور الدين في الدار الاتابكية وتوجّه عائدًا الى حلب في يوم الاربعاء انسلاخ المحرم من السنة المذكورة

وفي هذا الوقت وصل التونتاش الذي خرج من صرخد الى الافرنج بجهلهِ وسخافة عقلهِ الى دمشق من بلاد الافرنج بغير امان ولا تقرير استئذان توهّمًا منهُ انهُ يُكرَم ويُصطنَع بعد الاساءة القبيحة والارتداد عن الاسلام فاعتُقل في الحال وطالبه اخوهُ خُطلخ بما جناه عليهِ من سمل عينيهِ وعُقد لهما مجلسٌ حضره القضاة والفقهاء واوجبوا عليهِ القصاص فسُمل كما سَمل اخاهُ وأُطلق الى دارٍ لهُ بدمشق فاقام بها

وفي ذي الحجة من سنة ٤١ ورد الخبر بان السلطان شاهنشاه مسعودًا عمل رأيه وتدبيره على تطييب نفس الامير عباس فسكن الى ذلك بعد التوثقة بالأيمان المؤكّدة والعهود المشدّدة ووصل اليهِ الى بغداد ساكنًا الى ما كان تأكّد من ايمانه على نفسه وجماعته وكان السلطان قد تمكّن في نفسه من الرُعب منهُ والخوف على عسكره من قوّة شوكته ومشهور هيبته وكثرة عدده (158r) وعدّته ما لم يمكنه ترك الفرصة فيهِ وقد امكنت

والغرّة قد تسهّلت وتيسّرت فرتّب لهُ جماعةً للفتك بهِ عند دخوله عليهِ فعُوجل عليــهِ بالقتل (١ ونُهبت خزائن امواله وآلاته وكراعه وامتلأَت ايدي جماعةٍ من نهبها وتفرّق عسكره في البلاد والاعمال . وكان لهُ الذكر الحسن والفعل المستحسن والاجر الوافر والمدح السائر بما كان لهُ في مجاهرة احزاب الباطنيّة والفتك بهم والقمع لهم والحصر في معاقلهم والكفّ لشرّهم ولكن الاقدار لا تُغالَب والاقضية لا تدافع

واماً اخبار المغرب والحوادث فيهِ فلم تسكن النفس الى اثبات شيء من طوائح اخبــاره وما يؤخذ من افواه تجاره . وقد افردتُ من احوال الخوارج فيهِ والفتن المتّصلة بين اهليهِ من الحروب المتصلة وسفك الدماء ما لا تثق النفس به لاختــلاف الروايات وتبايُن الحكايات . وكان قد ورد من فقهاء المغاربة مَن وثقت النفس بما اوردهُ وسكنت الى ما شرحهُ وعدَّده وحضرَتْ كُتُب من اهل المغرب الى اقاربهم ببعض الشرح ووافق ورود ذلك في سنة ٥٤١ بالتواريخ المتقدّمة والحكايات المختلفة فرأيتُ ذكر ذلك وشرحه في هذا المكان. فمن ذلك ظهور المعروف بالفقيه السوسي الخارج بالمغرب وما آل اليهِ امره الى ان هلك ومن قام بعده واستمرّ على مذهبه وما اعتمده من الفساد وسفــك الدماء ومخالفة الشريعة الاسلامية . ومبدأ ذلك على ما حُكي ظهور المعروف بالفقيه ابي محمد ابن تومرت من جبل السوس ومولدهُ بهِ واصله مصمودي وكان غايةً في التفقّه والدين مشهورًا بالورع والزُهد وكان قد سافر الى العراق وجال في تلك الاعمال ومهر في المناظرة والجدال واجتمع بأئمة الفقهاء واخذ عنهم وسمع منهم وعاد الى ناحية مصر وما والاها واجتمع مع علمائها وقرأ عليهم ثم عاد الى المغرب ودعا الى مذهب الفكر . وابتداء ظهوره في سنة ٥١٢ في مدينة تُعرف بدرن في جبل اوّله في البحر المحيط وآخره في بحر الاسكندرية في رأس اوثان وغلب على جبل السوس واجتمع اليهِ خلقٌ كثير من قبــائل المصامدة بجبل درن وقيل انهُ وصل الى المهدية وامر اهلها ان يبنوا قصرًا على نيّة الفكــرة (158^v) وان يعبدوا الله فيهِ بالفكرة فاجتمع مشايخ اهل المهدية وفقهاؤها وعزموا على بناء ما امرهم بهِ والعبادة لله تعالى فيهِ فقام رجل من كبار الفقهاء وقال: نُقيم ما امرنا بالمهدية ويجيءُ اليكم رجل بربري مصمودي يأمركم بالعبادة بالفكرة فتجيبون الى ما امركم بهِ وتسارعون الى قبول ما ذكرهُ لكم . وانكر هذا الامر انكارًا شديدًا حتى عادوا عنــهُ وابطلوهُ واقتضت هذه الحال خروج الخارجي من المهدية اذ لم يتمّ لهُ فيها امرٌ ولا بلغ غَرَضًا

١) وفي زبدة التواريخ: ان ذلك في بكرة خمس من ذي القعدة من السنة

وقصد بلدًا في الغرب يعرف ببجاية (١ في ايدي بني حماد بن صنهاجة وشرع في الانكار على اهله شرب الخمور وجعل يكسّر الاواني الى ان منع من شربها وساعده على ذلك ابن حمدون مقدّم هذا البلد حمل اليـهِ مالًا فامتنع من اخذه وتعفّف عنهُ لِمَا اظهره من الزهد في الدنيا والتفقّه والورع. ثم خرج من هذا البلد وقصـد مدينة اغمات فاظهر فيها الزهد وتدريس الفقه وصار معه من اتباعه تقدير اربعمائة رجل من المصامدة ثم ارتفع امره وظهر شرّه واتّصل خبره الى الامير ابن يوسف بن تاشفين وما هو عليهِ وما يظهره ويطلقه من اباحة دمه ودم اصحابه واهل مملكته فاستـدعاه الامير المذكور الى حضرته وجمع لهُ وجوه الفقهاء والمقدّمين الى مجلس حفل ووقع الاختيار من الجماعة على فقيهٍ يُعرف بابي عبد الله محمد بن مالك بن وهب الاندلسي لمناظرته فنـاظره في هذا المحفل فاستظهر عليهِ في المناظرة وقهره وغلبه فقال الخارجي السوسي المُناظِر لهُ : انظرني. فاجابهُ الى ما طلب ثم قال لابن يوسف بن تاشفين المقدّم: ينبغي ان يأمر الامير بحبس هذا المفتن لكشف سرّه ويحقّق امره ويظهر لكافة المسلمين صحّـة خبره فانهُ لا يريد غير الدنيا والسلطنة والفساد في الارض وقتـل النفوس. فما حَفَل بكلامه ولا اصغى الى اشارته وتغافل عنهُ للامر المقضي واعان هذا الخارجي قوم من المقدّمين على مرامه وحامى عنهُ

ثم عاد الى السوس الى جبل درن وكان يقول للناس : كلّما قربتم من المرابطين وملتم اليهم كانوا مطاياكم الى الجنة لانهم حُماة الدين والذابون عن المسلمين. ثم حمل المرابطين والملثّمين وقد مال معهُ منهم الخلق الكثير والجمّ الغفير على محاربة الامير عليّ بن يوسف ابن تاشفين وجمع عليهِ وحشد وقويت نفسه (159r) ونفوس من معه على اللقاء ومعهم اصحاب القوّة والبسالة وشدّة البأس والشجاعة ونشبت الحرب بين الفريقـين وأُريقت الدماء بين الجهتين ولم تزل رحى الحرب دائرة بينهم الى ان كان بينهم في عدّة سنـين متوالية اربعة مصافات هائلةً منكرة قُتل فيها من الفريقين ما قُدّر وحُزر تقدير مائتي الف نفس ولم تزل الحرب على ذلك مستمرّة على هذه القضيّة الشنيعة والصفة الفظيعة الى ان اهلكه الله تعالى بمدينة درن في سنة ٥٢٢ . وخلّف جماعةً من تلامذته واصحابه سلكوا سبيله وبنوا على بنائه وسلكوا مذهبه في الفساد وتولّد بينهم مذهبٌ سمّوهُ

---

١) وفي الاصل: بجامَةَ

« تكفير الذنب » هذا ما اورده وحكاه وشاهده واستقصاه الفقيه ابو عبد الله محمد ابن عبد الجبّار الصقلي باملائه من لسانه

ثم تناصرت الاخبار بعد ذلك من ناحية المغرب بظهور احد تلامذة المذكور يعرف بالفقيه عبد المؤمن فلُقِّب بالمهدي « امير المؤمنين وخليفة المهدي الى سبيل الموحّدين » واجتمع اليهِ مع من كان في حزبه من طوائف السوس والبربر والمصامدة والمرابطين والملثّمين ما لا يحصى لهُ عددٌ ولا يُدرك امدٌ وشرع في سفك الدماء وافتتاح البلاد المغربيّة بالسيف والقتل لمن بها من الرجال والحُرم والاطفال ما شاعت بهِ الاخبار وانتشر ذكره في سائر الاقطار. ووردت مكاتبات السفّار والتجّار ومن جملتها كتاب وقفتُ عليهِ من هذا الخارجي ما نسخة عنوانه :

من امير المؤمنين وخليفة المهدي الى سبيل الموحّدين الى اهليه. بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآلهِ الطاهرين. امّا بعد : يا عضد الفجّار وعباد الفسّاق الاشرار فقد كاتبناكم بالبنان وخاطبناكم بالبيان حتى سار كالبدر واستمرّ مرور الدهر فلم تجيبوا ولا اطعتم بل تثاقلتم عن الحقّ وعصيتم وان الله سينتقم منكم لاوليائهِ نقمة مَن كان قبلكم من الامم الجاحدة والفرق المعاندة فانتظروا سيف الدم ينهلكم وحجارة المدر تدمغكم ثم لا يكون لكم استرجاع ولا يقبل فيكم استشفاع وهذه خيل الله قد اظلّتكم وَبلها وطمى عليكم سيلها فتأهّبوا للموت والسلام على من اتبع (159ᵛ) الهُدى هُداهُ ولم يغلب عليهِ هواهُ ورحمة الله وبركاته (١

سنة اثنتين واربعين وخمسمائة

في صفر منها عاد الحاجب محمود الكاتب من بغداد بجواب ما صدر على يده

---

١) قال الفارقي في تاريخه : وفي سنة ٥٢٨ ظهر عبد المؤمن بالمغرب وانا اذكر من حاله وما وصل اليّ من امره. وهو أن محمد بن تومرت كان من المصامدة وخرج الى بلاد المشرق وهو شيخ عبد المؤمن بن عليّ اللمتوني من جبال السوس الاقصى بالمغرب . وكان محمد بن تومرت الادريسي الحُسيني خرج (ʳ 168) الى المشرق وبقي مدّة ثم عاد الى الغرب في سنة ٥١٩ واقام بمراكش (١ واجتمع اليهِ جماعة من الفقهاء فناظرهم وجرى بينهم اشياء غير ما جرت به عادة المغاربة وخارجاً عن طريقهم فاذكر عليهم وانكروا عليهِ. ثم انهم اجتمعوا الى امير المسلمين علي ابن تاشفين وقالوا لهُ : تخرج هذا من بيننا والّا افسد الناس واهلكم فتقدّم اليهِ بالخروج فخرج في

---

١) وفي الأصل : مروكش

من الكاتبات المعيّنة ومعهُ رسولًا للخليفة والسلطان وعلى ايديهما التشريف برسم ظهير الدين ومعينه ولباساهُ وظهرا فيهِ في يوم السبت الثامن عشر من ربيع الاخر واقاما ايّاماً وعادا بجواب ما وصل معهما

وورد الخبر عقيب ذلك من بغداد بان السلطان كان قد توجّه منها بعد قتل الامير عبّاس في العسكر الى ناحية همذان عند انتهاء الاخبار اليهِ بان الامير عباس وعسكره قد انضاف الى الامير بُوزَبه وصارا يدًا واحدةً في خلق عظيم وقصدا ناحية اصفهان وترلا عليها وضايقاها الى ان اسلمت الى بوزبه باسبابٍ اقتضت ذلك ولمّا حصل السلطان بظاهر همذان تواصلت العساكر من كل جهةٍ اليهِ وصار في خلق كثير

ووردت الاخبار الى بغداد بان السلطان لما كثف جمعه وقويت نفسه وقصد المذكورين وقصدوه وترتّب المصافُ بينهم والتقى المصافات ومنح الله السلطان النصر عليهم وكسرهم وقتل بُوزَبه وابن عباس واستولى عسكر السلطان على الفلّ والسواد. وحكى الحاكي المشاهد لهذه الوقعة في كتابه بشرحها ما ذكر فيهِ ان مبدأ الفتح ان السلطان كان في مخيّمه بباب همذان في تقدير ثلثة الاف فارس وبوزبه في عسكره على باب اصفهان في خلق عظيم وانَّ بوزبه لمّا عرف ذلك طمع فيهِ ونهض في عسكره اليهِ

سنة ٥٢٠ وتقاه الى الجبل الى المصامدة وهم جنس من البربر وكانوا عشيرته. فاقام بينهم وحملهم على ترك طاعة الامير المسلمين فلقيه فكسره وقتل رأس العسكر فخرج امير المسلمين بنفسه وجمع الجموع فلقيهُ وكسره وتمكّن في الجبل وهو سيرة شهر في شهر وهو جبل درن (١ بولاية مراكش والسوس. واجتمع اليهِ خلق كثير وبقي الى سنة ٥٢٣ ومات محمد بن تومرت وولى موضعه علي الونشريشي ٢) وجهز العساكر وحاصر مراكش في سنة ٥٢٤ فكسره امير المسلمين وازاحه من مراكش (٣ فانهزم الى الجبل وتحصّن به وبقي الامر بينهُ وبين امير المسلمين يزيد وينقص الى سنة ٥٢٨ ومات علي الونشريشي (٣ فتولى موضعه عبد المؤمن بن علي اللمتوني وكان من جملة اصحاب محمد بن تومرت وتلامذته واصحابه ومعاضديه فجمع ولقي امير المسلمين فكسره وملك الجبل باسره وملك ولاية اخرى وترل في سنة ٥٣٠ الصحراء وفتح اكثر بلاد امير المسلمين وكانت لهُ البقاع وفتح اكثر افريقية وبلادًا من الاندلس وفتح اكثر بلاد امير المسلمين وفتح من الافرنج مواضع كثيرة وبقي الى سنة ٥٤٠ ولقي امير المسلمين تاشفين ابن علي بن يوسف وكسره وقتل خلقًا كثيرًا واسره وقتلهُ. وتوطّدت لهُ البلاد وفتح اكثر المغرب وهابهُ الناس وكان لا يفتح مدينة الّا قتل كلّ من فيها وكان يقول: انا صاحب الزمان

---

١) وفي الاصل: ادرن ٢) وفي الاصل: الورنشي ٣) وفي الاصل: مروكش

وقطع مسافة ثلثين فرسخًا في يوم وليلة ووصل الى مكر بابكان (١ وقد كلّت الخيل ونزل هناك. فلمّا عرف السلطان ذلك التجأ الى بساتين همذان وجعلها ظهره مع جبلين هناك ووصل اليه الامير حيدر صاحب زنكان في الف فارس ووصله الامير اكز في خمسة الف فارس ووصلهُ خاصبك بلنكى (٢ في اثني عشر الفًا قويت بهم شوكته ونهض الى جهة بوزبه عند ذلك وعبأ كل فريق منهما مصافّه في يوم السبت من شهر . . . . . منذ غداته الى وقت العصر منهُ وكسرت الميمنة السلطانية وفيها الامير جندار (٣(160r) والميسرة فيها الامير تتر وبقي السلطان في القلب وعرف ان بوزبه يقصده فقال للامير جندار : انا المطلوب أقم انت مكاني تحت الشمسة فان بوزبه يطلبها لقصدي. ففعل ونهض السلطان في جملة وافرة من العسكر وجاء من وراء عسكر بوزبه وحمل بوزبه وقصد مكان السلطان تحت الشمسة فلمّا قرب بوزبه في جملته من الشمسة كبا بهِ جواده وسقط الى الارض فانفلّ عسكره وادركتهُ الخيل فأُخذ هو وخواصه وابن عباس ووزير بوزبه يقال لهُ صدر الدين ابن الخوجندي وكان قد اعلن بوزبه على تسلّم اصفهان فجازاه على ذلك باستيزاره (٤

وفي يوم الخميس الحادي والعشرين من شهر ربيع الاخر وصل رسول مصر الى دمشق بما صحبهُ من تشريفٍ وقَوْدٍ ومالٍ برسم ظهير الدين ومعينه على جاري الرسم في مثل ذلك. وفي ليلة الجمعة الثالث من شهر ربيع الاوّل من السنة توفّي الفقيه شيخ الاسلام ابو الفتح نصر الله بن محمد بن عبد القوي المصيصي بدمشق رحمهُ الله

---

١) وفي زبدة التواريخ : مرج قراتكين ٢) وفيها ايضًا ان اسمه خاصبك بن بلنكرى

٣) وفيها ايضًا ان اسمه زنكي الجاندار

٤) وفي زبدة التواريخ ان بوزابه حمل الى السلطان مسعود فعاتبه عتبًا وهو لا يتكلّم ولا يتألّم واراد الابقاء عليه فابى خاصبك فقتلهُ السلطان مسعود وانجلى النقع عن بن عباس مقتولًا. . . . . وان الذي كان سلّم لبوزابه اصفهان هو صدر الدين بن الخجندي

وقال تقي الدين ابن قاضي شهبة في كتابه منتقى العبر المنتخب من العبر للحافظ الذهبي ان في سنة ٥٥٢ توفّي صدر الدين ابو بكر الخجندي محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت رئيس اصفهان شافعي وعالمها. قال ابن السمعاني : كان صدر العراق في زمانه على الاطلاق امامًا مناظرًا واعظًا جوادًا مهيبًا كان السلطان محمود يصدر عن رأيه وكان بالوزراء اشبه منهُ بالعلماء درس ببغداد بالنظامية وكان يعظ وحولهُ السيوف ومات فجأةً في قرية بين همذان والكرخ في شوال وقد روى عن ابي علي الحداد

وكان بقية الفقهاء المقيمين على مذهب الشافعي رحمهُ الله ولم يخلف مثلهُ بعده (١

وفي جمادى الاخرة منها تقرَّرت ولاية حصن صرخد للامير مجاهد الدين بُزان بن مامين على مبلغ من المال والغلّة وشروط وايمان دخل فيها وقام بها وتوجَّه اليـه وحصل به في النصف من الشهر المذكور واستبشر مَن بتلك الناحية من حصوله فيه لما هو عليه من حبّ الخير والصلاح والتديُّن والعفاف عقيب مَن كان قبله ممَّن لا يدين الله بدين ولا صلاةٍ ولا انصاف ولا نزاهة نفس ولا جميل فعل

وفي هذه السنة وردت الاخبار من ناحية مصر بان رضوان بن ولخشي المنعوت كان بالافضل وزير صاحب مصر الذي كان معتقلًا بالقصر وقد تقـدَّم ذكره فيما مضى نقب من المكان الذي كان فيه الى مكان ظاهر القصر نقبًا يكون تقـدير طوله اربعون ذراعًا واجتمع اليه خلق كثير من العسكريَّة ممن كان يهواهُ ويتوالاهُ في العشر الاخير من ذي القعدة سنة ٤٢ وانهُ راسل سلطان مصر يلتمس منهُ اعادته الى منصبه واخراج المال لينفق على العسكريَّة والاجناد فعاد الجواب اليـه بالوعد (160^v) بالاجابة على سبيل المغالطة والمدافعة الى حين دُبّر الامر عليه ورُتب لهُ من الرجال الاجلاد وابطال الاجناد والانجاد من هجم عليه في مكانه ومجتمع اعوانه فقُتل وقتل معهُ من دنا منهُ وتابعهُ وورد بشرح قصّته السجلّ من سلطان مصر الى ثغر عسقلان وقُرئ على منبرها ومضمونه: بسم الله الرحمن الرحيم . . . . . وفي يوم الخميس الحادي والعشرين من شوال سنة ٤٢ وهو مستهلّ نيسان اظلم الجوّ ونزل غيثٌ ساكنٌ ثم اظلمت الارض في وقت صلاة العصر ظلامًا شديدًا بحيث كان ذلك كالغـدرة بين العشايين وبقيت السماء في عين الناظر اليها كصفورة الورس وكذلك الجبال واشجار الغوطة وكل ما يُنظَر اليـه من حيوان وجماد ونبات . ثم جاء في اثر ذلك من الرعد القاصف والبرق الخاطف والهدَّات المزعجة والزحفات المفزعة ما ارتاع لها الشيب والشبَّان فكيف الولدان والنسوان وقلقت لذلك الخيول في مرابطها واجفلت من هولها وبقي الامر على هذه الحال الى حين وقت العشاء الاخرة ثم سكن ذلك بقدرة الله تعالى واصبح الناس غد ذلك اليوم ينظرون في

---

١) وفي كتاب العبر للحافظ الذهبي: ولهُ اربع وتسعون سنـة وهو آخر اصحاب ابن ابي لقمة . وقال تقي الدين ابن قاضي شهبة في طبقات الفقهاء انهُ درس بالغزاليـة بعد شيخه نصر ولهُ اوقاف على وجوه البرّ وكان منقبضًا عن الدخول على السلاطين . والشيخ نصر هو نصر بن ابرهيم ابن نصر بن ابرهيم بن داود ابو الفتح المقدسي النابلسي توفي سنة ٤٩٠

اعقاب ذلك المطر فاذا على الارض والاشجار وسائر النبات غبـار في رقّة الهواء بين البياض والغبرة بحيث يكون اذا جُرّد عنها الشيء الكثير ويلوح فيه بريقٌ لا يُدرى ما لونهُ ولا جسمهُ من نعومتهِ فعجب الناس من هذه القُدرة التي لا يُعلَم ما اصلها ولا شبيه لها بل نزلت في جملة المطر ممتزجةً بهِ كامتزاج الماء بالماء والهواء بالهواء

وفي هذه السنة تواصلت الاخبار من ناحية القسطنطينية وبلاد الافرنج والروم وما والاها بظهور ملك الافرنج من بلادهم منهم المان والفنش وجماعة من كبارهم في العَدَد الذي لا يُحصر والعُدد التي لا تحزر لقصد بلاد الاسلام بعـد ان نادوا في سائر بلادهم ومعقلهم بالنفير اليها والاسراع نحوها وتخلية بلادهم واعمالهم خاليةً سافرةً من حُماتهـا والحفظة لها واستصحبوا من اموالهم وذخائرهم وعددهم الشيء الكثير الذي لا يحصى بحيث يقال ان عدّتهم الف الف عنان من الرجالة والفرسان وقيل اكثر (161r) من ذلك وغلبوا على اعمال القسطنطينية واحتاج ملكها الى الدخول في مداراتهم ومسالمتهم والنزول على احكامهم. وحين شاع خبرهم واشتهر امرهم شرعت وُلاة الاعمال المصاقبة لهم والاطراف الاسلامية القريبة منهم في التأهّب للمدافعة لهم والاحتشاد على المجاهدة فيهم وقصدوا منافذهم ودروب معابرهم التي تمنعهم من العبور والنفوذ الى بلاد الاسلام وواصلوا شنّ الغارات على اطرافهم واشتجر القتل فيهم والفتك بهم الى ان هلك منهم العدد الكثير وحلّ بهم من عدم القوت والعلوفات والمِيَر وغلاء السعر اذا وجد ما افنى الكثير منهم بموت الجوع والمرض ولم تزل اخبارهم تتواصل بهلاكهم وفناء اعدادهم الى اواخر سنة ٥٤٢ بحيث سكنت النفوس بعض السكون وركنت الى فساد احوالهم بعض الركون وخفّ ما كان من الانزعاج والفرق مع تواصُل اخبارهم

ثم دخلت سنة ثلث واربعين وخمسمائة

واولها يوم الجمعة الحادي وعشرين من ايار والشمس في الجوزاء. وفي اوائلهـا تواترت الاخبار من سائر الجهات بوصول مراكب الافرنج المقـدّم ذكرهم الى ساحل البحر وحصولهم على سواحل الثغور الساحلية صور وعكّا واجتماعهم مع من كان بها من الافرنج ويُقال انهم بعد ما فني منهم بالقتل والمرض والجوع تقـدير مائة الف عنان وقصدوا بيت المقدس (١ وقضوا مفروض حجّهم وعاد بعـد ذلك مَن عاد الى بلادهم

١) قال سبط ابن الجوزي: وصلّوا صلاة الموت وعادوا الى عكا وفرقوا المال في العساكر

في البحر . وقد هلك منهم بالموت والمرض الخلق العظيم وهلك من ملوكهم من هلك وبقي المان اكبر ملوكهم ومن هو دونهُ واختلفت الاراء بينهم فيما يقصدون منازلته من البلاد الاسلامية والاعمال الشامية الى ان استقرَّت الحال بينهم على مُنازلة مدينة دمشق وحدَّثتهم نفوسهم الخبيثة بملكتها وتبايعوا ضياعها وجهاتها . وتواصلت الاخبار بذلك وشرع متولّي امرها الامير معين الدين أُنُر في التأَهب والاستعداد لحربهم ورفع شرّهم وتحصين ما يخشى من الجهات وترتيب الرجال في المسالك والمنافذ وقطع مجاري الميرة (٧ 161) الى منازلهم وطمّ الآبار وعفى المناهل وصرفوا اعنّتهم الى ناحية دمشق في حشدهم وحدّهم وحديدهم في الخلق الكثير على ما يقال تقدير الخمسين الف من الخيل والرجل ومعهم من السواد والجمال والابقار ما كثروا بهِ العَدَد الكثير ودنوا من البلد وقصدوا المنزل المعروف بمنازل العساكر فصادفوا الماء معدوماً فيهِ مقطوعاً عنهُ فقصدوا ناحية المزّة فخيّموا عليها لقُربها من الماء وزحفوا اليهِ بخيلهم ورجلهم . ووقف المسلمون بازائهم في يوم السبت السادس من شهر ربيع الاول سنة ٤٣ ونشبت الحرب بين الفريقين واجتمع عليهم من الاجناد والاتراك القتّال واحداث البلد والمطوّعة والغُزاة الجمّ الغفير واشتجر القتل بينهم واستظهر الكفّار على المسلمين بكثرة الاعداد والعُدد وغلبوا على الماء وانتشروا في البساتين وخيَّموا فيها وقربوا من البلد وحصلوا منهُ بمكانٍ لمْ يتمكّن احدٌ من العساكر قديمًا ولا حديثًا منهُ . واستشهد في هذا اليوم الفقيه الامام يوسف الفندلاوي المالكي (١ رحمه الله قريب الربوة على الماء لوقوفه في وجوههم وترك الرجوع عنهم اتباعاً لاوامر الله تعالى في كتابه الكريم وكذلك عبد الرحمن الحلحولي الزاهد رحمه الله جرى امره هذا المجرى

وشرعوا في قطع الاشجار والتحصين بها وهدم القناطر (٢ وباتوا تلك الليلة على هذه الحال وقد لحق الناس من الارتياع لهول ما شاهدوه والروع بما عاينوه ما ضعفت

وكان مقدار ما فرّقوه سبعمائة الف دينار ولم يظهروا انهم يريدون دمشق وورّوا بغيرها وهرّبوا المسلمين بين ايديهم وجمعوا الغلال والاتبان واحرقوها . . . . ولم تشعر اهل دمشق الّا وملك الالمان قد ضرب خيمته على باب دمشق في الميدان الاخضر

١) وفي كتاب العبر للحافظ الذهبي : هو ابو الحجاج يوسف بن دوباس المغربي الفندلاوي قُتل شهيدًا في حصار الفرنج مقبلًا غير مُدبرًا والدعاء عند قبره خارج الباب الصغير مستجاب

٢) وفي الاصل : القطاير

بهِ القلوب وحرجت معهُ الصدور وباكروا الظهور اليهم في غد ذلك اليوم وهو يوم الاحد تاليه وزحفوا اليهم ووقع الطراد بينهم واستظهر المسلمون عليهم واكثروا القتل والجراح فيهم. وابلى الامير معين الدين في حربهم بلاء حسناً وظهر من شجاعته وصبره وبسالته ما لم يشاهَد في غيره بحيث لا يني في ذيادتهم ولا يُفتئُ عن جهادهم ولم تزل رحى الحرب دائرةً بينهم وخيلُ الكفَّار مُحجمةً عن الحملة المعروفة لهم الى ان تتهيَّأ الفرصة لهم الى ان مالت الشمس الى الغروب واقبل الليل وطلبت النفوس الراحة وعاد كل منهم الى مكانه وبات الجند (162r)بازائهم واهل البلد على اسوارهم للحرس والاحتياط وهم يشاهدون اعداءهم بالقرب منهم

وكانت المكاتبات قد نُفذت الى وُلاة الاطراف بالاستصراخ والاستنجاد وحصلت خيل التركمان تتواصل ورجَّالة الاطراف تتتابع وباكرهم المسلمون وقد قويت نفوسهم وزال رَوعُهم وثبتوا بازائهم واطلقوا فيهم السهام ونبل الجرح بحيث تتَّبع في مخيَّمهم في راجل او فارس او فرس او جمل

ووصل في هذا اليوم من ناحية البقاع وغيرها رجالة كثيرة من الرُماة فزادت بهم العِدّة وتضاعفت العُدّة وانفصل كل فريق الى مستقرّه هذا اليوم وباكروهم من غدهِ يوم الثلثاء كالبُزاة الى تعاقيب الجبل والشواهين الى مَطار الحجل واحاطوا بهم في مخيّمهم وحول مجثمهم وقد تحصَّنوا باشجار البساتين وافسدوها رشقاً بالنشّاب وحذفاً بالاحجار. وقد احجموا عن البروز وخافوا وفشلوا ولم يظهر منهم احدٌ وظُنّ بهم انَّهم يعملون مكيدةً ويُدبّرون حيلةً ولم يظهر منهم الّا النفر اليسير من الخيل والرجل على سبيل المكاردة والمناوشة خوفاً من المهاجنة الى ان يجدوا لحملتهم مجالًا او يجدون لفرّهم احتيالًا وليس يدنو منهم احدٌ الّا صُرع برشقةٍ او طعنةٍ وطمع فيهم نفرٌ كثيرٌ من رجالة الاحداث والضياع وجعلوا يرصدونهم في المسالك وقد اثنوا (١ فيقتلون من ظفروا بهِ ويحضرون رؤوسهم لطلب الجوائز عنها وحصل من رؤوسهم العدد الكثير

وتواترت اليهم اخبار العساكر الاسلاميَّة بالحفوف الى جهادهم والمسارعة الى استئصالهم فايقنوا بالهلاك والبوار وحلول الدمار واعملوا الاراء بينهم فلم يجدوا لنفوسهم خلاصاً من الشبكة التي حصلوا فيها والهوّة التي القوا بنفوسهم اليها غير الرحيل سحراً

---

١) وفي الاصل: امنوا

يوم الاربعاء التالي مجفلين والهرب مخـذولين مفلولين (١ ·وحين عرف المسلمون ذلك وبانت لهم آثارهم في الرحيل برزوا لهم في بكرة هذا اليوم وسارعوا نحوهم في آثارهم بالسهام بحيث قتلوا في اعقـابهم من الرجال والخيول والدوابّ العدد الكثير ووجد في اثار منازلهم وطرقاتهم من دفائن قتلاهم وفاخر خيولهم ما لا (162ᵛ) عدد لهُ ولا حصر يلحقهُ بحيث لها ارائح من جيفهم تكاد تصرع الطيور في الجوّ وكانوا قد احرقوا الربوة والقبّة المدودة في تلك الليلة واستبشر الناس بهذه النعمة التي اسبغهـا الله عليهم واكثروا من الشكر لهُ تعالى ما اولاهم من اجابة دُعائهم الذي واصلوه في ايام هذه الشدّة فلله على ذلك الحمدُ والشكرُ

واتّفق عقيب هذه الرحمة اجتماع معـين الدين مع نور الدين صاحب حلب عند قُربه من دمشق للاتحاد لها في اواخر شهر ربيع الاخر من السنة وانهما قصـدا الحصن المجاور لطرابلس المعروف······(٢ وفيهِ وَلَدُ الملك الفُنش احد ملوك الافرنج المقدَّم ذكرهم كان هلك بناحية عكّا ومعهُ والدته وجماعةٌ وافرةٌ من خواصّه وابطاله ووجوه رجاله فاحاطوا بهِ وهجموا عليهِ وقد كان وصل الى العسكرين النوري والمعيني فريقةٌ تُنـاهز الالف فارس من عسكر سيف الدين غازي بن اتابك ونشبت الحرب بينهم فقتل اكثر من كان فيهِ وأسر وأُخذ ولد الملك المذكور وأُمُّهُ ونُهب ما فيـهِ من العُدد

---

١) قال سبط ابن الجوزي : وكان زمان الفواكـه فنزل الفرنج الوادي فأكلوا منها شيئاً كثيرًا فاحلّت اجوافهم ومات منهم خلق كثير ومرض الباقون . ولمّا ضاق باهل دمشق الحال اخرجوا الصـدقات بالاموال على قدر احوالهم واجتمع الناس في الجامع الرجال والنساء والصبيان ونشروا مصحف عثمان وحثَوْا الرماد على روْوسهم وبكوا وتضرّعوا فاستجاب الله لهم . فكان مع الافرنج قسيس كبير طويل اللحية يقتدون بهِ فاصبح في اليوم العاشر من نزولهم على دمشق فركب حماره وعلّق في عنقه صليباً وجعل في يديهِ صليبين وعلّق في عنق حماره صليباً وجمع بين يديهِ الاناجيل والصلبان والكُتُب والخيالة والرجالة ولم يتخلّف من الفرنجيـة احد الّا من يحفظ الخيام . وقال لهم القسيس : قد وعدني المسيح اني افتح اليوم . وفتح المسلمون الابواب واستسلموا للموت وغاروا للاسلام وحملوا حملة رجل واحد وكان يوماً لم يرَ في الجاهلية والاسلام مثله وقصد واحد من احداث دمشق القسيس وهو في اوّل القوم فضربهُ فأبان رأسه وقتل حماره وحمـل الباقون فانهزم الافرنج وقتلوا منهم عشرة الاف واحرقوا الصلبان والخيالة بالنفط وتبعوهم الى الخيام وحال بينهم الليل فاصبحوا وقد رحلوا ولم يبقَ لهم اثر

٢) وفي الكامل لابن الاثير : حصن عريمة

والخيول والاثاث وعاد عسكر سيف الدين الى مخيّمه بحمص ونور الدين عائدًا الى حلب ومعهُ ولد الملك وأُمه ومَن أسر معهما وانكفأ معين الدين الى دمشق

وقد كان ورد الى دمشق الشريف الامير شمس الدين ناصح الاسلام ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبيد الله الحُسيني النقيب من ناحيـة سيف الدين غازي بن اتابك لانهُ كان قد نُدب رسولًا من الخـلافة الى سائر الوُلاة وطوائف التركمان لبعثهم على نُصرة المسلمين ومجاهدة المشركين وكان ذلك السبب في خوف الافرنج من تواصل الامداد اليهم والاجتماع عليهم ورحيلهم على القضيَّة المشروحة . وهذا الشريف المذكور من بيتٍ كبيرٍ في الشرف والفضل والادب واخوه ضياء الدين نقيب الاشراف في الموصل مشهورٌ بالعلم والادب والفهم وكذا ابن عمه الشريف نقيب العـلويين ببغداد وابن عمه نقيب خراسان واقام بدمشق ما اقام وظهر من حسن تأتيه في مقـاصده وسداده في مصادره وموارده ما احرز بهِ جميل الذكر ووافر الشكر وعاد منكفئًا الى بغداد بجواب ما وصل فيهِ (163r) يوم الاربعاء الحادي عشر من رجب سنة ٤٣

وفي رجب في هذه السنة ورد الخبر من ناحية حلب بان صاحبهـا نور الدين اتابك امر بابطال « حيَّ على خير العمل » في اواخر تأذين الغداة والتظاهر بسبّ الصحابة رضي الله عنهم وانكر ذلك انكارًا شديدًا وحظر المعاودة الى شيء من هذا المنكر وساعده على ذلك الفقيـه الامام برهان الدين ابو الحسن علي الحنفي وجماعة من السنَّة بحلب وعظم هذا الامر على الاسماعيلية واهل التشيع وضاقت لهُ صدورهم وهاجوا لهُ وماجوا ثم سكنوا واحجموا بالخوف من السطوة النورية المشهورة والهيبة المحذورة

وفي رجب من هذه السنـة أُذن لمن يتعاطى الوعظ بالتكلّم في الجامع المعمور بدمشق على جاري العادة والرسم فبـدأ من اختلافهم في احوالهم واعراضهم والخوض فيما لا حاجة اليهِ من المذاهب ما اوجب صرفهم عن هذه الحال وابطـال الوعظ لما يتوجَّه معهُ من الفساد وطمع سفهاء الاوغاد وذلك في اواخر شعبان منها

وفي جمادى الاخرة منها وردت الاخبار من بغداد باضطراب الاحوال فيها وظهور العيث والفساد في نواحيها وضواحيهـا وان الامير بازبه والامير قيس والامير علي بن دُبَيس بن صدقة اجتمعوا وتوافقوا في تقدير خمسة الاف فارس ووصلوا الى بغداد على حين غفلةٍ من اهلها وهجموها وحصلوا بدار السلطان وتناهوا في الفساد والعناد بحيث وقعت الحرب بينهم وقتل من النظَّار وغيرهم نحو خمسمائة انسان في الطرقات وان امير

للمؤمنين المقتفي لامر الله رتّب الاجناد والعسكريّة بازائهم بحيث هزموهم واخرجوهم من بغداد وطلبوا ناحية النهروان وتناهوا في العيث والافساد في الاعمال والاستيلاء على الغلال وخرج امر الخلافة بالشروع في عمارة سور بغداد وحفر الخنادق وتحصينها والزام الاماثل والتنّاء والتجّار وعيان الرعايا القيام بما يُنفَق على العمارات من اموالهم على سبيل القرض والمعونة ولحق الناس من ذلك المشقّة والكلفة المؤلمة (١. وذكر ان السلطان ركن الدين مسعود مقيمٌ بهمذان وان امره قد ضعف عمّا كان والاقوات قد قلّت والسعر قد غلا والفتن (163v) قد ثارت والفساد في الاعمال قد انتشر وان العدوان في اعمال خراسان قد زاد وظهر والفناء قد كثر

وفي هذه السنة وردت الاخبار من ديار مصر بظهور بعض اولاد نزار واجتمع اليهِ خلق كثير من المغاربة وكُتَّامة وغيرهم وقربوا من الاسكندريّة في عالم عظيمٍ وان امام مصر الحافظ انهض اليهم العساكر المصرية ونشبت الحرب بينهم وقُتِل من الفريقين العَدَد الكثير من الفرسان والرجالة وكان الظهور العساكر الحافظيّة على النزاريّة بحيث هزموهم واثخنوا القتل فيهم واجلت الوقعة عن قتل ولد نزار المقدّم ومعهُ جماعة من خواصّه واسبابه وانهزم مَن ثبّطه الاجل واطار قلبه الوجل وخمدت عقيب هذه النوبة الثائرة وزالت تلك الفتنة الثائرة وسكنت النفوس وزال عن مصر الخوف والبؤس

ووردت الاخبار في رجب منها من ناحية حلب بان نور الدين صاحبها كان قد توجّه في عسكره الى ناحية الاعمال الافرنجية وظفر بعُدَّةٍ وافرة من الافرنج وان صاحب انطاكية جمع الافرنج فصدّه على حين غفلة منهُ فنال من عسكره واثقاله وكراعه ما اوجبته الاقدار النازلة وانهزم بنفسه وعسكره وعاد الى حلب سالمًا في عسكره لم يفقد منهُ الّا النفر اليسير بعد قتل جماعةٍ وافرة من الافرنج واقام بحلب اياماً

---

١) وفي زبدة التواريخ : ان في هذه السنة وصل الى بغداد جماعة من الامراء ومعهم الملك ملك شاه بن محمود وهم متناصرون على خلع السلطان مسعود وخرج اهل بغداد لدفعهم عنها فانهزموا لهم حتّى استجرّوهم ثم كثروا عليهم فقتلوا منهم خمسمائة رجل ثم طلبوا من الخليفة المقتفي لامر الله ثلثين الف دينار ليرحلوا فاشار عليهِ كُتَّابهُ بذلك الّا يحيى بن هبيرة صاحب الديوان فانهُ قال : ان كان لا بدّ من اتلاف هذا المبلغ فالرأي انفاقه في جيش يدفعهم من النزل المطلقة ببغداد وانواع الناس ويكون هذا يدًا عند السلطان مسعود ثم لو دفع لهم ذلك لجعلوا بغداد مخبّأةً لهم . فقبل الخليفة رأيه وخرج بذلك الجيش اليهم فهزمهم . وكان هذا من الاراء الصائبة والخواطر الثاقبة فرأى الخليفة ان يستوزر ابن هبيرة

بحيث جدَّد ما ذهب لهُ من البَرَك وما يحتــاج اليهِ من آلات العسكر وعاد الى منزله وقيل لم يعُد

وكان الغيث امسك عن الاعمال الحورانية والغوطية والبقاعية بحيث امتنع الناس من الفلاحة والزراعة وقنطوا و يئسوا من نزول الغيث فلمّا كان في ايام من شعبــان في نَوْء الهنعة ارسل الله تعالى ولهُ الحمد والشكر على الاعمال من الامطار المتداركة ما رويت بهِ الاراضي والآكام والوهاد وانشرحت الصــدور ولحقوا معه اوان الزراعة فاستكثروا منها وزادوا في الفلاحة والعمارة وذلك في شعبان

وقد كان تقدَّم من شرح نوبة قتل برق بن جندل التميمي بيد الاسماعيلية وجمع اخيه ضحَّاك بن جندل لبني عمّه وأسرته وقومه ورجاله وكبســه لجماعة خصومهِ وقتلهم مع رأس طغيانهم (164[1]) بهرام الداعي ما قد شُرح في موضعــه من هذا التاريخ وُعرف وورد الخبر في شعبان من هذه السنة بان المذكورين نُدبوا لقتل ضحَّاك المذكور رجلين احدهما قوَّاساً والاخر نشَّاباً فوصلا اليه وتقرَّبا بصنعتهما اليهِ واقاما عندهُ بُرهةً من الزمان طويلةً الى ان وجدوا فيهِ الفُرصة متسهّلة وذاك ان ضحَّاك بن جندل كان راكباً مسيَّرًا حول ضيعةٍ لهُ تُعرف ببيت لهيا من وادي التيم فلمَّا عاد عنها وافق اجتيازه بمنزل هذين المفسدين فلقياهُ وسألاهُ النزول عندهما للراحة وألحَّا عليهِ في السوءال فنزل والقدَرُ مُنازِلةٌ والبلاء مُعادِلةٌ فلماَّ جلس اتياهُ بمأكول حضرهما فحين شرع في الاكل مع الخلوة وثبا عليهِ فقتلاهُ واجفلا فادركهما رجاله فاخذوهما واتوا بهما الى ضحَّاك وقد بقي فيهِ رمقٌ فلما رآهما امر بقتلهما بحيث شاهــدهما ثم فاضت نفسه في الحال وقام مقامه ولده من امارة وادي التيم وبهذا الشرح وصل كتابُهُ وعلى هيئته اوردتُهُ

وفي ذي الحجة ورد الخبر من ناحية بغداد بوفاة القاضي قاضي القضــاة الاكمل فخر الدين عزّ الاسلام ابي القسم علي بن الحسين بن محمد الزينبي رحمهُ الله بيوم النحر من سنة ٥٤٣ وصلَّى عليهِ الامام المقتفي لامر الله امير المؤمنين وصلى عليهِ بعده نقيب النقباء ودُفن على والده نور الهُدى في تربة الامام ابي حنيفة رحمه الله ووليَ امر القضاء بعده القاضي ابو الحسن عليّ بن الدامغاني

ودخلت سنة اربع واربعين وخمسمائة

واولها يوم الاربعاء الحادي عشر من ايار. قد كان كثُر فساد الافرنج المقيمين بصور

وعكّا والثغور الساحليّة بعد رحيلهم عن دمشق وفساد شرائط الهدنة المستقرّة بين معين الدين وبينهم بحيث شرعوا في الفساد في الاعمال الدمشقيــة فاقتضت الحال نهوض الامير معين الدين في العسكر الدمشقي الى اعمالها مُغيرًا عليها وعائثًا فيهــا وخيّم في ناحية حوران بالعسكر وكاتب العرب في اواخر سنة ٥٤٣ ولم يزل مواصلًا للغارات وشنّها على (164^b) بلادهم واطرافهم مع الايام وتقضّيهــا والساعات وتصرّمها واستدعاء جماعةً وافرةً من التركمان واطلق ايديهم في نهب اعمالهم والفتك بمن يظفر بهِ في اطرافهم الحراميّة واهل الفساد والاخواب ولم يزل على هذه القضيّة لهم مُحاصرًا وعلى النكاية فيهم والمضايقة لهم مُصابرًا الى ان الجأهم الى طلب المصالحة وتجــديد عقد المهادنة والمساعة بعض المقاطعة وتردّدت المراسلات في تقرير هذا الامر واحكام مشروطه واخذ الأيمــان بالوفاء بشروطه في المحرّم سنة ٥٤٤ وتقرّرت حال الموادعة مدّة سنتين ووقعت الايمان على ذلك وزال الخلف واطمأنّت النفوس من اهل العملين بذلك وسكنت الى تمامه وسُرّت باحكامه

ووافق ذلك تواصل كُتُب نور الدين صاحب حلب الى معين الدين يعلمه ان صاحب انطاكية جمع افرنج بلاده وظهر يطلب بهم الافساد في الاعمال الحلبية وانهُ قد برز في عسكره الى ظاهر حلب للقائه وكفّ شرّه عن الاعمال وان الحاجة ماسّة الى معاضدته بمسيره بنفسه وعسكره اليهِ ليتّفقا بالعسكرين عليــهِ. فاقتضت الحال ان ندب الامير معين الدين الامير مجــاهد الدين بزان بن مامين في فريقٍ وافرٍ من العسكر الدمشقي للمصير الى جهته وبذل المجهود في طاعته ومناصحته وتوجّه في يوم ٠٠٠٠٠ من العشر الاوّل من صفر من السنة وبقي معين الدين في باقي العسكر بناحية حوران لاينــاس حال العرب وحفظ اطرافهم وتطييب نفوسهم لنقل الغلال عن جمالهم الى دمشق على جاري العادة وحفظها والاحتياط عليها

وفي صفر من السنة وردت البشائر من جهة نور الدين صاحب حلب بما اولاهُ الله ولهُ الحمد من الظهور على حشد الافرنج المخذول وجمعهم المفلول بحيث لم يفلت منهم إلّا من خبّر ببوارهم وتعجيل دمارهم وذلك ان نور الدين لمّا اجتمع اليهِ ما استدعاه من خيل التركمان والاطراف ومن وصل اليهِ من عسكر دمشق مع الامير مجاهد الدين (165^a) بزان قويت بذلك نفسه واشتدّت شوكته وكثُف جمعه ورحل الى ناحيــة الافرنج بعمل انطاكية بحيث صار عسكره يناهز الستّة الاف فارس مقاتلة سوى الاتباع

والسواد والافرنج في زُهاء اربعمائة فارس طعّانة والف راجل مقاتلة سوى الاتباع . فلما حصلوا بالموضع المعروف بإنب نهض نور الدين في العسكر المنصور نحوهم ولمّا وقعت العين حمل الكفرة على المسلمين حملتهم المشهورة وتفرّق المسلمون عليهم من عدّة جهات ثم اطبقوا عليهم واختلط الفريقان وانعقد العجاج عليهم وتحكّمت سيوف الاسلام فيهم ثم انقشع القتام وقد منح الله ولهُ الحمد والشكر المسلمين النصر على المشركين وقد صاروا على الصعيد مصرّعين وبهِ معفرين وبجريهم مخذولين بحيث لم ينجُ منهم الّا النفر اليسير ممن ثبّطه الاجل واطار قلبه الوجل بحيث يخبرون بهلاكهم واحتناكهم وشرع المسلمون في اسلابهم والاشتمال على سوادهم وامتلأت الايدي من غنائمهم وكُراعهم . ووجد اللعين البلنس مقدّمهم صريعاً بين حُماته وابطاله فعُرف وقُطع رأسه وحُمل الى نور الدين فوصل حامله باحسن صلةٍ وكان هذا اللعين من ابطال الافرنج المشهورين بالفروسيّة وشدّة البأس وقوّة الحِيَل وعظم الخلقة مع اشتهار الهيبة وكبر السطوة والتناهي في الشرّ وذلك في يوم الاربعاء الحادي والعشرين من صفر سنة٥٤٤ ثم نزل نور الدين في العسكر على باب انطاكية وقد خلت من حُماتها والذابّين عنها ولم يبقَ فيها غير اهلها مع كثرة اعدادهم وحصانة بلدهم وتردّدت المراسلات بين نور الدين وبينهم في طلب التسليم الى نور الدين وايمانهم وصيانة احوالهم فوقع الاحتجاج منهم بان هذا الامر لا يمكنهم الدخول فيهِ الّا بعد انقطاع امالهم من الناصر لهم والمعين على من يقصدهم فحملوا ما امكنهم من التُحَف والمال واستمهلوا فأُمهلوا وأُجيبوا الى ما فيهِ سألوا ثم رتّب بعض العسكر للاقامة عليها والمنع لمن يصل اليها ونهض نور الدين في بقية (165v) العسكر الى ناحية افامية . وقد كان رتّب الامير صلاح الدين في فريق وافر من العسكر لمنازلتها ومضايقتها ومحاربتها فحين علم من فيها من المستحفظين هلاك الافرنج وانقطع املهم من مواد الانجاد واسباب الاسعاد التمسوا الامان فأُمنوا على نفوسهم وسلّموا البلد ووفى لهم بالشرط فرتّب فيها من رآهُ كافياً في حفظها والذبّ عنها وذلك في الثامن عشر من شهر ربيع الاوّل من السنة

وانكفأ نور الدين في عسكره الى ناحية الساحل الى صوب انطاكية لانجاد من بها وطلب نور الدين تسهّل الفرصة في قصدهم للايقاع بهم فاحجموا عن الاقدام على التقرّب منهُ وتشاغلوا عنهُ واقتضت الحال مهادنة من في انطاكية وموادعتهم وتقرير ان يكون ما قرُب من الاعمال الحلبية لهُ وما قرُب من انطاكية لهم . ورحل عنها الى جهة

غيرهم بحيث قد كان في هذه النوبة قد ملك ما حول انطاكية من الحصون والقلاع والمعاقل وغنم منها الغنائم الجمّة وفصل عنه الامير مجاهد الدين بُزان في العسكر الدمشقي وقد كان لهُ في هذه الوقعة ولمن في جملته البلاء المشهور والذكر المشكور لما هو موصوف بهِ من الشهامة والبسالة واصالة الرأي والمعرفة بمواقف الحروب ووصل الى دمشق سالمًا في نفسه وجملته في يوم الثلثاء رابع شهر ربيع الاخر من السنة . ومن لفظهِ وصفتِهِ هذا الشرحُ معتمدًا فيهِ على الاختصار دون الاكثار وفيهِ من تقوية اركان الدين واذلال ما بقي من الكفرة الملحدين ما هو مشهور بين العباد وسائر البلاد مشكورٌ مذكورٌ والله تعالى اسمهُ عليهِ المحمود المشكور

وقد مضى من ذكر معين الدين أُنر فيما كان انهضهُ من عسكره الى ناحية حلب لاعانة نور الدين صاحبها على ملاقاة الافرنج المجتمعين من انطاكية واعمالها للافساد في الاعمال الشامية وما منح الله تعالى ولهُ الحمد من الظفر بهم والنصر عليهم ما اغنى عن ذكر شيء منهُ . واتّفق ان معين الدين فصل عن عسكره بحوران ووصل الى دمشق في ايام من آخر شهر ربيع الاول سنة ٥٤٤ لامرٍ اوجب ذلك ودعا اليهِ وامعن في الاكل لعادةٍ جرت (166r) لهُ فلحقه عقيب ذلك انطلاقٌ تمادى بهِ وحمله اجتهاده فيما يدبّره على العود الى العسكر بناحية حوران وهو على هذه الصفة من الانطلاق وقد زاد بهِ وضعفت قوّته وتولّد معه المرض المعروف بجُوسنطِريا وعمله في الكبد وهو مخوف لا يكاد يسلم صاحبه منهُ وارجف بهِ وضعفت قوّته فاوجبت الحال عوده الى دمشق في محفّةٍ لمداواته فوصل في يوم السبت السابع من شهر ربيع الاخر من السنة فزاد بهِ المرض والارجاف بموته وسقطت قوّته وقضى نحبه في الليلة التي صبيحتها يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الاخر من السنة ودُفن في ايوان الدار الاتابكية التي كان يسكنها ثم نُقل بعد ذلك الى المدرسة التي عمّرها . ولمّا دُفن في قبره وفُرغ من امره اجتمع حسام الدين بُلاق وموءيد الدين الرئيس ومجاهد الدين بُزان واعيان الاجناد في مجلس مجير الدين بالقلعة واليه الامر والتقدّم وتقرّرت الحال بينهم على ما اتّفق من صلاح الحال

وفي مستهلّ جمادى الاولى من السنة توفّي ابو عبد الله البسطامي المقري المصلّي في مشهد زين العابدين رحمهُ الله . وورد الخبر من ناحية الموصل بوفاة الامير سيف الدين غازي بن عماد الدين اتابك رحمه الله بعلّةٍ قولنجيّةٍ دامت بهِ في اوائل جمادى الاولى

من السنة وانهُ قرّر الامر لاخيه مودود بن عماد الدين والنظر في امره للامير علي كوجك والوزارة لجمال الدين

وفي يوم الجمعة التاسع من رجب سنة ٥٤٤ قُرئ المنشور المنشأ عن مجير الدين بعد الصلاة على المنبر بابطال الفيئة المستخرجة من الرعيَّة وازالة حكمها وتعفير رسمها وابطال دار الضرب فكثر دعاء الناس لهُ وشكرهم

وحدث عقيب هذه الحال استيحاش مؤيّد الدين الرئيس من مجير الدين استيحاشاً اوجب جمع من امكنه من سفهاء الاحداث والغوغاء وحَمَلَة السلاح من الجهلة العوام وترتيبهم حول داره ودار اخيه زين الدولة حيدرة للاحتماء بهم من مكروهٍ يتمّ عليهما وذلك في يوم الاربعاء الثالث وعشرين من رجب ووقعت المراسلات من مجير الدين بما يسكّنهما ويُطيب قلوبهما فما وثقا بذلك وجدًّا في الجمع والاحتشاد من العوامّ وبعض الاجناد (166[٧]) واثارا الفتنة في ليلة الخميس تالي اليوم المذكور وقصدوا باب السجن وكسروا اغلاقه واطلقوا من فيهِ واستنفروا جماعة من اهل الشاغور وغيرهم وقصدوا الباب الشرقي وفعلوا مثل ذلك وحصلوا في جمع كثير وامتلأت بهم الازقّة والدروب فحين عرف مجير الدين واصحابه هذه الصورة اجتمعوا في القلعة بالسلاح الشاكّ فاخرج ما في خزائنه من السلاح والعُدَد وفُرّقت على العسكرية وعزموا على الزحف الى جمع الاوباش والايقاع بهم والنكاية فيهم. فسأل جماعةٌ من المقدّمين التمهُّل في هذا الامر وترك العجلة بحيث تُحقن الدماء وتسلم البلد من النهب والحريق وألحُّوا عليه الى ان اجاب سؤالهم ووقعت المراسلة والتلطُّف في اصلاح ذات البين فاشترط الرئيس واخوه شروطاً أُجيبا الى بعضها وأُعرض عن بعضٍ بحيث يكون ملازماً لداره ويكون ولده وولد اخيه في الخدمة في الديوان ولا يركب الى القلعة الّا مستدعىً اليها وتقرَّرت الحال على ذلك وسكنت الدهماء. ثم حدث بعد هذا التقرير عود الحال الى ما كانت عليهِ من العناد واثارة الفساد وجمع الجمع الكثير من الاجناد والمقدّمين والرعاع والفلّاحين واتّفقوا على الزحف الى القلعة وحَصْر من بها وطلب مَن عيّن عليهِ من الاعداء والاعيان في اواخر رجب ونشبت الحرب بين الفريقين وجُرح وقتل بينهم نفرٌ يسيرٌ وعاد كل فريق منهم الى مكانه

ووافق ذلك هروب السلّار زين الدين اسمعيل الشحنة واخيه الى ناحية بعلبك ولم تزل الفتنة ثائرة والمحاربة متَّصلة الى ان اقتضت الصورة ابعاد من التمس ابعاده من

خواصّ مجير الدين وسكنت الفتنــة وأُطلقت ايدي النهابة في دور السلار زين الدين واخيه واصحابهما وعمَّهما النهب والاخراب ودعت الصورة الى تطييب نفس الرئيس واخيه والخلع عليهما بعد أَيمان حُلف بها واعادة الرئيس الى الوزارة والرئاسة بحيث لا يكون لهُ في ذلك معترضٌ ولا مُشاركٌ

وورد الخبر بظهور الافرنج الى الاعمال للعيث فيهــا والافساد وشرعوا في التأَهُّب لدفع شرّهم · وورد الخبر من ناحية مصر بوفاة صاحبهــا الامام الحافظ بامر الله امير المؤمنين عبد المجيد بن الامير ابي القــاسم بن المستنصر بالله رحمه الله في الخامس (167r) من جمادى الاخرة سنة ٤٤ ووُلّي الامر من بعــده ولده الاصغر ابو منصور اسمعيل بن عبد المجيد الحافظ ولُقّب بالظــافر بالله ووَلي الوزارة امير الجيوش ابو الفتح ابن مصال المغربي فاحسن السيرة واجمل السياسة واستقامت بتدبيره الاعمال وصلحت الاحوال ثم حدث من بعــد ذلك من اضطراب الامور والخلف المكروه بين السودان والريحانية بحيث قتل بين الفريقين الخلق الكثير وسكنت الفتنة بعد ذلك وانتشر الامن بعــد الخوف · وقد كان الحافظ رحمه الله وَلي الامر اوَّلًا في المحرَّم سنة ٥٢٦ بحيث كانت مدَّة اقامته فيهِ ثماني عشرة سنة وخمسة اشهر وخمســة وعشرين يوماً وكان اوَّل زمانه حسن الافعال والسيرة وبثّ الاحسان في العسكرية والرعية

وقد كان الخبر اتَّصل بنور الدينْ بافساد الافرنج في الاعمال الحورانية بالنهب والسبي فعزم على التأَهُّب لقصدهم وكتب الى من في دمشق يعلمهم ما عزم عليــهِ من الجهاد ويستدعي منهم المعونة على ذلك بالف فارس تَصِلُ اليهِ مع مقدّم يُعوّل عليهِ وقد كانوا عاهدوا الافرنج ان يكونوا يدًا واحدةً على من يقصدهم من عساكر المسلمين فاحتُجَّ عليهِ وغولط ·فلمَّا عرف ذلك رحل ونزل برج يبوس وبعض العسكرية بيعفور فلمَّا قرب من دمشق وعرف من بها خبره ولم يعلموا اين مقصدهُ وقد كانوا ارسلوا الافرنج بخــبره وقرّوا معهم (١ الانجاد عليهِ وكانوا قد نهضوا الى ناحيــة عسقلان لعمارة غزَّة ووصلت اوائلهم الى بانيــاس · وعرف نور الدين خبرهم فلم يحفل بهم وقال : لا انحرف عن جهادهم · وهو مع ذلك كافٌّ ايدي اصحابه عن العيث والافساد في الضياع واحسان الرأي في الفلَّاحين والتخفيف والدعاء لهُ مع ذلك مُتواصلٌ من اهل دمشق واعمــالها وسائر البلاد واطرافها · وكان الغيث قد انحبس عن حوران والغوطة والمرج حتى ترح اكثر

١) وفي الاصل : معه

اهل حوران عنها للمحلّ واشتداد الامر وترويع سربهم وعدم شربهم. فلمّا وصل الى بعلبك اتّفق للقضاء المقدَّر والرحمة النازلة ان السماء ارسلت عزاليَها بكل وابل وطلّ وانسكابٍ وهطل بحيث اقام ذلك منذ يوم الثلثاء الثالث من ذي الحجة سنة ٤٤ الى مثله (167[v]) وزادت الأنهار وامتلأت بِرَكُ حوران ودارت ارحيتهــا وعاد ما صُوح من الزرع والنبات غصنًا طريًّا وضجّ الناس بالدعاء لنور الدين وقالوا: هذا ببركته وحسن معدلته وسيرته

ثم رحل من منزله بالاعوج ونزل على جسر الخشب المعروف بمنازل العاسر في يوم الثلثاء السادس والعشرين من ذي الحجّة سنة ٤٤ وراسل مجــير الدين والرئيس بما قال فيهِ: انني ما قصدتُ بنزولي هذا المنزل طالبًا لمحاربتكم ولا منازلتكم وانّما دعاني الى هذا الامر كثرة شكاية المسلمين من اهل حوران والعربان بان الفلّاحين الذين أُخذَت اموالهم وشُتّتت نساؤُهم واطفالهم بيد الافرنج وعدم الناصر لهم لا يَسَعْني مع ما اعطاني الله ولهُ الحمد من الاقتدار على نصرة المسلمين وجهاد المشركين وكثرة المال والرجال ولا يحلّ لي القعود عنهم والانتصار لهم مع معرفتي بعجزكم عن حفظ اعمالكم والذبّ عنها والتقصــير الذي دعاكم الى الاستصراخ بالافرنج على محاربتي وبذلكم لهم اموال الضعفاء والمساكين من الرعية ظلمًا لهم وتعديًا عليكم وهذا ما لا يرضي الله تعالى ولا احدًا من المسلمــين ولا بدّ من المعونة بالف فارس تزاح (١ العلّة تُجرَّد مع من توثق بشجاعته من المقدّمين لتخليص ثغر عسقلان وغيره

فكان الجواب عن هذه الرسالة : ليس بيننــا وبينك الّا السيف وسيوافينا من الافرنج ما يعينُنا على دفعك ان قصدتَنا ونزلتَ علينا. فلمّا عاد الرسول بهذا الجواب ووقف عليه اكثر التعجُّب منهُ والانكار لهُ وعزم على الزحف الى البلد ومحاربته في غد ذلك اليوم وهو يوم الاربعاء الخامس والعشرون من نيسان فارسل الله تعالى من الامطار وتدارُكها ودوامها ما منعهُ من ذلك وصرفه عنه

ودخلت سنة خمس واربعين وخمسمائة

اوّلها يوم الاثنين مستهلّ المحرَّم. وفيه تقرَّر الصلح بين نور الدين وارباب دمشق والسبب في ذلك ان نور الدين اشفق من سفــك دماء المسلمين ان اقام على حربها

١) وفي الاصل: براحي

والمضايقة لها مع ما اتّصل بهِ من اخبار دعتهُ الى ذلك واتّفق انهم (168r) بذلوا لهُ الطاعة واقامة الخطبة لهُ على منبر دمشق بعد الخليفة والسلطان والسكّة ووقعت الأَيمان على ذلك وخلع نور الدين على مجير الدين خلعةً كاملة بالطوق واعادهُ مكرّماً محترماً وخطب لهُ على منبر دمشق يوم الجمعة رابع عشر المحرَّم ثم استدعى الرئيس الى المخيّم وخلع عليه خلعة مكمَّلة ايضاً واعاده الى البلد وخرج اليهِ جماعة من الاجناد والخواصّ الى المخيّم واختلطوا بهِ فوصل من استماحه من الطلّاب والفقراء والضعفاء بحيث ما خاب قاصده ولا اكدى مَن سألهُ ورحل عن مخيّمه ليلة الاحد عائداً الى حلب بعد احكام ما قرّر وتكميل ما دبّر

وورد الخبر في الخامس من المحرَّم من ناحية حلب بان عسكرها من التركمان ظفر بابن جوسلين صاحب اعزاز واصحابه وحصوله في قبضة الاسر في قلعة حلب فسُرّ بهذا الفتح كافّة الناس . وورد الخبر بان الملك مسعود وصل في عسكره طالباً انطاكية ونزل على تلّ باشر وضايقها في ايام من المحرَّم

وفي ايام من المحرَّم وصل الى دمشق جماعة من حجّاج العراق وخراسان المأخوذون في طريق الحجّ عند عودهم لجماعةٍ من كفّار العربان وزُطهم واوباشهم تجمّعوا في عددٍ دثرٍ وحكوا مُصيبةً ما نزل مثلها باحدٍ في السنين الخالية ولا يكون اشنع منها وذُكر انهُ كان في هذا الحج من وجوه خُراسان وتُنّائها وفقهائها وعُلمائها وقُضاتها وخواتين امراء العسكر السلطانية والحُرم العدد الكثير والاموال الجمّة والامتعة الوافرة فأُخذ جميع ذلك وقُتل الاكثر وسَلِم الاقلّ الاتزر وهُتكت النساء وسلبوا وهلك من هلك بالجوع والعطش فضاقت الصدور لهذه النازلة الفادحة والرزيئة الحادثة فكسا العاري منهم واطلق لهم ما استعانوا بقدرِهِ على عودهم الى اوطانهم من اصحاب المُرُوَّة والمقدّمين بدمشق وذلك بتقدير الحكيم القدير

وقد كان نور الدين عقيب رحيله عن دمشق وحصول ابن جوسلين في قلعة حلب اسيراً توجّه في عسكره الى اعزاز بلد ابن جوسلين ونزل عليها وضايقها وواظب قتالها الى ان سهّل الله تعالى ملكتها بالامان وهي على غايةٍ من الحصانة والمنعة والرفعة فلمّا تسلّمها رتّب فيها من ثقاته من وثق بهِ ورحل (168v) عنها ظافراً مسروراً عائداً الى حلب في ايام من شهر ربيع الاوّل من السنة

وورد الخبر بعد المضايقة والمحاربة عن تل باشر في يوم الجمعة مستهلّ ربيع الاخر

برحيل الملك مسعود ووصل اكثر حُماتها لاسبابٍ اوجبت ذلك ودعت اليهِ وكان مجاهد الدين بُزان قد توجّه الى حصنهِ صرخد لتفقّد امواله وترتيب احواله واحوال ولده النائب عنه في حفظه وتقرير اموره وعرضت بعدهُ نفرةٌ بين مجير الدين والرئيس بسعايات اصحاب الاغراض والفساد واقتضت الحال استدعاء مجاهد الدين لاصلاح الحال فوصل وتمّ ذلك بوساطته على شرط ابعاد الحاجب يوسف حاجب مجير الدين عن البلد مع اصحابه وتوجّهوا ولم يعرض لشيء من اموالهم وقصد بعلبك فاكرمه عطاء واليها

وقد كانت الاخبار متناصرةً من ناحية مصر بالخلف المستمرّ بين وزيرها ابن مصال وبين الامير المظفّر بن سلّار وجميع العسكريّة ووقوع الحرب منهم وسفك الدماء الى ان اسفرت عن قتل ابن مصال الوزير وظفر ابن سلّار بهِ وغلبته على الامر وانتصابه في الوزارة وسعى في صلاح وترتيب الاجناد واطلاق واجباتهم وهدت النائرة وسكنت الفتنة الثائرة

وورد الخبر بوصول منكوبرس في جماعةٍ من الاتراك والتركمان الى ناحية حوران واجتماعه مع الامير سرخاك والي بُصرى على العيث والفساد في ضياع حوران وقيل ان ذلك باذن نور الدين وقصدوا عمل صرخد بالافساد والاخراب والمضايقة لها ورحلوا بعد ذلك الى غيرها للافساد ومنع الفلاحين من الزرع

وفي يوم الاثنين السابع عشر من رجب من السنة توفّي القاضي بهاء الدين عبد الملك بن الفقيه عبد الوهاب الحنبلي رحمه الله وكان اماماً فاضلًا مناظرًا مستقلاً مفتياً على مذهب الامامين احمد وابي حنيفة رحمهما الله بحكم ما كان (يجري) عليه عند اقامته بخراسان لطلب العلم والتقدّم وكان (فصيح) اللسان بالعربيّة والفارسيّة حسن الحديث في الجدّ والهزل وكان لهُ يوم دفنه في جوار ابيه وجدّه في مقابر الشهداء رحمهما الله مشهود بكثرة العالم والباكين حول سريره والمؤبّنين لهُ والمتأسّفين عليه (169r) وتوفّي ايضاً عقيب وفاته الشريف القاضي النقيب ابو الحسين فخر الدولة ابن القاضي بن ابي الجنّ رحمه الله في يوم الخميس العشرين من رجب من السنة ودُفن في مقابر فخر الدولة جدّه رحمه الله وتفجّع الناس لهُ لخيريّته وشرف نيّته

وفي رجب من السنة وردت الاخبار من ناحية نور الدين بظفره بعسكر الافرنج

النازلين بازائه قريباً من تلّ باشر وعظم النكاية فيهم والفتك بهم وامتلأت الايدي من غنائمهم وسبيهم واستيلائه على حصن خالد الذي كان مُضايقهُ ومنازلهُ

وفي العشر الاخير من رجب ورد الخبر من حوران بان الامير منكوبرس التقى في المعروف بالمودبه (كذا) الحاجي ورجاله من عسكر دمشق فهزمه وجرحه جرحاً تمكّن منه وحمل الى البلد فمات في الطريق ووصل وقُبر في مقابر الفراديس في يوم الاثنين السادس من شعبان من السنة

وفي يوم الاربعاء الرابع عشر من شهر رمضان ارسلت السماء عَزاليها بثلج لم يرَ في السنين الخالية مثله وتمادت بِهِ الايام بحيث عمّ كثيرًا من اقطار ارض حوران والبقاع والبرّية وقيل ان اقصاهُ من بلاد الشمال الى قلعة جعبر وجرت اودية حوران ودارت ارحيتُها وامتلأَت برَكُها وفاضت آبارُها واستبشر الناس بهذه النعمة العامّة وشكروا مُوليها والمنعِم بها وزادت انهار بَرَدَى والعيون عقيب ذلك زيادةً وافرة وسُرَّت النفوس وتتابع بعد ذلك غيث كانون الثاني روَّى الزراعات ومنابت العشب

وفي يوم السبت الثالث من ذي الحجة من السنة توفّي القاضي المكين ابو البركات محفوظ ابن القاضي ابي محمد الحسن بن مصري رحمه الله بعلّةٍ طالت بِهِ وهو في اواخر الثمانين وكان مشهورًا بالخير والعفاف وسلامة الطبع

وورد الخبر من ناحية مصر بالخلف المستمرّ بين وزيرها العادل بن سلّار واجنادها بحيث الدماء بينهم مسفوحة وابواب الشر والعناد مفتوحة

ودخلت سنة ست واربعين وخمسمائة

واولها يوم الجمعة مستهلّ المحرَّم . وفي يوم الاربعاء العاشر من المحرَّم من هذه السنة المباركة نزل اوائل عسكر نور الدين على ارض عذراء من عمل دمشق وما والاها (169[v]) وفي يوم الخميس تاليه قصد فريقٌ وافرٌ منهم ناحية السهم والنيرب وكمنوا عند الجبل لعسكر دمشق فلما خرج منها اليها اسرع النذير اليهم فحذرهم وقد ظهر الكمين فانهزموا الى البلد وخرج من اعقابهم وسلموا من الايقاع بهم وفي يوم الجمعة تاليه وصل نور الدين في عسكره ونزل على عيون فاسريا ما بين عذراء ودومة وامتدُّوا الى تلك الجهات وفي يوم السبت التالي لهُ رحلوا من ذلك المكان ونزلوا في اراضي حجيرا وراوية وتلك الجهات في الخلق الكثير والجمّ الغفير وانبثَّت ايدي المفسدين في عسكر الدمشقي

والاوباش من اهل العيث والافساد في زروع الناس فحصـــدوها واستأصلوها وفي الثمار فافنوها بلا مانع ولا دافع وضرّ ذلك باصحابها الضر الزائد وتحرّك السعر وانقطعت السابلة وضاقت الصدور ووقع التأهب والاستعداد لحفظ البلد والسور ووافت رُسُل نور الدين الى وُلاة امر البلد تقول: انا ما أُوثِرُ الّا صلاح المسلمين وجهـــاد المشركين وخلاص من في ايديهم من الاسارى فان ظهرتم معي في عسكر دمشق وتعاضدنا على الجهـــاد وجرى الامر على الوفاق والسداد فذلك غاية الايثار والمراد. فلم يعُد الجواب اليـــه بما يرضاه ويوافق مبتغاه (١

وفي يوم السبت الثالث والعشرين منهُ رحل نور الدين في عساكره عن ذلك المنزل بحيث نزل في ارض مسجد القدم وما والاه من الشرق والغرب ومبلغُ منتهى الخيم الى المسجد الجديد قبلي البلد وهذا منزلٌ ما نزلهُ احدٌ من مقـــدّمي العساكر فيما سلف من السنين وجرى بين اوائل العسكر وبين من ظهر اليه من البلد مناوشات ثم عاد كلٌّ الى مكانه ولم تزل الحال مستمرةً من العسكر النوري على اهمـــال الزحف الى البلد ومحاربة من فيه اشفاقًا من قتل النفوس واثخان الجراح في مقاتلة الجهتين بحيث اطلقت ايدي المفسدين من الفريقين في الفساد وحصد زراعات المرج والغوطة وضواحي البـــلد وخراب مساكن القُرى ونقل أنقاضها الى البلد والعسكر وزاد الاضرار باربابها من التُنَّاء والفلّاحين وتزايد طمع الرعاع والاوباش في التناهي في الفساد بلا رادعٍ لهم ولا مانعٍ منهم وعُدِم التبن لعلف الكُراع في جميع الجهات وارتفع السعر وعظُم (170^r) الخطب وصعب الامر والاخبار تتناصر باحتشاد الافرنج واجتماعهم للانجاد لاهل دمشق والاسعاد وقد ضاقت صدور اهل الدين والصلاح وزاد انكارهم لمثل هـــذه الاحوال المنكرة والاسباب المستبشعة ولم تزل الحال على هذه القضيَّة المكروهة والمناوشات في كل يوم متَّصلة من غير مزاحفة ولا محاربة الى يوم الخميس الثالث عشر من صفر من السنـــة

ثمَّ رحل العسكر النوري من هذه المنازل ونزل في اراضي فذايا وحلقبلتين والخامسين المصاقبة للبلد وما عرف في قديم الزمان مَن اقدم من الجيوش على الدُنو منهـــا ونشبت المطاردة في اليوم المذكور وكثر الجراح في خيـــالة البلد ورجالته وملك مواشي الفلّاحين

---

١) وقال سبط ابن الجوزي ان نور الدين ارسل الى مجـير الدين يقول: قد كنتُ اتّفقت معكم وحلفت لكم والآن قد صحّ عندي انكم ظاهرتم الافرنج و(ان) اطيتموني عساكركم لاجاهد في سبيل الله رجعتُ عنكم. فلم يردّ جوابًا

والضعفاء ودوابّ المتعلّقة من البلد وما يخصّ فلاحي الغوطة والمرج والضواحي. ثم رحل في يوم الخميس العشر من صفر عائدًا الى ناحية داريّا لتواصُل الارجاف بقرب عسكر الافرنج من البلد للانجاد ليكون قريبًا من معابرهم لقوّة العزائم على لقائهم والاستعداد لحربهم لان العسكر النوري قد صار في عَدَدٍ لا يحصى كثرةً وقوّةً وفي كل زيادةٍ بما يتواصل من الجهات وطوائف التركمان ونور الدين مع هذه الحال لا يأذن لاحدٍ من عسكره في التسرُّع الى قتال احدٍ من المسلمين من رجال البلد وعوامّه تحرُّجًا من اراقة الدم فيما لا يجدي نفعًا اذ كانوا يحملهم الجهل والغرور على التسرُّع والظهور ولا يعودون الّا خاسرين مفلولين. واقام على هذه الصورة ثم رحل الى ناحيـة الاعوج لقرب عسكر الافرنج وعزمهم الى قصـده. واقتضى رأيه الرحيل الى ناحية الزبداني استجرارًا لهم وفرق من عسكره فريقًا يناهز اربعة الف فارس مع جماعة من المقـدّمين ليكونوا في اعمال حوران مع العرب لقصد الافرنج ولقائهم وترقّبًا لوصولهم وخروج العسكر الدمشقي اليهم واجتماعهم ثم تقاطع عليهم

واتّفق ان عسكر الافرنج وصل عقيب رحيله الى الاعوج ونزل بهِ في اليوم الثالث من شهر ربيع الاوّل سنة ٤٦ ووصل منهم خلقٌ كثيرٌ الى البلد لقضاء حوائجهم وخرج مجير الدين ومؤيّده في خواصهما وجماعةٍ وافرةٍ من الرعيّة واجتمعا بملكهم وخواصه وما (170ᵛ) صادفوا عندهم شيئًا ممّا هجس في النفوس من كثرةٍ ولا قوّةٍ وتقرّر بينهم النزول بالعسكرين على حصن بُصرى لتملّكه واستغلال اعماله

ثم رحل عسكر الافرنج الى رأس الماء ولم يتهيّـأ خروج العسكر الدمشقي اليهم لعجزهم واختلافهم وقصد من كان بحوران من العسكر النوري ومن انضـاف اليهم من العرب في خلق كثير ناحيةَ الافرنج للايقاع بهم والنكاية فيهم والتجأ عسكر الافرنج الى لجاة حوران للاعتصام بها وانتهى الخبر الى نور الدين فرحل ونزل على عين الجرّ من البقاع عائدًا الى دمشق وطالبًا قصـد الافرنج والعسكر الدمشقي. وكان الافرنج حين اجتمعوا مع العسكر الدمشقي قد قصدوا بُصرى لمنازلتها ومضايقتها ومحاربتها فلم يتهيّأ ذلك لهم وظهر اليهم سرخاك واليها في رجاله وعادوا عنـه خاسرين وانكفأ عسكر الافرنج الى اعماله في العشر الاوسط من شهر ربيع الاوّل من السنة وراسلوا مجير الدين ومؤيّده يلتمسون باقي المقاطعة المبذولة لهم على ترحيـل نور الدين عن دمشق وقالوا: لولا نحن ندفعهُ ما رحل عنكم

وفي هذه الايام ورد الخبر بوصول الاصطول المصري الى ثغور الساحل في غايةٍ من القوّة وكثرة العُدّة والعِدّة وذُكر ان عدّة مراكبه سبعون مركبًا حربيــة مشحنةً بالرجال ولم يخرج مثله في السنين الخالية وقد أُنفق عليــه ما حُكي وقرب ثلثمائة الف دينار وقرُب من يافا من ثغور الافرنج فقتلوا واسروا واحرقوا ما ظفروا به واستــولوا على عدّة وافرة من مراكب الروم والافرنج ثم قصدوا ثغر عكّا وفعلوا فيه مثل ذلك وحصــل في ايديهم عدّة وافرة من المراكب الحربية الافرنجية وقتلوا من حجّاج وغيرهم خلقًا عظيمًا وانفذوا ما امكن الى ناحية مصر وقصدوا ثغر صيدا وبيروت وطرابلس وفعلوا فيها مثل ذلك. ووعد نور الدين بسيره الى ناحية الاسطول المذكور لاعانته على تدويخ الافرنجيّــة واتّفق اشتغاله بامر دمشق وعوده اليها لمضايقتها وحدّث نفسه بملكتها لعلمه بضعفها وميل الاجناد والرعية اليه واشارتهم لولايتــه وعدله وذُكر ان نور الدين امر بعرض عسكره وحصره فذُكر انهُ بلغ كمال ثلثين الف مقاتلة. ثم رحل ونزل بالدلهمية من عمل البقاع ثم رحل منها طالبًا نحو دمشق ونزل في (171ʳ) ارض كَوكَبا من غربي داريّا في يوم السبت الحادي والعشرين من ربيع الاوّل وغارت الخيــل على طريق حوران الى دمشق فاشتملت على الشيء الكثير من الجمال والغلّة والمواشي وغاروا على ناحية الغوطة والمرج واستاقوا ما صادفوا من المواشي ثم رحل عن هذا المنزل في يوم الاثنين ونزل من ارض داريّا الى جسر الخشب ونودي في البلد بخروج الاجناد والاحداث اليه فلم يظهر منهم الّا اليسير ممّن كان يخرج اولًا(١ وفي يوم الاربعــاء الرابع والعشرين من الشهر رحل من هذا المنزل ونزل في ارض القطيعة وما والاها ودنا منها بحيث قرُب من البلد ووقعت المناوشة بين الفريقين من غير زحفٍ ولا شدٍّ في محاربةٍ

وورد الخبر الى نور الدين بتسليم الامير نايبه الامير حسن (حسان) المنبجي مدينة تلّ باشر بالامان في يوم الخميس الخامس وعشرين من شهر ربيع الاول سنــة ٤٦ وضُربت في عسكره الطبول والكوسات والبوقات بالبشارة وورد مع المسير جماعة من اعيان تل باشر لتقرير الاحوال

واستمرّ رأي نور الدين على الزحف الى البلد ومحاربة اهله وعسكريّته تحرّجًا من قتل المسلمين وقال: لا حاجة الى قتل المسلمين بايدي بعضهم بعضًا وانا أُرفّههم

١) وقال سبط ابن الجوزي: هذا لما وقر في نفوسهم من استنجاد مجير الدين وابن الصوفي بالفرنج

ليكون بذل نفوسهم في مجاهدة المشركين. وحدثت مع هذه النيّة تردُّد المراسلات في عقد الصلح في ايامٍ من شهر ربيع الاخر على شروط اشير اليها واقتراحاتٍ عيّن عليها وتردّد فيها الفقيه برهان الدين علي البلخي والامير اسد الدين شيركوه واخوه نجم الدين ايوب (١ وتقارب الامر في ذلك وتردّدت المراسلات الى ان استقرّت الحال على قبول الشروط المقترحة ووقعت الأَيمان من الجهتين على ذلك والرضا بهِ في يوم الخميس العاشر من شهر ربيع الاخر من السنة

ورحل نور الدين في عسكره في يوم الجمعة عد اليوم المذكور طالبًا ناحية بُصرى للنزول عليها والمضايقة لها والتمس من دمشق ما تدعو اليه الحاجة من آلات الحرب والمناجيق لان سرخاك الوالي المذكور كان بها كان شاع عصيانه وخلافه ومال الى الافرنج واعتضدهم فانكر نور الدين ذلك عليه وانهض فريقًا وافرًا من عسكره اليه

وورد الخبر من ناحية قلعة جعبر في يوم السبت الثالث عشر من (171[٢]) شهر ربيع الاخر بان صاحبها الامير عزّ الدين علي بن مالك بن سالم بن مالك خرج في اصحابه الى عسكر الرَّقة وقد غار على اطراف اعماله لتخليص ما استاقوا منهُ فالتقى الفريقان وسبق اليه سهم من كمين ظهر عليهم وعاد بهِ اصحابه الى قلعة جعبر وجلس ولده مالك بن علي في منصبه واجتمع عليه جماعة أُسرتهِ واستقام لهُ الامر من بعده

ووردت الاخبار في سنة ٤٦ من ناحية مصر بان اهل دمياط حدث فيهم فناء عظيم ما عُهد مثله في قديم ولا حديث بحيث أُحصِيَ المفقود منهم في سنة ٥٤٥ سبعة الف شخص وفي سنة ٤٦ مثلهم سبعة الف بحيث يكون الجميع اربعة عشر الفًا وخلَت دُور كثيرة من اهلها وبقيت مُغلقةً ولا ساكن فيهم ولا طالب لهم

وفي يوم السبت الثاني من جمادى الاخرة سنة ٤٦ توفّي القاضي السديد الخطيب

---

١) قال الفارقي في تاريخه : ان في سنة ٥٥٠ وثب قسوس بمدينة آنة واخذوها من الامير فخر الدين شدّاد (بن) منوجهر وسُلّمت الى اخيهِ الامير فضلون. وخرج الامير شداد من تلك البلاد وطلب الشام وقصد اسد الدين شيركوه وكان ابوه شاذي من اتباع هذا البيت وهو بيت قديم في هذا الطرف ويعرف ببيت ابن ابي الاساور بن منوجهر وكان بهم جميع ولاية اران من جنزى ودرز وجميع البلاد التي حولهم

ابو الحسين (١ . . . . . . بن ابي الحديد خطيب دمشق رحمه الله وكان خطيباً سديداً مبلغاً متصوّناً عفيفاً ولم يكن له من يقوم مقامه في منصبه سوى ابى الحسن الفضل ولد ولده حدث السنّ فنُصب مكانه وخطب وصلّى بالناس واستمرّ الامر له ومضى فيه

ووردت الحكايات بحدوث زلزلة وافت في الليلة الثالثة عشر من جمادى الاخرة سنة ٤٦ اهتزّت الارض لها ثلاث رجفات في اعمال بُصرى وحوران وسكنَت وما والاها من سائر الجهات وهدمت عدّةً وافرةً من حيطان المنازل بُصرى وغيرها ثم سكنت بقدرة من حرّكها وسكّنها سُبحانهُ وتعالى انهُ على كل شيءٍ قدير

وفي يوم الخميس الثاني عشر من رجب سنة ٤٦ توجّه مجير الدين صاحب دمشق الى حلب في خواصّه ووصل اليها ودخل على نور الدين صاحبها واكرمه وبالغ في الفعل الجميل في حقه وقرّر معه تقريرات اقترحها عليه بعد ان بذل له الطاعة وحُسن النيابة عنه في دمشق وانكفأ عنه مسروراً بما قصده في حقّه من الاكرام وحسن الاحترام ووصل الى دمشق في يوم الثلثاء السادس من شعبان من السنة

وفي آخر شعبان ورد الخبر من ناحية بانياس بان فريقاً وافراً (172r) من التركمان غاروا على ظاهرها وخرج اليهم واليها من الافرنج في اصحابه ووافقهم فظهر التركمان عليهم وقتلوا منهم واسروا ولم يفلت منهم غير الوالي ونفرٌ يسيرٌ واتّصل الخبر بمن في دمشق فانكر مثل هذا الفعل بحكم انعقاد الهدنة والموادعة وانهض اليهم من العسكر الدمشقي من صادف بعض التركمان متخلّفاً عن رُفقتهم فخصلوا منهم ما كان في ايديهم وعادوا ثلثة نفرٍ منهم

وفي ايام من اوائل رمضان من السنة ورد الخبر بان اكثر عسكر الافرنج قصدوا ناحية البقاع على غرّة من اهلها وغاروا على عدّة وافرة من الضياع فاستباحوا ما بها من رجال ونسوان وشيوخ واطفال واستاقوا عواملهم ومواشيهم ودوابّهم واتّصل الخبر بوالي بعلبك فانهض اليهم رجاله واجتمع اليهم خلقٌ كثيرٌ من رجال البقاع واسرعوا نحوهم القصد ولحقوهم وقد ارسل الله تعالى عليهم من الثلوج المتداركة ما ثبّطهم

١) سمّاه سبط ابن الجوزي «عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ابا الحسين بن ابي القاسم بن ابي حديد» وحكي أنهم كانوا ببيت ابي الحديد يتوارثون نعل النبي صلعم وانهم كانوا قد انقرضوا فلم يبقَ منهم احد

وحيّرهم فقتـلوا من رجالتهم الأكثر واستخلصوا من الاسرى والمواشي ما سلم من الهلاك بالثلج وهو الاقلّ وعادوا على اقبح صفةٍ من الخذلان وسوء الحال بحمـد الله ونصره للمسلمين

وفي يوم السبت الثاني والعشرين من شوال من السنة وهو اليوم الثالث من شباط وافت قبيل الظهر زلزلة اهتزّت لها الارض ثلاث هزّات هائلة وتحرّكت الدور والجدران ثم سكنت بقدرة الله تعالى ذكره

ودخلت سنة سبع واربعين وخمسمائة

اوّلها يوم الثلثاء مستهلّ المحرَّم . وفي المحرَّم منها ورد الخبر من ناحيـة نور الدين بنزوله على حصن انطرطوس في عسكره وافتتاحه لهُ وقُتل من كان فيه من الافرنج وطلب الباقون الامان على النفوس فأُجيبوا الى ذلك ورتّب فيه الحفظة وعادوا عنـهُ وملك عدّة من الحصون بالسيف والسبي والاخراب والحرق والامان

ووردت الاخبار من ناحية عسقلان في يوم الخميس العاشر من المحرَّم بظفر رجال عسقلان بالافرنج المجاورين لهم بغزّة بحيث هلك منهم العدد الكثير وانهزم الباقون . وفي ليلة الثلثاء الثـاني والعشرين من المحرَّم من اواخر نيسان ارسـل الله تعالى غيثًا (172v) هطّالًا مجلّلًا بالرعود والبروق المتتابعة ما زادت معه مياه بَرَدَى زيادةً وافرةً وتصندل لون مائها بتسايل الاودية والجبال وانتفعت بهِ زراعات السقي والبعول نفعًا ظاهرًا

وفي النصف من شهر ايار من صفر سنة ٤٧ كان من زمجرة الرعود وتتابُع البروق والامطار في عدّة جهات ما زادت بهِ الانهار وسالت معهُ شِعاب الجبال والاودية . وفي وقت العصر من يوم الاحد الثاني والعشرين من ايار والعشرين من صفر من السنـة نشأَت غمامة برعود مجلجلة هائلة متتـابعة لا تقرُّ مُزعجة ثم انهلّت بوابل هطّال جودٍ بالمطر الى اخر النهار ثم اقبلت بَرَدَى بالليل بالسيل الزائد المتغيّر اللون بماء الجبال المختلف بحيث افعمت الانهار والسواقي والمجاري واحمرّت اماكنها وصادفت طرحات الزرع والكُدّاسة فغيّرت الشعير وصفّرتهُ وسكنت بقدرة الله وُنفع من نشأَتهـا ثم حضر من شاهد هذا العارض وحكى انه كان من البَرَد الكبار ما حدَّثهُ بحيث افسد من المواشي الكثير وهدم بعض دور الغوطة وصار الماء في الحقول راكدًا وسائحًا بالانهار المغـدقة وحكى الحاكي ان هذا لم يُرَ مثله في الازمان

وفي اواخر صفر سنة ٤٧ توجّه مجير الدين في العسكر ومعهُ موّيد الدين الوزير الى ناحية حصن بُصرى ونزل عليه محاصرًا اسرخاك واليه ومضايقًا لاهليه لمخالفته لاوامره ونواهيه وجوره على اهل الضياع الحورانية واعتدائه عليهم والزامهم ما لا طاقة لهم بهِ واستدعى المنجنيقات وآلة الحرب لمنازلتها . واتّفق لمجير الدين المصير الى صرخد لمشاهدتهِ واستأذن مجاهد الدين واليه في ذلك فقال لهُ : هذا المكان بحكمك وانا فيهِ من قبلك . وانفـذ الى ولده سيف الدين محمد النائب فيه باعتداد ما يحتاج اليهِ وتلقّى مجير الدين بما يجب لهُ فخرج اليه في بعض اصحابه ومعه المفاتيـح فوفاه ما يجب لهُ من الاعظام واجلى الحصن من الرجال ودخل اليهِ في خواصه . فسُرّ بذلك وتعجّب من فعل مجاهد الدين وشكره على ذلك وقدم اليه ما اعدّه من القَوْد والتحف وعاد عنه شاكرًا الى مخيّمه على بُصرى وحاربها عدّة ايام الى ان استقرّ (173r) الصلح والدخول فيما اراد وعاد الى البلد . وفي اوائل شعبان من السنة وردت الاخبار بوفاة السلطان غياث الدنيا والدين مسعود ابن السلطان محمد

وفي العشر الاول من شوال من السنة الموافق للعشر الاوّل من تشرين الثـاني تغيّرَ الماء والهواء في دمشق وعرض لاهلها الحُمّى والسُعال بحيث عمّ الخاصّ والعـامّ والشيوخ والشباب والاطفال بحيث وقع الزحام على حوانيت العطّارين لتحصيل المغلي . وحكى الحاكي ان بعض العطارين احصى ما باعه في يوم فكان ثلاثمائة وثمانين صفةً والسالم منهُ والمعافى الاكثر وما يُقيم هذا المرض بالانسان اكثر من الاسبوع ودونهُ ويمضي مَن قضى اجله وضعف امر المغسّلين والحفّارين واحتيـج اليهم لكثرة الموتى

وفي يوم السبت الرابع وعشرين من شوال من السنة توفّي الامير سعد الدولة ابو عبد الله محمد بن المحسن بن الملحي رحمه الله ودُفن في مقابر الكهف وكان فيه ادبٌ وافرٌ وكتابةٌ حسنةٌ ونظمٌ جيّدٌ وتقدّم والده في حلب في التدبير والسياسة وعرض الاجناد

ودخلت سنة ثمان واربعين وخمسمائة

اوّلها يوم الاحد والشمس في برج الحمل والطالع الجَدْيُ . وفي سادس وعشرين من المحرَّم منها ورد الخبر من ناحية مصر بان العادل المعروف بابن سـلّار الذي كانت رتبتهُ قد علت ومنزلتهُ في الوزارة قد تمكّنت ونفذ امره في البسط والقبض وحُكمه في الابرام والنقض وانهُ كان قد جلس لِلانفـاق في رجال الاسطول ليجهّزه في البحر الى ناحية عسقلان بالميرة لتقوية من بها على النازلين عليها من الافرنج والمضايقين لها وهو في

الجمع الكثير والجمّ الغفير بالمال والرجال والغلال واشراف اهلهـا على الخطر وانهُ نهض من المجلس على العادة للراحة من النصب والهجعة عقيب التعب وكان لزوجتـه ولدٌ يُعرَف بالامير عبّاس قد قدّمه واعتمد عليهِ في الاعمال ولعباس هذا ولد قدّمهُ الوزير وانعم عليه واذن لهُ في الدخول بغير اذن اليه فدخل عليـه وهو نائم في فرشته على (173^v) العادة فاخذ سيفه وضربه بهِ فقطع رأسـه وخرج بهِ بين اثوابه ولم يشعر احد واتى بهِ الى باب القصر في يوم الاحد الثاني عشر من المحرَّم وقال لخـدم الامام الظافر بالله: هذا رأس المنافق. فقيل لهُ: ما كان منافقًا. وكان جماعة من الاتراك قد اصطنعهم الوزير المقتول لنفسه فتجمّعوا في زُهاء ثلثمائة فارس وانهم طُلبوا ليقتلوا فحموا نفوسهم بالسهام وحصلوا بظاهر القاهرة وصادفهم عباس عائدًا من بلبيس حين وافاه الخبر فوعدهم الجميل واقرارهم على واجباتهم فلم يثقوا بهِ وتفرّقوا على اقبح حال ووصـلوا الى دمشق في اواخر المحرَّم وقيل ان عبّاسًا المذكور حصل في منصب العادل المذكور واستقام لهُ الامر وتمكّن في الاعمال وقيل ان العادل كان قد قتل من الحجريّة والريحانيّـة واصناف الاجناد حتى استقام لهُ الامر وتمكن في الاعمال

وتواصلت الاخبار من ناحية نور الدين سلطان حلب والشـام بقوّة عزمه على جمع العساكر والتركمان من سائر الاعمال والبلدان للغزو في احزاب الشرك والطغيان وبنصرة اهل عسقلان على النازلين عليها من الافرنج وقد ضايقوها بالزحف اليها بالبرج المخذول وهو في الجمع الكثير والله يحرسها من شرهم واقتضت الحال توجّه مجير الدين صاحب دمشق الى نور الدين في جمهور عسكره للتعاضد على الجهاد في يوم السبت الثالث عشر من المحرَّم واجتمع معه في ناحية الشمال واتّفق بينهما وجماعة المقدّمين من امراء الاعمال والتركمان وهم في العدد الدثر. وقد ملك نور الدين الحصن المعروف بافلس بالسيف بامر قضاه الله وسهّله ويسّره وعجّله وهو في غاية المنعة والحصانة وقتـل من كان فيهِ من الافرنج والارمن وحصل للعسكر من المال والسبي الشيء الكثير

ونهضوا طالبين ثغر بانياس ونزلوا عليه في يوم السبت تاسع وعشرين صفر وقد خلا من حُماته وتسهّلت اسباب ملكته وقد تواصلت استغاثة اهل عسقلان واستنصارهم بنور الدين فقضى الله تعالى بالخلف بينهم والقتل وهم في تقدير عشرة الف فارس وراجل فاجفلوا عنهـا من غير طارق من الافرنج طرقهم ولا عسكر (174^r) منهم ارهقهم ونزلوا على المنزل المعروف بالاعوج وعزموا على معادة النزول على بانيـاس واخذها ثم

احجموا عن ذلك من غير سببٍ ولا موجبٍ وتفرّقوا. وعاد مجـير الدين الى دمشق ودخلها سالمًا في نفسه وجملته في يوم الاثنين الحادي عشر من شهر ربيـع الاول من السنة وعاد نور الدين الى حمص ونزل بها في عسكره

ووردت الاخبار بوصول اسطول مصر الى عسقـلان وقويت نفوس من بها بالمال والرجال والغلال وظفروا بعُدّة وافرة من مراكب الافرنج في البحر وهم على حالهم في محاصرتها ومضايقتها والزحف بالبرج اليها

قد تقـدّم من شرح الحال للرئيس في تمـكّنه من منصب الوزارة بنفيه من نفاه من المعاندين لهُ بحيث طابت نفسه وتوكّد انسه فعرض بينـه وبين اخويه عز الدولة وزينها مشاحنات ومشاجرات اقتضت المساعدة الى مجـير الدين في جمادى الاولى من السنة وانفذ مجير الدين الى الرئيس يستدعيه للاصلاح بينهم في القلعة فامتنع من ذلك وجلس في داره وهمّ بالتحصّن عنه باحداث البلد والغوغاء. وآلت الحال الى تمكّن زين الدين منهُ بمعاونة مجير الدين عليهِ لاسبابٍ تقدّمت وتقرّر بينهما اخراج الرئيس من البلد وجماعته الى حصن صرخد مع مجاهد الدين بزان واليهِ في يوم الثلثاء التاسع عشر من جمادى الاولى بعد ان قرّر له بقاء داره وبستانه وما يخصه ويخصّ اصحابه وتقلّد اخوهُ زين الدين لهُ مكانه وخلع عليهِ وامر ونهى ونفذ الاشغال على عادته في العجز والتقصير وسوء الافعال والتماس الرشاء على اقلّ الاعمال. ورأى مجير الدين عقيب ذلك التوجّه الى بعلبك لتطييب نفس واليها عطاء الخادم واستصحابه معـه الى دمشق لينوب عنهُ في تدبير الامور والاعمال والمعونة على مصالح الاحوال وعاد وهو معه واستشعر مجاهد الدين ان نيّة مجير الدين قد تغيّرت فيهِ فاستوحش من عوده الى البلد عن غير يمين يحلف لهُ بها على أيمانه على نفسه فوعد بالاجابة الى ما رغب فيهِ وبقي الامر موقوفًا لاسبابٍ اقتضت التوقّف

ووردت الاخبار في اثناء ذلك بان الافرنج النازلين على عسقـلان قد (174^v) ضايقوها بمغاداة القتال ومراوحته الى ان تسهّلت لهم اسباب الهجوم عليهـا من بعض جوانب سورها فهدموهُ وهجموا البلد وقتل بين الفريقين الخلق الكثير والجأت الضرورة والغلبة الى طلب الامان فأُجيبوا اليهِ وخرج منها من امكنهُ الخروج في البرّ والبحر الى ناحية مصر وغيرها. وقيل ان في هذا الثغر المفتتح من العُدَد الحربيّة والاموال والمـيرة

والغـلال ما لا يحصر فيذكر(١ . ولمّا شاع هذا الخبر في الاقطار ساء سماعه وضاقت الصدور وتضاعفت الافكار بحدوث مثله فسُبحان من لا يُردّ نافذ قضـائه ولا يدفع مختوم امره عند نفوذه ومضائه

وورد الخبر من ناحية حلب بوفاة الاديب ابي الحُسين احمد بن مُنير الشاعر في ايام من جمادى الاخرة سنة ٥٤٨ بعلّة هجمت عليهِ ربا فيها لسانه بحيث قضي نحبـه وكان اديباً شاعرًا عارفًا بفنون اللغة واوزان العروض لكنهُ مرهوب اللسان خبيث الهجاء مُجيد فيهِ لا يكاد يسلم من مقاطيع هجائه منعمٌ عليهِ ولا مُسيءٌ اليهِ وكان طبعه في الذم اخفّ منهُ في المدح وكان يصل بهجائهِ لا بمدحهِ وثنائهِ

ووصل الى دمشق الاديب ابو عبد الله محمد بن (نصر ويقال لهُ ابن) صغـير القيسراني الشاعر من حلب يوم الاحد الثاني عشر من شعبـان سنة ٥٤٨ باستدعاء مجير الدين لهُ وحضر مجلسه وانشدهُ قصيدةً حبّرها يائيّة مقيّدة حسنة المعاني والمقـاصد فاستحسنها السامعون واستجادها وشفعها بغيرها ووصله احسن صلةٍ واتّفق عوده الى منزله فعرضت لهُ حمّى حادّة وجاء معها اسهال مُفرط قضى نحبه في يوم الاربعاء الثاني والعشرين من شعبان من السنة وكان اديباً شاعرًا مترسّلًا فاضلًا بليغ النظم مليـح المعاني كثير التطبيق والتجنيس ولهُ يدٌ قويةٌ في علم النجوم والاحكام والهيئة وحفظ الاخبار والتواريخ وكان بينهُ وبين ابي الحسين احمد بن منير على قديم الزمان مشاحنات حُرص معها على الاصلاح بينهما فما تهيّأَ ذلك لمن رامه وكان بينهما هذه المدّة اليسيرة(٢

---

١) وقال الفارقي في تاريخه : ان الخليفة الظافر لمّا علم ان الافرنج تُنازل عسقلان كان نقل رأس الحُسين بن عليّ عليهما السلام الى مصر وبَنَى عليـهِ بمصر مشهدًا وغرم عليه مالًا عظيماً لا يحصى . وقال سبط ابن الجوزي : بلغني ان سبب تسليم عسقلان الى الافرنج ان اهلهـا في ضيقة عظيمة يرتقبون في كل يوم الاسطول والنجدة تأتيهم من مصر فبينما هم في آخر نفَس اذا بمركب صغير من مصر قد اقبل فاستبشروا وظنُّوا انهُ مقدّم التقوية واذا فيهِ رجل معهُ كتاب من الفائز بامر الله صاحب مصر الى والي عسقلان يقول فيهِ : ساعة وقوفك على هذا الكتاب تنفذ لنا مقصبة عسقلان فانهُ قصبٌ غليظٌ فجعلها شبابات للجواري . فقال للرسول : نعم الى غداة غدٍ . ثم خرج في الليل الى الافرنج واخذ منهم امانًا لاهـل البلد فلما طلع الفجر فتح الابواب ودخل الافرنج البلد فاحضر الرجل الذي جاء بالكتاب فقال : هذا هو الجواب . وفي حاشية : دونك خساسة عقل هذا الامير

٢) وفي كتاب العبر للحافظ الذهبي : ان القيسراني تولى اذان الساعات التي بدمشق مدّة ثم سكن حلب

وكان قد ورد من بغداد الى دمشق في اوائل سنة ٥٤٨ الشيـــخ الامام الفيلسوف ابو الفتوح بن الصالح وكان غايةً في الذكاء وصفاء الحسن والنفاذ في العلوم الرياضيّـــة (175r) الطبّ والهندســـة والمنطق والحساب وفنون النجوم والاحكام والمواليد والفقه وما يتّصل بهِ وتواريخ الاخبار والسير والاداب بحيث وقع الاجماع عليهِ بانهُ لم يُرَ مثله في جميع العلوم وحسن الخلق وتراهة النفس بحيث لا يقبل من احدٍ من الولاة صلة قلّت او كثرت واتّفق للحَيْن المقضي انهُ عرض لهُ مرضٌ حادٌّ ومعهُ اسهـــالٌ مُفرطٌ اضعف قوّته اقام بهِ اياماً وتوفّي الى رحمـــة الله في دمشق يوم الاحد السادس والعشرين من شعبان من السنة وقيل انهُ من بيتٍ كبيرٍ في العلم والاصل. ونظم فيهِ هـــذه الابيات بصفة حاله في هذا الموضع ليُعرف محلّه :

سررتَ ابا الفتوح نفوسَ قومٍ رأوك وحيد فضلك في الزمانِ
حويتَ علوم اهل الارض طرًّا وبيّنتَ الجـلـيَّ من البيـانِ
دُعيتَ الفيلسوف وذاك حقٌّ بما اوضحتَ من غُرر المعـاني
ووافاك القضـاء ببعـد دارٍ غريباً ما لهُ في الفضـل ثانِ
فأودَعْتَ القلوب عليك حزناً يعَضُ عليـهِ اطراف البنانِ
لئن بخـل الزمانُ عليَّ ظلماً بأني لا اراك ولن تراني
فقد قامت صفاتُكَ عند شـلِي مقام السمع مني والعيـانِ
سقى جدثاً بهِ اصبحت فرداً ملاك الغيث همي غير وانِ

وفي ايام من تشرين الثاني الموافق لايام من شعبان سنة ٤٨ ارسل الله تعـــالى ولهُ الحمد والشكر من الغيث المتـــدارك الهطّال ما احيا به الارض بعد القحط والجدب واجرى اودية حوران وافعم بركها بعد جفافها وقيل ان هذا الغيث لم يُرَ مثلهُ في هـــذا الوقت في السنين الماضية وانهُ افرط في اعمال طبرية بحيث حدث منهُ سيلٌ جارفٌ هدم عدّة من مساكنها ورماها الى البحيرة فسبحان محيي عباده ومغيث بلاده

وفي يوم الخميس انسلاخ شعبان من السنة توفّي الشيخ الامام الفقيه بُرهان الدين ابو الحسن علي البلخي رئيس الحنفيّة رحمهُ الله ودُفن في مقابر باب الصغير المجاور لقبور الشهداء رضي الله عنهم وكان من التفقّه على مذهب الامام ابي حنيفة (175v) رحمهُ الله ما هو مشهورٌ شائع مع الورع والدين والعفاف والتصوُّن وحفظ ناموس الدين والعلم والتواضع والتردّد الى الناس على طريقةٍ مرضيّةٍ وسجيّةٍ محمودةٍ لم يشاركهُ فيها غيره ووقع الاسف عليهِ من جميع الخاصّ والعام والتأبين لهُ والحزن عليهِ (١

١) قال الحافظ ابن عساكر: ان البلخي عاد الى دمشق في اوّل مملكة نور الدين بعد خروج

قد مضى من ذكر الرئيس المسيّب في حصوله بصرخد وتقرّر بعد ذلك تطييب نفس مجاهد الدين والحلف له على ازالة ما خامرهُ من الاستيحاش والنفار ما سكن اليهِ واعتمد عليهِ وعاد الى داره بدمشق اواخر شعبان وصام رمضان فيها ثم هجس في خاطره من مجير الدين وخواصّه ما اوحشه منهم ودعاه ذلك الى الخروج من البلد سرًّا في يوم الثلثاء الثاني عشر من شوال طالبًا صرخد لحين عُرف خبره نهض في طلبه وقصّ اثره جماعة من الخيل فادركوهُ وقد قرب من صرخد فقبض عليهِ واعيد الى القلعة بدمشق واعتقل بها اعتقالًا جميلًا

وحدث في هذه الايام من تتابع الامطار في الاماكن والثلوج في الجبال والاعمال البقاعية ما لم يُرَ مثلهُ ثم ذاب الثلج وسالت بمائهِ الاودية والشعاب وساح على الارض كالسيل الجارف وامتلأت بهِ الانهار والتقت الشطط وافسد ما مرَّ بهِ من الاراضي المنخفضة ووصل المدّ الى بَرَدى وما قرُبَ منها ورأى من كثرته وعظمه وتغيّر لونه ما كثر التعجّب منهُ والاستعظام له فسبحان مالك الملك منزل الغيث من بعد القنوط انهُ على كلّ شيءٍ قدير

ثم تجدّد عقيب ذلك من الرئيس الوزير حيدرة المقدّم ذكره اشياء ظهرت عنهُ مع ما في نفس الملك مجير الدين منهُ ومن اخيهِ المسيّب والمعرفة بالسعي والفساد ما اقتضت الحال استدعاءهُ الى القلعة على حين غفلة منهُ وعن القضاء النازل بهِ لسوء افعاله وقبح ظلمه وخبثه ثم عدلت بهِ الجندارّية الى الحمام بالقلعة في يوم الاحد مستهلّ ذي القعدة من السنة وضُربت عنقهُ صبرًا واخرج رأسه ونصب على حافّة الخندق ثم طيف بهِ والناس يلعنونهُ ويَصفون انواع ظلمه وتفنّنه في الأدعيَة والفساد ومقاسمة اللصوص وقطّاع

اقي منها وتوفّي في هذه السنة . وقال سبط ابن الجوزي : ان فيهِ نظرًا لان نور الدين انما ملك دمشق في سنة ٥٤٩ وقد حكى لي جماعة من مشايخ دمشق في سنة ٦٥٠ عن ابائهم انهم يذكروا حضور نور الدين مجلس البلخي بدمشق في الجامع وما كان يخاطبه الا محمود وكان القطب النيسابوري بدمشق فسأل نور الدين ان يحضر مجلسه فحضر فشرع يخاطبهُ « محمود » فشقّ على نور الدين وقال للحاجب : اصعد اليهِ وقُل لهُ « لا تخاطبني باسمي . فلماً افرغ المجلس سألهُ الحاجب من ذلك فقال لي : انَّ البلخي اذا قال لي « محمود » قامت كل شعرة في جسدي هيبةً لهُ ويرقّ قلبي . وقال المؤرّخ ايضاً : يحتمل ان تكون هذه الواقعة بحلب » وفي كتاب العبر للحافظ الذهبي انهُ درس بالصادرية جوار جامع دمشق ثم جعلت لهُ دار الامير طرخان جوارها من داخل مدرسةً فنسبت اليهِ وقام عليهِ الحنابلة لانهُ تكلّم فيهم وهو الذي قام في إبطال « حيّ على خير العمل » من حلب

الطريق على اموال الناس المستباحة بتقريره وحمايته وكثر السرور بصرعه وابتهج بالراحة منهُ ثم رجعت العامَّة والغوغاء ومن كان من اعوانه على الفساد من اهل العيث والافساد الى منازلة خزائنه ومخازن غلّته واثاثه وذخائره فانتهبوا منها ما لايحصى وغلبوا اعوان السلطان وجنده عليها بالكثرة ولم يحصل للسلطان من ذلك الّا النزر (176ª) اليسير ورد امر الرئاسة والنظر في البلد في اليوم المقدّم ذكره الى الرئيس رضي الدين ابي غالب عبد المنعم بن محمد بن اسـد بن علي التميمي وطاف في البلد مع اقاربه وسكن اهلهُ وسكنت الدهماء ولم يغلق في البلد حانوتٌ ولا اضطرب احدٌ واستبشر الناس قاطبةً من الخاصّ والعامّ والعسـكريّة وعامَّة الرعية وبولغ في اخراب منازل الظالم ونقل اخشابها وهذه عادة الباري تعالى في الظالمين والفسَقَة المفسدين وَكَذٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ(١

وفي ذي القعدة سنة ٤٨ وردت الاخبار من ناحية بغداد بورود الاخبار اليهـا من ناحية الشرق باضطراب الاحوال في الاعمال الخراسانية وانفلال عسكر السلطان سنجر والاستيلاء عليهِ والقهر والاستظهار وحصره في دار مملكته بلخ والتضييق عليهِ واستدعاء ما في خزائنه من الاموال والآلات والذخائر والامتعـة والجواهر بخلق عظيم من الغزّ والتركمان تجمّعوا من اماكنهم ومعاقلهم وحللهم في الاعـداد الدثرة والتناهي في الاحتشاد والكثرة ولم يكن للسلطان سنجر مع كثرة عساكره واجناده طاقة ولا لدفعهِ عنهُ قوَّة فقهروه وغلبوهُ وحصروه وقيل ان نيسابور(٢ وتلك الاعمال حدث فيها من الفساد والخُلف والقتل والنهب والسلب ما ترتاع النفوس باستماع مثله وتفرق من قبح فعله ونُهبت بلخ بالمذكورين المقدَّم ذكرهم اشنع نهب وابشع سلب فسبحان مدبر بلاده وعباده كما يشاء انهُ على كل شيء قدير

وفي الشهر المذكور حدث بمدينة دمشق ارتفاع السعر لعدم الواصلين اليها بالغلّات من بلاد الشمال على جاري العادة بتقدّم نور الدين صاحب حلب بالمنع من ذلك وحَظْرِهِ فاضرّ ذلك باهلها من المستّرين والضعفاء والمساكين وبلغ سعر الغرارة الحنطة خمسـة وعشرين دينارًا وزاد على ذلك وخلا من البلد الخلق الكثير ولقوا من البؤس والشدَّة والضعف ما اوجب موت جماعةٍ وافرةٍ في الطرقات وانقطعت الميرة من كل الجهـات

---

1) Qur. XI, 104.

٢) وفي الاصل: نشاوور. وقال ياقوت: هكذا يسمّونهُ العامة

وذُكر ان نور الدين عازم على قصد دمشق بمنازلتها والطمع لهذه الحال في مملكتها وذلك مستصعب عليهِ لقوّة سلطانها وكثرة اجنادها (176[٧]) واعوانهـا والله تعالى المرجو لقرب الفرج وحسن النظر بخلقه بالرأفة والرحمة كما جرت عوائد احسانه وفضله فيما تقدَّم

وفي اواخر ذي القعدة استُدعي الرئيس رضي الدين الى القلعة المحروسة وشُرّف بالخلع المكملة والمركوب بالسخت والسيف المحلّى والترس وركب معهُ الخواصّ واصحاب الركاب الى داره وكُتب لهُ المنشور بالتقليد والاقطاع ولُقّب بالرئيس الاجلّ رضي الدين وجيه الدولة سديد الملك فخر الكُفاة عزّ المعالي شرف الرؤساء وكان عطـاء الخادم المقدَّم ذكره قد استبـدّ بتدبير الامور ومدّ يده في الظلم واطلق لسانه بالهُجر وافرط في الاحتجاب عن الشاكي والمشتكي بالغلمان والحجّاب وقصّر في قضاء الحوائج تقصيرًا منكرًا واتّفق للاقضية المقدّرة والمكافأة المقرّرة ان تقدّم مجير الدين باعتقاله وتقييده والاستيلاء على ما في داره ومطالبته بتسليم بعلبك وما فيهـا من مالٍ وغلال وسُرَّت بمصرعه النفوس ونهب العوامّ والغوغاء بيوت اصحابه واسبابه . وارسل الله تعـالى الغيث المتدارك بحيث افترّت الارض عن نضارتها وابانت عن اخضرارها وغضارتها

ولمّا كان في يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذي الحجة من السنـة امر مجير الدين بضرب عنق عطاء الخادم المذكور لاسباب اوجبت ذاك ودعت اليهِ (١ . وفي يوم الاربعاء السابع وعشرين من ذي الحجة استدعى مجير الدين بالفضل والد نفيس الملك المستوفي لجدّهِ تاج الملوك رحمه الله وردّ اليهِ استيفاء ديونه على عادة ابيه ولقبه لقب ابيهِ وجيه الدين نفيس الملك وتقرَّر اشراف الديوان سعد الدولة ابي الحسن علي بن طاهر الوزير المزدقاني

ودخلت سنة تسع واربعين وخمسمائة

اوّلها يوم الاربعاء مستهلّ المحرَّم والطالع للعالم الجوزاء . وفي العشر الثاني من المحرَّم

---

١) قال سبط ابن الجوزي : فخلت دمشق من الامراء ولم يبق عند مجير الدين غير عطاء بن حفاظ الخادم السلمي وكان صاحب بعلبك قد ردّ اليهِ مجير الدين امر دولته وكان ظالمًا فكتب نور الدين الى مجير الدين يقول : قد نفّر عليك عطاء بن حفّاظ قلوب الرعيّة فاقبض عليـهِ . لعلم نور الدين انهُ لا يتمّ لهُ امر في دمشق مع وجود عطاء فقبضه مجير الدين وامر بقتله فقال لهُ عطاء : لا تقتلني فان الحيلة قد تمّت عليك وذهب ملكك وسترى . فلم يلتفت اليهِ وقتلهُ فحينئذٍ قوي طمع نور الدين في دمشق

منها وصل الامير الاسفهسلّار اسد الدين شيركوه رسولًا من نور الدين صاحب حلب الى ظاهر دمشق وخيّم بناحية القصب من المرج في عسكر يناهز الالف فأُنكر ذاك ووقع الاستيحاش منه واهمال الخروج اليهِ لتلقّيه والاختلاط بهِ وتكرّرت المراسلات فيما اقتضتهُ الحال ولم يُسفر عن سدادٍ ولا نيل مرادٍ

وغلا سعر الاقوات (177ᵃ) لانقطاع الواصلين بالغلّات ووصل نور الدين في عسكره الى شيركوه في يوم الاحد الثالث من صفر وخيم بعيون الفاسريا عند دومة ورحل في الغد ونزل بارض الضيعة المعروفة ببيت الابار من الغوطة وزحف الى البلد من شرقيهِ وخرج اليهم من عسكريّته واحداثه الخلق الكثير ووقع الطراد بينهم ثم عاد كل من الفريقين الى مكانه ثم زحف يومًا بعد يوم. فلمّا كان يوم الاحد العاشر من صفر للامر المقدَّر المقضي والامر الماضي وسعادة نور الدين الملك واهل دمشق وكافة الناس اجمعين باكر الزحف وقد احتشد وتهيَّأ لصدق الحرب وظهر اليهِ العسكر الدمشقي على العادة ووقع الطراد بينهم وحملوا من الجهة الشرقيَّة من عدَّة اماكن فاندفعوا بين ايديهم حتى قربوا من سور باب كيسان والدبّاغة(١ من قبلي البلد وليس على السور نافخ ضرمةٍ من العسكريّة والبلديّة لسوء تدبير صاحب الامر والاقدار المقدّرة غير نفرٍ يسيرٍ من الاتراك المستحفظين لا يؤبه لهم ولا يعوّل عليهم في احد الابراج . وتسرّع بعد الرجالة الى السور وعليهِ امرأة يهودية فارسلت اليهِ حبلًا فصعد فيهِ وحصل على السور ولم يشعر بهِ احدٌ وتبعهُ من تبعه واطلعوا علمًا نصبوهُ على السور وصاحوا (اصحاب) نور الدين «يا منصور» وامتنع الاجناد والرعيَّة من الممانعة لِما هم عليهِ من المحبة لنور الدين وعدله وحسن ذكره وبادر بعض قطّاعي الخشب بفأسه الى الباب الشرقي فكسر اغلاقه وفُتح فدخل منهُ العسكر على رغب وسعوا في الطرقات ولم يقف احد بين ايديهم وفتح باب توما ايضًا ودخل الناس منهُ. ثم دخل الملك نور الدين وخواصه وسُرَّ كافّة الناس من الاجناد والعسكرية لما هم عليهِ من الجوع وغلاء الاسعار والخوف من منازلة الافرنج الكفّار

وكان مجير الدين لمّا احسّ بالغلبة والقهر قد انهزم في خواصه الى القلعة وانفذ اليهِ وأُومن على نفسه وماله وخرج الى نور الدين فطيّب نفسه ووعدهُ الجميل ودخل القلعة في يوم الاحد المقدّم ذكره. وقد امر نور الدين في الحال بالمناداة بالامان للرعيَّة والمنع

١) وفي الاصل: والدباغه

من انتهـاب شيء من دورهم وتسرّع قوم من الرعاع والاوباش الى سوق علي وغيره فعاثوا ونهبوا وانفذ المولى الملك نور الدين الى اهل البلد بما طيّب (177v) نفوسهم وازال نفرتهم. واخرج مجير الدين ما كان لهُ في دوره بالقلعة والخزائن من المال والآلات والاثاث على كثرته الى الدار الاتابكية دار جدّه واقام اياماً ثم تقدَّم اليه بالمسير الى حمص في خواصّه ومن اراد الكون معه من اسبابه واتباعه بعد ان كُتب لهُ المنشور باقطاعه عدَّة باعمال حمص برسمه ورسم جنده وتوجّه الى حمص على القضيَّة المقـدّرة (١. ثم احضر بعد غد ذلك اليوم اماثل الرعية من الفقهاء والتجار وخُوطبوا بما زاد في ايناسهم وسرور

١) قال الفارقي في تاريخه: وسار مجير الدين وبقي في خدمة نور الدين مدَّةً ثم وصل الى ميافارقين الى خدمة الملك نجم الدين (البي بن السعيد حسام الدين تمرتاش) واقام عنده مدّة ونزل في سنة ٥٥ الى بغداد وخدم مع الخليفة المقتفي وهو الى الان (يعني سنة ٥٧٢) مقيم ببغداد في خدمة المقتفي والمستنجد والمستضيء. قيل: ولم ارَ اعجب من سنة ٥٤٩ ولا اكثر من حوادثها. منها ما جرى بين اولاد تاج الدين وخروج القضاء عن ايديهم (وكان وقع الخلف بين ضياء الدين وبهاء الدين اولاد تاج الدين بن نباتة وعزلوا عن القضاء بميافارقين وكان القضاء في يد بني نباتة ٥٩ سنة من حين مات القاضي ابو بكر بن صدقة سنة ٤٩٠) ومنها ان الامير فخر الدين شداد صاحب آنه نفذ وخطب بنت عزّ الدين سلتق صاحب ارزن الروم وبقي مدَّةً ثم زوّجها ابوها من صاحب ارزن ونفـذ شدَّاد الى سلتق وقال: قد ضعفت عن آنه فتحضر فتستريها مني فما لي طاقة للكرج ولا اقدر على دفعهم فاكون في خدمتك فاسلّمها اليك

فلمّا وصل نفذ الى ملك الابخاز والكرج دميطرى وكان في جبل بازوى بينهُ وبين آنة مسيرة يوم او اكثر يعلمهُ بوصول سلتق فوصل في عسكر الكرج فصبح مدينة آنة صباحاً فاوقع بالعسكر وقتل منهم مقتلةً عظيمةً واسروا عزّ الدين سلتق واسر معهُ خلق عظيم وأُسر من المسلمين ما لا يحصى وكان يوماً على المسلمين عظيماً. ثم ان ملوك ديار بكر وديار ربيعة والشام راسلوا ملك الابخاز وتواصلوا واستقرّ حال عزّ الدين سلتق على مائة الف دينار وأُطلق وعاد الى بلاده وخرج من بلاده مالٌ لا يحصى لانهم اشتروا الاسارى الذين كانوا اخذوا معه

ومنها اخذ نور الدين دمشق وقلع اولاد اتابك طغتكين وكانت بايديهم مقدار ٥٠ سنة. وانقراض بيت الصوفي وكان بيت مكرم. ومنها ان صاحب صقلية قصد تنيس في اربعين مركباً ودخلها ونهب كل ما كان فيها وسبى اهلها اجمع واسرهم وبيعَ النهب في جميع الشام وبقي اكثر اهلها اسارى الى الان بصقليّة. ومنها ان فيها جرى الخلف باخلاط وخرج بهاء الدين الوزير وانفصل عن خدمة بنت سكان (القطبي) والخاتون وابعـد اهله اجمع وحبس اكثرهم وانهزم بهاء الدين اوس بن مسعود فطاب خوّى فعبر على قلعة فيها رجل كردي من اصحاب بنت سكان فقبضه وحمله الى اخلاط فحُبس في قلعة ذات الجوز شرقي اخلاط وبقي مدّة وتوصّل موَيّد الدين بن نيسان في خلاصه فأُطلق ونزل الى ديار بكر واقام باسعرد ومضى الى فخر الدين قرا ارسلان واقام عنده ثم حجَّ وعاد الى حصن كيفا واقام مدّة ونزل الى الموصل واقام بها مدّةً

نفوسهم وحسن النظر لهم بما يعود بصلاح احوالهم وتحقيق امالهم فأُكثر الدعاء لهُ والثناء عليهِ والشكر لله على ما اصاروه اليهِ. ثم تلا ذلك ابطال حقوق دار البطّيخ وسوق البقل وضمان الانهار وانشأ بذلك المنشور وقُرِئَ على المنبر بعد صلاة الجمعة فاستبشر الناس بصلاح الحال واعلن الناس من التنآء والفلاّحين والحرم والمتعيّشين برفع الدعاء الى الله تعالى بدوام ايامه ونصره واعلامه والله سبحانه وليّ الاجابة بمنّهِ وفضلهِ

وقد كان مجاهد الدين بُزان قد اطلق يوم الفتح من الاعتقال وأُعيد الى داره ووصل الرئيس موّيد الدين المسيّب الى دمشق مع ولده النائب عنهُ في صرخد الى داره معوّلاً على لزومها وترك التعرّض لشيء من التصرّفات والاعمال فبدا منهُ من الاسباب المعربة عن اضمار الفساد والعدول عن مناهج السداد والرشاد ما كان داعياً الى فساد النيّة فيهِ. وكان في احدى رجليهِ فتخ قد طال بهِ ونسر ثم لحقه معهُ مرض وانطلاق متدارك افرط عليهِ واسقط قوّته مع فُواقٍ متّصل وقُلاع في فيهِ زائد فقضى نحبه في الليلة التي صبيحتها يوم الاربعاء الرابع من شهر ربيع الاول سنة ٤٩ ودُفن في داره واستبشر الناس بهلكه والراحة منهُ ومن سوء افعاله بحيث لو عُدّت مخازيه مع جنونه واختلاله لطال بها الشرح وعجز عنها الوصف

وفي اواخر المحرّم من السنة ورد الخبر من ناحية ماردين بوفاة صاحبها الامير حسام الدين بن ايل غازي بن ارتق رحمهُ الله في اول المحرم وكان مع شرف قدره في التركمان ذكيًا محبًا لاهل العلم والادب مميّزًا عن امثاله بالفضيلة (١ . وفي شهر ربيع الاول من السنة وردت الاخبار من ناحية مصر بان الامام الظافر بالله امير المؤمنين (178r) صاحبها كان ركن الى اخويه يوسف وجبريل والى ابن عمهم صالح بن حسن وانس بهم في اوقات مسرّاته فعملوا عليهِ واغتالوهُ وقتلوهُ واخفوا امره في يوم الخميس انسلاخ صفر سنة ٤٩ وحضر الامام العادل عبّاس الوزير وولده ناصر الدين وجماعة من الامراء والمقدّمين للسلام على الرسم فقيل لهم: ان امير المؤمنين ملتاث الجسم. فطلبوا الدخول عليهِ لعيادته فاحتجّ عليهم فلم يقبلوا والحّوا في الطلب فظهر الامر وانكشف واقتضت الحال المسارعة الى قتل الجناة في الوقت والساعة واقامة ولد الظافر عيسى وهو صغير يناهز ثلث سنين ولقبوه الفائز بنصر الله وأُخذ لهُ البيعة على الاجناد والعسكرية واعيان

١) وقال الفارقي في تاريخه: وبقي السعيد حسام الدين في الولاية الى يوم الخميس ثاني ذي القعدة سنة ٥٤٨ وتوفي بماردين وكانت ولايته بميافارقين ٣٠ سنة وبماردين ٣٢ سنة

الرعية على جاري العادة والعادل عبّاسٌ الوزير واليــه تدبير الامور واستمرَّت الاحوال على المنهاج (١ ثم ورد الخبر بعد ذلك بان الامير فارس المسلمين طلائع بن رزّيك وهو من اكابر الامراء المقدّمين والشجعان المذكورين لما انتهى اليه الخبر وهو غائب عن مصر قلق لذلك وامتعض وجمع واحتشد وقصد العود الى مصر فلمّـا عرف عبّاس الوزير بما جمع خاف الغلبة والاقدام على الهلكة اذ لا طاقة لهُ بملاقاته في حشده الكثير ولم يمكنهُ المقام على الخطار بالنفس فتأهّب للهرب في خواصه واسبابه وحرمه ووجوه اصحابه وما تهيّأ من ماله وتجمّله وكراعه وسار مغذّاً. فلما قرب من اعمال عسقلان وغزّة ظهر اليهِ جماعة من خيالة الافرنج فاغترّ بكثرة من معه وقلّة من قصده فلما حملوا عليهِ فشل اصحابه واعانوا عليهِ وانهزم اقبــح هزيمة هو وولد لهُ صغير وأُسر ابنه الكبير الذي قتــل ابن السلّار مع ولده وحرمه وماله وكراعه وحصــلوا في ايدي الافرنج ومن هرب القي من الجوع والعطش ومات العدد الكثير من الناس والدوابّ ووصل الى دمشق منهم مَن نجّاه الهرب على اشنع صفةٍ من العدم والعري والفقر في اواخر شهر ربيع الاخر من السنة وضاقت صدور المسلمين بهذه المصيبة المقضية بيد الافرنج فسُبحان من لا يُرَد لهُ قضاءٌ ولا محتوم امرٍ

وفي اخر شهر ربيع الاول وصل الامير الاسفهسلّار مجد الدين ابو بكر محمد نائب المولى (178ᵛ) الملك نور الدين في حلب الى دمشق عقيب عوده من الحج واقام ايّاماً وعاد منكفئاً الى منصبه في حلب وتدبير اعمالها وتسديد احوالها

وفي شهر ربيع الاخر سنة ٥٤٩ ثار في دمشق مرضٌ مختلف الحُمّيات منهُ ما يقصر ومنهُ ما يطول واعقبهُ بعد ذلك موتٌ في الشيوخ والشباب والصبيان ثم تقاصر ذلك

١) قال الفارقي في تاريخه : وسبب قتله ان امير الجيوش العادل السلار كان لهُ ابن بنت يسمّى نصر ويلقب عضد الخلافة وكان ابوهُ اميرًا مقدّماً يسمّى عباساً وكان عضد الخلافة موادًا للظافر وكانا جميعاً يأكلان ويشربان ويتفرّجان وكان يحبهُ محبّةً عظيمة بحيث ان الظافر كان لا يصبر عن ابن بنت العادل ساعةً واحدةً فاغرى عبّاس ابنه بجدّه العادل فقتلهُ وبقي مدّةً وقتــل الظافر ثم دخل الى الدار عباس وابنه وقتلا من كان في الدار واخذا الاموال والجواهر ما لا يحصى قيمتهُ وقتلا ثلث بنين للحافظ هم جبريل وابرهيم ويوسف وخرج العباس واخذ الاموال والجواهر وطلب الشام فاخذتهُ الافرنج وجميع ما كان معهُ. ثم ان اهل مصر ولّوا عليهم الملك الصــالح ابا الغــارات طلائع ابن رزيك واخرج ابنًا للظــافر اسمهُ عيسى ويكنّى بابي القسم ويلقب بالفائز فولّوه الخلافة وقتل عضد الخلافة نصر بن عباس واستقرّ الفائز بالخلافة وولّى الملك السلطنة وكان فاضلًا يحب العلماء والشعراء وكان لهُ شعرٌ مليح

وفي ايام من جماى الاولى من السنة ورد الخبر من ناحية مصر بان عدّة وافرةً من مراكب الافرنج من صقلية وصلت الى مدينة تنيس على حين غفلةٍ من اهلها فهجمت عليها وقتلت واسرت وسبت وانتهبت وعادت بالغنائم بعد ثلثة ايام وهي صفر وبعد ذلك عاد من كان هرب منها في البحر بعد الحادثة ومن سلم واختفى وضاقت الصدور عند استماع هذا الخبر المكروه

وفي شهر رمضان ورد الخبر من ناحية حلب بوفاة القـاضي فخر الدين ابي منصور محمد بن عبد الصمد الطرسوسي رحمهُ الله وكان ذا همّةٍ ماضيةٍ ويقظةٍ مُضيئةٍ ومروّةٍ ظاهرةٍ في دارهِ وولدهِ ومن يلمّ بهِ من غريبٍ ووافدٍ وقد نفذ امرهُ وتصرّفه في اعمال حلب في ايام الملكية النوريّة واثّر في الوقوف اثرًا حسنًا توفّر بهِ ارتفاعه ثم انعزل عن ذلك اجمل اعتزال . وفي يوم الثلثاء الثامن من شهر رمضان سنة ٥٤٩ توفّي الحكيم ابو محمد بن حسين الطبيب المعرّي رحمهُ الله وكان حسن الطريقـة والصناعة كثير التجربة ثاقب المعرفة فكثر التأسف عليهِ وعند فقد مثله

ودخلت سنة خمسين وخمسمائة

واوّلها يوم الاثنين مستهلّ المحرّم والطالع العقرب عشرون درجة وثلثون دقيقةً وثمان واربعون ثانيةً . وفي اليوم الرابع والعشرين من ربيع الاولى من السنـــة تقرّرت اسباب الموادعة بين الملك العادل نور الدين صاحب دمشق وبين ملك الافرنج تقدير السنة وتمهدت القاعدة على هذه الحال الى اخر المدّة المستقرّة . وبعد ايام قلائل من ذلك خرج الامر الملكي النوري بالقبض على ضحاك والي بعلبك وطلب منهُ تسليمها فاجاب الى ذلك ورحل العسكر المنصور اليها لتسلّمها وفي يوم الخميس السـابع من (179r) شهر ربيع الاول من السنة كان تسلّمها ورتّب فيها من سُلّمت اليهِ واعتمد في حفظها عليهِ . وفي يوم الاثنين الحادي وعشرين من رجب من السنـــة توجّه الامير اسد الدين شيركوه الى حلب عند استدعاء الملك العادل نور الدين لهُ

وفي ايام من شعبان من السنة ورد الخبر من ناحيـــة مصر بان المنتصب في الوزارة فارس الاسلام بن رزيك لمّا استقـام لهُ الامر عزم على مصالحة الافرنج وموادعتهم واستكفاف شرّهم ومصانعتهم بمالٍ يُحمـــل اليهم من الخزانة وما يفرض على اقطاع المقدّمين من الاجناد لحين شـاورهم في ذلك انكروه ونفروا منهُ وعزموا على عزله

والاستبدال بهِ من يرتضون بهِ واختاروا مقدّماً يعرف بالامير . . . . . (١ مشهوراً بالشهامة والبسالة وحسن السياسة . وارتُضي لتولية الاسطول المصري مقدّماً من البحريّة شديد البأس بصيراً باشغال البحر فاختار جماعةً من رجال البحر يتكلّمون بلسان الافرنج وألبسهم لباس الافرنج وأنهضهم في عدّة من المراكب الاسطوليَّة واقلع في البحر لكشف الاماكن والمكامن والمسالك المعروفة بمراكب الروم وتعرف احوالها ثم قصد مينا صور وقد ذُكر لهُ ان فيهِ شختورة روميَّة كبيرة فيها رجال كثيرة ومال كثير وافر فهجم عليها وملكها وقتل من فيها واستولى على ما حوَتهُ واقام ثلثة ايام ثم احرقها وعاد عنها في البحر فظفر بمراكب حجّاج الافرنج فقتل واسر وانتهب وعاد منكفئاً الى مصر بالغنائم والاسرى

وفي الشهر المذكور ورد الخبر من ناحية حلب بوقوع الخلف بين اولاد الملك مسعود بعد وفاته وبين اولاد قتلمش وبين اولاد قلج ارسلان وان الملك العادل نور الدين صاحب دمشق وحلب دخل بينهم للصلح والاصلاح والتحذير من الخلف المقوّي للاعداء من الروم والافرنج وطمعهم في المعاقل الاسلامية وبالغ في ذلك باحسن توسّط وبذل التحف والملاطفات وصلحت بينهم الاحوال

وتناصرت الاخبار في هذا الاوان من ناحية العراق بان الامام المقتفي لامر الله امير المؤمنين قد اشتدَّت شوكته وظهر واستظهر على كل مخالف لهُ وعادل عن حكمه ولم يبقَ لهُ مخالفٌ مشاقٌ ولا عدوٌّ منافقٌ وانهُ مجمعٌ على قصد (179ᵛ) الجهات المخالفة لامره

وفي يوم الجمعة العاشر من ذي الحجة سنة ٥٥٠ عاد الملك العادل نور الدين الى دمشق من حلب وقد كان ورد الخبر قبل ذلك بان الامير قرا ارسلان بن داود بن سكمان ابن ارتق (٢ ورد على الملك العادل نور الدين وهو باعمال حلب فبالغ في الاكرام لهُ والسرور بمقدمه ولاطفه والطفه بما جلّ قدرُهُ وعظم امرُهُ من التحف والعطاء ثم عاد عنهُ الى عمله مسروراً شاكراً

وورد الخبر ايضاً في شهر رمضان سنة ٥٠ بان الملك العادل نور الدين نزل في عسكره بالاعمال المختصَّة بالملك قلج ارسلان بن الملك مسعود بن سليمان بن قتلمش

---

١) بياض في الاصل

٢) وفي الاصل : قرارسلان بن شكان بن داود بن ارتق

ملك قونية وما والاها فملك عدّة من قلاعها وحصونها بالسيف والامان وكان الملك قلج ارسلان واخوه ذو النون ودولاب (كذا) مشتغلين بمحاربة اولاد الدانشمند واتّفق ان اولاد الملك مسعود رُزقوا النصر على اولاد الدانشمند والاظهار على عسكره في وقعة كانت على موضع يُعرف باقصرا في شعبان سنة ٥٥٠ فلما عرف وعاد ما كان من الملك العادل نور الدين في بلاده عظم عليه هذا الامر واستبشعه مع ما بينهما من الموادعة والمهادنة والصهر وراسلهُ بالمعاتبة والانكار عليهِ والوعيد والتهديد واجابهُ بحسن الاعتذار وجميل المقال وبقي الامر بينهما مستمرًّا على هذه الحال

ودخلت سنة احدى وخمسين وخمسمائة

واولها يوم الجمعة مستهلّ المحرَّم والطالع الدلو خمس عشرة درجة وستّ عشرة عاشرة (وبعد) وصول الحجاج يوم الجمعة السادس من صفر من السنة توجّه الملك العادل نور الدين الى ناحية حلب في بعض عسكره في يوم الثلثاء الرابع والعشرين من صفر من السنة عند انتهاء خبر الافرنج اليهِ بعيثهم في اعمال حلب وافسادهم وصادفهُ في طريقه المبشّر بظفر عسكره في حلب بالافرنج المفسدين على حارم وقتلهم جماعةً منهم واسرهم ووصل مع المبشّر عدّة وافرة من رؤوس الافرنج المذكورين وطيف بها في دمشق. وفي يوم الثلثاء الثالث من شهر ربيع الاوّل من السنة توفي الشيخ الفقيه الزاهد ابو البيان نبا بن محمد المعروف بابن الحوراني رحمهُ الله وكان حسن الطريقة مُذ نشأ (180r) صيّتًا الى ان قضى متديّنًا ثقةً عفيفًا محبًّا للعلم والادب والمطالعة للغة العرب وكان لهُ عند خروج سريره لقبره في مقابر الصغيرة المجاورة لقبور الصحابة من الشهداء رضي الله عنهم يوم مشهور من كثرة الناسقين والمتأسفين عليهِ (١

وورد الخبر من ناحية حلب بوفاة الشريف السيد بهاء الدين ابي الحسن الهادي بن المهدي بن محمد الحسيني الموسوي رحمه الله في اليوم السابع عشر من رجب سنة ٥٥١ وكان حسن الصورة فصيح اللسان بالعربية والفارسية جميل الاخلاق والخلال مشكور الافعال كريم النفس مليح الحديث واسع الصدر مكين المحلّ من الملك العادل نور

---

١) قال سبط ابن الجوزي: وحكي لي بعض مشايخه بدمشق ان ابا البيان دخل يومًا من باب الساعات الى جامع دمشق فنظر الى اقوام في الحائط الشمالي وهم يبكون اعراض الناس فاستقبل القبلة ورفع يديهِ وقال: اللهمَّ كما انسيتَهم ذكرك فانسيهم ذكري. واسمهُ نبا بن محمد بن محفوظ

الدين ركن الاسلام والمسلمين سلطان الشام ادام الله علاه وناله من الحزن لفقده والتأسّف عليهِ ما يقتضيه مكانه المكين عنده ونظم فيهِ هذه الابيات رثاهُ بها من كان بينه وبينه مودّة مستحكمة اوجبت ذالك ان رأيت اثباتها في هذا الموضع مع ذكره وهي :

نعى الناعي جاء الدين لمّا ... اتاهُ نازل القدر المتاحِ
فروَّع كل ذي علمٍ وفضلٍ ... من الادباء والعرب الفصاحِ
بكتهُ غزالة الآفاق حزناً ... واظلم رزؤهُ ضوء الصباحِ
واسبلت العيون دماً عليهِ ... كذلك عادةُ المقل الصحاحِ
فكم متفجّع يبكي عليهِ ... بحرقة موجع دامي الجراحِ
وينشر فضلهُ في كل نادٍ ... بالفاظٍ محبّرةٍ فصاحِ
على حسناتهِ تبكي المعالي ... بدمعة ثاكل خودٍ رداحِ
فلو رام البليغ لها صفاتٍ ... لقصّر عن مراثٍ وامتداحِ
لهُ خلقٌ صحيحٌ لا يُضاهى ... ووجهٌ مشرق الارجاء صاحِ
وكفٌّ جودها كالغيث يهمي ... على العافين كالجَوْد المباحِ
لهُ شرفان في عُربٍ وفُرس ... وقد صالا بمرهفهِ الصفاحِ
فأضحى لا مساجل في جلالٍ ... ولا شرفٍ ينير ولا سماحِ
على امثاله عند الرزايا ... يمطُّ جيوب ارباب البطاحِ
(180v) ومن كان الحسين اباهُ قدماً ... فقد نال المعلَّى في القداحِ
لئن واراهُ في حلبٍ ضريحٌ ... بعيدٌ عن مواطنهِ الفساحِ
واصبح فيه منفرداً غريباً ... عن الاهلين في غلسٍ وضاحِ
فهذا الرسم جارٍ في البرايا ... بلا قصدٍ يكون ولا اقتراحِ
فلا برحت غمائم كل نوءٍ ... تُروِّضهُ بانوار الاقاحي
ورحمة محيي الاموات تسري ... عليهِ في الغدو وفي الرواحِ
مَدَى الايام ما ناحت هتوفٌ ... ولاح بقفره بيض الاداحي

وفي اليوم الخامس والعشرين توفي الشيخ ابو طالب شيخ الصوفية بدمشق رحمهُ الله وكان خيراً تقياً عفيفاً حسن الطريقة مشكور الخلال

شرح الزلازل الحادثة في هذه السنة المباركة وتواليها

في ليلة الخميس التاسع من شعبان سنة ٥٥١ الموافق لليوم السابع والعشرين من ايلول في الساعة الثانية منها وافت زلزلةٌ عظيمة رجفت بها الارض ثلث او اربع مرات ثم سكنت بقدرة من حرّكها وسكّنها سبحانهُ وتعالى من مليكٍ قادرٍ قاهرٍ ثم وافى بعد ذلك ليلة الاربعاء الثاني وعشرين من شعبان المذكور زلزلة وجاءت قبلها

وبعدها مثلها في النهار وفي الليل ثم جاء بعـد ذلك ثلث دونهنَّ بحيث أُحصينَ ستّ مرّات وفي ليلة السبت الخامس وعشرين من الشهر المذكور جاءت زلزلة ارتاع النـاس منها في اوّل النهار وآخره ثم سكنت بقدرة محرّكها سُبحانهُ وتعالى

وتواصلت الاخبار من ناحية حلب وحماة بانهـدام مواضع كثيرة وانهدام برج من ابراج افامية بهذه الزلازل الهائلة (١ وذكر ان الذي احصى عَدَده منهـا تقدير الاربعين على ما حكى والله تعالى اعلم. وما عُرف مثل ذلك في السنين الماضية والاعصر الخالية وفي يوم الاربعاء التاسع وعشرين من الشهر بعينه (شعبان) وافت زلزلة تتلو ما تقدّم ذكره اخر النهار وجاءت في الليل ثانيةً في اخره ثم وافى في يوم الاثنين اوّل شهر رمضان من السنة زلزلة مروّعة للقلوب وعاودت ثانيةً وثالثةً ثم (181ᵀ) وافى بعد ذلك في يوم الثلثاء ثالثةً ثلث زلازل احداهنَّ في اوّله هائلة والثانية والثالثة دون الاولى وأُخرى في وقت الظهر مشاكلة لهنَّ ووافى بعد ذلك اخرى هائلة ايقظت النيام وروّعت القـلوب انتصاف الليل فسبحان القادر على ذلك ثم وافى بعد ذلك في الساعة التاسعة من ليـلة الجمعة النصف من شهر رمضان من السنة زلزلة عظيـمة هائلة اعظم ممّا سبق ولمّا كان عند الصباح من الليلة المذكورة وافت أُخرى دونها وتلا ما تقـدّم في ليلة السبت اولها وجاءت أُخرى آخرها ثم تلا ذلك في يوم الاثنين زلزلة هائلة وتلا ذلك في ليلة الجمعة الثالث والعشرين من شهر رمضان في الثلث الاول منهـا زلزلة عظيمة مُزعجة وفي غداة يوم الاحد ثاني شوال من السنة تالي ما تقدَّم ذكره وافت زلزلة اعظم ممّا تقـدَّم روّعت الناس وازعجتهم وفي يوم الخميس سابع شوال المذكور وافت زلزلة هائلة في وقت صلاة الغداة وفي يوم الاحد الثالث عشر منهُ وافت زلزلة هائلة في وقت صلاة الغـداة وفي يوم الاثنين تَلوِهِ وافت زلزلة أُخرى مثلها ثم اخرى بعدها دونها ثم ثالثة ثم رابعـة. وفي ليلة الاحد الثاني والعشرين من شوال وافت زلزلة عظيـمة روّعت النفوس ثم وافى عقيب ذاك ما أُهمل ذكره لكثرته ودفع الله تعالى عن دمشق وضواحيها ما خاف اهلها من توالي ذلك وتتابعه برأفته بهم ورحمته لهم فلهُ الحمد والشكر لكن وردت الاخبار من ناحية حلب بكثرة ذلك فيهـا وانهدام بعض مساكنها الّا شيزر فان الكثير من مساكنها انهدم على سُكّانها بحيث قتل منهم العدد الكثير. واماّ كفرطاب فهرب اهلها

---

١) وفي الاصل: المبارـكة

منها خوفاً على ارواحهم واما حماة فكانت كذلك واما باقي الاعمال الشامية فما عُرف ما حدث فيها من هذه القدرة الباهرة

وفي يوم الاربعاء الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة ٥٥١ وصل المولى الملك نور الدين اعزّ الله نصره الى بلده دمشق عائداً من ناحية حلب واعمال الشام بعد تهذيبها وتفقّد احوالها سالماً في النفس والجملة بعد استقرار الموادعة بينهُ وبين ولد السلطان مسعود وصاحب قونية (181ª) وزوال ما كان حدث بينهما

وفي شوال تقرّرت الموادعة والمهادنة بينهُ وبين ملك الافرنج مدَّة سنة كاملة اوَّلها شعبان وان القاطعة المحمولة اليهم من دمشق ثمانية الاف دينار صورية وكُتبت المواصفة بذلك بعد تأكيدها بالامان بالمواثيق المشدَّدة. وكان المعروف بابي سالم بن همام الحلبي قد ولّي مشارفة الديوان بدمشق بعناية الامير اسد الدين النائب عن الملك العادل نور الدين فظهر منهُ خيانات اعتمدها وتفريطات قصدها بجهله وسخافة عقله وتقصيره فاظهرها قوم من المتصرّفين عند الكشف عنها والتحقيق لها فاقتضت الحال القبض عليه والاعتقال لهُ الى ان يقوم بما وجب عليه فلمّا كان في يوم الاحد السادس عشر من شوال سنة ٥٥١ خرج الامر السامي النوري بالكشف عن سعاياته في فضول كان غنياً عنها فاقتضت الحال بان يحلق لحيته ويركب حماراً مقلوباً وخلفه مَن يعلوهُ بالدرَّة وان يطاف بهِ في اسواق دمشق بعد سخام وجهه وينادى عليه « هذا اجزاء كل خائن ونمّام » ثم اقام بعد ذلك في الاعتقال اياماً ثم امر بنفيه الى حلب بشفاعة من شفع فيهِ من مقدّمي الدولة السعيدة فمضى على اقبح صفةٍ من لعن الناس ونشر مخازيه وتعديد مساويه

وفي شعبان من السنة وردت الاخبار من ناحية مصر بارتفاع اسعار الغلَّة بها وقلَّة وجودها وشدَّة اضرارها بالضعفاء والمساكين وغيرهم وامر المتولّي لامرها التنّاء والمحتكرين لها ببيع الزائد على اقواتهم على المُقلّين والمحتاجين ووكد الخطاب في ذلك وما زادت الحال الّا شدّةً مع ما ذُكر من توفية النيل في السنة

وفي شعبان وردت الاخبار من ناحية العراق بخلاص السلطان سنجر ابن السلطان العادل من ضيق الاعتقال المتطاول بهِ بتدبيرٍ أُعمل على الموكّلين به ووعود وافية بحيث اجابوا الى ذلك وعاد الى مكانه من السلطنة ووفى بما وعد المساعدين لهُ على الخلاص وقويت شوكته واستقامت مملكته (١

١) قال سبط ابن الجوزي: انهُ كان قعد عندهم اربع سنين في الذلّ والهوان حتى ضرب بهِ

وفي شهر رمضان وردت الاخبار من ناحية الموصــل بان السلطان سليمان شاه بن السلطان محمــد (١ عزم على العبور في عسكره الى اعمال الموصل فانفذ اليه واليها ومدبّرها الامير زين الدين علي كوجك يقول لهُ : انك فعلتَ واضررتَ بالاعمال واذيتَ اهلها. وسألهُ (182ʳ) فلم يقبل ونهض اليهِ في عسكره من الموصل ومن انضاف اليــهِ وصافّهُ فرُزق النصر عليهِ وهزم عسكره اقبح هزيمــة واستولى على سواده وعاد بهِ الى الموصل ظافرًا منصورًا

وفي العشر الاخير من ذي الحجّة من السنة غدر ا لكَفَرة الافرنج ونقضوا ما كان استقرّ من الموادعة والمهــادنة بحكم وصول عدّةٍ وافرة من الافرنج في البحر وقوّة شوكتهم بهم ونهضوا الى ناحية الشَّعراء المجاورة لبانياس وقد اجتمع فيها من جشارات خيول العسكريّة والرعيَّة وعوامل الفلاَّحين فلّاحي الضيــاع ومواشي الجلّابين والعرب الفلاحين الشيء الكثير الذي لا يحصى فيذكر للحاجة الى الرعي بها والسكون الى الهدنة المستقرّة ووقع من المندوبين لحفظهم من الاتراك تقصيرٌ فانتهزوا الفُرصة واستاقوا جميع ما وجدوهُ وأفقروا اهله منه مع ما اسروه من تركمان وغــيرهم وعادوا ظافرين غانمين آثمين والله تعالى في حكمه يتولّى المكافأة لهم والادالة منهم وما ذلك عليهِ بعزيز

ودخلت سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة

اولها يوم الاربعاء مستهلّ المحرّم والطالع برج الدلو اثنتين وعشرين درجةً وثماني عشرة دقيقة . قد تقدّم شرح ما حدث من الزلازل الى اواخر سنة ٥١ ما يُغني عن ذكره ولمّا كانت ليلة الاربعاء التاسع عشر من صفر سنة ٥٥٢ وافت زلزلة عظيمة عند انبلاج الصباح فروّعت وازعجت ثم سكّنها مُحرّكها بلطفه ورأفته بعبــاده ثم تلا ذلك اخرى دونها الى ليلة الخميس تاليهِ بعد مضي ساعات منهــا ووافت بعدها اخرى بعد صلاة الجمعة تاليهِ وتواصلت الاخبار من ناحية الشمال بعظم تأثير هذه الزلازل الاول منها والاخر في مدينــة شيْزر وحماة وكفرطاب وافامية وما والاها الى مواضع من حلب والله تعالى ذكره وعزّ اسمه اعلم وارحم لخلقه

وفي العشر الاخير من صفر ورد كتاب السلطان غياث الدنيــا والدين ابي الحرث

اهل بغداد الامثال فكان اذا مرّ على انسان شدائد قالوا : اما اشتفي التزّ من سنجر ؟

١) وفي الاصل : مسعود

سنجر ابن السلطان العادل ابي الفتح بن السلطان البـارسلان اعزّ الله نصره الى الملك العادل نور الدين ادام الله ايامه بالتشوّق اليه والاحماد (182ᵛ) بجلاله وما ينتهي اليهِ من جميع افعاله واعلامه وما منّ الله عليهِ بهِ من خلاصه من الشـدَّة التي وقع فيها والاسر الذي بُلي بهِ في ايدي الاعداء الكَفَرة من ملوك التركمان بحيلة دبّرها وسياسة احكمها وقرّرها بحيث عاد الى منصبه من السلطنة المشهورة واجتماع العساكر المتفرّقة عنه اليهِ واذعانها بطاعته وامتثالهم لاوامره وامثلتـه واحسان وعده لكافّة المسلمين بنصره على احزاب الضلال من الافرنج الملاعين

وتواصلت مع ذلك الى نور الدين رُسُل ارباب الاعمال والمعاقل والولايات بالاستعداد للخفوف الى اعداء الله الملاعين وغزو مَن بازائه من المشركين الاضداد المفسدين في البلاد والناكثين أيمانهم الموكّدة في الموادعة والمهادنة. فعند ذلك امر المولى نور الدين بزينـة البلد المحروس سرورًا بهذه الاحوال وفعـل في ذلك ما لم تجرِ عادةٌ فيما تقدّم في ايام الوُلاة الخالية وامر مع ذلك بزينة قلعته ودار مملكته بحيث حلى (١ اسوارها بالآلات الحربية من الجواشن والدُرُوع والتراس والسيوف والرماح والطوارق الافرنجية والقنطاريات والاعلام والمنجوقات والطبول والبوقات وانواع الملاهي المختلفات وهرعت الاجنـاد والرعايا وغُرباء البلاد من المسافرين لمشاهدة الحال فشاهدوا ما استُحسن منـهُ مدَّة سبعة ايام فالله تعالى يقرن ذلك بالتوفيق والاقبال وتحقيق الامال في اهمال الكَفَرة اولي الافك والضلال بمَنّهِ وفضلهِ

وفي يوم الثلثاء الثالث عشر من ربيع الاول توجّه المولى نور الدين ادام الله ايامه الى ناحية بعلبك لتفقّد احوالها وتقرير امر المستحفظين لها وتواصلت الاخبـار اليهِ من ناحية حمص وحماة باغارة الافرنج الملاعين على تلك الاعمال واطلاقهم فيها ايدي العيث والفساد والله تعالى يحسن الادالة منهم وتعجّل البوار عليهم والاهلاك لهم

وفي يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الاوّل توجّه زين الحجاج كثّر الله سلامتهُ الى ناحية مصر رسولًا من المولى نور الدين لايصال ما صحبه من المطالعات الى صاحب الامر فيها وصحبتهُ ايضًا الرسول الواصل منها

وفي يوم الاحد الخامس عشر من شهر ربيع الاول ورد المبشِّر من المعسكر المنصور برأس الماء بان نصرة الدين امير ميران لما انتهى اليه خبر الافرنج الملاعين بانهم قد انهضوا

١) وفي الاصل : حلل

سريّةً وافرة من العدد من ابطالهم (183r) الموفورة العدد الى ناحية بانياس لتولّيها وتقويتها بالسلاح والمال فاسرع النهضة اليهم في العسكر المنصور وقد ذُكر ان عِدّتهم سبعمائة فارس من ابطال الاسبتاريّة والسرجنديّة والداويّة سوى الرجالة فادركهم قبل الوصول الى بانياس وقد خرج اليهم من كان فيها من حُماتها فاوقع بهم وقد كان كمن لهم في مواضع كُمناء من شجعان الاتراك وجالت الحرب بينهم واتّفق اندفاع المسلمين بين ايديهم في اول المجال وظهر عليهم الكُمناء فانزل الله نصره على المسلمين وخذلانه على المشركين فتحكّمت من روؤسهم ورقابهم مُرهفات السيوف بقوارع الحِمام والحتوف وتمكّنت من اجسادهم مشرَعات الرماح وصوارم السهام بحيث لم ينجُ منهم الّا القليل ممن ثَبّطهُ الاجل واطار قلبه الوجل وصاروا باجمعهم بين قتيل وجريح ومسلوب واسير وطريح وحصل في ايدي المسلمين من خيولهم وعُدد سلاحهم وكراعهم واموالهم وقراطيسهم وأسراءهم وروؤس قتلاهم ما لا يُحدّ كثرةً وحقت السيوف عامّة رجالتهم من الافرنج ومسلمي جبل عاملة المضافين اليهم وكان ذلك في يوم الجمعة الثالث عشر من شهر ربيع الاول ووصلت الاسرى والروؤس من القتلى والعدد الى البلد المحروس في يوم الاثنين تاليه وأُطيف بهم البلد وقد اجتمع لمشاهدتهم الخلق الكثير والجمّ الغفير وكان يوماً مشهودًا مستحسنًا سُرّت بهِ قلوب المؤمنين واحزاب المسلمين وكان ذلك من الله تعالى ذكره وجلّ اسمه مكافأةً على ما كان من بغي المشركين واقدامهم على نكث أيمان المهادنة مع المولى نور الدين اعزّ الله نصره ونقض عهود الموادعة واغارتهم على الجشارات ومواشي الجلابين والفلاحين المضطرّين الى المرعى في الشعراء لسكونهم الى الامن بالمهادنة والاغترار بتأكيد الموادعة. وكان قد انفذ الى المولى نور الدين الى بعلبك جماعة من اسرى المشركين فامر بضرب اعناقهم صبرًا ذلك لهم خزيٌ في الحيوة الدنيا ولهم في الاخرة عذابٌ عظيمٌ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (1 وتبع هذا الفتح المبين ورود البُشرى الثانية من اسد الدين باجتماع العدد الكثير اليه من شجعان التركمان وانهُ قد ظفر من المشركين بسريّة وافرة ظهرت من معاقلهم من ناحية الشمال فانهزمت وتخطّف التركمان منهم من ظفروا بهِ ووصل اسد الدين الى بعلبك في العسكر (183v) من مقدّمي التركمان وابطالهم للجهاد في اعداء الله المشركين وهم في العدد الكثير والجم الغفير واجتمع بالملك العادل نور الدين في

1) Qur. XXVI, 228.

يوم الاثنين الخامس والعشرين من شهر ربيع الاول من السنة وتقرّرت الحال على قصد بلاد المشركين لتدويخها واقامة فرض الغزو والجهاد لمن بها والابتداء بالنزول على بانياس والمضايقة لها والجهاد في افتتاحها والله يسهّل ذلك بلطفه ويُعجّله بمعونته

ووصل نور الدين الى البلد المحروس في يوم الخميس السابع والعشرين من شهر ربيع الاول لتقرير الامر في إخراج آلات الحرب وتجهيزها الى العسكر بحيث يقيم اياماً يسيرةً ويتوجّه في الحال الى ناحية العساكر المجتمعة من التركمان والعرب للجهاد في الكفرة الاضداد والله يسهّل اسباب الادالة منهم ويعجّل البوار والهلاك لهم ان شاء الله تعالى. وفي وقت وصوله شرع في انجاز ما وصل لاجله وامر بتجهيز ما يحتاج اليه من المناجيق والسلاح الى العسكر المنصور بالنداء في البلد المحروس في الغُزاة والمجاهدين والأحداث المتطوّعة من فتيان البلد والغرباء بالتأهب والاستعداد لمجاهدة الافرنج اولي الشرك والالحاد وبادر بالمسير في الحال الى عسكره المنصور مُغذًّا غير متلوّم ولا متربّث في يوم السبت انسلاخ شهر ربيع الاول وتبعه بين الاحداث والمتطوّعة والفقهاء والصوفيّة والمتديّنين العدد الكثير الدثر المباهي في الوفور والكثرة فالله تعالى يقرن آراءهُ وعزماته بالنصر المشرق المنار والظفر باخراب المردة الكُفّار ويعجّل لهم اسباب الهلاك والبوار بحيث لا تبقى لهم باقية ولا يرى لهم رائحة ولا غادية وما ذلك على الله تعالى القادر القاهر بعزيز

ولمّا كان يوم السبت السابع من شهر ربيع الاخر تالي اليوم المقدّم ذكره عقيب نزول الملك العادل نور الدين على بانياس في عسكره المنصور ومضايقته لها بالمنجنيقات والحرب سقط الطائر من العسكر المنصور بظاهر بانياس يتضمّن كتابه الاعلان بورود المبشّر من معسكر اسد الدين بناحية هونين في التركمان والعرب بان الافرنج خذلهم الله انهضوا سريّةً من اعيان مقدّميهم وابطالهم تزيد على مائة فارس سوى اتباعهم لكبس المذكورين ظنًّا منهم انهم في قلٍّ ولم يعلموا انهم في الوف فلمّا دنوا منهم وثبوا اليهم كالليوث الى فرائسها فاطبقوا عليهم بالقتل والاسر والسلب ولم يفلت (184ʳ) منهم الّا اليسير ووصلت الاسرى ورؤوس القتلى وعددهم من الخيول المنتخبة والطوارق والقنطاريّات الى البلد في اليوم الاثنين تالي اليوم المذكور وطيف بهم فيه فسُرّت القلوب بمشاهدتهم واكثروا الشكر لله على هذه النعمة المسهّلة بعد الاولى المتكمّلة والله المأمول لتعجيل هلاكهم وبوارهم وما ذلك على الله بعزيز. وتتلو هذه الموهبة

المجدّدة سقوط الطائر من المسكر المحروس ببانياس في يوم الثلثاء يتلو المذكور بذكر افتتاح مدينة بانياس بالسيف قهرًا على مضي اربع ساعات من يوم الثلثاء المذكور عند تناهي النقب واطلاق النار فيهِ وسقوط البرج المنقوب وهجوم الرجال فيهِ وبذل السيف في قتل من فيهِ ونهب ما حواه وانهزام من سلم الى القلعة وانحصارهم بها وان اخذهم بمنيّة الله تعالى لا يُبطئ والله يسهّله ويعجّله

واتّفق بعد ذلك للاقضية المقدّرة ان الافرنج تجمّعوا من معاقلهم عازمين على استنقاذ الهنفري صاحب بانياس ومن معه من اصحابه الافرنج المحصورين بقلعة بانياس وقد اشرفوا على الهلاك وبالغوا في السؤال للامان للمولى نور الدين ويسلّمون ما في ايديهم من القلعة وما حوتهُ لينجوا سالمين فلم يجبهم الى ما سألوهُ ورغبوا فيهِ. فلما وصل ملك الافرنج في جمعه من الفارس والراجل من ناحية الجبل على حين غفلة من العسكرين النازلين على بانياس لحصارها والنازل على الطريق لمنع الواصل اليها واقتضت السياسة الاندفاع عنها بحيث وصلوا اليها واستحصلوا من كان فيها فحين شاهدوا ما عمّ بانياس من خراب سورها ومنازل سكّانها يئسوا من عمارتها بعد خرابها وذلك في ايام من العشر الاخير من شهر ربيع الاخر

وفي يوم الاربعاء التاسع من جمادى الاولى سقطت الاطيار بالكتب من المعسكر المحروس النوري تتضمّن الاعلام بان الملك العادل نور الدين اعزّ الله نصره لما عرف ان معسكر الكفرة الافرنج على الملّاحة بين طبريّة وبانياس نهض في عسكره المنصور من الاتراك والعرب وجدّ في السير. فلمّا شارفهم وهم غازّون وشاهدوا راياته قد اظلّتهم بادروا بلبس السلاح والركوب وافترقوا اربع فرق وحملوا على المسلمين فعند ذلك ترجّل (184ᵃ) الملك نور الدين وترجّلت معهُ الابطال وارهقوهم بالسهام وخرصان الرماح فما كان الّا كلا ولا حتى تزلزلت بهم الأقدام ودهمهم البوار والحِمام وانزل الله العزيز القهّار نصره على الاولياء الابرار وخذلانه على المردة الكفّار وتمكّنّا من فرسانهم قتلًا واسرًا واستأصلت السيوف الرجالة وهم العدد الكثير والجمّ الغفير ولم يفلت منهم على ما حكاه الخبير الصادق غير عشرة نفرٍ ممن ثبطهُ الاجل واطار قلبه الوجل. وقيل ان ملكهم لعنهم الله فيهم وقيل انهُ في جملة القتلى ولم يُعرف لهُ خبرٌ والطلب مجدٌّ لهُ والله المعين على الاظفار بهِ ولم يُفقد من عسكر الاسلام سوى رجلين احدهما من الابطال المذكورين قتل اربعة من شجعان الكفرة وقُتل عند حضور

اجله وانتهاء مهله والاخر غريب لا يُعرف فكل منهما مضى شهيدًا مُثابًا مأجورًا رحمهما الله. وامتلأت ايدي العسكرية من خيولهم وعُدَدهم وكراعهم واثاث سوادهم الشيء الذي لا يحصى كثرةً وحصلت كنيستهم في يد الملك نور الدين بآلاتها المشهورة وكان فتحًا من الله القادر الناصر عزيزًا ونصرًا مُبينًا اعزّ الله بهما الاسلام واهله واذلّ الشرك وحزبه

ووصلت الاسرى ورؤوس القتلى الى دمشق في يوم الاحد تالي يوم الفتح وقد رتّبوا على كل جملٍ فارسين من ابطالهم ومعهما رايةٌ من راياتهم منشورةٌ وفيهـا من جلود رؤوسهم بشعرها عدّةٌ والمقدّمون منهم وولاة المعـاقل والاعمال كل واحد منهم على فرس وعليه الزردّية والخوذة وفي يده رايةٌ والرجالة من السرجندية والدركيولية كل ثلثةٍ واربعة واقلّ واكثر في حبلٍ وخرج من اهل البلد الخلق الذي لا يحصى لهم عددٌ من الشيوخ والشبّان والنسوان والصبيان لمشاهدة ما منح الله تعالى ذكره كافّة المسلمين من هذا النصر المشرق الاعلام واكثروا من التسبيح ومواصلة التقديس لله تعالى مولى النصر لاوليائه ومُديلهم من اعدائه وواصلوا الدعاء الخالص للملك العـادل نور الدين الحامي عنهم والمرامي دونهم والثناء على مكارمه والوصف لمحاسنه ونُظم في ذلك ابياتٌ في هذا المعنى وهي:

(185r)

مثـل يوم الفرنج حين علَتْهم ذلّة الاسر والبـلا والشقاء
وبراياتهم على العيس زفّـوا بين ذلّ وحسرةٍ وعنـاء
بعد عزّ لهم وهيبة ذكرٍ في مصافّ الحروب والهيجـاء
هكذا هكذا هـلاك الاعادي عنـد شن الاغارة الشعواء
شؤم اخذ الجشار وكان وبالًا عمّهم في صباحهم والمسـاء
نقضـوا هدنة الصلاح بجهـلٍ بعد تأكيدها بحسن الوفاء
فلقـوا بغيهم بما كان فيهِ من فساد يحلّهم واعتـداء
لا حمى الله شملهم من شتاتٍ بمواضٍ تفوق حدّ المضـاء
فجزاء الكفور قتـلٌ واسرٌ وجزاء الشكور خير الجزاء
فلربّ العبـاد حمدٌ وشكرٌ دائمٌ مـع تواصل النعمـاء

وشرع في قصد اعمالهم لتملّكها وتدويخها والله المعين والموفّق لذلك بمنه ولطفه ومشيئته. وفي يوم الخميس الخامس والعشرين من جمادى الاولى وافت زلزلة عظيمـة بعد مضي ثلث ساعات منه اهتزّت لها الارض هزّاتٍ ثم وافت بعدها ثانيةٌ قرنت بعد

مضي ست ساعات من اليوم ثم بعد مضي ثماني ساعات من هــذا اليوم المذكور وافت ثالثة اشدّ من الاوليَين وازعج فسبحان محرّكهنّ بقدرته ومسكّنهنّ بحكمته تعالى عُلوًّا كبيرًا

وفي آخر هذا اليوم وافت زلزلة رابعة لما تقدّم بين العشائين من ليلته مروّعة هائلة ازعجت واقلقت وضجّ الناس بالتهليل والتسبيح والتقديس. وفي ليـلة الاحد الرابع من جمادى الآخرة من السنة آخرها عند صلاة الغداة وافت زلزلة هائلة وجاء بعدها اخرى دونها وتواصلت الاخبار من ناحية الشمال بان هذه الزلازل اثّرت في حلب تأثيرًا ازعج اهلها واقلقهم وكذلك في حمص وهُدمت مواضع فيها وفي حماة وكفرطاب وافامية وهدمت فيها ما كان من هدم ما بني من المهدوم بالزلازل الأُوَل وحُكي عن تيماء ان هذه الزلازل اثّرت في مساكنها تأثيرًا مهولًا

وفي العشر الثاني من جمادى الاخرة تواصلت (185^v) الاخبار بوصول ولد السلطان مسعود (١ في خلق كثير للنزول على انطاكية واوجبت الصورة تقرير المهادنة بين الملك العادل نور الدين وملك الافرنج وتكرّرت المراسلات بينهما والاقتراحات والمشاجرات بحيث فسد الامر ولم يُسفر على ما يؤثر من الصلاح ومرضي الاقتراح المقرون بالتجاح ووصل الملك العــادل نور الدين اعزّ الله نصره الى مقرّ عزّه في بعض عسكره في يوم السبت الخامس والعشرين من جمادى الاخرة من السنة واقرّ بقيّة عسكره ومقدّميه مع العرب بازاء اعمال المشركين خذلهم الله

وكانت الاخبار تناصرت من بغداد باظهار امير المؤمنين المقتفي لامر الله اعزّ الله نصره على عسكر السلطان (محمد شاه) المخالف لامره ومن انضمّ اليه من عسكر الموصل وغيره بحيث قتل منهم العــدد الكثير والجمّ الغفير ورحلوا عن بغداد مفرّقين مفلولين خاسرين بعد المضايقة والتناهي في المحاصرة والمصابرة(٢ وفي يوم الاحد الثالث من رجب توجّه الملك العادل نور الدين الى ناحية حلب واعمــالها لتجريد مشاهدتها والنظر في حمايتها بحيث عبث المشركون فيها وقرب عساكر الملك ابن مسعود (١ منها والله الموفّق له فيما يراه ويقصده ويتوخّاه

وفي الساعة التاسعة من يوم الاثنين الرابع من رجب سنة ٥٢ وافت زلزلة عظيمة

١) وفي الاصل: مسعود

٢) وفي زبدة التواريخ: ان انقطعت بعد ذلك اطماع السلاطين السلجوقية عن بغـداد

في دمشق لم يُرَ مثلها فيما تقدّم ودامت وَجَفاتُها حتى خاف الناس على انفسهم ومنازلهم وهربوا من الدور والحوانيت والسقايف وانزعجوا واثّرت في مواضع كثيرة ورمت من فصّ الجامع الشيء الكثير الذي يعجز عن اعادة مثلهِ ثم وافت عقيبها زلزلة في الحال ثم سكنتا بقدرة من حرّكهما وسكنت نفوس الناس من الروعة والخوف برحمة خالقهم ورازقهم لا الله الّا هو الرؤوف الرحيم. ثم تبع ذلك في اول ليلة اليوم المذكور زلزلة وفي وسطه زلزلة وفي آخره زلزلة اخفّ من الاولى والله تبارك وتعالى لطيفٌ بعباده وبلاده ولهُ الحمد والشكر رب العالمين. وتلا ذلك في يوم الجمعة الثامن من رجب زلزلة مهولة ازعجت الناس وتلاها في النصف منها ثانيةٌ وعند انبلاج الصبح ثالثة وكذلك (186r) في ليلة السبت وليلة الاحد وليلة الاثنين وتتابعت بعد ذلك بما يطول بهِ الشرح

ووردت الاخبار من ناحية الشمال بما يسوء سماعه ويُرعب النفوس ذكره بحيث انهدمت حماة وقلعتها وسائر دورها ومنازلها على اهلها من الشيوخ والشبّان والاطفال والنسوان وهم العدد الكثير والجمّ الغفير بحيث لم يسلم منهم الّا القليل اليسير. واماً شيزر فان ربضها سلم الّا ما كان خرب اولاً واما حصنها المشهور فانهُ انهدم على واليها تاج الدولة بن ابي العساكر بن منقذ رحمه الله ومن تبعه الّا اليسير ممن كان خارجاً واماً حمص فانَ اهلها كانوا قد اجفلوا منها الى ظاهرها وسلموا وتلفت مساكنهم وتلفت قلعتها واما حلب فهدمت بعض دورها وخرج اهلها و (امّا ما) بَعُدَ عنها من الحصون والمعاقل الى جبلة وجُبَيل فاثرت فيها الا (ثار) المستبشعة واتلفت سلمية وما اتّصلت بها الى ناحية الرحبة وما جاورها ولو لم تُدرك العباد والبلاد رحمة الله تعالى ولطفه ورحمته ورأفته لكان الخطب الخطير والامر الفظيع المزعج بحيث نظم في ذلك من قال:

روّعتنا زلازل حادثاتٌ ... بقضاء قضاه ربّ السماء
هدمتْ حصن شيزر وحماةً ... اهلكت اهلها بسوء القضاء
وبلاداً كثيرةً وحصوناً ... وثغوراً موثّقات البناء
واذا ما رنتْ عيونٌ اليها ... اجرت الدمع عندها بالدماء
واذا ما قضى من الله امرٌ ... سابق في عباده بالمضاء
حار قلب اللبيب فيهِ ومن كان لهُ فطنة وحسن ذكاء
وتراهُ مسبّحاً باكيَ العين ... م مَرُوعا من سخطة وبلاء
جلّ ربّي في ملكه وتعالى ... عن مقال الجهال والسفهاء

واماّ اهل دمشق فلمّا وافتهم الزلزلة من هولها واجفلوا من منازلهم والمسقف الى الجامع والاماكن الخالية من البنيان خوفًا على نفوسهم ووافت بعد ذلك اخرى وفتح باب البلد وخرج الناس الى ظاهره والبساتين والصحراء واقاموا عدّة ليال (186v) وايام على الخوف والجزع يسبّحون ويهللون ويرغبون الى خالقهم ورازقهم في العفو عنهم واللطف بهم والله تعالى والي الاجابة وقبول الرغبة والانابة

ووردت الاخبار مع ذلك من ناحية العراق في اوائل رجب سنة ٥٥٢ بوفاة سلطان غياث الدنيا والدين ابي الحرث سنجر ابن السلطان العادل ابي الفتح ابن السلطان البارسلان وهو سلطان خراسان عقيب خلاصه من الشدّة التي وقع فيها والاسر الذي حصل فيهِ وكان يحبّ العدل والانصاف للرعايا حسن الفعل جميل السيرة وقد علت سنّه وطال عمره وتولّاهُ الله برحمته وسابغ مَغفرَته بفضله ورأفته

وفي شهر رمضان من السنة ورد الخبر من ناحية حلب بوفاة الشيخ الامير مخلص الدين ابي البركات عبد القاهر بن علي بن ابي جرادة الحلبي رحمهُ الله في العشر الثاني منهُ بمرض عرض لهُ وهو الامين على خزائن مال الملك العادل نور الدين سلطان الشام فراعني فقده والمصاب بمثله لانه كان خيّرًا كاتبًا بليغًا حسن البلاغة نظمًا ونثرًا مستحسن الفنون من التذهيب البديع وحسن الخطّ المحرَّر على الاصول القديمة المستطرفة مع صفاء الذهن وتوقد الفطنة والذكاء وكان بيني وبينهُ مودّة مُحصدة الاسباب في ايّام الصباء وبعدها بحكم تردّده من حلب الى دمشق واوجبت هذه الحال تفجّعي بهِ وتأسّفي على مثله نظمَ هذه الابيات أرثيه بها وأصف محاسنه فيها وهي :

فُجعتُ بخلٍ كان يونس وحشتي ... تذكّرُه في غيبةٍ وحضورِ
فتى كان ذا فضلٍ يصول بفضلهِ ... وليس لهُ من مشبهٍ ونظيرِ
وقد كان ذا فضلٍ وحسن بلاغةٍ ... ونظم كَدُرِّ في قلائد حورِ
يفوق بحسن اللفظ كل فصاحةٍ ... وخطّ بديع في الطروس منيرِ
وقد كنتُ ذا شوق اليهِ اذا نأى ... فقد صرت ذا حزن بغير سرورِ
سأشكوا زمانًا روّعني صروفهُ ... بفقدي من اهوى بغير مجيرِ
وما نافعي شكوى الزمان وقد غدا ... على كل ملكٍ في الزمان خطيرِ
واجنادهُ بالمرهفات تحوطهُ ... وكل شجاع فاتكٍ ونصيرِ
(187r) سقى الله قبرًا ضمّه بمجلجل ... بكل اصيل حادث وبكورِ
ليُصبحَ كالروض الانيق اذا بدا ... بزهر يروق الناظرين نضيرِ
برحمة من يُرجى لرحمة مثلهُ ... وغفران ربّ للعباد غفورِ

وفي يوم الاربعاء الرابع والعشرين من شهر رمضان من السنة وافت في دمشق زلزلة روّعت الناس وازعجتهم لما قد وقع في نفوسهم مما قد جرى على بلاد الشام من تتابُع الزلازل فيها وهدم ما هدمت منها. ووافت الاخبار من ناحية حلب بان هذه الزلزلة المذكورة جاءت في حلب هائلة قلقلت من دورها وجدرانها العدد الكثير واجفل منها اهلها الى ظاهرها خوفاً على نفوسهم. وانها كانت بحماة اعظم ما كانت في غيرها وانها هدمت ما كان عُمِرَ فيها من بيوتٍ يلتجأ اليها وانها دامت فيها اياماً كثيرةً في كل يوم عدّةً وافرة من الرجفات الهائلة وتتبعها صيحات مختلفات تُوفي على اصوات الرعود القاصفة المزعجة فسُبحان من لهُ الحكم والامر ومنهُ تُؤمل الرحمة واللطف وهو على كل شيء قدير. وتلا بعد ذلك رجفات متوالية اخفّ من غيرهنَّ فلمّا كان في ليلة السبت العاشر من شوال وافت زلزلة هائلة بعد صلاة العشاء الآخرة ازعجت واقلقت وتلاها في اثرها هزَّة خفيَّة ثم سكَّنهما مُحرّكهما بقدرته ورأفته باهل دمشق ورحمته فلهُ الحمد والشكر ربّ العالمين

وفي يوم الثلثاء الرابع عشر من شوال من السنة ورد الخبر من ناحية بُصرى باستشهاد واليها فخر الدين سرخاك غيلةً في مقرّهِ من حصنها بتدبير تقرَّر بين الامير علي بن جولة زوج ابنته ومن وافقه من اعيان خاصّته واماثل بطانته وكان فيهِ افراط من التحرُّز واستعمال التيقُّظ ولكن القضاء لا يُغالَب ولا يُدافع والمحتوم النافذ لا يمانع

وفي اوَّل ليلة الاحد العشرين من شوال من السنة توفّي الشيخ ابو محمد عبد الرحمن بن احمد بن سلامة برض عرض لهُ وقد علت سنُّهُ وبلغ سبعاً وتسعين سنة المعروف بابن الحراسي وكان شيخاً ظريفاً حسن الهيئة نظيف اللبسة اديباً فاضلاً حسن المحاضرة عند (187[v]) الثابتة والمذاكرة وكان اكثر زمانه مقيماً بشيزر بين آل منقذ مكرّماً مُحترماً رحمهُ الله

وفي ليلة السبت العاشر من ذي القعدة من السنة وافت اولها زلزلة رجفت لها الارض ووجلت لها القلوب وتبعها عِدّة اخفّ من الاولى. وفي غد هذا اليوم بعد مضي تقدير ساعتين منهُ وافت زلزلة وأخرى في اثرها وسكَّنهنَّ المحرّك لهنَّ بقدرته وحكمته وسلّم منهنَّ برحمته ورأفته سبحانهُ وتعالى الرؤوف الرحيم

وكان الغيث قد احتبس وَنَسِيئُهُ عن العادة المعروفة واحتاج ما بذر من الغلال الى

سقيهِ وضاقت الصدور لذلك وقنطت النفوس ثم بعث الله برحمتـــه لخلقه في اوّل ذي القعدة منهُ ما روّى الوهاد والآكام وعمّ حوران وسائر البقاع وسرّت بذلك النفوس وانحطّ سعر الغلّة بعد ارتفاعه فلله الحمد على انعامه على عبيده ولهُ الشكر

وفي ليلة الجمعة الثالث والعشرين من ذي القعدة التالي لما تقدّم بعد مضي ساعةٍ منها وافت زلزلة روّعت القلوب وهزّت المنازل والمساكن ثم سكّنها محرّكها بقـــدرته القاهرة ورحمته الواسعة فلهُ الحمد والشكر رب العالمين

وفي ليلة الاحد الخامس والعشرين من الشهر المذكور التـــالي يوم الجمعة المقدّمِ ذكره وافت في اوائلها زلزلة ازعجت واقلقت ثم تلاها ثانية عند انتصافها اعظم منها نفر الناس من هولها الى الجامع والاماكن المكتشفة وضجّوا بالتكبير والتهليل والتسبيح والدعاء الى الله تعالى والتضرّع اليهِ ثم وافى بعد تلك الثانية ثالثةٌ دونها عند تصرُّم الليل ثم وافى بعد الثالثة رابعةٌ دونها ثم خامسةٌ وسادسةٌ ثم سكنت بقدرة مُحرّكها ولم تؤثّر اثرًا منكرًا في البلد فلله الحمد تعالى امره وعظم شأنه

وفي اوائل ذي القعدة من هذه السنة ورد الخبر من حمص بوفاة واليها الامير الملقَّب بصلاح الدين وكان في ايام شبوبيّته قد حظي في خدمة عماد الدين اتابك زنكي صاحب حلب والشام رحمه الله وتقدَّم عنده بالمناصحة وسداد التـــدبير وحسن السفارة وصواب الرأي ولمّا علت سنُّهُ ضعفت قوّته وآلته عن السعي الّا في ركوب الخيل والجأتهُ الضرورة الى الحمل في المحفّة لتقرير الاحوال والنظر في (188ʳ) الاعمال ولم ينقص من حسّـــه وفهمه ما يُنكر عليهِ الى حين وفاته وخلفه من بعده اولاده في منصبه وولايته

وفي يوم الجمعة انسلاخ ذي القعدة من السنة بعد مضي تقدير ساعتين منهُ وافت زلزلة رجفت بها الارض وانزعج الناس لها ثم سكنت بقدرة المحرّك لها وحكمته البالغة فلهُ الحمد على لطفه بعباده تبارك الله رب العالمين

وفي ايام من شوال سنة ٥٥٢ ورد الى دمشق امير من ائمّة فقهـــاء بلخ في عنفوان شبابهِ وغضارة عودهِ ما رأيتُ افصح من لسانهِ ببلاغته العربيـــة والفارسيّة ولا اسرع من جوابهِ ببراعته ولا اطيش من قلمه في كتابته فقلت ما ينبغي ان يُهمَل اثبات اسم هذا الامير الامام في هذا التـــاريخ المصنّف لانني ما رأيتُ مثلهُ ولا شاهدتُ شبيهاً لهُ فالتمستُ نعوتَهُ التي بها يُعرَف واليهِ تُنسَب فانفذ اليَّ كتاباً قد كُتب عن السلطان غياث الدنيا والدين ابي شجاع محمود بن محمد بن محمود قسيم امير المؤمنين في الطغراء

وكتاب وزيره محمود بن سعد بن عبد الواحد مخلص امير المؤمنين الى الملك العادل نور الدين ملك الشام وكلاهما ينطق بحسن صفاته واحترامه والوصية المؤكّدة باكرامه ووصفه بنعوته المكملة وهي : الامير الامام الاجلّ العالم المحترم الاخصّ الحميد الاعز نظام الدين عماد الاسلام تاج الملوك والسلاطين ملك الكلام بستان العالم افصح العرب والعجم اعجوبة الدهر كريم الاطراف فخر الاسلاف افتخار ما وراء النهر تاج العراق سراج الحرمين مقتدَى الائمّة مُرتضي الخلافة رئيس الاصحاب شرقًا وغربًا مهذّب الائمّة والافاضل ذو المناقب والفضائل نادر الزمان نسيب خراسان ابو الحياة محمد بن ابي القسم بن عمر البلخي (ووعظ) في جامع دمشق عدّة ايام والناس يستحسنون وعظه ويستطرفون فنّه وسلاطة لسانه وسرعة جوابه وحدّة خاطره وصفاء حسّه ونظمت في صفاته هذه الابيات :

نظامُ الدين افضل من رأينا ... من العلماء في عربٍ وعُجمِ
وانهى منهمُ لفظًا وخطًّا ... بحُسن بلاغةٍ وصفاء فهمِ
(188v) يفوقُ فصاحةً قُسًّا ويوفي ... عليهِ عند منثور ونظمِ
اذا رام البديع من المعاني ... اتاهُ مسرعًا كالغيث يهمي
فليس لهُ مُجارٍ في فنون ... حوى احسانها من كل علمِ
اذا وعظ الامام سمعت وعظًا ... يحُطّ العُصم من قلل الاشمّ
ويخرق حسن منطقهِ اذا ما ... تكرّر حسنُهُ سمع الاصمّ
لهُ الشرف الرفيع اذا تناهت ... مفاخرة الشراف بكل قرمٍ
وما الغيثُ من يُحظى بمدحٍ ... سواه اذ مضى في المدح عزمي
وما سمحت لغير علاه نفسي ... على ضني بهِ عن كل فدمِ
فلا زالت مطايا المدح تسري ... اليهِ وقد خلا من كل ذمّ
مدى الايام ما هتفت هتوفٌ ... على غصن بغصن النور ينمي

قد تقدّم من ذكر الملك العادل نور الدين في نهوضه من دمشق في عساكره الى بلاد الشام عند انتهاء الخبر اليهِ بتجمّع احزاب الافرنج خذلهم الله وقصدهم لها وطمعهم فيها بحكم ما حدث من الزلازل والرجفات المتتابعة بها وما هدمت من الحصون والقلاع والمنازل في اعمالها وثغورها لحمايتها والذبّ عنها وايناس من سلم من اهل حمص وشيزر وكفرطاب وحماة وغيرها بحيث اجتمع اليهِ الخلق الكثير والجمّ الغفير من رجال المعاقل والاعمال والتركمان وخيّم بهم بازاء جمع الافرنج في الاعداد

الدثرة والتناهي في الكثرة بالقرب من انطاكية وحصرهم بحيث لم يقدر فارس منهم على الاقدام على الافساد

فلما مضت ايام من شهر رمضان سنة ٥٥٢ عرض للملك العادل نور الدين ابتداء مرض حادّ فلما اشتدّ بهِ وخاف منهُ على نفسه استدعى اخاهُ نصرة الدين امير ميران واسد الدين شيركوه واعيان الامراء والمقدّمين واوصى اليهم ما اقتضاهُ رأيه واستصوبه وقرّر معهم كون اخيهِ نصرة الدين القائم في منصبه من بعده والسادّ لثلمة فقده واشتهاره بالشهامة وشدّة البأس ويكون مقيماً بحلب ويكون اسد الدين في دمشق في نيابة (189ᵛ) نصرة الدين واستحلف الجماعة على هذه القاعدة. فلما تقرّرت هذه القاعدة اشتدّ بهِ المرض فتوجّه في المحفّة الى حلب وحصل في قلعتها وتوجّه اسد الدين الى دمشق لحفظ اعمالها من فساد الافرنج وقصد اعمال الملاعين في اواخر شوال من السنة وتواصلت عقيب هذه الحال الاراجيف بالملك نور الدين فقلقت النفوس وانزعجت القلوب فتفرّقت جموع المسلمين واضطربت الاعمال وطمع الافرنج فقصدوا مدينة شيزر وهجموها وحصلوا فيها فقتلوا واسروا وانتهبوا وتجمّع من عدّة جهات خلق كثير من رجال الاسماعيليّة وغيرهم فاستظهروا عليهم وقتلوا منهم واخرجوهم من شيزر

واتّفق وصول نصرة الدين الى حلب فاغلق والي القلعة مجد الدين في وجهه الابواب وعصى عليهِ فثارت احداث حلب وقالوا: هذا صاحبنا وملكنا بعد اخيهِ. وزحفوا في السلاح الى باب البلد فكسروا اغلاقه ودخل نصرة الدين في اصحابه وحصل في البلد وقامت الاحداث على والي القلعة باللّوم والانكار والوعيد واقترحوا على نصرة الدين اقتراحات من جملتها اعادة رسمهم في التأذّن «بحيَّ على خير العمل» «محمد وعلي خير البشر» فاجابهم الى ما رغبوا فيهِ واحسن القول لهم والوعد ونزل في داره. وانفذ والي القلعة الى نصرة الدين والحلبيين يقول: «مولانا الملك العادل نور الدين حي في نفسه مُقيم في مرضه. وما كان الى ما فعل حاجة تدعو الى ما كان فقيل الذنب في ذاك الى الوالي وكتم الحال وصعد الى القلعة مَن شاهدَ نور الدين حيًّا يفهم ما يقول وما يُقال لهُ فانكر ما جرى وقال: الان انا اصفح الاحداث عن هذا الخطل ولا أواخذهم بالزلل وما طلبوا الّا صلاح حال اخي وولي عهدي من بعدي

وشاعت الاخبار وانتشرت البشارات في الاقطار بعافية الملك نور الدين فأنست القلوب بعد الاستيحاش وابتهجت النفوس بعد القلق والانزعاج وتزايدت العافية وصُرفت

الهمم الى مكاتبات المقدّمين بالعود الى جهاد الملاعين وكان نصرة الدين قد ولّي مدينة حران واضيف اليها وتوجّه نحوها. وكان الغيث قد امسك عن اعمال حوران وعزم اهلها على (189ᵛ) النزوح من ضياعها لعدم ماء شربهم وبُعده عنهم وكذلك سائر الاعمال فلطف الله تعالى بعباده وبلاده فارسل عليهم في العشاء الاخر من كانون الثاني من السنة الشمسية الموافق للعشر الاخر من ذي الحجة من السنة القمرية سنـة ٥٥٢ من الغيث الهطّال المتدارك والثلج المتابع ما روى الوهاد والآكام وجرت بهِ اودية حوران ودارت ارحيّتها وانتعشت زروعها وانبتت بالغيث سباخُها فلله تعالى الحمد على هذه النعمة التي لا يحصى لها عددٌ ولا يحصر لها لمدٌ

ولمّا تناصرت الاخبـار بالبشائر الى اسد الدين بدمشق بعافية الملك العادل نور الدين واعتزامه على استدعاء عساكر الاسلام لجهاد اعداء الله والمقيمـين بالشام سارع بالنهوض من دمشق الى ناحية حلب ووصل اليهـا في خيله واجتمع مع الملك العادل نور الدين فاكرم لُقياهُ وشكر مسعاهُ وشرعوا في حماية الاعمال من شرّ عُصَب الكفر والضلال بما يعود بصلاح الاحوال والله المسهّل لنيل المباغي والآمال بمنّهِ وفضلهِ. ونظمت هذه الابيات في هذا المعنى:

لقد حسُنت صِفاتُك يا زماني ... وفُزتُ بما رجوتُ من الاماني
فكم اصبحت مرعـوباً مخوفاً ... فبـدّلتُ المخـافة بالامانِ
فكم من وحشـةٍ وافت وزالت ... وهدّمتِ الرفيع من المبـاني
وجاءتنـا اراجيفٌ بملـكٍ ... عظيم الشـأن مسعود الزمانِ
فروّعتِ القـلوب من البرايا ... وصارَ شجـاعها مثل الجبـانِ
وثارت فتنـةٌ تُخشى اذاهـا ... على الاسـلام في قاصٍ ودانِ
ووافى بعـد ذاك بشير صدقٍ ... بعافيـة المليك مع التهـاني
فولّى الخوف مهـدوم المبـاني ... وعاد الامن معمور المغـاني

ودخلت سنة ثلث وخمسين وخمسمائة

واوّلها يوم الاثنين اوّل المحرّم والطالع الجدى. وفي اوائله تناصرت الاخبار من ناحية الافرنج خذلهم الله المقيمين في الشام في مُضايقتهم لحصن حارم ومواظبتهم على رميهِ (190ʳ) بحجارة المناجيق الى ان أُضعف ومُلك بالسيف وتزايد طمعهم في شنّ الغارات في الاعمال الشامية واطلاق الايدي في العيث والفساد في معاقلها وضياعها بحكم تفرّق

العساكر الاسلاميَّة والخلف الواقع بينهم باشتغال الملك العادل بعقابيل المرض العارض له ولله المشيئة التي لا تدافع والاقضية التي لا تمانع

وفي صفر منها ورد الخبر والمبشر ببروز الملك العادل نور الدين من حلب المتوجه الى دمشق واتّفق للكفرة الملاعين متواتر الطمع في شنّ الغارات على اعمال حوران والاقليم واطلاق ايدي الفساد والعيث والاحراق والاخراب في الضياع والنهب والاسر والسبي وقصد داريّا والنزول عليها في يوم الثلثاء انسلاخ صفر من السنة واحراق منازلها وجامعها والتناهي في اخرابها وظهر اليهم من العسكرية والاحداث العدد الكثير وهمُّوا بقصدهم والاسراع الى لقائهم وكفّهم فمنعوا من ذلك بعد ان قربوا منهم وحين شاهد الكفّار خذلهم الله كثرة العُدَد الظاهرة اليهم رحلوا في آخر النهار المذكور الى ناحية الاقليم

ووصل الملك نور الدين الى دمشق وحصل في قلعتها غرّة يوم الاثنين السادس من شهر ربيع الاوَّل سالمًا في نفسه وجملته ولُقي باحسن زي وترتيب وتجمّل واستبشر العالم بقدومه المسعود وابتهجوا وبالغوا في شكر الله تعالى على سلامته وعافيته والدعاء له بدوام ايامه ونصر اعلامه وشرع في تدبير امر الاجناد والتأهب للجهاد والله تعالى يمدّه بالنصر وادراك كل بغيةٍ ومراد

وفي اوائل (شهر) ربيع الاوَّل من سنة ٥٣ ورد الخبر من ناحية مصر بخروج فريق وافر من عسكرها الى غزّة وعسقلان واغاروا على اعمالها وخرج اليها من كان بها من الفرنج الملاعين فاظهر الله المسلمين عليهم قتلًا واسرًا بحيث لم يفلت منهم الّا اليسير وغنموا ما ظفروا وعادوا سالمين ظافرين وقيل ان مقدّم الغُزاة في البحر ظفر بعدّة من مراكب المشركين وهي مشحنة بالافرنج فقتل واسر منهم العدد الكثير والجمّ الغفير وحاز من اموالهم وعددهم واثاثهم ما لا يكاد يُحصى وعاد ظافرًا غانمًا

وورد الخبر في الخامس عشر (190[v]) من شهر ربيع الاول من السنة من ناحية حلب بحدوث زلزلة هائلة روّعت اهلها وازعجتهم وزعزعت مواضع من مساكنها ثم سكنت بقدرة محرّكها سبحانهُ وتعالى ذكره. وفي ليلة السبت الخامس والعشرين من ربيع الاول من السنة وافت زلزلة بدمشق روّعت واقلقت ثم سكنت بقدرة محرّكها تعالى ذكره

وفي يوم الاحد التاسع من شهر ربيع الاخر من السنة برز الملك العادل نور الدين

من دمشق الى جسر الخشب في العسكر المنصور بآلات الحرب مُجدًّا في جهاد الكفرة المشركين وقد كان اسد الدين قبل ذلك عنـد وصوله في من معه من فرسان التركمان غار بهم على اعمال صيدا وما قرب منهـا فغنموا احسن غنيمةٍ واوفرها وخرج اليهم ما كان بها من خيالة الافرنج ورجالتها وقد كمنوا لهم فغنموهم وقتل اكثرهم وأُسر الباقون وفيهم ولد المقدَّم المُوَلَّى حصن حارم وعادوا سالمين بالاسرى ورؤوس القتلى والغنيمة لم يُصب منهم غير فارس واحد فُقد ولله الحمد على ذلك والشكر

وفي يوم الثلثاء اول شهر تموز الموافق لاول جمادى الاخرة من السنة وافى في البقاع مطر هطّال بحيث حدث منهُ سيل احمر كما جرت بهِ العادة في تنبول (كذا) الشتاء ووصل الى بَرَدى ووصل الى دمشق فكثر التعجُّب من قدرة الله سبحانه وتعالى حدوث مثل ذلك في مثل هذا الوقت

وفي اخر ليلة الاربعاء الثالث والعشرين من رجب من السنة وافت زلزلة عنـد تأذين الغداة روّعت القلوب وازعجت النفوس ثم سكنت بقدرة الله الرؤوف الرحيم ثم وافت أُخرى عقيب الماضيـة في ليلة الخميس وقت صلاة الغداة ثم سكنت بقدرة الله تعالى

وورد الخبر من العسكر المحروس بان الافرنج خذلهم الله تجمَّعـوا وزحفوا الى العسكر المنصور وان المولى نور الدين نهض في الحال في العسكر والتقى الجمعان واتّفق ان (في) عسكر الاسلام حدث لبعض المقدَّمين فشل فاندفعوا وتفرَّقوا بعد الاجتماع وبقي نور الدين ثابتًا بمكانه في عدَّةٍ يسيرة من شجعان غلمانه وابطال خواصه في وجوه الافرنج واطلقوا فيهم السهام فقتلوا منهم ومن خيولهم العدد الكثير ثم ولَّوا منهزمين خوفًا من (191^r) كمين يظهر عليهم من عسكر الاسـلام ونجّى الله وله الحمد نور الدين من بأسهم بمعونة الله تعالى لهُ وشدَّة بأسه وثبات جأشه ومشهور شجاعته وعاد الى مخيّمه سالمًا في جماعته ولام من كان السبب في اندفاعه بين يدي الافرنج وتفرّق جمع الافرنج الى اعمالهم. وراسل ملك الافرنج في طلب الصلح والمهادنة وحرض على ذلك وتردَّدت المراسلات بين الفريقين ولم يستقرّ حال بينهما واقام العسكر المنصور بعد ذلك مدَّة ثم اقتضى الرأي السعيد الملكي النوري الانكفاء الى البلد المحروس فوصل اليهِ في يوم . . . من شعبان من السنة

ولمَّا كان في اواخر ايام من رجب سنة ٥٥٣ تجمَّع قوم من سفهـاء العوامّ وعزموا

على التحريض للملك العادل نور الدين على اعادة ما كان ابطلهُ وسامح بهِ اهل دمشق من رسوم دار البطيخ وعرضة البقل والانهار وصانهم من اعنات شرّ الضمان وحوالة الاجناد وكرّروا بسخف عقولهم الخطاب وضمنوا القيام بعشرة الاف دينار بيضاء وكتبوا بذلك حتى أُجيبوا الى ما راموهُ فشرعوا في فرضها على ارباب الاملاك من المقدّمين والاعيان والرعايا فما اهتدوا الى صواب ولا نجح لهم رأي في خطاب ولا جواب وعسفوا الناس بجهلهم بحيث تألّموا واكثروا الضجيج والاستغاثة الى الملك العادل نور الدين فصرف همّه الى النظر في هذا الامر فنتجت لهُ السعادة وايثار العدل في الرعية في اعادة ما اشكل الى ما كان عليهِ فلمّا كان يوم الاثنين العاشرِ من شهر رمضان امر باعادة الرسوم المعتادة الى ما كانت من أَمانها وتعفية اثرها واضاف الى ذلك تبرُّعاً من نفسه ابطال ضمان الهريسة والجبن واللبن ورسم بكتب منشور يقرأ على كافّة الناس بابطال هذه الرسوم جميعها وتعفية ذكرها فبالغ العالمُ في ذلك من مواصلة الادعية للملك العادل والثناء عليهِ والنشر لمحاسنه فالله تعالى يستجيب منهم ويديم ايامه ويقرن ايامه بالسعادة والنصر لاوليائه واعلامه

وفي يوم الثلثاء الحادي والعشرين من شهر رمضان من السنة وصل الحاجب محمود المولّد من ناحية مصر بجواب ما تحمّلنا من الراسلات من الملك الصالح متولّي امرها (191ᵃ) ومعهُ رسول من مقدّمي امرائها ومعهُ المال المنفَذ برسم الخزانة الملكيَّة النوريَّة وانواع الاثواب المصريَّة والجياد العربيَّة. وكانت فرقة من الافرنج خذلهم الله قد ضربوا المهمّ في المعابر فاظفر الله بهم بحيث لم يفلت منهم الّا القليل النزر ثم تلا ذلك وورد الخبر من العسكر المصري بظفره بجملة وافرة من الافرنج والعرب تُناهز اربعمائة فارس وتزيد على ذلك في ناحية العريش من الجفار بحيث استولى عليهم القتل والاسر والسلب وكان فتحاً حسناً وظفراً مستحسناً والله المحمود على ذلك المشكور

وفي يوم الثلثاء ثالث شوال من السنة توفّي المنتجب ابو سالم بن عبد الرحمن الحلبي متولّي كتابة الجيش وعرض الاجناد في ديوان الملك العادل نور الدين رحمهُ الله وكان خيّرًا حسن الطريقة مجموعاً على شكره والتأسف على فقد مثله وتلا مُصابهُ وفاة المهذّب ابي عبد الله بن نوفل الحلبي في دمشق ايضاً رحمهُ الله في يوم الجمعة السادس والعشرين من ذي القعدة من السنة وكان كاتباً للامير الاسفهسلّار اسد الدين ووزيره وهو

موصوف بالخيرية محمود الافعال مشكور المقاصد في جميع الاحوال والخلال واستخدم ولده في منصبه

وتلا ذلك ورود الخبر من ناحية حماة في العشر الاخير من ذي الحجة من السنة بوفاة رضي الدين ابي المجد مُرشد بن علي بن عبد اللطيف المعرّي بحماة رحمه الله وكان من الرجال الاسداء الكُفاة فيما كان يستنهض فيه في ايام الاتابكية وكذلك في الايام النورية وكان مع ذلك موصوفًا بالخيرية وسلامة الطبع مستمرًا في ذلك على منهاج اسوته

وكانت الاخبار قد تناصرت من ناحية القسطنطينية في ذي الحجة من السنة ببروز ملك الروم منها في العدد الكثير والجمّ الغفير لقصد الاعمال والمعاقل الاسلامية ووصوله الى مروج الديباج وتخييمه فيها وبثّ سراياهُ للاغارة على الاعمال الانطاكيّة وما والاها وان قومًا من التركمان ظفروا بجماعةٍ منهم هذا بعد ان افتتح من الاعمال لاوين ملك الارمن عدّة من حصونه ومعاقله . ولمّا عرف الملك العادل نور الدين هذا شرع في مكاتبة وُلاة الاعمال والمعاقل باعلامهم ما حدث من (192r) الروم ويبعثهم على استعمال التيقُّظ والتأهُّب للجهاد فيهم والاستعداد للنكاية بمن يظفر منهم والله تعالى ولي النصر عليهم والاظفار بهم كما جرت عوائده الجميلة في خذلانهم والاظهار عليهم وردّ باسهم في نحورهم وهو تعالى على كل شيء قدير

وقد اتّفق في هذه السنة السعيدة التي هي سنة ٥٥٣ منذ ابتداء تشرين الثاني الكائن فيها الى اوائل شباط ان السماء بامر خالقها ارسلت عزاليَها بتدارُك الثلوج والامطار مع توالي الليل والنهار بحيث عمّت الاقطار ورَوَت الوهاد والاغوار والبراري والقفار وجرت الاودية وتتابعت السيول بمائها المصندل واللبني والبنكي واكتست الاراضي المنخفضة والبقاع بخضرة الزرع وعشب النبات واشبعت السائمة بعد الضعف والسغب واراحتها من كلفة العناء والتعب وكذلك سائر المواشي الراعيَة والوحوش القاصية والدانية وتناصرت الاخبار من سائر الجهات بعموم هذه النعمة وذكر الشيوخ انهم لم يشاهدوا مثل ذلك في السنين الخالية فلله على (نعمته) خالص الحمد ودائم الشكر

ودخلت سنة اربع وخمسين وخمسمائة

اولها يوم الجمعة مستهلّ المحرَّم منها . وفي هذا اليوم وافت زلزلة عظيمة ضحى نهاره وسكّنها محركها بقدرته ورحمته وتلاها في يومها ثنتان دونها

وكان في اوائل ايام من ذي الحجة سنة ٥٥٣ قد عرض للملك العادل نور الدين مرضٌ تزايد بهِ بحيث اضعف قوَّته ووقع الارجاف بهِ من حُسَّاد دولتــه والمفسدين من عوامّ رعيَّته وارتاعت الرعايا واعوان الاجناد وضاقت صــدور قطَّان الثغور والبلاد خوفاً عليهِ واشفاقاً من سُوء يصل اليهِ لاسيما مع اخبار الروم والخبر من الافرنج خذلهم الله ولمَّا احس من نفسه بالضعف تقدَّم الى خواصّ اصحابه وقال لهم: انني قد عزمت على وصيَّةٍ اليكم بما قد وقع في نفسي فكونوا لها سامعين مطيعين وبشروطهــا عاملين . فقالوا: السمع والطــاعة لامرك وما تقرّره من رأيك وحكمك فانَّا لهُ قابلون وبهِ عاملون. فقال: اني مشفقٌ على الرعايا وكافَّة (192ª) المسلمين ممن يكون بعــدي من الوُلاة الجاهلين والظلمة الجائرين وان اخي نصرة الدين امير ميران اعرفُ من اخلاقه وسُوء افعاله ما لا ارتضي معه بتوليته امراً من امور المسلمين وقد وقع اختيــاري على اخي الامير قطب الدين مودود بن عماد الدين متولّي الموصل وخواصه لما يرجع اليهِ من عقلٍ وسدادٍ ودين وصحَّة اعتقاد بان يكون في منصبي بعدي والسادّ لثلمة فقــدي فكونوا لامره بعدي طائعين ولحكمه سامعين فاحلفوا لهُ بصحَّة من نياتكم وسرائركم واخلاص من عقائدكم وضمائركم. فقالوا: امرك المطاع وحكمك المتَّبعُ. فحلفوا الأَيمان الموكدة على العمل بشروطها واتباع رسومها وانفذ رسله الى اخيه المذكور لاعلامه صورة الحال ليكون لها مستعداً واليها مُسرعاً. ثم تفضَّل الله تعــالى عليهِ وعلى كافة المسلمين ببدوء الابلال من المرض وتزايد القوَّة في النفس والجسم وجلس للدخول اليهِ والسلام عليهِ فسُرَّت النفوس بهذه النعمة وقويت بتجديدها

وكان الامير مجد الدين النائب في حلب قد رتَّب في الطرقات من يحفظ السالكين فيها فظفر القيم في منبج برجل حمَّال من اهل دمشق يُعرف بابن مغزو معه كتب فانفذه بها الى مجاهد الدين متولّي حلب فلمَّا وقف عليها امر بصلب متحمّلهــا. وانفذها في الحال الى الملك العادل نور الدين فلما وقف في يوم الخميس من العشر الثاني من المحرَّم من السنة الجديدة وجدها من امين الدين زين الحاج ابي القسم متولي ديوانه ومن عز الدين متولي ولاية القلعة مملوكه ومن محمد حمري (كذا) احد حجَّابه الى اخيهِ نُصرة الدين امير ميران صاحب حرَّان باعلامه بوقوع اليأس من اخيهِ الملك العــادل ويحضَونهُ على المبادرة والاسراع الى دمشق لتُسلّم اليهِ. فلما عرف ذلك عرض الكُتُب على اربابها فاعترفوا بها فامر باعتقالهم وكان في جملتهم الرابع لهم سعد الدين عثمان وكان قد خاف

فهرب قبل ذلك بيومين . وورد في الحال كتاب صاحب قلعة جعبر يخبر بقطع نصرة الدين مجدًّا الى دمشق فانهض اسد الدين في العسكر المنصور لردّه ومنعه من الوصول فاتّصل به خبر عوده الى مقرّه عند معرفته بعافية الملك العادل اخيه فعاد اسد الدين في العسكر الى البلد

ووصلت رُسل الملك من (193r) ناحية الموصل بجواب ما تحمّلوهُ الى اخيهِ قطب الدين وفارقوهُ وقد برز في عسكره متوجّهاً الى ناحية دمشق فلما فصل عن الموصل اتّصل بهِ خبر عافية الملك نور الدين فاقام بحيث هو ونفّذ الوزير جمال الدين ابا جعفر محمد بن علي لكشف الحال فوصل الى دمشق في يوم السبت الثامن من صفر سنة ٥٥٤ في احسن زيّ وانهى تجمّلٍ وخرج الى لقائه الخلق الكثير . وهذا الوزير قد الهمهُ الله تعالى من جميل الافعال وحميد الاخلاق وكرم النفس وانفاق ماله في ابواب البرّ والصلات والصدقات ومستحسن الآثار في مدينة الرسول صلى الله عليهِ وسلّم ومكّة والحرم والبيت ما قد شاع ذكره وتضاعف عليهِ مدحه وشكره واجتمع مع الملكِ العادل نور الدين وجرى بينهما من المفاوضات والتقريرات ما انتهى عوده الى جهته بعد الاكرام لهُ وتوفيته حقه من الاحترام واصحبه برسم قطب الدين اخيهِ وخواصّه من الملاطفة ما اقتضتهُ الحال الحاضرة وتوجّه معه الامير الاسفهسلّار اسد الدين شيركوه في خواصّه يوم السبت النصف من صفر من السنة المذكورة

وقد كان وصل من ملك الروم رسول من معسكره ومعه هدية تحف الملك العادل من اثواب ديباج وغير ذلك وجميل خطاب وبغال وقوبل بمثل ذلك وعاد اليهِ في اواخر صفر من السنة . وحكي عن ملك الافرنج خذلهُ الله ان المصالحة بينهُ وبين ملك الروم تقرّرت والمهادنة انعقدت والله يردّ بأس كل واحدٍ منهما الى نحره ويُذيقهُ عاقبة غدره ومكره وما ذلك على الله بعزيز

وفي العشر الثاني من صفر من السنة توجه الحاجب محمود المسترشدي الى مصر عائدًا مع رُسلها كتب الله سلامتهم بجرايات ما كان ورد معهم من مكاتبات الملك العادل الصالح متولي امرها عن الملك العادل نور الدين اعز الله نصره

ووردت اخبار من ناحية ملك الروم باعتزامه على انطاكية وقصد المعاقل الاسلامية فبادر الملك العادل نور الدين بالتوجه الى البلاد الشامية لايناس اهلها من استيحاشهم من شرّ الروم والافرنج خذلهم الله فسار في العسكر المنصور صوب حمص وحماة وشيزر

والاتمام الى حلب الى ان اقتضت الحال ذلك في يوم الخميس الثالث من شهر ربيع الاول من السنة (193ᵛ) وفي الليلة الاحد الثاني والعشرين من شهر ربيع الاول من السنة وافت في انتصافه زلزلة هائلة ماجت اربع موجات ايقظت النيام وازعجت اليقظى وخاف كل ذي مسكن مضطرب على نفسه وعلى مسكنه ثم سكّنها محرّكها بلطفه ورحمته فلهُ الحمد الرؤوف بعباده الرحيم ولم يعلم تأثيرها في الاماكن النائيَة فسبحان القادر على ما يشاء العليم الحكيم

وفي العشر الاوَّل من شهر ربيع الاخر من السنة ورد الخبر من ناحية حلب بوفاة ابي الفضل اسمعيل بن وقار الطبيب في يوم الجمعة آخر شهر ربيع الاول رحمه الله وكان في خدمة الملك العادل نور الدين اعزّ الله انصاره وكان قد حظي عنده باصابات في صنائعهِ وقرب سعادته مع ذكاء فيهِ ومعرفةٍ بكونه سافر الى بغداد من دمشق واجتمع بجماعة من فضلائها وقرأ عليهم واخذ عنهم هذا مع خبرته وحميد طريقته واجتماع الناس على احماده والتأسف على فقد مثله في حسن فعله لكن القضاء لا يُدافَع والمقدور لا يمانع

وفي يوم الجمعة التاسع من جمادى الاولى من السنة هبّت ريح شديدة اقامت يومها وليلتها فاتلفت اكثر الثمار صيفيَّها وشتويها وافسدت بعض الاشجار ثم وافت آخر الليل زلزلة هائلة ماجت مرجتين ازعجت واقلقت وسكّنها محرّكها وحرس المساكين مثبتها برحمته وقدرته فلهُ الحمد والشكر ربّ العالمين

وفي جمادى الاولى من السنة في اوله تناصرت الاخبار المبهجة من ناحية العسكر المنصور الملكي النوري باعمال حلب بتواصل الامراء المقدّمين وُلاة الاعمال المجاهدة احزاب الكفرة الضلّال من الروم والافرنج لقصد الاعمال الاسلامية والطمع في تملُّكها والافساد فيها والحماية لها من شرّهم والذبّ عنها من مكرهم في التناهي في الكثرة والاعداد الدثرة فقضى الله بحسن لطفه بعباده ورحمته ورأفته ببلاده ان سهّل للعزائم المنصورة الملكيَّة النوريَّة من صائب الرأي والتدبير وحسن السياسة والتقرير وخلوص النيَّة لله تعالى وحسن السريرة بحيث المهادنة الموكدة والموادعة المستحكمة بين الملك العادل نور الدين وملك الروم ما لم يكن في الحساب ولا خطر ببال بحيث انتظمت الحال في ذلك في عقد السداد وكُنه المراد بحسن رأي ملك الروم ومعرفته بما يؤول اليهِ عواقب الحروب ويعسر الامل المطلوب بعد تكرّر المراسلات والاقتراحات في (194ʳ) التقريرات واجيب ملك الروم الى ما التمسهُ من اطلاق مقدّمي الافرنج

المقيمين في حبس الملك نور الدين وانقذهم باسرهم وما اقترحهُ اليـه وحصولهم لديه وقابل ملك الروم هذا الفضل بما يُضاهيـه افعال عظماء الملوك الاسداء من الاتحاف بالاثواب الديباج الفاخرة المختلفة الاجناس الوافرة العدد ومن جوهر نفيس وخيمة من الديباج لها قيمة وافرة وما استحسن من الخيول المحلّية ثم رحل عقيب ذلك في عسكره من منزله عائدًا الى بلاده مشكورًا محمودًا ولم يؤذِ احدًا من المسلمين في العشر الاوسط من جمادى الاولى سنة ٥٥٤ فاطمأنّت القلوب بعد انزعاجها وقلقها وأمنت عقيب خوفها وفرقها فلله الحمد على هذه النعمة حمد الشاكرين

وورد الخبر بعد ذلك بان الملك العادل نور الدين صنع لاخيهِ قطب الدين ولعسكره ولمن وردمعهُ من المقدّمين والوُلاة واصحابهم الواردين لجهاد الروم والافرنج في يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الاولى من السنـة سماطًا عظيمًا هائلًا يناهي فيهِ بالاستكثار من ذبح الخيول والابقار والاغنام وما يحتاج اليهِ في ذلك ممَّا لا يشاهد مثله ولاشبه لهُ مما قام بجملةٍ كبيرة من الغرامة وفرَّق من الحُصن العربية والخيول والبغال العدد الكثير من الخلع وانواع الديباج المختلفة وغيره والصحون الذهب الشيء الكثير الزائد على الكثرة وكان يومًا مشهودًا في الحسن والتجمّل. واتّفق ان جماعة من غُرباء التركمان وجدوا من الناس غفلةً باشتغالهم بالسماط وانتهـابه فغاروا على العرب من بني اسامة وغيرهم واستاقوا مواشيهم فلمّا ورد الخبر بذلك أُنهض في اثرهم فريق وافر من العسكر المنصور فادركوهم واستخلصوا منهم جميع ما اخذوه واعيد الى اربابه وسكنت النفوس بعد انزعاجها والله المحمود المشكور

ثم تقرَّر الرأي الملكي النوري اعلاه الله على التوجّه الى مدينـة حرّان لمنازلتها واستعادتها من اخيهِ نصرة الدين (١ حسبما رآهُ في ذلك من الصلاح ورحل في العسكر المنصور في اول جمادى الاخرة فلما نزل عليها واحاط بها وقعت المراسلات والاقتراحات والممانعات والمحاربات الى ان تقرَّرت الحال على امان (194ᵛ) مَن بها وتسلَّمت في يوم السبت الثالث والعشرين من جمادى الاخرة المذكور وقُرّرت احوالها واحسن النظر اليها في احوال اهليها وسلّمت الى الامير الاجلّ الاسفهسلّار زين الدين على سبيل الاقطاع لهُ وفوّض اليهِ تدبير امورها

---

١) قال سبط ابن الجوزي: وسببه ان نور الدين لمّا مرض وقع اليـأس منهُ وكاتب اخوه الجند وطمع في الملك فشقّ على نور الدين

ودخلت سنة خمس وخمسين وخمسمائة

واولها يوم الثلثاء مستهلّ المحرَّم والشمس في كح درجة وكح دقيقة من الجدى والثاني عشر من كانون الثاني والطالع القوس سبع عشرة درجة وخمس دقائق. وفي ليلة الجمعة من صفر من هذه السنة توفي الامير مجاهد الدين بزان بن مامين(١ احد مقدّمي امراء الاكراد والوجاهة في الدولة رحمه الله موصوف بالشجاعة والبسالة والسماحة مواظبٌ على بثّ الصلات والصدقات في المساكين والضعفاء والفقراء مع الزمان وكل عصر ينقضي واوان جميل المحيَّا حسن البشر في اللقاء وحُمل من داره بباب الفراديس الى الجامع للصلاة ثم الى المدرسة المشهورة باسمه فدُفن فيها في اليوم ولم يخلُ من باكٍ عليهِ ومؤبّنٍ لهُ ومتأسّفٍ على فقده لجميل افعاله وحميد خلاله ورُثي بهذه الابيات المختصرة وهي:

كم غافلٍ وسهامُ الموت مُصمية ... تُصميه في غفلةٍ منهُ ونسيانِ
بينا تراه سريع الخطو في وطر ... حتى تراه سريعاً بين اكفانِ
كذاك كان بزانٌ في امارته ... ما بين جندٍ وانصارٍ واعوانِ
هبَّت رياح الرزايا في منازله ... فغادرتها بلا انسٍ وجيرانِ
امسى بقبرٍ وحيدًا جنب مدرسة ... بلا رفيقٍ ولا خلٍّ واخوانِ
ما عاينت نعشهُ عينٌ مؤرقةٌ ... الّا بكتهُ بانواءٍ وتهتانِ
فرحمة الله لا ينفكُّ زائرهُ ... لحدًا حوى جسمه منهُ بغفرانِ
ولا اغبّت ثراه كل مرعدةٍ ... تهمي عليهِ بغيثٍ ليس بالواني
حتى تُرَوّضهُ منها بصَيّبها ... بكل زهرٍ غضيضٍ ليس بالفاني
ما دامت الشهب في الافلاك دائرةً ... وناحت الورق ليلًا بين اغصانِ
(195r) من يفعل الخير في الدنيا فقد ظفرت ... يداهُ بالحمد من قاصٍ ومن دانِ

وفي يوم الخميس مستهلّ صفر من السنة رفع القاضي ذكي الدين ابو الحسن عليّ ابن محمد بن يحيى بن علي قاضي دمشق الى الملك العادل نور الدين رُقعةً يسئلهُ فيها الاعفاء من القضاء والاستبدال بهِ فاجاب سؤالهُ وولّى قضاء دمشق القاضي الاجلّ الامام كمال الدين بن الشهرزوري وهو المشهور بالتقدّم ووفور العلم وصفاء الفهم والمعرفة

١) وفي حاشية: قلتُ هذا مجاهد الدين هو ابو الفوارس بُزان بن مامين بن علي بن محمد وهو من الاكراد الجلاليّة وهي طائفة منهم بلادهم في العراق بنواحي دقوقا من اعمال بغداد

بقوانين الاحكام وشروط استعمال الانصاف والعدل والنزاهة عن الاشفاف وتجنُّب الهوى والظلم وحكم بين الرعايا باحسن افصالٍ في الحكم وكتب لهُ المنشور بذلك بنعوته المكمّلة وصفاته المستحسنة ووصاياهُ البليغة المتقنة واستقام لهُ الامر على ما يهواهُ ويؤثرهُ ويرضاهُ على ان القضاء من بعض أَدَواتهِ واستقرّ ان النائب عنهُ عند اشتغاله ولده (١



هذا آخر ما وُجد من مذيّل التاريخ الدمشقي والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآلهِ وصحبهِ وسلّم تسليماً كثيراً

وكان الفراغ من كتابته سلخ ربيع الآخر سنة ٦٢٩ كتبه اسير ذنبه الراجي عفو ربّه محمد بن ابي بكر بن اسمعيل بن الشيرجي الموصلي غفر الله لهُ زلله وخطأَه وخطله ولجميع المسلمين



١) ودونك ترجمة السنة الخامسة والخمسين بعد الخمسمائة عن الفارقي قال في تاريخهِ: انهُ مات فيهِ الخليفة الفائز ابن الظافر بمصر والسلطان اذ ذاك الملك الصالح ابن رزيك واجتمعوا وولّوا صبياً صغيراً من الدار اسمهُ عبد الله ويُكنّى بابي محمد ويُلقّب بالعاضد وهو ابن يوسف بن عبد

المجيد الحافظ وابوه احد الثلثة الذين قتلهم عبّاس بعد الظافر واستقرّ في الخلافة وهو الخليفة الرابع عشر من حيث وُلّوا هذا البيت لان كل خليفة وُلِّيَ عُلِّقت منطقتهُ بقبلة الجامع وتكون منطقة الذين قبله مكشوفةً ومنطقة الحي مغطّاةً فاذا مات ووُلي غيره كُشفت وعُلّقت منطقة المولى مغطاة وكمل في الجامع مع هذه الى هذه السنة اربع عشر منطقة . وحدَّثني بهذا جماعة ممَّن سافر الى ديار مصر . وبقي العاضد في الخلافة واستقرّ والصالح السلطان بالبلاد

وقال ايضاً : وفي سنة ٥٥٦ وثب القسوس بمدينة آنة على صاحبها الامير فضلون بن منوجهر وانهزم ومضى الى قلعة تسمَّى بكران مجاور سرماري وسلَّموا القسوس آنة الى ملك الابخاز كركور وحضر عساكره وملكها ونهب منها مالًا عظيماً وسبى جميع اهل شداد وفضلون . وفي جمادى الاولى ولّى ملك الابخاز فيها حاجبه سعدون وعاد الى تفليس

وفي رجب من السنة اجتمعت العساكر جميعها من جميع اطراف شاه ارمن وعزّ الدين سُلتق وفخر الدين (دولت شاه) صاحب ارزن وصاحب القرس وسرماري وساروا الى نهر ارَس وخرج الصاحب نجم الدين (الي بن تمرتاش) يقصدهم فنزلوا على آنة في شعبان من السنة واقاموا عليها فقصدهم ملك كركور ملك الابخاز وكسرهم على باب آنة و (لمّا) وصلت العساكر والملك انهزم الامير سُلتق فانفصل عن المسلمين لان كان ملك الابخاز ديمطري لما أسره كما ذكرنا واطلقهُ استحلفهُ انهُ لا يضرب في وجههِ سيفاً ولا وجه اولاده ولا يُلقي لهُ عسكرًا ولا لاولادهِ ما عاش وطلب سُلتق الفرس . فلما انفصل الامير سلتق انهزم العساكر من المسلمين ووقع فيهم السيف وقتل منهم خلقاً عظيماً . فانهزم شاه ارمن من باب آنة وصاحب ارزن بفرسه واسر من المسلمين ما لا يحصى ونهب بَرَك شاه ارمن وقتل اكثر اصحابه والمسعود من سلم من الواقعة وأُسر من المسلمين مقدار تسعة الف فارس وراجل من اكابر بيت سكمان وغيرها فأُسر بدر الدين اخو الخاتون صاحبة اخلاط لأُمها وخلقٌ لا يحصى

وبلغ خبر الكسرة للصاحب نجم الدين وكان وصل الى ولاية مناذجرد فعاد ولم يجتمع بشاه ارمن ولاحضر الوقعة ووصل الى ميافارقين . ونفَّذ الوزير جمال الدين وزير الموصل الى ملك الابخاز رسولًا وشفع في الامير هلدري القرقطفي صاحب اسباكرد وكان من اصحاب شاه ارمن وأُسر في الوقعة فاطلقهُ ونفّذ حمّة الف دينار واشترى بها اسارى من المسلمين ممَّن ليس لهُ احدٌ ولا اهلٌ ولا مالُ واشترى قوماً حجازيين كانوا أُسروا في الوقعة

وقال ايضاً : وفي شهر شعبان من سنة ٥٥٧ اغارت الكرج على مدينة دوين ودخلوا اليها ونهبوا جميع ما كان فيها وقتلوا خلقاً عظيماً وأَسروا من المسلمين خلقاً لا يحصى ونقضوا المنارة التي كان بناها قُرتي بن الاحدب من جماجم الكُرج في وقعة اوقع بهم واخربوا المساجد واكثر الدُور وعادوا الى تفليس واقاموا مدَّةً وخرجوا وقصدوا مدينة جنزي ونهبوا وأسروا خلقاً ثم عادوا الى تفليس والاسارى على العجل وغنموا غنائمَ لا تُحصى

وقال ايضاً : وفي يوم الاربعاء تاسع شعبان من سنة ٥٥٨ كسر شاه ارمن والسلطان ارسلان شاه ابن طغرلبك وشمس الدين الدكز وفخر الدين صاحب ارزن ملك الابخاز والكرج كسرةً عظيمةً ودخلوا الى حصن الكركري وكانت الوقعة هناك وكُسروا اقبح كسرة وغنم منهم من الاموال ما لا يوصف ولا يحصى وأخذ اصطبل الملك وكانت معالفهُ فضة وأخذ الشرابخانه وما كان فيه وأخذ الدنان الفضة التي كانت فيهِ . وأُحضر الدنّ الواحد بين يدي السلطان وكان الدنّ

ورفيقهُ يُحملان على عجلةٍ فنفذه السلطان وانفذ من الغنيمة مقدار الفي دينـار يشتري بها وحمل شَرْبات ذهب وفضّة وحمل الجميع الى جامع همذان للسبيـل برسم شرب الماء واخذ التركمان الدنّ الاخر وقطعتهُ ونهبوا منهم نهباً عظيماً وقتلوا خلقاً كثيرًا وانهزم ملك الابخـاز الى غيضة عظيمة فيها خشب الصنوبر مسيرة ثلثة ايام لا يقع على احدٍ فيهـا الشمس الّا نادرًا وقد رأيتُ موضع الوقعة في هذه الغيضة ما كنت في خدمة ملك الابخاز في سنة ٤٩

واخذ شاه ارمن ثلثة حمال كان احدها فيـه آنية ذهب وفضة والثاني كان احدها فيه آنية ذهب وفضة والثاني كان عليهِ بيعة الملك فيهِ صلبان ذهب وفضّة مرصّعة بانواع الجواهر وفيـهِ اناجيل مُصوَّرة بالذهب مرصّعة بالجواهر لا يُعرف قيمتها ولا يوجد مثلها والثالث عليهِ خزانة الملك من ذهب وفضة وجوهر ما لا يقوَّم بعضهُ كثرةً بحيث انهُ قيل ان كُتّاب اخلاط بديوانها قوَّموا ما وصل الى شاه ارمن وكان مثل ما أُخذ منهُ على باب آنة عند ما كُسر ثلثين ضعفاً . ولقد سمعت هذا من جماعة كثيرة من اهل اخلاط ممَّن كان بالوقعة وكنت اذ ذاك ببـدليس ويوم وصل المبشّر الى اخلاط كنتُ باخلاط وجماعة من الفارّ فيهِ وكان يوماً عظيماً بحيث انهُ ذُبح من البقر بعد يومين مقدار ثلثمائة رأس وفُرّق لحمها على المساكين والضعفاء وبعد ايام وصل شاه ارمن الى اخلاط واظهروا فيها كل شيءٍ لا يُرى مثلهُ من الاموال والتجمُّل ووصل صاحب بدليس اليها وزيَّن البلد لقدومهِ في اول شهر رمضان وكنتُ ببدليس

وقد روى موءلف زبدة التواريخ في هذه الوقعة ان اتابك الدكز لما صار باذربيجان راسلتهُ الكرج وقالوا لهُ : انهُ لنا على كنجة وبيلقان خراج يصل الى خزانة الملك في كل سنة وقد انقطع عنّا منذ سنين ما وصل الى الخزانة ونريد منك ان تدفع ذلك لنا . فقـال لهم بالجواب : انني ما نزلتُ العراق وجئتُ الى هذه البلاد الّا حتى اجمع العساكر واقصـد تفليس واُحاصرها ولا ازال دون ان آخذها فما عندكم من قوّةٍ فأظهروها فانا قاصد بلادكم قد اتيتكم بعساكر لا ينجيكم منها الّا الضرب بالسيوف والطعن بالأسنَّة . وكان السلطان ارسلان شاه بن طغرل بهمذان وقد عادت امور عساكر العراق الى أجمل ما كانت عليهِ في زمن السلطان مسعود فنفَذ اليـه اتابك الدكز وعرَّفهُ رسالة الكرج وانهُ قد اجابهم بكذا وكذا وشرح لهُ الرسالة والجواب واستقـدمهُ اليهِ . فنهض السلطان ارسلان شاه بن طغرل من العراق بعساكر راقت العيون وهيبة راعت القلوب ورجالٍ يوزن آحادهم بالافٍ وافرادهم باضعافٍ قد ربَّتهم الحروب في حجورها وارضعتهم التجارب من سطورها فلم يُسمع بعسكر في العراق اجتمع فيهِ من القدوم وطبقات الجنود ما جمعهُ ذلك العسكر وسار حتى لحق باتابك الدكز بنخجوان ورحل من نخجوان الى ان وصل كنجة فاقام فيها اياماً. ولمّا سمع ملك الكرج بإقباله وانهُ مُجدّ على لقائه وقتالهِ ارسل اليهِ رسولًا وتضرَّع اليـهِ انني قد نزلتُ عمّا كنت قد طلبتهُ منك ولست اعود الى ما يسوءك وانا نازل عند ما تريدهُ ومسعفك بما تطلبهُ

وكان شاه ارمن سقمان بن ابراهيم ايضاً قد جاءَ الى عسكر السلطان ليفوز بخـدمته ويحظى بتقبيل بساطه بعساكر كثيرة وعُدَد وافرة وحظي عند وصوله الى خدمة السلطان بالاعزاز والاكرام والتبجيل والاعظام وكان يخاطبهُ السلطان « ابجي »

فلما وصل رسول الكرج الى اتابك الدكز بذلك عرضهُ على السلطان ارسلان شاه بن طغرل

فجمع الامراء بأسرهم وشاه ارمن وحضر اتابك الدكز معهم وتشاوروا في الجواب لرسول ملك الكرج فاشاروا كلهم الى الاتابك الدكز : ان الرأي رأيك وانت أعرف بيلادك فماذا ترى . فلاح لهم منهُ انهُ يميل الى المصالحة فقام امراء العراق وخدموا السلطان وقالوا لهُ : نحن انفقنا اموالنا على اجنادنا ورجالنا وجمعنا عساكر يضيق عنها الفضاء ويحيد عن سورتها وشرّتها الفضاء وجئنا الى ماهنا ونعود من غير ان نلقي عدوّ الاسلام ونُريَهُ بأساً يوردهُ فيهِ موارد الانتقام ومراساً يقوده الى الاذلال والارغام وقهراً يردّه عن شريعة الطمع وقسراً يُنزل بقلبه اليأس والجزع

ووافقهم شاه ارمن على هذا الرأي وقال : انَّ عدوّ الاسلام شديد كَلَبُهُ ثقيلة على المسلمين وطأتهُ وبالامس ما قد فعلهُ من الغارة على دوين ونهبها وأسر جماعة اهلها وقد رآنا اننا اجتمعنا للقائهِ وتهيّأنا لدفع مضرّته وبلائه ويرى اننا تفرّقنا من غير مكافأته ومصاولته وعدنا دون مصادمته ومساورته وقد انفقنا من الاموال ما انفقنا واذهبنا لجمع العساكر ما اذهبناه فحينئذٍ يزداد طمعه ويخشى انهُ اذا عاد السلطان خلّد الله ملكهُ الى العراق ان يخرج الى بلاد الاسلام بجموعه ويطرقها بعساكره وهي خالية ممن يقاومهُ صفوًا ممّن يقابلهُ ويصادمهُ فتظهر معرّتهُ باهل الاسلام وتفشو مضرّتهُ بالخاص منهم والعام

فلمّا سمع اتابك الدكز هذه المقالات وان القوم مصرُّون على الملاقاة قام الى كل واحد من الامراء فاعتنقهُ وقبّل وجهه وقال : الان علمتُ انكم على الجهاد حريصون وعلى مكافحة اعداء الله مصرّون فتأهبوا للقاء الكفار وَبيع انفسكم بالجهاد على الواحد القهّار . ودفعوا رسول ملك الكرج بلين من القول ورحلوا من مقامهم وقد اجتمع على السلطان من التراكمة ما ليس لهم عددٌ ولا يحصرهم لكثرتهم احدٌ وقصدوا بلاد الكرج

فلمّا علم جم ملك الكرج بانهم قد قصدوا بلاده تأهّب للقاء واستعدَّ وجمع قضَّهُ وقضيضهُ وخرج بعساكر لجبة واثقال ما حوى عسكر من عساكر الكُفَّار ما حواه عسكره من العدَّة والعتاد وآلات الحرب والطراد واخيل المسوّمة والبغال المطهّمة . وقرب الفريقان بعضهم من بعض وكان اتابك الدكز قد جعل العسكر ثلاثة فِرَق فرقة تأهّبت للقاء الملك وعسكره وفرقة ثانية فيها عسكر العراق امرهم ان يتوقّفوا الى ان تختلط الخيل بالخيل والرجال بالرجال وتنشب بينهم الضراب والطعان فيأتونهم عند ذلك لتقوى قلوب المسلمين بإتيانهم وتضعف قلوب المشركين عند معاينتهم ووقّفهم في الفرقة الثالثة ومع غلمانه وخواصّه رجالٌ قد جرّبوا الحرب ولاقوها مرارًا وتقلّبوا فيها وعلموا احوالها سرًّا وجهارًا

فوصل الملك ورتّب عساكره ميمنةً وميسرةً وقلبًا وجناحين وعساكر المسلمين مقابلة ورفعت الحمَلات من الكرج على المسلمين وثبتوا لهُ اشدّ ثبات ودارت بينهم رحى الحرب يفصلون بالبيض البوارق ما بين الطلى والعوارق ويضربون مفارق الهام ضرب الفدام بقبعة القدام . فلما اشتدَّت وطأة الحرب على ضحّها ومرّت كأسها على شربها وتكافحت جموع الكرج على المسلمين لم يَرُعهم الّا الفرقة الثانية من المسلمين وهم امراء العراق قد اظلّتهم بخيل كظلام الليل وملتطم السيل معلنين بالتكبير معمومين بالحزم والتشمير وانضافوا الى اخوانهم من المسلمين وتقدّموا على اعداء الله يهدمون صفوفهم ويجزمون ابطالهم ويزيلونهم عن مواقفهم ومع ذلك فهم ثابتون امام ملكهم الى

ان انتصف النهار . وجاءهم اتابك الدكز بنفسه ورجاله الاتراك واشباله القبال بالطمّ والرمّ والليل المدلهمّ

فلما رأى الملك كثرة العساكر والامداد وانهم يأتونهم فوجاً بعد فوج زالوا عن مقامهم واخذتهم السيوف من ورائهم وامامهم وتكاثر اولياء الله المسلمون على جماهير الكفّار المشركين يأزّونهم أزّاً ويحشونهم رقصاً وجزاً . فلم ينتصف النهار الّا بانتصاف المسلمين من اعداء الله المخذولين وحكّموا السيوف في زُهاء عشرة الاف رجلٍ من ابطالهم وشجعانهم فبسطوهم على العراء واطعموهم سباع الارض وطيور الهواء وأُحيط بجماعةٍ من وجوه الكفار وجماهيرهم فسيقوا بجرّ اتمّ القسر والقهر والأسر الى موقف السلطان واتابك الدكز كما يساق المجرمون الى النيران وجوه عليها غبرة الكفران ترهقها قترة الخذلان فمن مكتوفٍ الى الظهر قهراً ومسحوبٍ على الخد جرّاً ومضروب على الوريد ضبراً

ونجا ملك الكرج بحشاشة نفسهِ ورضي من الغنيمة بالإياب ومن الظفر بالانقلاب واستولى المسلمون على غنائم لم يغنم احد من المسلمين وعسكر من المسلمين مثلها وامتلأت الايدي من الغنائم والخيل السوائم والاموال الجزيلة والخيام الحسنة الجميلة والغلمان الذين كانهم اللؤلؤ المكنون . ومن جملة ما كان مع الملك الاصطال التي كان يسقي فيها خيله كلّها فضة والآنية التي كان يحضر فيها طعامهُ والمِيَد والاطباق والصحون والزبادي جميعها ذهب ووجد في خزانته من الجواهر والعقيان واللؤلؤ والمرجان كما ذكره الله سبحانهُ في القرآن ووعد بهِ اهل الجنان . وكانت هذه الحرب سنة ٥٦٦ (كذا) ودخلت العساكر بعد ما أُحمت اياماً الى بلاد الكرج وشنّوا فيها الغارات واوقعوا فيها النهب والقتل والاسر والخراب الى ان غادروها خاوية كانّ لم تُغنَ بالامس وخرجوا وقد حصل لهم من الغنائم ما ارتاشت بها احوالهم وتحقّقت آمالهم . ورجع السلطان واتابك الدكز الى كنجة ومضى شاه ارمن الى دار ملكه واقعد اتابك الدكز في كنجة مَن يقوم بحفظها والذبّ عنها من خصم عساه ان يغشى ضواحيها و بلادها وسار الى ان اتى نخجوان اقام بها مدّة في خدمة السلطان وقصدوا همذان ووصلوا اليها سالمين غانمين لم يمسسهم سوءٌ ولم يخلفهم أملٌ مرجوٌّ

واماً ما كان من بعد في امر مدينة آنة فهذا ما قالهُ الفارقي في تاريخه : وفي سنة ٥٥٩ في جمادى الاولى دخلت الكرج مدينة آنة واخلوها ووصل شمس الدين الدكز وملكها واقام بها اياماً وعاد اليها بعض من بَعدَ عنها وشرع في عمارتها وانصرف شمس الدين الدكز الى باب مدينة جنزي وعزم على لقاء الكرج

وفي هذه السنة اوقع الامير ابراهيم صاحب سرماري بالكرج وقعةً عظيمةً وقتل منهم خلقاً كثيراً واسر جماعةً من كرّامهم

وفي آخر السنة سلّم شمس الدين الدكز آنة الى الامير شاهنشاه اخي الامير شداد وفضلون اللذين كانا اصحابها من اولاد منوجهر . وقال ايضاً في ترجمة سنة ٥٦٣ : انهُ في اول رجب منهُ وصل الخبر ان عزّ الدين سلتق صاحب ارزن الروم توفّي وولي ولدهُ الملك محمد موضعه . وقال ايضاً في شهر ربيع الاول من سنة ٥٧٠ قصد الكرج آنة وحاصروها اياماً واخذوها من الامير شاهنشاه اخي شداد ونهبوها ونهبوا كل ما كان فيها ورتّبوا فيها والياً من قبلهم وحصلت من ولاية الكرج

وقال ايضاً : ان في هذه السنة وصل الخبر بانَ اتابك الدكز قصد الكرج واقتتلوا قتالًا عظيماً وانهزم المسلمون وقُتل جماعة وأُسر جماعة ونُهب من المسلمين شيء كثير . وبقي اتابك مدَّة ثم جمع جمعاً كثيراً وقصدهم فالتقوا في صحراء اوين وما اختلط بعضهم ببعض ولا جرى بينهم قتال وعادت الكرج ولم يظفروا بشيء .ودخل اتابك الدكز الى مدينة نخجوان وهو يجمع العساكر ونفذ الى صاحب اخلاط وجماعة الامراء ليحضروا ويلقوهم والله ينجدهم زهم الكرج

وقال ايضاً : وفي المحرَّم سنـة ٧١ قصد اتابك الدكز والسلطان ارسلان شاه وشـاه ارمن صاحب اخلاط وعساكر ديار بكر والبهلوان ولد الدكز ومعهُ عساكر اذربيجان وهمذان في خلق لا يُحصى ولاية الكرج الى ان جاوروا صحراء لوري ودومانيس وخرجوا الى اقشهر وهي ما بين اخل كاعاك وصحراء ترياليث فنهبوا تلك الولاية واخربوا الضياع وسبوا من كان فيها ودقّوا الزروع ولم يبقوا في تلك النواحي عمارةً وجلس الملك في غيضةٍ . . . . بحضرتها وما كان اليهِ طريق ولم يقدر ان يخرج اليهم فبقوا اياماً وعادوا اجمع . . . . والسلطان بدوين وعاد شاه ارمن وعساكره الى ديار بكر والى اخلاط فوصلوا في العشر الاول من ربيع الاول ودخلوا الى اخلاط وزيَّنوا البلد وكان يوماً مشهوداً واظهر اهل اخلاط من الاموال والزينـة ما لم يُرَ مثله ببلد آخر وبقيت الزينة ثلثة ايام باخلاط



فهرس الأعلام

التي وردت في الكتاب

* ح *

فهرس

اسماء المدن والقرى

* ت *



563.—(Ib. 191ᵛ). Saltuq, ruler of Erzerûm, dies, and is succeeded by his son, Muhammad.

570. — (Ib. 196ᵛ. 197ʳ). Ana taken from Shâhinshâh by the Georgians and added to their dominions : they inflict a defeat on Ildigiz ; an indecisive action follows near Awin.

571. — (Ib. 199ᵛ). Successful raids on Georgian territory by Ildigiz and other Moslem rulers: rejoicings at Akhlât on its ruler's return. **pp. 364-5.**



lems captured, many of whom are ransomed by the vizier of Mosul, Jamâl al-Dîn al Isfahâni (1).

557. — The Georgians surprise Dawain, (A. 188), and destroy the minaret of Georgian skulls erected by its ruler, Qurti ; they also pillage Janza.

558. — A Moslem coalition formed under Ildigiz, Atabek of Adhardîjân, completely defeats Giorgi, whose camp is pillaged; the extent of the booty and the uses to which it was put ; rejoicings at Akhlât (2). **pp. 360.**

Account of this victory from the Zubdat al-Tawârikh. B.M. Stowe, or. 7, fols 88-91.

The Georgians make claims on the revenue of Janza ; Ildigiz replies by a threat to march on Tiflis, and by his advice the Saljuq of Irâq, Arslân Shâh b. Tughril, advances against them by way of Nakhjawân and Janza, whereupon the Georgians offer excuses ; Shâh Arman of Akhlât arrives with a force ; Ildigiz consults his officers on how to answer the Georgians ; those from Irâq, suspecting him of wishing to come to terms, urge firmness on Arslân Shâh and Shah Arman supports them; Ildigiz protests his satisfaction at their attitude, and the Georgian envoy is dismissed ; preparations for battle ; disposition of the Moslem forces by Ildigiz, and of the Georgian ; victory of the Moslems ; the Georgian ruler escapes ; large booty. **pp. 362-4,**

[For the Georgian account of this campaign see Brosset « Histoire de la Georgie», Vol. I. Part I. pp. 387-95, and 'Additions', ib. pp. 253-6.].

559. — (From Fàriqi, fol. 187^{v}). Ana occupied by the Georgians, and, on their withdrawal, by Ildigiz; the Georgians defeated by Ibràhîm, ruler of Surmàri ; Ana granted by Ildigiz to Fadlûn's brother, Shâhinshâh.

[Of the Shaddâd family ; for their pedigree, see Brosset ib. I. part I. p. 344.].

---

(1) His life, Ibn Khall. II, 95, Eng. III 295.

(2) Cf. Dulaurier, op. cit. 365 and 488, note.

ter detected ; he removes beyond the Euphrates ; Qutb al-Dîn approaches from Mosûl, but withdraws on Nûr al-Dîn's recovery ; his vizier Jamâl al-Dîn al-Isfahâni visits Damascus ; presents from Constantinople to Egypt. **pp. 354-6.**

Manuel threatens Antioch ; earthquakes ; death of an Aleppo physician ; pestilent wind ; Nûr al-Dîn makes terms with Manuel, and agrees to release his Christian captives (1) ; he entertains Qutb al-Din's troops, and an Arab raid on their property is frustraked ; Amîr Amîrân forced to surrender Harrân (A. 166-7, 'Adîm. « Blochet ». 24). **pp. 356-8.**

555. — Death of the Amir Bûzân ; his high character ; lines on him ; the Qadi Dhaki al-Dîn (al-Qurashi) resigns and is succeeded by Kamâl al-Dîn al-Shahrazûri (2) with his son as his deputy, ('Adîm « Blochet » 25 sub. 557 A. H. **pp. 359-60.**

End of the History of Ibn al-Qalânisi

Note of subsequent Events from Fariqi, fols. 183-5.

Death of the Fatimide Fâ'iz and succession of 'Adid (3) the last of the line (A. 168); how it was the practice to suspend in the Mosque a girdle for each of these rulers, those of the deceased being uncovered and that of the actual ruler being veiled.

556. — The Priests at Ana revolt against their ruler Fadlûn, and surrender the place to the Georgian ruler, Giorgi III, who takes possession ; a combined attack on him by the neighbouring Moslem rulers is defeated (A. 184) owing to the defection of Saltuq, ruler of Erzerûm, who was under a promise to Giorgi's predecessor, Demetrius, not to attack him or his issue (4) ; large number of Mos-

(1) Gregory the priest, whose tone is wholly unfavourable to Manuel, accounts for his moderation by a revolt against him in Constantinople. — See Dulaurier, op. cit. pp. 355-7 and 483.

(2) See his life, Ibn Khall. I. 597, Eng. II. 646, followed by that of his son, Muhí al-Dîn. His predecessor is there said to have been dismissed, but he had previously been mentioned as resigning ; see the life of his son, ib. I 595 l. ult. Eng. II 641.

(3) His life, Ibn Khall. I 338, Eng. II 72.

(4) Cf. Dulaurier, op. cit. 362-3 and 485, note.

The governor of Busra treacherously murdered; death of a Shaikh; earthquakes; end of a drought; more earthquakes; death of al-Yâghisiyâni, governor of Emesa; a jurist from Balkh visits Damascus; his eminence; lines on him by the historian. **pp. 347-8.**

Nur al-Dîn when about to attack the Franks falls ill; his dispositions; he is conveyed to Aleppo and despatches Shirkûh to Damascus; the Franks attack Shaizar but are dislodged by the Bâtini; Amîr Amîrân (brother of Nûr al-Dîn) claims to rule in Aleppo and conciliates the Shi'a sect; the governor, Ibn al-Dâya, asserts Nur al-Dîn's authority, it was said, needlessly; Nûr al-Dîn recovers, and his brother retires to Harrân ('Adîm, « Blochet» 22-4); a drought there ceases; Shirkûh leaves Damascus to confer with Nûr al-Dîn on attacking the Franks, and is well received; lines thereon by the historian. **pp. 348-50.**

553. — The Franks attack Hârim and make raids over the country; Nûr al-Dîn restored to health prepares to attack them; successes in Egypt against the Franks both by land and sea; Shîrkûh makes a raid on Sidon and defeats the Franks; a copious rain; an earthquake; Nûr al-Dîn in an engagement with the Franks averts a reverse by standing firm with his escort. **pp. 350-2.**

Nûr al-Dîn illadvisedly reestablishes certain abrogated dues to be farmed out for a substantial sum, but the attempt to enforce them on owners of proparty evokes such complaints that the project is dropped; other obnoxious imports are removed; arrival from Egypt of an envoy from Ibn Ruzzîk, together with a bearer of treasure and gifts; an attempt by the Franks to suprise them is repelled; deaths of two officials; the Byzantine Emperor (Manuel) having seized territory from the Armenian Leo (1) and then threatened Antioch, Nûr al-Dîn enjoins on his lieutenants vigilance; a plentiful rain. **pp. 353-4.**

554. — An earthquake; renewed illness of Nûr al-Dîn; his resolve to name Qutb al-Dîn of Mosul (2) his successor in preference to his other brother, Amîr Amiran; intrigues in favour of the lat-

---

(1) Or rather his son Thoros II, fifth of the Ruben line of barons, who after sharing his father's captivity in Constantinople, had reasserted his right to Cilicia. See Chron. Matthew of Edessa, and continuation by Gregory the priest, (Ed. Dulaurier, Paris, 1858, pp. 353-5 and p. 476 n.).

(2) His life. Ibn Khall. II 169, Eng. III 458.

551. — Defeat of the Franks by the Aleppo troops ; deaths of a Shaikh, and of a Sharîf at Aleppo, and lines on the latter. **pp. 333-4.**

[Note on the Shaikh from Sibt J. (d) p. 139.].

Succession of earthquake shocks, and their effect on the cities of Syria ; a year's truce concluded with the Franks ; an official disgraced : dearth in Egypt ; the Sultan Sinjar escapes from captivity (A. 138); arrest of the Saljuq prince, Sulaimân Shâh, at Mosul, (A. 137) ; the Franks, in violation of the truce, seize cattle near Bâniâs. **pp. 334-7.**

552. — Renewed earthquakes (A. 144, At. 196, 'Adîm « Blochet » 21) ; complimentary letter from Sinjar to Nûr al-Dîn ; he is urged on all sides to attack the Franks ; he occupies Ba'albek, and sends an envoy to Egypt ; defeat of the Franks by Nûr al-Dîn's brother, Amîr Amîrân ; rejoicing at Damascus ; Shîrkûh also defeats them. **pp. 337-9.**

Nûr al-Dîn prepares to attack Bâniâs ; reinforcements from Shîrkûh crush the Franks, and Bâniâs is taken by assault ; a Frank force succeeds in relieving the citadel and its garrison under Humphrey (de Toron). The Franks surprised and defeated by Nûr al-Dîn between Bânias and Tiberias ('Adim « Blochet » 23), when their king is missing ; loss of only two Moslem lives ; the captives and spoil arrive at Damascus ; lines on the victory. **pp. 339-42.**

Renewed earthquake, and fresh damage to Syria ; Qilij Arslân of Rûm approaching Antioch, a truce is attempted betwen the Franks and Nûr al-Dîn, but fails ; Muqtafi compels the Sultan Muhammad Shah (1) to raise the siege of Baghdad (A. 140, At. 202) ; Nûr al-Dîn's precautions against Qilij Arslân at Aleppo ; earthquake shocks at Damascus, Hamâh and Shaizar (2), which is ruined (A. 142, At. 196-200, 'Adîm « Blochet » 22), and other places ; poetry thereon ; panic at Damascus ; death of Sultan Sinjar (3) (A. 146), and of an Aleppo official intimate with the historian ; his elegy on him ; renewed earthquakes (A. 144). **pp. 343-6.**

---

(1) Mentioned Ibn Khall. II 144, l. 4. a. f. Eng. III 338, and more fully, ib. II 328, l. 13, Eng. IV 118.

(2) Vie d'Ousama, 276-7.

(3) His life, Ibn Khall. I 272, Eng. I, 600.

vizier ; 'Atâ governor of Baalbek disgraced and executed ; new appointments to office. **pp. 324-6.**

[Note on the death of 'Atâ, from Sibt J. (d) 135., id. Atabeks 190-1.].

549. Shîrkûh (1) arrives as envoy from Nûr al-Dîn, who follows in person ; his troops effect an entrance into Damascus ; he follows, and is well received by the people ; pillage checked ; Mujîr al-Dîn evacuates the castle and surrenders on terms ; he is granted Emesa, and retires there (A 130-1 ; At. 188-192, 'Adîm « Blochet », 19-20.). Nûr al-Dîn's reforms at Damascus ; return of Buzân, and of Ibn al-Sûfi who works mischief ; his death which is welcomed by the people. **pp. 326-9.**

[Note on the subsequent career of Mujìr al-Dìn, and on the many remarkable events of this year, from Fariqi, fol. 180ᵛ.].

Death of Timurtâsh, ruler of Maridîn (A. 115. sub. 547 A. H.); murder of the Fatimide Zâfir, his infant son Fâ'iz succeeds ; at the news Ibn Ruzzîk advances, the vizier 'Abbâs flies and is surprised and routed by the Franks near Ascalon (2) (A. 126-8) ; return of Ibn al-Dâya from the Pilgrimage ; illness at Damascus ; raid on Tinnîs by the Franks from Sicily (A. 125, sub. 548 A. H.) ; death of a Qadi at Aleppo, and of a physician. **pp.329-31.**

(Note on the murder of Zâfir, and on Ibn Ruzzîk becoming vizier, from Fâriqi, fol. 179ᵛ.]

550. — A truce between the Franks and Nûr al-Din ; he occupies Ba'albak (A. 150 and 'Adîm « Blochet », 22-3 sub. 552 A. H.); Ibn Ruzzîk's proposal to buy off the Franks is overruled, and a naval attack is made on Tyre; differences between the Saljuqs of Rùm reconciled by Nûr al-Dîn ; the Caliph Muqtafi's successful rule (3); Nûr al-Dîn encroaches on the territory of the Saljuqs of Rùm during hostilities between them and the Dànishmand family. **pp. 331-3.**

---

(1) His life, Ibn Khall. I 284, Eng I 626.

(2) A full account of these occurences is given by 'Usama b. Munkidh, who was an actor therein, in his autobiography. — See Vie d'Ousama, pp. 241-58, and Hist. Crois. Or. IV. 79-81 ; cf. Ibn Khall. life of Zâfir I 97, Eng. I 222 ; of Ibn Ruzzîk ib. I, 298, Eng. I 657; and of al-Fa'iz ib. II 499 Eng. II 425.

(3) Dhahabi, speaking of the Caliph Mutí' (B. M. Or. 48, 11ʳ), says that from his date the Abbasid Caliphate became so impotent that the Fatimide dynasty, then happily ended, was of greater weight, but that Abbasid dignity was restored by Muqtafi.

Mujîr al-Dîn visits Nûr al-Dîn at Aleppo ; a Turkoman raid on the Franks at Bâniâs in violation of the truce, is disapproved of at Damascus ; a Frank attack on al-Buqâ' foiled by snowstorms. **pp. 317-8.**

[Note on a death, from Sibt J. (d) 128.].

547. — Antartûs taken by Nûr al-Dîn ; the Franks defeated near Ascalon ; floods ; Mujîr al-Dîn and his vizier Ibn al-Sûfi, attack Busra and its ruler, on the ground of his disobedience and misrule, and he submits ; Sarkhad ceded to Mujîr al-Dîn by its governor (Bûzân). Death of Sultan Mas'ûd (1) (A. 105). Illness at Damascus ; a death. **pp. 318-9.**

548. — Murder of the Egyptian vizier, Ibn Sallâr (2) (A. 122); Nûr al-Dîn procures the cooperation of Damascus troops with his ; he takes Aflas, but fails at Bâniâs ; Egyptian success at Ascalon, and the besieged take courage. **pp. 319-21.**

Dissention between Ibn al-Sûfi and his brothers, ending in his removal to Sarkhad; Bûzân's distrust of Mujîr al-Dîn, and jealousy of 'Atâ ; Ascalon taken by the Franks (A. 124). Death of the poets Ibn Munîr and Ibn al-Qaisarâni ; their mutual hostility (3) ; death of a Baghdad Imâm ; lines on him ; cessation of a drought ; death of the jurist al-Balkhi. **pp. 321-3.**

[Notes on the fall of Ascalon, and the removal of Husain's head to Egypt, from Fariqi, f. 178v, and Sibt J. (d) 131, as corrected by B. M. add. 9574, fol. 311r; and on al-Balkhi and Nûr al-Dîn, from Sibt J. (d) 134.].

Bûzân attempting to return to Sarkhad is overtaken and kept under arrest in Damascus ; floods ; the vizier, Haidara (brother of Ibn al-Sûfi) executed for his crimes, and replaced by al-Tamîmi ; disorder and pillage ; Sultan Sinjar defeated by the Ghuzz ; their excesses (A. 116-121) ; scarcity at Damascus which Nûr al-Dîn seeks to aggravate, and so capture the city ; honours for the new

---

(1) His life, Ibn Khall. II, 172, Eng. III, 355.

(2) His life, ib. I 467, Eng. II 350.

(3) For Ibn Munîr see Ibn Khall. I, 61, Sl. Eng. I. 138, iand Brock, Gesch. Arab. Lit. I. 256. According to Abu-l-Mahâsin, B. M. add 23382, 131r, it was the Hajib Yûsuf who interceded for him with Bûri. In 'Atabeks, p. 186 appear some lines by him. For Ibn al-Qaisarâni, see Ibn Khall. II, 21, Eng. III. 155.

the firmness of Ibn Hubaira (1) from the Zubdat al-Tawârîkh, fol. 66ᵛ.].

544. — Unur represses attacks by the Franks in their retreat from Damascus ; he sends troops to Nur al-Dîn who defeats the franks at Anab (north of Apamea), and their « Prince » (Raymond) is killed (2). Nur al-Dîn presses on Antioch, and takes Apamea (A. 95. At. 177, 180. 'Adim, « Blochet » 13-14) ; Unur dies of dysentery ; his fellow Amirs govern Damascus (A. 96) ; death of Saif al-Dîn at Mosul (A. 91, At. 165). **pp. 304-6.**

A tax remitted at Damascus ; disaffection of Ibn al-Sûfi and disorder ; Ibn al-Sûfi prevails ; death of Hâfiz (3) of Egypt ; Zâfir succeds, with Ibn Masâl as vizier (A. 93) ; Nur al-Dîn approaches Damascus and urges joint action against the Franks ; he receives a defiant reply, and rain foils his attack. **pp. 307-9.**

545 — Damascus agrees to grant Nur al-Dîn the right of the Prayer and of the Coin, and its ruler visits him ; Jocelyn taken prisoner by troops from Aleppo (A. 101, Sub 546) and Tall Bâshir attacked by Mas'ûd (b. Qilij Arslàn of Rûm); places taken by Nûr al-Dîn (A. 101, At. 182. 'Adim, « Blochet » 15-16) ; Arab attack on pilgrims (4) (A. 97). Dissention at Damascus, and in Egypt between Ibn Masâl and Ibn Sallâr (A. 93). Turkomans and Franks attack the Hauràn ; deaths. **pp. 310-12.**

546. — Damascus hard pressed by Nûr al-Dîn ; his proposals are rejected ; he approaches the town ; skirmishes and pillage; the Franks approach also and join the Damascus troops ; Nûr al-Dîn retires. **pp. 312-14.**

An Egyptian fleet arrives off Jaffa and inflicts damage on the Franks ; Nûr al-Dîn again approaches ; Tall Bàshir surrenders to him ; his efforts to keep the Moslem peace; the Oqailid ruler of Qal'at Ja'bar killed ; mortality in Egypt ; a death and earthquake. **pp. 315-7.**

[Note on the origin of Saladin's family from Fàriqi, f. 181 (5).].

---

(1) His life, Ibn Khall. II 326, Sl. Eng. IV. 114.

(2) This does not accord with western historians.— Crois, or. IV 62-n.

(3) His life, Ibn Khall. I 389, Eng. II 179.

(4) On this attack cf. Ibn Khall, in the life of Ibn Darra, II 544, Eng. IV, 573.

(5) See also life of Najm al-Dîn Ayyûb, Ibn Khall. I, 105, Eng. I. 243.

are taken ; the fate of Altûntâsh; 'Abbâs, governor of Rayy, killed by Sultan Mas'ûd (A. 76). **pp. 287-91.**

Career of Ibn Tûmart and the rise of Abd al-Mû'min in North Africa ; his progress there (1) (A. X. 400-413). **pp. 291-3.**

[Note the story of his rise, from Fariqi, fol. 168.].

542. — Warfare between Sultan Mas'ûd and his Amirs (A. 78). Honours for Unur from Egypt ; Buzân governor of Sarkhad ; murder of the Egyptian vizier, Ibn al-Walakhshi (A. 32). Weather portents ; invasion of Syria by the ruler of Germany (Conrad IV) with Alfonso (2). **pp. 294-7**

[Notes, pp. 295-6, on the Amìr Bûzâba, from Zubdat al-Tawârîkh, 65v, and on his vizier, al-Khujandi, from B. M. or 3006, 290r; and on al-Masîsi from B. M. or 6428. 108v.].

543. — They besiege Damascus, which is strongly defended and assisted from without, and they retire (A. 85-6. At. 159-61, 'Adîm, 'Blochet', 8) ; the allied Moslems capture al-'Uraima and its ruler, the son of Alfonso (Bertram) (A. 87. At. 162). **pp. 297-300.**

[Note (p. 298) on al-Findalâwi; from B. M. or 642, 109v, and (p. 300) on the siege of Damascus from Sibt J. (d) p. 120 ; cf. Yâqût Mu'jam al-Buldân III 919.].

Embassy from Baghdad ; religious changes at Aleppo and Damascus ; disorder at Baghdad : a revolt in Egypt, headed by a descendant of Nizâr (3) fails ; Nûr al-Dîn surprised and repulsed by Raymond of Antioch ; a drought (A. 90) ; Isma'ili outrages ; attacks on them and reprisals ; death of the Qâdi al-Zainabi (A. 96, sub. 544). **pp. 301-3.**

[Note, that demands on the Caliph Muqtafi were averted by

---

(1) Their lives are given by Ibn Khall. II 47, Eng. III 205, and I. 390, Eng. II 182. The Ibn Hamdun mentioned p. 292, l. 3, as aiding 'Abd al-Mûmin, was named Maimûn, and was vizier to the son and successor of Yahya, descendant of âl-Nâsir b. Ghulnâs b. Hammâd, (Lane Poole's Mohammedan Dynasties, p. 40). Distrusting his master he supported 'Abd al-Mûmin — see Ibn Adhâri «Bayân al-Moghrib, Ed. Dozy I, 319, and A. XI. 103-4. sub. 547 A. H. For the victory of 'Abd al-Mûmin over Ibn Tâshifîn see Ibn Khall II 489. l. 4, Eng. IV 464-5.

(2) I. e. Bertram, son of Alfonso Jourdain, and grandson of Raymond of Toulouse ; see At. 162. n.r and 'Adîm « Blochet » 9. n. 1.

(3) Ibn Zâfir, op. cit. fol 82v, called him al-Hasan.

lem, and succession of his widow and infant son, Melisend and Baldwin (1). Ibn Sadaqa dismissed ('Adîm. 685). **p.277.**

[Notes from Fariqî, fol 170].

539. — Ibn al-Sûfi quits Damascus for Sarkhad at jealousy of Usâma b. Munqidh, but returns on the latter being expelled (2); the Franks repulsed, and large captures made by the Aleppo troops ('Adîm, 685). **p. 278.**

Capture of Edessa and other places by Zangi, Frank succour being averted (A. 64-6, At. 118-125, 'Adîm 685-7); Jaqar, governor of Mosul, murdered (3) (A. 66-7, At. 126-8); completion of a Mosque at Damascus. **pp. 279-82.**

[Notes on Edessa and on Jaqar, from Fariqi, fol 170v.].

540. — Zangi threatens Damascus, but desists on news of a sedition at Edessa, which he represses ('Adîm 687); Saljuq discord; death of Khumârtâsh in Egypt; statement by the author as to the composition of his history and its completion, with a consideration of the origin of laqabs, and of the recent practice of multiplying them on individual rulers, with special reference to the Sultans Sanjar and Mas'ûd, to Zangi, and to the ruler of Damascus (Abaq). **pp; 282-4.**

541. — Zangi murdered at the siege of Ja'bar (A. 71-3, At. 130-1, Adîm 688); his son's movements (A. 74, At. 153, 'Adîm «Blochet» 4-5. n[1]). Poetry on Zangi. **pp. 284-7.**

[Note; account of these events by Fariqi, fol. 172].

Unur (of Damascus) surprises Baalbak, forcing its surrender (by its Governor Najm al-Din Ayyûb b. Shâdhi), and makes terms with other cities; a rising in Edessa caused by the Franks is repressed by Sawwâr (A. 75. 'Adîm « Blochet » 5-8); Nûr-al-Dîn (Zangi's son, and ruler of Aleppo) (4), makes an alliance with Unur who was threatening Sarkhad, where the Governor, Altûntâsh (5) hoped te hold the place, against Damascus, with the Franks' support; the forces unite and repel the Franks, and Sarkhad and Busra

(1) Vie d'Ousama, 204. n. 2.

(2) Ib. 196-7.

(3) His life, Ibn Khall. I 142, Eng. I.329.

(4) His life, Ibn Khall. II 115, Eng. III.338.

(5) In the text 'al-Yûniâs', but « Altûntâsh» in the Kitab al-Raudatain. Ed Cairo I 50, and Hist. Or. Crois. IV 52.

terms of its surrender (A. 45-6, At. 103-5 'Adîm 681). Flight of the Egyptian vizier, Ibn al-Walakhshi (1) to Syria (A. 31).
pp. 267-70.

534. — Zangi proposes the cession to him of Damascus on terms ; death of its ruler, Muhammad ; his son, Abaq (2) appointed successor : Frankish aid is procured by the cession of Bâniâs, and Zangi is forced to retire (A. 48-9, Adim 682) ; fate of the Egyptian vizier Ibn al-Walakshi (A. 32) ; Zangi repulsed from Damascus (A. 49). The vizier al-Zainabi replaced by Nizâm-l-Din Ibn Jahîr (A. 50. and 52).
pp. 270-3.

535. — The Franks repulsed at Ascalon; Masyâth (3) surprised by the Qarmathians (A. 52) ; death of an Imâm and his successor.
pp.273-4.

[Note on the Imâm, from Sibt J. (d) p. 107; and on an attempt by Zangi in this year to dispossess Timurtàsh of Mayyâfâriqîn, from Fâriqi, 170r.];

536. — A raid on the Franks by the Turk Laja, (from Aleppo ; 'Adîm. 683-4) ; warfare between the Sultan Sinjar and the Khafâja tribe (A. 59-60) ; Sinjar's defeat by the Ghuzz (A. 53-7); death of Zangi's vizier, al-Kafratùthi (A. 60, 'Adim, 984) ; of the ruler of Amid (Aikaldi (4) ; and of the son of Dànishmand (Muhammad, A. 61).
pp. 274-5.

[Note, (p. 174), on the vizier at Amid, Ibn Nisàn and his sons, from Fâriqi, ff. 169v and 174a, and on his death, ib. 181r (5)].

537. — Plague in Egypt (A. 61) ; Sawwàr checks the Franks of Antioch ; a Byzantine attack : Zangi appoints Ibn Sadaqa vizier ('Adîm 984).
pp. 276-7.

538. — Death of the ruler of the Ghuzz ; Zangi's successes in Diyârbakr (A. 62) ; murder of the Saljuq Dà'ud ; Akiz, an Amir at Damascus, killed ; death of the Count of Anjou, (Fulk), of Jerusa-

---

(1) « Ibn al-Rîhini » in Ibn al-Athir, who says he was the first Egyptian vizier to bear the title of « Malik ».

(2) The name is so written in the autograph Ms. of Ibn Khall. B.M. add. 25735, f. 64v.

(3) Yaqut IV. 556 « Masyâb » or « Masyâf ».

(4) On the name, see p. 26, n. 3.

(5) Recorded Ibn al-Athîr XI 143, where مريد should be مزيد, as also ib. Index, XIV575. ult.

Ibn al-Sûfi by permission quits Sarkhad and resumes his position at Damascus ; rejoicings at his return (A. 35) ; a revolt of an Armenian vizier (Abu-l-Muzaffar Bahrâm (1), against Hâfiz of Egypt fails (A. 31) ; the Franks defeated at Tripoli by Bazwâj of Damascus (A. 32, « Nazâwish ») ; capture of the fortress of al-Hattâkh from Ibn Marwân (A. 43). **pp. 261-3.**

[Note on its possessor, from Fâriqi, 168r].

532. — Captures by Zangi ('Adîm 674) ; earthqnake (A. 43. Adîm 679), dissention between Raymond, and the representative of John Comnenos at Antioch ; arrest of Moslem traders there ('Adîm 675) ; Bazwâj treacherously killed by Mahmûd who entrusts power to Unur and to Akiz ; a Byzantine attack from Antioch on Shaizar fails, but Bizâ' is taken ; Zangi's movements (A. 37-39, At. 99, 'Adîm 675). **pp. 263-6.**

Death of the Qadi Bahâ al-Din al-Shahrazûri (2) (At., 102) ; Emesa ceded by Mahmûd to Zangi, who marries Mahmûd's mother (A. 36, 'Adîm 679) ; death of the Caliph Râshid (A. 40), and of the ruler of Badlîs and Arzan (A. 43). **pp. 266-7.**

[Note on the succession of these rulers, from Fâriqi, ff. 169-174].

533. — Zangi meets his bride ('Adîm 679) ; Frankish raids, and earthquakes (A. 47, 'Adîm. 679-80) ; Mahmûd murdered, succeeded by his brother Muhammad from Baalbak ; his mother incites Zangi to avenge him ; he takes Baalbak and violates the

---

فجاءوا به مكتوفًا بين اربعةٍ من الامراء ومع احدهم سيفٌ مجذوب وبيد الآخر شقّة بيضاء فرموا بـه بين يدى السرير وأُلقي السيف والشقة عليهِ فقال مسعود : يا امير المؤمنين هـذا هو السبب الموجب لما جرى بيننا فاذا زال السبب زال الخلاف وهو الآن بين يديك فمهما تأمر نفعل بهِ . وهو يبكي ويتضرّع ويقول : العفو عند القدرة . فعفا عنه وقال : لا ثرب عليكم اليوم يغفر الله لكم . وتقدّم بحلّ يديه فلما اهلّ هلال ذي القعدة وصل رسول من سنجر يستحثّ مسعود على اعادة الخليفة الى بغداد ووصل معه عسكر فيهِ سبعة عشر باطنيًا فخرج السلطان ومن معه لتلقيه فهجمت الباطنية على الخليفة فقتلوه ودفن بمراغة ووصل الخبر الى بغداد فخرجت النساء منشرات الشعور يلطمنّ وبويع للراشد

وفي سنة ٥٢٠ وصل الخبر بقتل دبيس وذاك انهُ عزم على الهرب ووُجد لهُ ملطّفة قد كتبها الى زنكي يقول لهُ : لا تجيْ وأحفظ نفسك . فبعث اليهِ السلطان غلامًا وهو في خيمته ضربه على غفلـةٍ وهو ينكت الارض فابان راسه وكان بين قتل المسترشد وبينهِ ثمانية وعشرون يومًا . وجاء مسعود الى بغداد فخرج الراشد من بغداد ثم خُلع ووُلّيَ المقتفي

(1) Ibn al-Athir says that he was pardoned on adopting an ascetic life : Ibn Zâfir, op. cit. 83v, that he was poisoned.

(2) Id. Ibn Khall. I. 242. l. 2. Eng. I 541.

tioch (1) with succour, grants terms of surrender (A. 33. At. 105-109, sub. 534. 'Adîm 672-3). pp. 258-9.

Movements of Râshid; embassy to Zangi from the Greeks ('Adîm 692). Mas'ûd defeats his nephew Dâ'ud (A.39). pp. 259-61.

[Note on the deposition and death of Râshid, from Fariqi, ff. 166-7. (2).

(1) Bohemond II of Antioch had died in 1130 A. D., and two years later the principality was granted to Raymond of Poitou, who had lately arrived in Syria and had married Bohemond's infant daughter, Constance.

(3) The account of the differences between the Caliphs and Sultan contained in this and in the preceding note, and given to Ibn al-Azraq al-Fariqi by an actor in the events within a few years of their occurrence, is consistent both with other histories and with probability. The Sultan wanted a right of veto on the choice of Caliph, but procured instead personal sureties of high standing for his good conduct — security which, in the result, proved but a slender protection. It is interesting to contrast with the foregoing account that given by Ibn. al-Jauzi — born, as was Ibn al-Azraq, in 510 A. H. — in the Shudhûr al-Uqûd (Amsterdam Willm. 174. Cat. de Jong. N° 122), which is described in its preface an abridgment of his larger history, the « Muntazam ». The historian's habitual inaccuracy, vouched for by Ibn al-Athîr (X. 451) and reinforced in this instance by his love of the marvellous; has resulted in the following fantastic narrative :.

خرج المسترشد في سبعة الاف لقتال مسعود وكان في الف وخمسمائة وكان اصحاب الاطراف يكاتبون المسترشد ويبذلون لهُ الطاعة فتوقّف في طريقهِ فاستصلح مسعود اكثرهم وصار في نحو خمسة عشر الف فلما وقع المصاف هرب عسكر المسترشد وأُسر وأخذت صناديق الاموال وكانت اربعة الاف الف دينار وكان الرحل على خمسة الاف جمل واربعمائة بغل وكان معهُ عشرة الاف عمامة وبركان وعشرة الاف قباء وجُبّة ودُرّاعة وعشرة الاف قلنسوة مذهّبة وثلثة الاف ثوب رومي ومُمَزّج وتفيير ودبيقي . ونودي : مَن اقام بعد الوقعة من اصحاب الخليفة قُتل . فهرب الناس فاخذتهم التركمان والاكراد من الجبال وزلزلت الارض مرارًا كثيرة

وجاء كتاب سنجر الى مسعود يقول له : ساعة وقوف الولد العزيز غياث الدنيا والدين على هذا المكتوب يدخل على امير المومنين ويقبّل الارض بين يديه ويسأله العفو عن جريو فانه قد ظهرت عندنا من الآيات السموية والارضيّة ما لا طاقة لنا بها من الزلزلة والرياح العواصف فالله الله وسلّم اليه دبيسًا فانه هو الذي احوج الى هذا وآحمل الغاشية بين يديه انت وجميع الامراء كما جرت عادة ابائنا في خدمة هذا البيت . فلما وقف على المكتوب بعث انوشروان ولطوًا الخادم يستأذنان لهُ فاذن فدخل فقبّل الارض ووقف معتذرًا يسأل العفو وامير المومنين مُطرق ساعة ثم رفع راسه فقال : قد عُفي عن ذنبك فاشكر اليّ ذلك وطب نفسًا . وركب الخليفة الى سرادق ضُرب لهُ ومسعود بين يديه وعلى كتفه الغاشية ويده في بِرّكات اللجام (١) الى ان دخل فجلس على تخت ضُرب لهُ والسلطان قائم . ثم سأله ان يشفعه في دُبيس فاجابه

(1) The text has باركه , but see 'Tabari', Gloss. برك and Professor de Goeje instances also a passage in the 'Naqâ'id', Ed. Bevan, p. ٢٦٩ . 8.

أُخاصِم في بِرْذَونٍ ودَمُ قتيبة في بِرّكات قباءي

« I am being taken to task for the theft of a mere hack, whilst the blood of Qutaiba is in the folds of my garment » i. e. on my head.

Zangi advances on Damascus, which resists stoutly ; concession of the right to the 'Prayer' there in the name of Alp Arslân, the Saljuq prince residing at Zangi's court ; Zangi recovers Hamâh (A. 12, 'Adîm 669-70). **pp. 247-8.**

Account of Mustarshid's campaign against Mas'ûd ; his defeat and murder by fanatics ; accession of Râshid (A. 14-17. At. 89-90). **pp. 248-50.**

[Note from Fâriqi, ff. 164v-166r narrating these events on the authority of an actor therein. Cf. At., 89-91].

530. — Dubais b. Sadaqa (1) put to death by Mas'ûd (A. 18) ; Emesa surrendered to Mahmûd in person, its governor receiving Tadmor in compensation ; Sawwâr's raids stopped by treaty ; honours to Gumushtikin ; the chamberlain Yûsuf b. Firûz murdered at Damascus by rivals, to whom Mahmûd submits (A. 24-5). **pp. 251-4.**

Flight of Gumushtikin from Damascus to Sarkhad ; Sawwâr's successful raid on Laodicea (A. 25, 'Adîm 672) ; darkness at Damascus followed by rains (A. 35) ; Mas'ûd compels his nephew Da'ud and Zangi, who were supporting Râshid against him, to withdraw from Baghdad, whereupon Râshid follows to Mosul (A. 26, At. 92-5, 'Adim 671-2) ; the Byzantine (John Comnenos) attacks the Franks at Antioch ; murder of Ibn al-Sûfi, a leading man at Damascus ; debased coinage issued there. **pp. 255-8.**

531. — Campaign of John Comnenos in Asia Minor (2), and his conquests, including 'Ain Zarba, which had been founded by Ma'mûn (A. 34, 'Adim 673); an attack from Damascus on Tripoli; Zangi attacks Emesa, whose governor, Unur (3), refuses to surrender ; Zangi defeats the Franks and drives the Count of Anjou (Fulk of Jerusalem) into Ba'rîn, but on the approach of Raymond of An-

---

(1) His life, Ibn Khall. I 222, Eng. I 505.

(2) Where he carried away prisoner Leo, son of Constantine of the Ruben line of barons in Cilicia. His son Thoros is mentioned on p. 354 infrà.

(3) The name is thus vocalised in the 'Mushtabih' of Dhahabî, Berlin Ms. where 'Lions' is added in the Margin, — see Ed. de Jong 407, n. 3, sub « Mu'în », and see also 'Adim, «Blochet» 8, n. 4. The name occurs in Ibn Khallikan's life of Tutush, but on the margin of the autograph Ms. B. M. add. 25735, fol. 64v, where it has unfortunately been cut off in the binding.

[Note, another version of the capture of Dubais, from Sibt J. (d) p. 83].

526. — Death of Baldwin du Bourg (King of Jerusalem) at Acre ; Fulk, count of Anjou succeeds (1) ; Bûri dies, of his wound, elegies on him ; rule of Shams al-Mulûk Ismâ'îl ; its promise ; he enforces the submission of his brother Muhammad at Baalbek, and takes various fortresses (A. 478-9). **pp. 233-6.**

527. — Dissentions among the Franks ; their reverses at the hands of Sawwâr, governor of Aleppo (2) and others (A. XI. 4, 'Adîm 664-5) ; Arab chiefs repressed by Ismâ'îl ; he takes Baniâs from the Franks (A. X. 481) ; investiture of the Sultan Mas'ûd by the hands of Mustarshid ; he defeats Tughril near Hamadhân (A X. 282-3). **pp. 236-8.**

Ismâ'îl surprised Zangi's garrison, and recovers Hamâh (A. XI. 3, 'Adim 666) ; embassy to Damascus from Egypt ; Turkoman attack on Tripoli, and defeat of its ruler (Pons), who retreats to Fort Ba'rin, Mons Ferrandus (A. XI 3-4) ; death of a vizier at Damascus ; warfare between the Franks under Fulk of Jerusalem, and Sawwâr. **pp. 239-41.**

528.— Ismâ'îl seizes a fortress between Beyrout and Sidon (A. 5); an attempt on his life is cruelly visited on innocent persons (A.4); embassy to Damascus from Baghdad where the vizier Anûshirwân is replaced by al-Zainabi (3) disturbances in Egypt (cf. A. 13). Ismâ'îl makes raids on the Franks ; Zangi defeats Dâ'ud b. Ortoq at Amid ; he appoints al-Kafratûthi vizier (A. 6-7, 'Adîm 666-7) ; death of the Saljuq Tughril (A. 10). **pp. 241-3.**

[Note on the cession of Sûr to Timurtâsh, from Fâriqi, 167v].

529. — Yusuf b. Firûz, a Damascus official, escapes to Tadmor in fear of Ismâ'îl, whose rule becomes intolerable ; Zangi's designs on Damascus thereby furthered ; Isma'îl's mother is appealed to ; his death is decided on, and is brought about by her ; his brother, Shihâb al-Dîn Mahmûd succeeds (A. 11-12. 'Adîm 665-7). **pp. 244-7.**

---

(1) Vie d'Ousama 154. Baldwin's death is sometimes dated in 525), viz. 1130 A. D. Jocelyn died soon after him.

(2) Sawwâr had left the service of Tâj al-Mulûk Bûri for that of Zangi in 524 A. H. — 'Adîm 659.

(3) Anushirwân had been appointed on place of al-Zainabi in 526 A. H. (A. X 480).

524. — Bûri appoints al-Mufarraj b. al-Sûfi, vizier ; Zangi proposing common action against the Franks, Bûri sends his son Sawînj (1) with a force from Hamâh ; Zangi treacherously arrests him, and seizes Hamâh ; he then attacks Emesa, (arresting its governor, Khair Khân, who was party to his plans) but fails and retires with his prisoners (A. 463-4 (2) 'Adim 660-1) ; the Fatimide Amir murdered by fanatics (3) ; succeeded by Hâfiz, with al-Afdal's son, Ahmad al-Akmal, as vizier, who later is murdered (4) [A. 467-8 and 472]. **pp. 227-9.**

525. — Bûri's vizier proving incompetent, he substitutes a nephew of al-Mazdaqâni ; two Bâtini emissaries attack and wound Bûri ; death of Sultan Mahmûd (5); Mas'ûd succeeds (A. 671). **pp. 229-30.**

Dubais b. Sadaqa escaping from Mustarshid is captured by Bûri ; the Caliph demands his surrender, but Zangi secures him in exchange for his prisoners and for the ransom fixed for Sawînj ; the exchange effected at Dârâ ; the caliph's envoy, Ibn al-Anbâri, surprised on his return journey by Zangi, and his camp pillaged (A. 470-1. At., 83-4, and 'Adim 661-4). Bûri in anticipation of death, settles the succession on his son Ismâ'îl. **pp. 230-3.**

---

(1) The word, of Persian origin, signifies « joy ». Vie d'Ousama 192. n. 4.

(2) Ibn al-Athir, 'Atabeks', pp. 70 and 131, records merely the taking of Hamah, omitting the details which he may have judged inconsistent with his estimate of Zangi.

(3) His life, Ibn Khall. II. 168, Eng. III 455. A circumstantial account of his murder is given by Ibn Adhâri 'Bayân al-Mughrib', Ed. Dozy. I. 320, on the authority of the « Muqbisa » of al-Warrâq — to the effect that certain persons having made a vow to kill him for his misdeeds, ten of them went to Egypt for the purpose. They ascertained that on his passage the shops and houses were closed to people and that the escort marched half in front of him and half in the rear, with horsemen equidistant between them and the caliph, on whom four slaves were in close attendance. Entering a bakehouse they pretended to be strangers and to require flour to be baked promptly. On the escort appearing the baker urged them to go, but they gagged him, and one of them approaching the Caliph as a suppliant, managed to stab his horse, which fell, whereupon the rest emerged and killed him. They were all killed themselves, but, says the historian, the world was thus rid of the Fatimide miscreant.

(4) In 526 A. H., Ibn Khall. I 389, Eng. II 180.

(5) His life, ib II 114, Eng, III. 337.

521 — Mu'în al-Mulk, vizier to the Sultan Sinjar murdered by fanatics (A, 456); Mas'ûd of Mosul on his way to attack Tughtakîn, dies suddenly outside Rahba, and his troops disperse, Sultan Mahmûd is reconciled to the Caliph and leaves Irâq for Hamadhân (1); he dismisses a vizier (Shams al-Mulk 'Uthmân b. Nizâm al-Mulk, A. 433 sub. 517 A. H.); raids by Baldwin; Khutlugh Aba expelled from Aleppo by Zangi and killed (A. 45-7). **pp. 216-8.**

[Note, p. 217, on the appointment of Zangi (2) to succeed Mas'ûd at Mosul from Fariqi, 163r. For what followed thereon see A. 453-6, and « Atabecs », Recueil. Hist. Crois. Or. II. pt 2, pp. 63-5, where the « Baghdâd» of the text should be retained—see Abul-Fida, ed. Stambûl II. 250].

522. — Illness of Tughtakîn; he settles the succession and dies; regret for him; Bûri, his eldest son, succeeds (A. 459); unoccupied and desert sites near Damascus sold, with the Caliph's assent, to provide funds against the infidels; Bûri rules well, retaining the vizier and other officials. **pp. 218-20.**

His resolve to suppress the Bâtini sect; they increase in number and are favoured by the vizier, al-Mazdaqâni; their chief, Bahrân, brings about the murder of a leading inhabitant, whose relations seek revenge; the Bâtini are surprised and Bahrân is killed; Isma'îl succeeds him; popular clamour leads Bûri to have the vizier murdered, in 523 A. H., the sect is suppressed, and its leader executed; Isma'îl surrenders their fortress of Banias to the Franks, and his party go over to them (A. 461-2). Death of Ibn Sadaqa the vizier at Baghdad, greatly regretted; he is succeeded by Ali b. Tirâd al-Zainabi (A. 459-60). Death of Bûri's mother. **pp. 220-4.**

[Note on the founding of Mazdaqâni's Mosque, from Sibt J. (d) p. 81].

523. — The Franks advance against Damascus; Bûri prepares to repel them; he defeats a detachment under Galeran at Burâq, the rest retreat, and their camp is pillaged; rejoicing at Damascus (A. 463). **pp. 224-7.**

---

(1) This incident is told in similar language in the Saljuq history « Zubdat al-Tawârîkh » B. M. Stowe. Or. 7. fol. 55a.

(2) His life Ibn Khall. I 341, Eng. I 529.

ches Tyre and seizes the governor appointed by Tughtakîn (A. 437) : Jocelyn and his nephew Galeran captured by Balak b. Ortoq (A. 418-9 sub 515, 'Adîm, 633-4) : death of Il Ghâzi, and succession of his two sons (A. 426, 'Adîm. 634). **pp. 206-8.**

[Note, pp. 206-7, on the vizier al-Sumairami, and his victim al-Tughrâ'i. from the 'Dhail, of al-Sam'âni ; on the vizier's death from a Suljuq history, quoted Sibt J. (c) fol. 299, and ib. (d) pp. 56 and 67 ; and p. 208, from Fariqi, 162r on Il-Ghâzi and his sons].

517. — Warfare between Mustarshid and Dubais (A. 428) ; Badr al-Daula (Sulaimân) of Aleppo makes terms with the Franks (A. 430, 'Adîm 631) ; Baldwin du Bourg captured by Balak (A. 433, 'Adîm. 635) ; Tughtakin surprises Emesa (A. 435-6) ; Aleppo surrendered to Balak (A. 431, 'Adîm. 636) ; an attack by the Lawâta tribe on Egypt from the west repulsed (A. 434-5) ; naval battle between the Egyptians and Venetians (A. 436) ; Al-Bâra taken, and al-Athârib recovered by Balak. **pp. 208-9.**

Jocelyn, with others, escapes from prison (A. 433, 'Adîm 637); Mahmûd of Hamâh killed at Apamea (1) (A. 436) ; Saljuq strife ; Moslem defeat at 'Azâz by the Franks. **pp. 209-10.**

518. — A Qadi murdered at Hamadhân by fanatics (A. 444, sub. 519) ; Tyre capitulates to the Franks on terms (2) (A. 437) ; they attack Aleppo, but retreat before al-Bursaqi of Mosul, who occupies the place (A. 439-40, 'Adîm 649, and 719-22) ; drought in Syria (A. 440). **pp. 210-12.**

519. — Fall of the Egyptian vizier, al-Bata'ihi (A. 443) ; indecisive warfare between Tughtakîn and the Franks (A. 450-1, sub. 520). **pp. 212-4.**

520. — Aq Sunqur al-Bursuqi murdered at Mosul by fanatics (3) : his son Mas'ûd succeeds (A. 446-7) ; Tadmor submits to Tughtakîn ; his failing health ; the Bâtini sect gain head in Syria, and are favoured by by the vizier al-Mazdaqâni (A. 445-6, in error « Marghiani »). Dissention between Mustarshid and the Sultan Mahmûd allayed by the Caliph's vizier, Ibn Sadaqa (458-50) ; the Franks take Rafaniyya (A. 451 'Adîm 652). **214-6.**

---

(1) Vie d'Ousama, 128-31.

(2) Ibn Zâfir says, op. cit, 77v ; — والوالى بها القاضي الاعزّ ابن اللبان من قبل ظهير الدين اتابك طُغتكين.

(3) His life, Ibn Khall. I. 98, Eng. I 227, and Ibn al-'Adîm, Hist. Crois. Or. III, 716.

Mas'ûd at Hamadhân (A. 396) ; a truce between Il-Ghâzi and the Franks ; Dubais forced to fly to Qal'at Ja'bar (A. 398, 'Adîm. 626); a hurricane ; Jocelyn makes a raid on the Turcomans at Siffîn, and takes Buzâ'a (A. 414). pp. 202-3.

515. — Al-Afdal, the Egyptian vizier, murdered by order of Amîr (1) ; the planning of the deed ; al-Batâ'ihi succeeds him (A. 416-7). pp. 203-4.

[Note on the rise of al-Batâ'ihi from B. M. Or. 3006-262v].

The Georgians (under David the Restorer) defeat the combined Moslem forces under Il-Ghâzi and take Tiflis ('Adim. 628) ; a hurricane in Egypt (A. 421). pp. 205-6.

[Note from Fâriqi ff. 161-2 on this campaign, and how the historian visited the battle field in 548 A. H., together with his description of the handsome treatment accorded to Moslems by the Georgian sovereigns (2)].

516. — Dubais threatens Baghdad, but is attacked and defeated by Mustarshid (A. 428-30) ; the Sultan Mahmûd puts to death his vizier (al-Sumairami), (A. 424) ; death of the vizier Ibn al-Mausûl at Aleppo ('Adîm. 631) ; floods at Qal'at Ja'bar (A. 427) ; Il-Ghâzi makes raids on the Franks ; an Egyptian fleet rea-

---

sought against Balak by Mankûjak, ruler of Arzanjân and Kamâkh, towrs on the left bank of the upper Euphrates, — Yâqût IV. 304. Their defeat is mentioned in the chronicle of Michael of Antioch—see extract in Recueil Hist. Crois. Doc. Arméniens I. 333. In this text, as also in Ibn al-Athir X, 414, الدكان should be read ارزنجان , as pointed out by Houtsma in « La Dynastie des Benu Menguéek » — Rev. Orient. pour les Études ouralo-altaïques, Budapest 1904, Vol. V. 277, — where he refers to the history of Munajjim Bàchi, Stambûl 1285, II 578. Of this work the Arabic original exists there in Ms., كتبخانه عمومى Cod. N° 120/5018, and I have been furnished by M. Max Van Berchem with the following extract on this dynasty :

دار ملكهم ارزنجان وابتداء ظهورهم ٤٦٤ تقريبا وانقراضهم في سنة ٦٢٥ .... اولهم الامير منكوجك الغازي وكان قد ملّكه السلطان الب ارسلان في سنة ٤٦٤ ارزنجان وكماخ وكوغونية وغيرها من بلاد ارمينية وكان شجاعا شهما عاقلا حازما ذا رأى مصيب في الحروب وكان يغزو كفار الكرج والابخاز والروم تارة مجتمعا الدانشمندية وتارة منفردا مع عسكره الى ان مات فتولى بعده اولاده واحد بعد واحد.

(1) Life of al-Afdal, Ibn Khall. I 277, Eng. I 612.

(2) This account is given by Brosset, (Hist. Géorgie I. add. 240) from the history of al-'Aini (Brockelm II. 52)., who quotes it from Sibt ibn al-Jauzi, who, again, derived it from the history of Ibn al-Azraq al-Fâriqi.

liance with Aq Sunqur (al-Bursuqi of Mosul) ; rejoicings at Damascus ; Ahmadîl of Marâgha murdered at Baghdâd by a fanatic (A. 361). Lu'lu' of Aleppo murdered ('Adim. 619). **pp. 197-8.**

511. — Death of the Shihna of Damascus ; and of the Saljuq Muhammad (1) ; Mahmûd succeeds (A. 367) ; surrender to the Franks of the fort of al-Qubba at Aleppo ; attacks on the place by Aq-Sunqur and by Il-Ghâzi fail (A. 372, and 'Adim, 612-3) ; a Frankish raid on Hamâh ; deaths of the 'Dûqas' of Antioch (? Roger) ; of the Greek Emperor Alexius, who is succeeded by his son John Comnenos (A. 373), and of Baldwin of Jerusalem (2) who is succeeded by the Count (of Edessa, his nephew Baldwin du Bourg) (A. 381). **pp. 198-9.**

512. — Tughtakin combines with Il-Ghâzi to repel the Franks' attaks (A. 382) ; death of the Caliph Mustazhir and succession of Mustarshid (A. 374). **pp. 199-200.**

513. — Il-Ghâzi surprises and crushes the Franks at Dânith (3) near Aleppo, Roger of Antioch being killed (A. 389-90) ; Il-Ghâzi neglects to seize Antioch ('Adîm 617-9) ; death of Tughtakin's wife, the mother of Duqâq, her character and ability ; meeting of the Sultans Mahmûd and Sinjar (A. 389) ; opening of the tombs of the Patriarchs Abraham, Isaac and Jacob (A. 394) (4). **pp. 200-2.**

514. — Il-Ghâzi remits taxes at Aleppo and at Mâridîn ; he destroys Zardanâ ('Adim. 625) ; Balak b. Ortoq defeats, at Sarmân (5), the Byzantine 'Afrâs (6) (A. 414); victory of Mahmûd over

---

(1) His life, Ibn Khall. II. 61. Eng. III. 232.

(2) The story of Baldwin's raid into Egypt and his death on the return is told by Ibn Khall. II 168. l. 3. a. f., Eng. III. 456, and in similar terms by Ibn Zâfir, op cit. 79', who adds that his death took place at Hawar before reaching al-'Arish, and that at Farama he had slaughtered an impotent man with his daughter in his arms. In his text for حشوته (Ibn Khall.) he substitutes مصارينه

(3) Rather at al-Balât, north of al-Athârib ; Dânith was the scene of the indosisive action two months later : see Vie d'Ousama, p. 112 n. 2.

(4) In this one instance Ibn al-Athir quotes the author by name as his authority ; Abû'l-Mahâsin and Sibt ibn al-Jauzi do likewise— Hist. Or. Crois. III. 499 and 562. On the visit to these tombs by 'Ali of Herat in 567 A. H. see G. le Strange « Palestine under the Moslems », pp. 316-18, and Yâqût, Mu'jam al-Buldân, II. 468.

(5) Cf. Crois. Or. I. 341. n. 2.

[illegible] His assistance had been

ned by Maudûd and together they defeat Baldwin near Lake Tiberias early in 507 A. H.; the Franks retire to the shelter of the hills; tardy succour comes from Aleppo (A. 346-7, 'Adîm. 602); the Moslem forces disperse; Maudûd visits Damascus and inspects 'Uthmâns Qurân in the Mosque. **pp. 184-7.**

[Note on the transfer of this Qurân from Tiberias in 492 A. H., from Dhahabi (c)].

507. — Maudûd of Mosul murdered at the Mosque of Damascus by a Bâtini fanatic (A. 347-8); grief of Tughtakîn; character of Maudûd's rule. **pp. 187-8.**

Al-Afdal's courteous reply to Tughtakîn concerning Tyre, to which he sends supplies; its governor Mas'ûd makes a favourable truce with Baldwin. **pp. 188-9.**

Death of Ridwân of Aleppo; his son Alp Arslân succeeds with the slave Lu'lu' as his adviser; their cruelty: repression of the Bâtini sect (A. 349, 'Adîm 602-4); Alp Arslân seeks guidance from Tughtakîn, and they exchange visits; Tughtakîn, disgusted at his rule, leaves accompanied by Ridwân's mother ('Adîm. 604-5); peace made with Baldwin; a Bâtini attempt on Shaizar foiled (1). **pp. 189-90.**

508. — Alp Arslân of Aleppo murdered by Lu'lu' (A. 356, 'Adîm, 606). Il-Ghâzi surprised and captured near Emesa, but released (A. 352); Death of Baldwin (2). **pp. 191-2.**

[Note on the death of a Shaikh to Ibn 'Asâkir, from B. M. or. 3006, f. 256r].

509. — Rafaniyya taken from the Franks by Tughtakîn (A. 358-9); his reputation having aroused jealousy at the Sultan's court, he proceeds to Baghdâd where he is well receved (A. 360); he returns to Damascus with a grant of full powers; the patent as drawn up by al-Tughrâ'i (3) set out. **pp. 192-7.**

[Note, p. 193, on al Tughrâ'i and his grandson, from Sibt J. (c), 299r].

510. — Bertram (4) of Tripoli defeated by Tughtakîn in al-

---

(1) On the date of his event, see Vie d'Ousama, 78. n. 2.
(2) Repeated infrà, and correctly, sub 511. A. H.
(3) His life, Ibn Khall. I. 200. Eng. I. 462.
(4) An error for his son Pons, who had succeeded him in 505 A. H.

rulers unite at Harrân, invade Syria, and besiege Tall Bâshir; Sukmân falls ill, and Ahmadîl (of Marâgha) coveting his fief, is persuaded by Jocelyn to retire; the rest proceed to Aleppo, where Ridwân refuses them admittance; they are joined by Tughtakîn (cf. A. 341); Sukmân dies, and Tughtakîn, distrusting his allies, unites with Maudûd; the Franks attack Shaizar and retire (1) (A. 340-2). **pp. 173-7.**

[Note, page 175-6, on Sukmân's conquest of Mayyâfâriqîn in 502 A. H., and on its subsequent history, until transfered in 512 to Il-Ghâzi b. Ortoq; from Fâriqi, f. 158-61].

505. — The Franks attack Tyre; no help coming from Egypt, Tughtakin is appealed to; he attacks the besiegers, and intercepts their supplies; incidents of the siege; the Franks retire; disinterested conduct of Tughtakin [A. 342-4]. Death of Bertram, son of Raymond and ruler of Tripoli; his son (Pons) succeeds under the protection of Tancred of Antioch; pestilence in Egypt; the Sultan Muhammad in Baghdad; Maudûd surprised and defeated by Jocelyn near Edessa [A. 345]. Death of Qarâjâ of Emesa; his son Khair-Khân succeeds. **pp. 178-82.**

506. — Tyre, in fear of the Franks, offers to submit to Tughtakîn; in his absence, his son Bûri takes possession, but Tughtakin disclaims wishing to oust the Egyptians; a caravan for Egypt surprised by Baldwin near Jerusalem (A. 349); Tukush, son of Alp Arslân, takes refuge with Tancred; the latter dies whilst on the way to seize the territory of the deceased Armenian Prince Kogh Vasil (2); his nephew Roger succeeds him (A. 345-6). **pp. 182-3.**

Tughtakin and Maudûd combine to repel Frankish raids on Damascus; they fall under suspicon at the Sultan's court; Tughtakin rejects terms offered by Jocelyn of Tall Bâshir (3); he is joi-

---

(1) Vie d'Ousama, 89-92.

(2) The name signifies « Basil the Robber », and was intended to signify the suddenness of his warfare. He ruled 1082-1112 A. D. over a small principality north of Comagene, and had dealings with the Crusaders, ransoming Bohemond from Ibn al-Dânishmand (Gumushtakîn) of Sebaste in 1103 A. D. — See Chronicle of Matthew of Edessa, transl. Dulaurier, Paris, 1858. p. 443 n. — In that text —pages 280-2 — the attack by Tancred is made to take place some few months before the prince's death, and to have been terminated by a peace.

(3) Jocelyn had been deprived of the fief of Tall Bâshir by Baldwin of Edessa, and as stated in the text, had been granted Tiberias by Baldwin of Jerusalem.

[Note on the surrender to Sukmân, and his death, from Fariqi f. 158-9].

503. — Terms agreed on between Tughtakîn and Baldwin; the Sultan delaying operations against the Franks, Tughtakîn starts for Baghdad with Ibn 'Ammâr, but turns back on a rumour of an intention to supersede him in Syria; Ibn 'Ammâr goes on and is well received in Baghdad (1); Tughtakin distrusting Gumushtikîn of Baalbek, compels him to surrender the place, and to accept Sarkhad in its stead (2). **pp. 165-7.**

[Note on the building of Sarkhad, 422 A.H. from Sibt J. (c)].

Death of Ibrâhîm Inâl of 'Amid, his son (Aikaldi) (3) succeeds (A. 336). Frankish attack on Syrian fortresses; Beyrouth taken, succour from Egypt arriving too late; Kanja, attacked by the Georgians, is relieved by the Sultan; the Ghuzz repulsed from the Oxus by Sinjar. **pp. 167-8.**

A combined attack organised against the Franks; the allies lay siege to Edessa; the Franks also combine, cross the river and reinforce Edessa; the Moslem attack fails and Tughtakîn and Ridwân retire; the Franks attack Aleppo, and al-Athârib is taken by Tancred (A. 338, 'Adim 596-8); Sidon surrenders to Baldwin (4) [A. 336]. **pp. 168-71.**

504. — Egyptian merchandize captured by the Frankish fleet; the governor of Askalon intrigues with Baldwin, and the vizier al-Afdal in order to prevent the surrender of the town conciliates him, but he is murdered by revolting troops (A. 337); a severe storm in Egypt (A. 340); a deputation from Aleppo to Baghdad on the subject of their sufferings at the hands of Franks, coincides with the arrival of the Sultan's daughter, wife of Mustazhir, and of a Byzantine embassy to solicit joint action against the Franks (5) [A. 339, 'Adîm 598-9]. **pp. 171-4.**

Baldwin violates the truce with Tughtakîn; they agree on a partition of the revenue of the district; joint operations against the Franks ordered by the Sultan; Maudûd of Mosul and other

---

(1) Vie d'Ousama, 83.

(2) Ib. 178. n. 2.

(3) I am informed by M. Max Van Berchem that in the inscriptions on the Mosque at Amid this name appears, in most cases, as 'Il-Aldi'.

(4) Vie d'Ousama, 86-8.

(5) ib. 89.

[Note on this event from the Zubdat al-Tawârikh, fols 45-6, and on the erection of the stronghold, from Sibt J. (c)].

Circular letter of announcement from the vizier Hibbat Allah b. Muhammad b. al-Muttalib. **pp. 152-5.**

The Sultan, appealed to by Ibn 'Ammâr for aid against the Franks, sends a force under Jâwali, and orders his vassals to aid him; Jakarmish of Mosul resists, but is defeated and killed (A.291-4); his party call in Qilij Arslân who advances to Nasîbîn, but is defeated by Jâwali and drowned; Rahba and Mosul submit to Jâwali, (A. 295-8). The Ispahbad (Sabâwû, A. 318) visits Damascus. **pp. 156-9.**

[Note on Qilij Arslân's rule at Mayyâfâriqin, from Fariqi, 158v].

501. — The Franks attack Tyre and are bought off (A. 318); defeat and death of Sadaqa b. Mazyad: his character (A. 312-3); the Amir Maudûd, by the Sultan's order, seizes Mosul and expels Jâwali (A. 319-20). **pp. 159-60.**

Ibn 'Ammar, hard pressed in Tripoli, seeks aid from the Sultan and proceeds to Baghdad with Tughtakîn's son, Bûri; assistance is promised; in his absence Tripoli appeals to the Egyptian vizier, al Afdal, who sends a governor with supplies (A. 315-7). Tughtakîn attacks Tiberias and captures the Frank commander, Gervase; the Sultan remits taxes (A. 317); fire at Baghdad (A. 318); the Bâtini sect repressed at Alamût; Baldwin attacks Sidon and retires (A. 318). **pp. 160-2.**

502. — Tughtakin attempting to secure 'Arqâ, is defeated and the place surrenders to the Franks (1) (A. 328); his vizier put te death; Bertram son of Raymond, arrives with a force; dissention between him and his cousin William of Cerdagne; Tancred and Baldwin arrive also, and Tripoli is taken (2); succour from Egypt comes too late; the Franks take Bânias and Jubail (A. 333-4); Mayyâfâriqîn taken by Sukman of Akhlât; Bohemond of Antioch pays homage to the Byzantine Emperor (Alexius); truce between Baldwin and Tughtakîn; Ibn 'Ammâr joins Ibn Munqidh at Shaizar (3) [A. 335]. **pp. 162-4.**

---

(1) Under William Jordan, of Cerdagne, Raymond's nephew and successor.

(2) On this date see Vie d'Ousama. 80 n. 5.

(3) Ib. 82.

590-1); the coast towns of Syria relieved by an Egyptian fleet (A; 250); advance of the Saljuq of Rûm. **pp. 142-3.**

497. — S[t] Gilles (Raymond) aided by a Frankish fleet fails at Tripoli; but takes Jubail; Sukmân b. Ortoq and Jakarmish of Mosul advance against Edessa and defeat Bohemond and Tancred (1) (A. 256-7, 'Adîm 592); Acre surrenders to Baldwin, and its governor takes refuge in Damascus (A. 255). **pp. 143-4.**

Death of Duqâq; his son Tutush succeeds under the guardianship of Tughtakîn; his careful rule; he confirms the sons of Muhammad b. al-Sûfi in office at Damascus, and recalls Duqâq's brother, Artâsh, (2) from exile in Baalbak; Artâsh intrigues with Baldwin, and escapes from Damascus; death of Tutush. (A. 258); Ibn 'Ammâr of Tripoli surprises a fortress erected by Raymond and destroys it; Bohemond goes to seek aid from Europe (3) ('Adîm 593). **pp; 144-6.**

498.— Illness of Tughtakîn; he summons Sukmân b. Ortoq to succeed him, then regrets this (4), and is relieved by news of Suhmân's sudden death (A. 268); death of Raymond (of Toulouse, « S[t] Gilles »); Saljuq attack on Mosul (A. 262); death of Barkiyârûq (A. 260); his brother Muhammad expels the Amîr Ayyâz from Baghdad and kills him (A. 264-7). **pp. 146-7.**

Tughtakîn seizes Baalbak, and Rafniyya; Ridwân attempting to relieve Tripoli, is defeated by the Franks ('Adîm, 593); an indecisive battle between them and the Egyptians outside Ascalon (A. 271); Tughtakîn takes Busra (A, 281). **pp. 148-9.**

499. — Tughtakîn takes a Frankish stronghold (A. 275); Khalaf, ruler of Apamea, murdered by fanatics, and the town acquired by Tancred (A. 281-3, 'Adîm 594-5); an advance on Edessa by Kilij Arslân of Rûm checked by his illness; Tughtakîn's success at Busra. **pp. 149-50.**

500. — Warfare betwen Tughtakîn and the Franks near Tiberias; the Bâtini suppressed by the Saljuq Muhammed, and their stronghold, near Isfahân, taken (A. 299-302). **p. 151.**

---

(1) Vie d'Ousama, 73.

(2) Written « Baktâsh » in Ibn Al-Athîr X. 258, and « Baltâsh » in Abu-l-Fidâ, Ed. Stambûl, 1286, II. 228.

(3) He never returned and died six years later in 1111 a. d.

(4) The proverbial saying of « al-Kusa'i's repentance » is explained in Baihaqi's « al-Muhâsin wa'l-Masawi » Ed. Schwally, 1902. pp. 323-5.

(5) Vie d'Ousama, 74.

surprise and defeat al-Afdal near Ascalon (1) (A. 193-4).

pp. 136-7.

[Note, (p. 136), on the Franks' conquest from Fariqi. 157r.].

493. — Bargiyâruq, after losing Isfahan to his brother Sinjar, retires to Baghdad (A. 198). Duqaq advances to Mayyâfâriqîn; Bohemond defeated and taken prisoner by (Gumushtakin) b. Dânishmand (A. 204); lowering of prices in Irâq (A. 203).

pp. 137-8.

[Note on the political state of Mayyâfâriqîn and its neighbourhood after the death of Tutush, from Fariqi 157v, and id. earlier version, 95v].

494. — The Franks defeat Suqman b. Ortoq at Sarûj. Godfrey attacking Acre is killed by an arrow (2); Baldwin (of Edessa, his brother), succeeds him at Jerusalem; Haifa and Cœsarea taken by the Franks, Arsûf submits (A. 222); Barkyârûq defeats Sinjar and captures and kills his vizier Mu'ayyad al-Mulk (A. 205-6); fall of ʿAmid al-Daula b. Jahir (3), vizier to Mustarshid (A. 203); Jabala ceded to Duqâq, its ruler retiring to Baghdad, but owing to the misgovernment of Tughtakin's son, Bûri, it submits to Ibn ʿAmmâr of Tripoli (A. 211-2). An Egyptian force attacks the Franks, and whilst losing its general, is victorious (A. 249-50 Sub. 496); death of Karbûqâ of Mosul (A. 234. sub. 495).

pp. 138-40.

495. — Disorder in Khurâsân etc.; the Franks fail to take Beyrout (A. 238); but are victorious at Antartûs near Tripoli over troops from Damascus and Emesa (A. 236-7); death of the Fatimide Mustaʿli (4): his son Amir succeeds (A. 224); Baldwin defeated by an Egyptian force near Ascalon and wounded (A. 238).

pp. 140-1.

496. — Rahba captured by Duqâq (A. 249); Janâh al-Daula of Emesa murdered by Bâtini fanatics; the city in alarm submits to Duqâq; the origin of the Bâtini movement in Aleppo, (ʿAdîm,

(1) Ibn Zâfir, op. cit. 75r says:
فجمع جموعه واحتفل واحتشد وسار الى الشام ولقي الفرنج بالموضع المعروف بالبصة فهزموه هزيمة فاضحة حتى لم يبقى معه احد ورجع الى مصر وقد استحكم يأسه من بقاء الساحل في ايدي المسلمين ولم يغزهم بنفسه بعدها.

(2) He died, in fact, of the pestilence, after some week's illness.

(3) Dated in 492 by Ibn Khall. II, 90. l. 22, Eng. III 286.

(4) His life, Ibn Khall. I, Eng. I 159.

Tutush (1) defeated outside Rayy by Barkiyâruq and killed. (A. 166-7). **pp. 128-30.**

[Note (p. 129) on the site of the battle near Rayy from the "Zubdat al-Tawârîkh" — B. M., Stowe, or. 7. 43v.].

488. — Ridwân and Duqâq, son of Tutush, retire to Aleppo, whence Duqâq escapes and seizes Damascus, (A. 167-9); Turkish raid on the ruler of Mecca, Ibn abi Shaiba (2). **p. 130.**

The Amîr Tughtakîn arrives in Damascus, his previous employment by Tutush; made prisoner at his defeat, he is now released and entrusted with the government of Damascus (A. 169).

489. — An attack by Ridwân is repulsed; a death; Yâghi-Siyân withdraws to Antioch. **pp. 130-2.**

[Note (p. 131) from Fariqi, 152v on Tughtakîn's career in Diyâr-bakr].

490. — Conjunction of planets (A. 177). Dissention at Aleppo; Janâh al-Daula, Atabek to Ridwân, seizes Emesa; Ridwân aided by Yâghi Siyân of Antioch, attacks Damascus; he acknowledges the Fatimide Caliph; the Egyptians take Tyre (A. 183-4). **p. 133.**

First invasion by the Franks; their victories; Antioch threatened; they avoid ceding Nicœa to the Byzantines, as promised (A. 185-7); a popular ringleader killed at Aleppo (A. 174). **pp. 134-5.**

491. — Treason in Antioch; its surrender; flight and death of its ruler Yâghi Siyân (A. 187-8, ʿAdîm 580-1), capture of Jerusalem by the Egyptians under al-Afdal (in 489, A. 193) (3); a Moslem attempt to recapture Antioch fails (A. 189-90). **pp. 135-6.**

492. — The Franks capture Maʿarrat al-Nuʿman, Adim 587, (sub. 491 A. 190); and Jerusalem (ʿAdîm 588, A. 193-4); they

---

(1) His life, ib. I, 118, Eng. I, 273.

(2) By Ibn al-ʿAthîr, (X. 163) the leader of the attack to be is called « Ibn Sâwatakîn » — the name given both in his text p. 169 and here, to the commander of the troops at Damascus. And the name the ruler of Mecca should be — not Qâsim but Muhammad Tâj al-Maʿâli; — see the note to p. 125 ante.

(3) In 401 A. H. also by Ibn Zâfer, op. cit., 75r, who adds :

ولم يكن لمن فيه طاقة بالفرنج ولو تُرك في ايدي الارتقية كان اصلح للمسلمين ولما ملك الافرنج القدس ندم الافضل حيث لم ينفعه الندم لانه كان احب نزولهم الساحل ليكونوا مانعين من قصود الترك الى ديار مصر.

482. — Malik Shâh takes Samarqand (A. 113); the Egyptians take Tyre and other towns (A. 116-7). Aq Sunqur suppresses brigandage (A. 119).

483. — Tutush takes Emesa from its ruler, who later acquires Apamea.

484.— Earthquakes in Syria (A. 135); Aq Sunqur takes Apamea; death of the Sultan's nominee at Samarqand. **pp. 120-1.**

485. — A conjunction of the planets; murder of Nizâm al-Mulk (1) (A. 137, At. 19) followed by the death of Malik Shâh, (A. 142, At. 22); Tutush takes Rahba; his clemency (A. 149). The Oqailid Ibrâhîm gets possession of Mosul (A. 150); Tutush takes Nasîbîn; outrages by his troops (A. 149). **pp. 121-2.**

486. — He defeats and kills Ibrâhîm, and takes Mosul; outrages occur there also; he takes Amid, Mayyâfâriqîn, and other towns, and aims at the Sultanate; Aq Sunqur and Bûzân support Barkiyâruq, and Tutush retires to Damascus; an Egyptian force takes Tyre (A. 150-2). **pp. 123-4.**

[Note on Tutush' rule in Mayyâfâriqîn from Fâriqi, 157v].

The Damascus Pilgrims are illtreated by the ruler of Mecca (A. 153). **p. 125.**

[Note on the identity of this ruler from the 'Umdat al-Tâlib, Lith. p. 120, and the notice of his death in 487 A. H. from Dhahabi (c) 207v, where the words رجوائز هوٴلاء should be repeated in the last line of the text].

487. — Death of the Caliph Muqtadi, Mustazhir succeeds; Tutush defeats and kills Aq Sunqur and Bûzân, takes Aleppo, and advances against Barkiyârûq (A. 155-8, At. 28-9). Earthquakes in Syria (A. 162); Tutush defeats Bargiyâruq; he is acknowledged as Sultan at Baghdad (A. 159). **pp. 125-7.**

Death of the Egyptian vizier Badr al-Jamâli, followed by that of Mustansir; (2) Musta'li succeeds. power being exercised by Badr's son, al-Afdal; he suppresses a revolt by Nizâr, son of Mustansir (A. 160-2). **pp. 127-8.**

[Note on Nizâr, and his acknowledgment by the Isma'ili sect, from Fâriqi f. 157r, and id. early version, ff. 92-4].

---

(1) His life, Ibn Khall. I, 179 Eng. I, 413 and that of Malik Shâh, ib. II 161, Eng. III, 440.

(2) His life, Ibn Khall. II 135 Eng. III, 381, and on Nizâr ib. Eng. I. 160. n.

tacks from the history of Muhammad b. Hilâl al-Sâbi (1); and an anecdote by Ibn 'Asâkir on Ibn Munqidh and Ibn 'Ammâr of Tripoli, as told by his grandson Muhammad b. Murshid].

475. — Muslim attacks Damascus, but retires in haste to protect his own territory; Aleppo taken by the Sultan Malik Shâh (A. 78-82). **pp. 114-5.**

[Note (p. 115) from Sibt J. (c) 176r on Muslim's intrigues at Antioch with Egypt, cf. A. 90].

476. — A revolt at Harrân suppressed by Muslim (A. 83-4). **pp. 116-7.**

[Note, account of the siege and capture of Harrân, from Sibt J. (c) 179r].

477. — Antioch taken by Sulaimân b. Qutalmish (A. 89). Muslim defeated at Amid by a Turkish force, (A. 86); he attends the Sultan's Court (A. 88). **p. 117.**

478. — Muslim defeated and killed by Ibn Qutalmish, who fails to take Aleppo (A. 90-1). Defeat of the Christians in Spain (Battle of Zallâca (2), A. 99-102, sub. 479).

479. — The Sultan Malik Shâh abrogates unlawful taxes on traders; Mahdiyya taken by the Christians; Ibn Qutalmish defeated and killed by Tutush, who attacks Aleppo, but retires before Malik Shâh (A. 99-100, At. 16).

480. — Aq Sunqur (3) father of Zangi, named governor of Aleppo; his good rule (A. 98).

481. — Malik Shâh attacks Samarqand; death of Ak Sunqur's wife from an accident; he attacks Shaizar and then comes to terms with Ibn Munqidh (Nasr) (4) (A. 111). **pp. 118-20.**

---

(1) The text of this letter appears, in a condensed form, in « Abulfidæ Annales », Ed. Reiske, III. 549-551, where it is quoted from Ibn abi-l-Damm (d. 642 A. H.), but the Stambûl text of Abu'-l-Fida — ed. 1286, III. 33, omits it, and gives in its stead a quotation from the autobiography of Usâma which does not occur in Derenbourg's text (see p. 68. n. 5). The Bishop is there stated to have continued until his death to reside at Shaizar under Ibn Munqidh's rule.

(2) On this battle see Ibn Khall. in the life of Yûsuf b. Tâshifîn, II 483-4, Eng. IV 452-6, and on site, C. F. Seybold in Rev. Hispanique, T. XV.

(3) His life from Ibn al-'Adîm, Hist. Crois. Or. III 703, and Ibn Khall. I 98, Eng. I, 225.

(4) Vie d'Ousâma, 28; dies 491 A. H., — ib. 30.

466. — A fortress taken by the Mirdasid ; floods at Baghdad ; accession of the Sultan Malik Shâh (A. 62). **p. 106.**

467. — Death of the Caliph Qâ'im (A. 64) ; his illtreatment by al-Basâsîri ; the intercessory letter which he suspended in the Ka'ba ; Muqtadi succeeds; death of the Mirdasid Mahmûd, and succession of his son Nasr ; congratulatory line by Ibn Hayyûs (1). **pp. 107-8.**

468. — Zaïn al-Daula succeeds Mu'alla as governor ; famine and disorder enable the Turk Atsiz to obtain possession of Damascus, which is thenceforth lost to the Fatimides (A. 67) ; the Mirdasid Nasr b. Mahmûd murdered by Turkish soldiers ; reforms by Atsiz at Damascus. **pp. 108-9.**

469. — Atsiz attacks Egypt, but is repulsed by Badr and retires to Damascus ; his unpopularity. **pp. 109-12.**

[Note on the defeat of Atsiz, his subsequent movements, and the desolation of Damascus, from Sibt J. (c). 166a] (2).

470. — The Saljuq Tutush invades Syria, assisted by the Oqailid Muslim ; he fails at Aleppo, and an Egyptian force fails at Damascus.

471. — Atsiz hard pressed by the Egyptian force, surrenders Damascus to Tutush, who later puts him to death ; Tutush rules well ; he attacks various towns (A. 72). **p. 112.**

472. — Aleppo surrendered to the Oqailid Muslim (A. 74) ; Syria prosperous ; disastrous Turkish raid on the Byzantines.

474. — The stronghold of Shaizar sold to Ibn Munqidh by its Bishop (3). **p. 113.**

[Note from Sibt J. (c) 172v giving the text of Ibn Munqidh's letter announcing this event, and how he checked Muslim's at-

---

and the booty taken included a jewelled cup. Later the Sultan married Takîn's sister. And in her outfit was found the cup, which the Sultan considered to be a reminder of his son's defeat, and he accordingly attacked Takin. Yusuf's fortress is here called « Bîrûn ».

(1) The line appears, with variants, in the poet's life, Ibn Khall. II 13. l. 17, Eng. III 139.

(2) Ibn al-Athîr's short account (X. 70-71) is described as based on Syrian authorities.

(3) Cf. Ibn Khall. I 464, Eng. II 342. The date of this event is discussed by Derenbourg in « Vie d'Ousama », 14 and 24, where a passage is quoted from Ibn al-'Adim, which confirms the date 474 A. H. (1081 A. D.).

the Sharif Haidara ibn Abi-l-Jann (1). Earthquake and floods (A. X 39); Mustansir overpowered by the troops (A. 55-60). **pp. 93-5.**

[Note on Ibn Abi-l-Jann quoted by Sibt J. (c) 123ᵛ from the history of Ghars al-Ni'ma Muhammad b. Hilàl al-Sâbi—d.480.A.H.

461. — Mu'alla b. Haidara, governor ; his harsh rule : expelled by the troops in 467 ; rioting in Damascus ; burning of the mosque ; famine in Egypt (A. 40-1). **pp. 95-8.**

[Note on the governor's doings at Damascus ; on the murder of Ibn Abi-l-Jann ; on the people's remorse at the burning of the mosque ; and on the intrigues at Damascus, from Sibt J. (c). 119ʳ].

462. — Badr fails to take Tyre ; the Caliph Qàim acknowledged at Aleppo ; Manbij taken by the Byzantine Diogenes (A. 40-2). **pp. 97-8.**

463. — Damascus threatened by Atsiz (2) ; Aleppo taken by the Sultan Alp-Arslan ; his victory over the Byzantine Romanos, who is taken prisoner and ransomed (A. 43-6). **pp. 98-9.**

[Note giving (p. 99) an incident of the campaign from the History of Mayyâfàriqìn by Ibn al-Azraq al-Fàriqi. B. M. Or. 5803, 145ʳ, and (pp. 100-4), a full narrative of the Sultan's proceedings at Aleppo, of the battle, and of the subsequent fate of Romanos, from Sibt J. (c) 126ᵛ et seq.]

464. — The ruler of Ja'bar murdered by treachery (3); Raqqa taken. The Byzantines repulsed by the Mirdasid of Aleppo ; death of al-Khatib al-Baghdàdi (A. 46. sub 463). **pp. 100-5.**

[Note on his escape from Damascus from Sibt J. (c) 130ʳ (4).]

465. — Flight of 'Ali Ibn Munqidh from Aleppo (5) ; death of the Mirdasid, 'Atiyya ; the Sultan Alp Arslàn assassinated by Bâtini fanatics (6) (A. 49).

---

(1) Cf. Quatremére « Mém. Ecc sur l'Égypte » II, 363 and 392.

(2) i. e. « without a horse ». Cf. Bundâri. Ed. Houtsma 71. n. « d ».

(3) Cf. Yâqût, Bùldân II 84, and Ibn Khall II 142, Eng I 329.

(4) The story appears also in is life in Yâqût's « Irshâd al-Arîb », ed. Margeliouth. I. 256 on the authority of Ibn al-Qaisarâni, d. 507 A. H. infrà.

(5) Vie d'Ousâma. Ed. Derenbourg, 17.

(6) In Sibt J. (c), 144ᵛ, this statement is quoted from Ibn al-Qalânisi, but as inaccurate and contrary to the received account which is there given, and which accords with that by Ibn al-Athîr and by Ibn Khallikân in the life of Alp Arslân, II 60, Eng. III 230. Details are added of the motive which led the Sultan to invade Bukhâra. The ruler of Samarqand, Shams al-Mulûk Takîn b. Taghân, had defeated two of the Sultan's sons, Ilyâs and Malik Shâh,

Disorder and distress under his rule until Badr al-Jamâli is appointed vizier in 465 A. H. (A. X. 55-6). **pp. 83-4.**

440. — Târiq, governor. The vizier al-Jarjarâ'i dies in 432 ; his successor Sadaqa al-Fallâhi, executed in 441 ; succeeded by al-Yâzûri ; honours bestowed on him for repressing the Banû Qurra. (A. IX. 396, dismissed in 449 A. H. ib 437).

441. — Rifq, governor, succeeded by al-Mu'ayyad Haidara. **pp. 84-5.**



Commencement of the author's « Dhail » or continuation (1).



448. — The Caliph Qâim marries the niece of the Sultan Tughril Beg ; birth of his grandson and successor Muqtadi (A.424-5).

449. — The Fatimide Mustansir acknowleged in the prayer at Aleppo during four years.

450. — Ibn Hamdân again governor, until defeated in 452 at Funaidaq outside Aleppo. (A. X. 7, killed 465 A. H. ib. 54). **p. 86.**

The revolt of al-Basâsiri against the Çaliph Qâim at Baghdad; he acknowledges the Fatimide Mustansir in the prayer; defeated by Tughril Beg and killed in 451 (2) — on the authority of the history of al-Khatib al-Baghdâdi (A. XI. 440-8). **pp. 87-90.**

452-4. — Successive governors ; the Mirdasid Mahmûd establishes his rule at Aleppo, and 'Atiyya holds Rahba (A. IX. 164 and X. 7). **pp. 90-1.**

455. — Badr, governor ; his incapacity and flight (A. X.19); his successors ; his reappointment in 458 ; struggles between the Mirdasids at Aleppo, and disorder in Egypt (A. IX. 165). **pp.91-3.**

460. — Bâriztughân, governor ; Badr captures and murders

(1) It continued the history of Hilâl al-Sâbi, which extended to 448 A. H., see *Ibn Khallikân* in the Life of Saladin, Bulak II, 498, Sl. Eng. IV 484, and Hist. Or. Crois. III 402.

(2) His life, Ibn Khall I 76, Eng. I 172.

411 A. H. (A. 221); (1) legends about his return (cf. A. 351); he is succeeded by Zâhir, with al-Jarjarâ'i as vizier (A.321-3).

pp. 79-80.

The vizier's diploma, dated in 418 A. H., set out in full.

pp. 80-3.

433. — Nâsir al-Daula b. Hamdân governor; he arrives accompanied by the Naqîb Abu Ya'la Hamza (2).

Rise of Tughril Beg the Saljuk in 432 A. H. (A. 321).

Death of Zâhir in 427 A. H.; succeeded by Mustansir (A. 304) (3).

---

(1) A Hâkim's life, Ibn Khall. II. 165, Eng. III, 449. full account of his death is given by de Sacy, op. cit. I 406-421, in part on the authority of Hilâl al-Sâbi, ib 413.

(2) Life of Zâhir Ibn Khall I 463, Eng. II, 340 and of his son Mustansir, ib II 135, Eng. III 381, and Quatremere, « Mém. Sec sur l'Égypte », II. 296-451.

(3) It is probable that his father's name should be read al-Hasân and not al-Husain, for it is so given in his obituary notice in the Mir'ât-al-Zamân, B. M. or 4619, 230ᵛ, and in the mention of him in the « 'Umdat-al-Tâlib », Lith. pp. 228-9 (as corrected by the Ms. B. M. add. 7355, 82ᵛ). There, among the descendants of Abu-l-Jann, (whose name was 'Ali), are mentioned certain Qadis of Damascus, issue of al-'Abbâs b. 'Ali b. al-Hasan b. 'Ali (Abu-l-Jann); of these al-'Abbâs was Qadi at Damascus, as also his son al-Hasân, his other son 'Ali being Qadi at Ba'albek; and among their issue was the Naqib Majd al-Daula Abu-l-Hasan Ahmad, (son of the Naqîb Abu Ya'la Hamza Fakhr al-Daula b. al-Hasan), for whom the shaikh al-'Umari composed his work « al-Majdi ». It is probable that the Sharîf Ibrâhim b. al-'Abbas b. al-Hasan, who died in 454 A. H. (p. 91) was Fakhr al-Daula's nephew.

The Shaikh al-'Umari, Abu-l-Hasan 'Ali, and his father, Abu-l-Ghanâ'im Muhammad b. 'Ali are also mentioned in the 'Umdat-al-Talib — lith. 304 Ms. 130a — both, as pedigree writers and as descended from 'Ali's son 'Umar al-Atraf, whence their Nisba. In the obituary notice, supra, Ibn 'Asâkir is quoted as reading in the work of the Sharîf 'Abd-Allah b. al-Husain b. Muhammad al-Hasani, the pedigree writer, of the favours that writer had received from Fakhr al-Daula. There occurs also in Dhahabi's Târikh al-Islâm — B. M. Or. 48, 266ᵛ,—a quotation from a « Nuzhat al-'Uyûn » of Abu-Ghanâ'im, a pedigree writer, on a gift to Bakjûr, who died in 381 A. H. (p. 38) of some of the prophet's hair, which was proved authentic by resisting the ordeal of fire. By Hâji Khalifa, N° 13705, the author of this work is called Abd-Allah b. al-Husain al-Zaidi. It is probable that the Abu-l-Ghanâ'im of the 'Umdat-al-Tâlib and of the Târikh al-Islâm are identical. It is noticeable also that according to Ibn Zâfir, « the Sharîf « al-'Umari » and his Sheikh », meaning, probably, 'Ali, and his father, Abu-l-Ghanâ'im, were the only authorities among pedigree writers for the Alide descent of the Fatimide Caliphs, — B. M. Or. 3685. 42b ult. and Wüstenfeld « Gesch. d. Fatim. Chalifen » p. 5.

ruler to Hâkim's general; is conducted prisoner to Cairo, and is executed (1) (A. 143-4). **pp. 64-6.**

399. — Hâmid and others appointed governors of Damascus in rapid succession. **p. 66.**

Destruction of the Church of the Resurrection at Jerusalem by Hâkim, and his motive. (A. 147) (2). **pp. 67-8.**

[Note, on the visit of Sibt Ibn al-Jauzi to Jerusalem, with his account of the miracle of the Holy Fire, and Saladin's project of suppressing it, from Sibt J. (a) 237r].

401-410. — Rapid succession of governors, including a cousin of Hâkim (3) who is suddenly arrested; popular discontent. **pp. 69-71.**

[Note on this cousin's bad government, from Dhahabi (b). 75r].

419. — Anûshtakın al-Dizbiri, governor; his career (A. 161-2 with "Berberi" for "Tizbiri"). **pp. 71-2.**

[Note, on the murder of Fâtik at Aleppo, from Hilâl al-Sâbi quoted Sibt J. (b) 51r].

420. — The vizier al-Jarjarâ'i sends Anûshtakîn to fight Sâlih b. Mirdâs and his Arab allies in Syria; he defeats them at al-Uqhuwâna and Sâlih is killed (4) (A. 162 and 260). **pp. 73-4.**

[Note, account of the campaign by Hilâl al-Sâbi, quoted Sibt J. (b) 83v].

429. — Nasr b. Sâlih is killed, and Anûshtakîn occupies Aleppo (A. 162-3). **p. 75.**

[Note; an account by a historian Muhammad b. Muayyad al-Mulk, quoted Sibt J. (b) 121v].

The vizier distrusts Anûshtakîn; his threatening despatch and Anûshtakîn's humble reply. **pp. 76-8.**

Death of Anûshtakîn in 432 A. H.; his burial, and family (A. 343). **pp. 78-9.**

Hâkim's outrageous rule had caused his ministers to appeal to his sister, Sitt al-Mulk, who contrived to bring about his death in

---

(1) De Sacy, op. cit. I 316-28, Wüstenfeld, op. cit. from Ibn Zâfir.

(2) De Sacy, op. cit. I, 336-41.

(3) Ibid. 400, 421.

(4) His life, Ibn Khall. I 286, Eng I 631. The place is spelt 'al-Uqhuwâna' in the authograph, B. M. add. 25735, fol. 148r.

[Note on the spelling « Zaidân » from Dhahabi (a) 215ᵛ. sub. 390 A. H.].

390. — Tamîn, successor to Jaysh, dies, and Ibn Falâh again governs, until replaced in 392 by Khutkîn, who is dismissed as incompetent. **p. 57.**

392. — Tizmalt, a Berber, appointed governor, and recalled in 374.

[Note on his treatment of a heretic (1) from Dhahabi (a) 22ʳ] **p. 58.**

393. — Hâkim is persuaded by a promise of money from Ibn al-Nahwi, and another, to dismiss and kill his vizier Fahd, a Christian, and to send Ibn al-Nahwi to govern Syria. His misgovernment there is reported to Hâkim's sister, by whose advice he is executed.; a succession of viziers are killed by Hâkim. (2) **pp. 59-61.**

394. — Muflih, governor, and others, in succession. Hâkim's minister, Ibn 'Abdûn, foils the attacks of the Maghribi family against him, and some of them are executed, but Abu-l-Qâsim escapes and takes refuge with Ibn al-Jarrâh, and appealing to him in verse, obtains protection. **pp. 62-3.**

The character and career of Abu-l-Qâsim al-Maghribi (3). **p. 64.**

[Note on his attempt to substitute for Hâkim the Alide ruler of Mecca, from Dhahabi (b) 2ᵛ (4)].

397. — The rebel Abu Rakwa is surrendered by the Nubian

the revolt of Abu Rakwa, a descendant of Hishâm, the Omayyad of Cordova, comes a legendary story that the Hâjib Ibn Abi Amir al-Mansûr having usurped Hishâm's place, both as sovereign and as husband, (see « Bayân al-Mughrib », Ed. Dozy II. 300), placed Hishâm's son under the charge of certain Sclavonian slaves, one of whom named Dâhik had belonged to Barjawân ; that this son ascertained from him that Barjawân was killed by Hâkim on suspicion of aspiring to the position of Kâfûr al-Ikhshîdi ; that he thereupon sought his aid to deal similarly with Ibn Abi Amir ; and how they succeeded in killing him with his paramour, and in reinstating Hishâm, who, together with his son, were later killed by the Sinhâja adherents of Ibn Abi Amir. But the latter had died in 392 A. H. —See Makkari I. 259 — and it may be that the story is based on the murder of his son 'Abd al-Rahmân in 399 A. H. — ib. 278.

(1) Id, quoted from Abu-l-Fidâ, de Sacy, op. cit, I 302. n².

(2) Ib 306-7. n.

(3) See his life, Ibn Khall. I 195, Eng I 450 ; de Sacy, op. cit. I, 350-3.

(4) Cf. Wüstenfeld 'Gesch. d. Fatim. Chalifen, VI, from Ibn Zâfir.

381. — Munir, superseded by Manjûtakin, revolts, but is defeated and taken ; Manjûtakin encouraged by the death of Abû-l-Ma'âli the Hamdânid, and advised by Ibn al-Maghribi, attacks Aleppo, and defeats a Byzantine force coming to Lu'lu's aid from Antioch ; Lu'lu' destroys the crops and bribes Ibn al-Maghribi to induce Manjûtakin to retreat. **pp. 40-2.**

382. —Manjûtakin reinforced from Egypt, lays siege to Aleppo. The Byzantine Basil hastens to its relief, and Manjûtakin, warned by Lu'lu', raises the siege ; Basil approaches Aleppo and captures various cities ; 'Aziz, whilst preparing to attack him, dies in 386 A. H. (A. 63). (1) **pp. 42-4**

386. — Hâkim succeeds, aged 10 years, with Barjawân (2) as guardian ; Ibn 'Ammâr and the soldiery seize power ; Manjûtakin declaring against them, is defeated by Ibn Falâh, and carried prisoner to Egypt ; a revolt at Damascus is suppressed (A. 83). **pp. 44-8.**

Barjawân foils a conspiracy by Ibn 'Ammâr, and drives him into exile, but afterwards conciliates him (A. 84). **pp. 48-9.**

387. — A revolt drives Ibn Falâh from Damascus ; a rising at Tyre, headed by a sailor, and supported by the Byzantines, is suppressed by a force under Jaysh, who then attacks the Byzantine army near Apamea ; he is repulsed, but the Byzantine leader is killed by a Kurd and the army routed (A. 84. 85). **pp. 49-52.**

388 — Bishâra, governor ; succeeded by Jaysh ; he invites the ringleaders of disorder to a banquet and has them murdered; and sends many leading citizens prisoners to Egypt ; his miserable death in 390 A. H. (A. 85-6). **pp. 53-4.**

[Note on Jaysh by Ibn Asâkir, from Dhahabi (a) 216v sub 390 A. H.].

Barjawân makes a truce with the Emperor Basil. Hâkim resents his control and precautions, and, with the assistance of a slave Zaidân, has him murdered (in 389 A.H.) (3) ; his letters explaining his reasons (A. 86). **pp. 55-6.**

---

(1) His life. Ibn Khall II 199, Eng. III 525.

(2) Cf. Ibn Khall I 110, Eng. I 253, and de Sacy, op. cit. I. 284-93 for an account of the events of Barjawân's rule ; ib. 298-300 for the previous attempts on Aleppo.

(3) Cf. de Sacy, Chrest. Ar. 1826 T. I., 131. n. There is a curious reference to his murder in Sibt J. (a) 230r (sub. 397 A. H.) where after the account of

371. — Fatimide troops under Baltakîn defeat Ibn al-Jarrâh who takes refuge in Antioch ; Byzantine inroad ; Qassâm, unable to hold Damascus, surrenders to Baltakîn, is sent to Egypt, and set free. (A 5-6). **pp. 25-7.**

[Note on Qassâm, Dhahabi (a) 148ᵛ quoted from al-Qifti.]

372.— Bakjûr, Governor ; his previous career at Aleppo and Emesa (A. VIII. 502) ; succeeds Baltakîn on his recall to Egypt ; attempts to seize Aleppo for 'Azîz, but is foiled by a Byzantine force under Bardas (1) who pillage Emesa ; intrigues of Ibn Killis against him ; he retaliates by killing the vizier's agent, with others, on suspicion of plotting his own death — in 377 A. H. (A. IX. 12-13). **pp. 27-30.**

378.— Munîr is sent from Egypt to depose him ; on the defeat of his Arab allies he submits and retires to Raqqa ; Ibn Killis tries to propitiate him (A. 40) ; he next makes advances to Bâdh, the Kurd, and to the Buwaihid of Baghdad, and seeks a reconciliation with the Hamdânid of Aleppo, but is foiled by Ibn Killis (A. 59). **pp. 30-31.**

The career of Ibn Killis ; appointed Vizier in 365 A. H., he dies in 380 A. H., honoured and regretted by 'Azîz (2) ; his successor, a Copt, prefers Jews and Christians to Moslems, but a reaction follows (3) (A. 81). **pp. 32-3.**

[Note on Ibn-Killis from Dhahabi (a) 166ʳ].

381. — Bakjûr attacks Sa'd al-Daula of Aleppo ; he is not duly supported, his Arab troops are gained over, and his vizier, Ibn al-Maghribi, flies ; his scheme to single out Sa'd al-Daula in the battle is frustrated by the devotion of the slave Lu'lu', and he is defeated, betrayed and executed (A 60-1). **pp. 34-8.**

Sa'd al-Daula violates the terms promised to Bakjûr's children, and defies protests from Egypt ; his remorse and death (4), Lu'lu' guardian to his successor (A. 62). **pp. 38-9.**

(1) For this name see « Chronique de Matthieu d'Edesse » by E. Dulaurier, Paris, 1858, p. 387., n. XXI.

(2) His dying advice to 'Azîz, as given here and also in the 'Muntazam' of Ibn al-Jauzi—Berlin 9436, 130ʳ, sub 380 A. H. and in his life by Ibn Khallikân II 442 l. ult. Eng IV p. 365, is to live at peace with the Byzantines, — not merely with the Hamdânids, as in the Kâmil, A. IX 54.

(3) Cf. de Sacy, op. cit. I 303.

(4) This explains the passage in Ibn Khall. I 463. l. 23, Eng. II 339.

Death of Mu'izz and accession of his son, **'Azîz ; anecdote of** Mu'izz (A. 488-9).

Alaftakîn diverts the Qarmathians and attaks the coast towns, defeating the Maghrib force under the Oqailid Zâlim. On his refusing fealty to 'Azîz, Jawhar is sent to attack him, but, supported by the people of Damascus, he calls in the Qarmathian (A. 483-4). **pp. 14-16.**

Jawhar, hard pressed, appeals to Alaftakîn, and, in spite of the Qarmathian's protest, is allowed to retire on easy terms (1). By his advice 'Azìz takes the field in person against Alaftakîn. The armies meet ; 'Azìz admires Alaftakîn and offers him generous terms, but hé says the offer comes too late. **pp. 16-18.**

'Azîz is victorious ; Alaftakîn is taken prisoner, magnanimously treated, and taken into high favour, whilst the Qarmathian receives a stipend and retires; Alaftakîn's death (2) brought about by the jealousy of the vizier, Ibn Killis (A. 485-7). **pp. 19-21.**

[Note from Dhahabi, (a) fol. 13v that a similar account is given by the historian al-Qifti.]

368.—Qassâm, a subordinate of Alaftakîn, governs Damascus; the Hamdanid Abu Taghlìb tries to supplant Qassâm, who seeks aid from Egypt ; Abu Taghlîb, awaiting Ibn al-Jarrâh from Ramla, is deserted by a part of his force, defeated by the Egyptians, and killed ; Qassâm establishes his rule (A. 512-5), **pp. 21-3.**

369. — Ibn Falâh with an Egyptian force fails to oust Qassâm ; he and Ibn al-Jarrâh obtain recognition from Egypt ; Bakjûr, Hamdânid Governor of Emesa, relièves the distress at Damascus. (A.IX. 12. sub 372). Death of 'Adud al-Daula, the Buwaihid (A. 13. sub 372). **pp. 23-4.**

[Note, Sibt J. (a) 84v, on correspondance between 'Adud al-Daula and 'Aziz quoted from the history of Hilâl al-Sabi (3)].

---

(1) Ibn Zâfir, loc. cit. describes the terms thus :

وكان الصلح على ان يخرج جوهر واصحابه عُراةً لاشئ يستر عوراتهم بعد أن يُعلّق لهم في قوس الباب سيف هفتكين ورمح القرمطيّ ويخرج جوهر.

(2) In 370 a. h. : 'Ibn Zâfir loc. cit.; in 372 a. h., Ibn Khall I. 528. l. 8, Eng. II 484.

(3) Cf. on this Ibn Zâfir, op. cit. 51v-52v, and Wüstenfeld, Gesch. d. Fatim. Chalifen, V.

SUMMARY of CONTENTS.

358. — A revolt in Damascus, following on the conquest of Egypt by the Fatimide Mu'izz and the expulsion of the Ikshîd dynasty (1), is suppressed by Jauhar. The Qarmathian ruler thereby loses his subsidy, and, with aid from Baghdad, defeats the Fatimide Governor Ja'far b. Falâh (2), and seizes Damascus, but, on invading Egypt, is defeated by Jauhar (3) (A VIII. 452-3) **pp. 1-2.**

[From the History of Hilâl al-Sâbi quoted Sibt J. (a) 14r]

History of Ibn al-Qalânisi

363. — Repulse of the Qarmathians, suppression of their party at Damascus ; Zâlim, gouvernor ; excesses by the troops, incendiarism and riots ; extent of damage. Jaish, Governor — then, Rayyân (A. 469-72). **pp. 3-10.**

[Note (p. 4) on al-Nâbulusi from the « Muntazam » of Ibn al-Jauzi sub. 365 A. H. — Berlin 9436. 111r, and cf. Yâqût, « Mu'jam al-Buldân » IV 724-5.]

364. — Alaftakîn (4) expelled with Turkish troops from Baghdad, enters Damascus by invitation and represses the Arabs ; he is distrusted by Mu'izz and attacked by Jauhar.

Death of Mu'izz (5) in 395 (A. 483-4) **pp. 11-12.**

Byzantine invasion of Syria under John Zimisces ; Alaftakîn negotiates with him in person ; his success ; whilst attacking Tripoli Zimisces is poisoned, and dies in Constantinople. (A. 517, sub. 369) **pp. 13-14.**

---

(1) On which see Ibn Khall. ed. Bulaq. II. 56, de Slane Eng. III. 221-2.

(2) In 360 A. H. ; his life Ibn Khall. I. 141, Eng. I. 327, and de Sacy, Religion des Druzes. I. 219-22.

(3) His life, Ibn Khall. I. 147, Eng. I. 340.

(4) Called « Iftakîn » by Ibn Khall. in the mention of his overtures to Adud al-Daula, — I. 527-8, Eng. II. 483, and « Haftakîn » by Ibn Zâfir in the « Dual al-Munqati'a ». B. M. or. 3685, fol 50v and by Dhahabi in the Tarikh al-Islâm. Cf. de Sacy, op. cit. I. 300. n. 2, quoting Abu-l-Mahâsin.

(5) His life. Ibn Khall. II. 133, Eng III. 377

In the summary of the contents, indications will be found in brackets of printed works where the same events are related. These are, the Kâmil of Ibn al-Athîr, ed. Tornberg, (quoted as A. VIII-XI.) and, from 490. A. H. and onwards, the «Histoire des Atabecs de Mosul» by the same author, edited, with a French translation, by de Slane in the Recueil Hist. Crois. Or. Vol. II. part 2, (quoted as At.); the extracts from the « Zubdat al-Halab fî Târîkh Halab» by Kamâl al-Din Ibn al-'Adîm, covering 490-541 A. H., edited with a French translation by M. C. Barbier de Meynard in the Recueil, ib. Vol. III. pp. 577-690, (quoted as 'Adîm); and the French translation, with notes, of the remainder of this history down to 640 A. H. by E. Blochet, extracted from the « Revue de l'Orient Latin » Vols. III. IV. V and VI., under the title « Kamâl al-Dîn, Histoire d'Alep.» Paris, 1900. And references in the notes shew where lives of persons mentioned occur in the Wafayât al-A'yân of Ibn Khallikân, text, ed. Bulaq, 2 Vols. 1299 A. H., and English translation by de Slane, 4 Vols.

The quantity of poetry in the volume is not large ; most of it, and especially the lines from the pen of the vizier al-Maghribi on pp. 62-3, have had the advantage of revision by Professor D. S. Margoliouth of the University of Oxford, for which, as well as for much other help in connection with this edition, I beg him to accept my hearty thanks. And to the good nature of Mr. A. G. Ellis of the Oriental Printed Books and Ms. Department, British Museum, I am indebted for large drafts on his knowledge, permitted so readily to those in need, and from so ample a store.

H. F. Amedroz

48 York Terrace, London. N. W.

December 1997.

It will be seen that numerous extracts from other authors, who are still in Ms., appear as notes to the text: they are intended to supplement the narrative by matter not present there nor in other printed histories, and are taken either directly from the authors in question, or through quotations from them elsewhere. And whilst in the notes the extracts appear under their author's name, in the summary of the contents will be found the reference to the Ms. and folio whence they have been copied. Of these Extracts the larger number are from the History of Mayyâfâriqìn and Amid by Ahmad b. Yûsuf b. 'Ali b. al-Azraq al-Fâriqi, of whose work two recensions exist in the Library of the British Museum, one, a fragment only, written in 560 A. H., when the author was 50 years old — B. M. Or. 6310 — the other, fuller and nearly complete, written in 572 A. H., — B. M. Or. 5803 (1). The Zubdat al-Tawârìkh, — B. M. Stowe Or. 7 (Cat. Supp. 550) from which a few extracts have been taken, is a unique Saljuq history extending to 590 A. H., although not written before 623 A. H., as to which see Houtsma, Recueil Textes Salj. I p. X. and II. p. XXXVI. The Mir'ât al-Zamân of the Sibt ibn al-Jauzi has been largely drawn on, especially for quotations from the lost histories of Hilâl al-Sâbì and of his son Ghars al-Ni'ma Muhammed, whose combined works cover 360 — 479 A. H. The years included in the history, of Ibn al-Qalânisi are covered by four Mss. of the Mir'ât al-Zamân, viz. Paris. Ar. 5866 (referred to as Sibt J. a) for 358 — 400 A. H.; Munich, 378° (Sibt J. b,) for 402 — 442 A. H.; Paris Ar. 1506 (Sibt J. c) for 440 — 517 A. H., (2) the latter years of which are in part printed in the Recueil Hist. Crois. Or. III.; and the above mentioned Ms. Yale, 136 (Sibt J. d) for 495 — 654 A. H., the close of the work. Last the Târìkh al-Islâm by the Hâfiz Shams al-Dìn al-Dhahabi for the years 351 — 500 A. H., is quoted from the Mss. B. M. Or. 48 (Dhahabi a), Or. 49, (Dhahabi b) and Or. 50 (Dhahabi c), each of which covers a period of fifty years.

(1) Some account of these Mss. and of the historian will be found in the Journal of the Royal Asiatic Society, 1902, at p. 785.

(2) For the loan of the Paris Ms. Ar. 1506 I have to thank the Administrateur Général; the use of the Munich Ms. at the Library of the India Office I am indebted to Dr O. Leidinger; and the courteous liberality of Professor J. R. Jewett enabled me to use proof sheets of the facsimile of Yale 136 whilst preparing this text.

توّفي فى ربيع الاول . قلت : روى عنه ابن مصري ومكرم بن ابي الصقر وجماعة وجمع بين كتابة الانشاء وكتابة الحساب وحمدت ولايته وتوّفي في عشر التسعين

His death in 555 A. H. is noticed too by Abu-l-Mahâsin in « al-Nujûm al-Zâhira », B. M. add. 23882, fol. 140v, where he says of him :

يُعرف بابن القلانسي كان فاضلًا اديباً مترسّلًا جمع تاريخ دمشق وسمّاه الذيل وذكر في اوله طرفاً من اخبار المصريين وبعض حوادث السنين وقد نقلنا عنه نبذة في هذا الكتاب وكانت وفاته بدمشق في يوم الجمعة سابع شهر ربيع الاول ودُفن يوم السبت بقاسيون . فمن شعره في الصبر على الشدّة :

إِيَّاكَ تَقْنَطْ عِنْدَ كُلّ شَدِيدَةٍ فَشَدَائِدُ ٱلأَيَامِ سَوْفَ تَهُونُ
وَٱنظُرْ أَوَائِلَ كُلِّ أَمرٍ حَادِثٍ أَبَدًا فَمَا هُوَ كَائنٌ سَيَكُونُ

The office of Ra'is (1) at Damascus was a high one, as appears from the career of Ibn al-Sûfi in the text, and the continued importance there of the Qalânisi family is shown by Dhahabi naming them among those who removed at the Tatars' approach in 700 A. H. — B. M. Or. 1540, 131v.

The author brings down his history to within a year of his death, but he had previously, on arriving at the year 540 A. H, made a pause to declare that, in spite of hindrances during the previous five years, he had settled his narrative thus far, with blanks in that part of the narrative for the insertion of further facts when ascertained. And he then proceeds to reflect on the multiplication of « laqabs », and how their increase had been wholly in excess of the power and importance of their bearers, — reflections which will be found to correspond in spirit with those uttered before him by al-Bìrûni in 'al-Athâr al-Bâqiyya ; (transl. Sachau pp. 129-131, and by Hilâl al-Sâbi in his « Kitâb al-Wuzarâ » (pp. 148-152), and which represent, perhaps, a late protest against a firmly rooted evil (2).

(1) In Derenbourg's « Vie d'Ousama » pp. 196 and 267, this title is translated by « Chef de la Municipalité ».

(2) Dhahabi in the « Târíkh al-Islâm » — B. M. Or. 49, fol. 10v — Says of Jalâl al-Daula, in 415 A. H.

خلع على شرف الملك ابي سعد ابن ماكولا وزيره ولقّبه علم الدين سعد الدولة امين الملّة شرف الملك وهو اوّل من لُقّب بالالقاب الكثيرة ولعله اول من لُقّب باسم مضاف الى الدين.

Again on pp. 64-6 is a notice of the defeat and death of Abu-Rakwa. Ibn Khallikân referring to his career in the life of Hâkim — de Sl. Eng. III. 453, (the passage does not appear in the Bûlâq text II. 167) — says tha a full account of his proceedings was given by Ibn al-Sâbi. The notice in this text purports to be an abridged one ; only the final scene, arter Abu Rakwa's surrender to Hakim's General, is dwelt on ; whereas in the 'Kâmil of Ibn al-Athîr (IX, 143-4) whilst the earlier part of his career is given in greater detail, the conclusion appears to be an abridgment of Ibn al-Qalânisi. The two accounts combined may therefore form a tolerably complete reproduction of Hilâl's narrative. No authority is quoted by name in Ibn al-Qalânisi's history excepting al-Khatib al-Baghdâdi, for the revolt of al-Basâsîri at Baghdad in 450 A. H. — text pp. 87 and 89.

Of Ibn al-Qalânisi himself the following notice is given by Dhahabi in the Târîkh al-Islâm — Bodl. Laud. 304, fol. 203r, sub. 555 A. H., the year of his death.

حمزة بن اسد بن علي بن محمد ابو يعلي التميمي الدمشقي العميد بن القلانسي الكاتب حدث عن سهل بن بشر وحامد بن يوسف التّنيسي قال الحافظ ابن عساكر: سمع منه بعض اصحابنا ولم اسمعْ منــه (قال) وكان اديباً كاتباً تولّى رئاسة دمشق مرّتين. وكان يكتب له في سماعه : ابو العلاء المسلم بن القلانسي . فذكر انه هو وانه كذلك كان يُسمّى وقد صنف تاريخاً للحوادث من بعد سنة اربعين واربعمائة الى حين وفاته . وقرأت من شعره :

يا نفسي لا تجزعي من شدّة عرضتْ   وايقني من الــه الخلق بالفرجِ
كم شدّة عظمت ثم انجلت ومضتْ   من بعد تاثيرها فى المــال والمهجِ

---

found in Ibn Khall. II. 163, l. 17, Eng. III. 444 ; again on fol. 201r, sub. 405 A. H. , the story how a woman evaded Hâkim's order on the sex to remain indoors, (see de Sacy, « Religion des Druzes », Introd. p. 371), by pretending to the Qâdi Malik b. Sa'id al-Fâriqi that she was hurrying to the side of a dying brother ; and, after a statement on fol. 207v that Hilâl together with al-Musabbihi and al-Qudâ'i were the chief authorities for Hâkim's scandalous doings, on fols. 207v — 209r, Hilâl is quoted for one account of Hâkim's death, and another by al-Qudâ'i follows, both of which are given by de Sacy. op. cit, introd. 406-13, quoted from the history of Abu-l-Mahâsin. The possibility that undiscovered portions of Hilâl's history may yet exist is the justification of this note.

Quotations from Ibn al-Qalânisi's history are equally to be found in historical works, which, as yet, exist only in Mss., e. g. in Yâqût's « Irshâd al-Arîb ila Ma'rifat al-Adîb » for the life of 'Usâma b. Munqidh, — Ms. Bodl. Or. 753, fol. 154 r. (1), and in various Mss. of Dhahabi's 'Târikh al-Islâm', — such as B. M. Or. 49 and Or. 50, Munich Ar. 378c and Bodl. Laud. B. 130 (Cat. Uri, 649); Safadi, too, in his introduction to the Wâfi bil-Wafayât — Ms. Vienna 1163. I. 18v — includes the work in his general list of authorities.

One quotation from Ibn al-Qalânisi's history is interesting, being for matter prior in date to 448 A. H., — the commencement of the « Dhail ». It occurs in the Târikh al-Islâm — B. M. Or. 49, 9r and relates to the career of Hâkim's cousin and heir as governor at Damascus — see the text p. 70. That Dhahabi should not have have had recourse to some earlier authority is noticeable. A work purporting, as this does, to be a continuation of another history, may be presumed to rely in a measure on that history for previous events, and were it possible to establish that Ibn al-Qalânisi copied Hilâl, something of the lost portion of his history would be saved. That Hilâl treated the annals of Syria and of Egypt is shewn by the quotation by Sibt ibn al-Jauzi on page 1 of this text. Other Mss. of the Mir'ât al-Zamân likewise contain quotations from Hilâl, for instance the Ms. B. M. Or. 4619, which covers the years 282-460 A. H., and represents a recension of the work different and less full than the text of the same period contained in Paris Ar. 5866, Munich Ar. 378c (Cat. Supp. 952), and Paris Ar. 1506. One of these quotations, that at folio 185v, is an account of the death of Ibn Killis in 380 A. H. : this will be found to correspond verbally with the account given by Ibn al-Qalânisi — text, pp. 32-3 : it may therefore be regarded as taken from Hilâl (2)

---

(1) The earlier part of this Ms. has been edited by Professor D. S. Margoliouth for the « E. J. W. Gibb Memorial » Series — London 1907— and further parts are in preparation by the Professor.

(2) Other quotations from Hilâl in the Ms. B. M. Or. 4619 are : on fol. 183v. sub. 377 A. H. an illustration of the extended sway of the Hamdanid, Saif al-Daula, that his orders ran in Nisâbûr, and that he had once charged a soldier's stipend, one half on Mosul, and one half on 'Omân — a story which the Sibt caps by that of Nizâm al-Mulk having given from Transoxiana an order on Constantinople (Sic), which is perhaps an imperfect version of the story to be

This coincidence of date puts Ibn Khallikân's **statement beyond** doubt, although a not unnatural confusion, caused by the title given to the work — « Dhail al-Târîkh al-Dimashqi » — has at times led to its having been regarded as a continuation of the wide renowned history of Ibn 'Asâkir — the Târîkh Dimashqi. But he was Ibn al-Qalânisi's junior by many years, and in fact, notices him in his history, as will be found stated by Dhahabi, infra (1).

For the full period of a century covered by the « Dhail », during most of which, according to Dhahabi's statement, the author was living, the work is a source of Moslem history, amply drawn on by later historians. As such it seemed worthy of publication in spite of the fact that its contents are, to a large extent, already accessible in printed books. Ibn al-Athîr, in the « Kâmil », used the work throughout, although once only does he quote the author by his name, Hamza (2); again, in the extracts from the Mir'ât al-Zamân of the Sibt ibn al-Jauzi, printed in the Recueil Hist. Crois. Or. III. (from the Mss. Paris Ar. 1506, and Leyden, old Cat. N° 757, revised Cat. F° 835), his name is of constant occurrence ; it occurs also in the extracts from other historians given in this Volume of the Recueil ; and in another Ms. of the 'Mir'ât al-Zamân' — Yale 136 — reproduced in facsimile at the University of Chicago Press, 1907, under the editorship of Professor J. R. Jewett, the references to Ibn al-Qalânisi's history by name for the latter part of its contents are frequent and continuous. That part is copied also to a large extent verbatim in the Kitâb al-Raudatain of Abu Shâma — Ed. Cairo, 1287 A. H., 2 Vols, in part edited, with French translation, by M. C. Barbier de Meynard in Hist. Crois. Or. Vol. IV.

---

tement in another Ms. of the Mir'ât al-Zamân, — Munich. Ar. 378 c. fol. 135v. sub. 484 A. H., — that the copy of Hilâl's history to which he had access in the Waqf of at Malik al-Ashraf at Damascus extended only to that year.

(1) Abu Shâma in the « Kitâb al-Raudatain » Ed. Cairo. 1287. I. 4 (Hist. Crois. Or. IV. 13) mentions among previous historians, **first**, Ibn 'Asâkir whom he calls Abu-l-Qâsim al-Dimashqi, and his fine biography of Nûr al-Dîn for whom his work was composed, and next Ibn al-Qalânisi's « Dhail al-Târîkh al-Dimashqi », and this Röhricht understands to mean « Anhänge zur Geschichte des eben genannten ». — See « Arab. Quellenbeiträge zur Gesch. d. Kreuzzüge », Berlin, 1879. p. XII. And the notice of Ibn al-Qalânisi's history in Hâji Khalîfa, N° 2218 (Vol. II. 130-1) seems to imply this view also.

(2) For the opening in 513 A. H. of the tombs of the Patriarchs, Abraham, Isaac and Jacob ; — Vol. X, p. 394 — see p. 202 of this text.

PREFACE

The history of Ibn al-Qalânisi, which is declared by its author to be a continuation, — « Dhail » — to a previous history, covers a period of nearly two centuries, and terminates in the year of the author's death, 555 A. H. It is concerned, primarily, with Damascus and Syria, with occasional reference to events in Baghdad, and in Egypt, with which during the earlier moiety of the history Syria was politically united. The edition is prepared from the ancient and apparently unique Ms. at Oxford, — Bodl. Hunt. 125, (Cat. Uri. 718), which is dated in 629 A. H. and contains 188 folios of 32 lines a side. The point at which the narrative, as preserved in this Ms., begins, is 363 A. H., but the opening folios — to the number of 11 as would appear from the quirez, vis : one eighteenth part of the whole — are wanting. The year 448 A. H. is indicated by the author as the date when his « Dhail » opens.

By the good offices of Mr E. W. Nicholson, Bodley's Librarian, the Ms. was placed at my disposal for a lengthy period at the British Museum : the extent of the obligation thus placed upon me I desire gratefully to acknowledge. The happy conjunction at the « Bodleian » of a power to lend Mss., and of a generous exercise of that power, is a piece of good fortune for which students can but express, — in this case reiterate, — gratitude, cherishing the well founded expectation that such conjunction may be perpetual there, whilst indulging the hope that it may eventually exist elsewhere in this land.

The history of Ibn al-Qalânisi is described by Ibn Khallikân, when quoting it in his life of Saladin in the Wafayât al-A'yân (1), as a continuation of the history of Hilâl al-Sâbi which terminated in 448 A. H. (2) the point at which the « Dhail » commences.

---

(1) It is quoted Ed. Bûlâq. II, 498 l. 19. de Slane, Eng. IV, 484, and Recueil Hist. Crois. Or. III. 402, where the year 532 A. H. should be 533 — see p. 269 of this text.

(2) Sibt ibn al-Jauzi hesitates between 447 and 448, saying that the latter was that fixed by Hilâl's son, Ghars al Ni'ma Muhammed, who continued his history : — Paris, Ar. 1506. 11v. His uncertainty is explained by his sta-

HISTORY OF DAMASCUS

363-555 a. h.

BY

Ibn al-Qalânisi

from the Bodleian Ms.
Hunt. 125.

being a continuation of the history

OF

Hilâl al-Sâbi

Edited

With Extracts from other histories

and

Summary of Contents

BY

H. F. AMEDROZ

LEYDEN — LATE E. J. BRILL.

1908

